المثلث العفري في القرن الأفريقي

محمد عثمان أبو بكر

المثلث العفرى
فى القرن الأفريقى
عبر العصور التاريخية

الناشر : **المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات**
18ج شارع محطة الزيتون - الزيتون - القاهرة
ت : 2567659
رقم الإيداع : 97/10623
الترقيم الدولى : 7-1789-19-977

المثلث العفرى
فى القرن الأفريقى
عبر العصور التاريخية

تأليف : محمد عثمان أبو بكر
تقديم : أ.د. رجب محمد عبد الحليم

القاهرة ١٩٩٦

المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات
١٨ج ش محطة الزيتون - الزيتون - القاهرة



تقـــــــديم

يتناول هذا الكتاب تاريخا لشعب عريق هو شعب العفر او الدناكل ، فيتحدث عن اصوله الأولى ويشير الى جزء من هجرات عربية قديمة اختلطت بالسكان المحليين وتكون من ذلك هذا الشعب ذو الأصول العربية والافريقية ، يدل على ذلك أن كلمة عفر نفسها ذات أصل عربى ، فقد أطلقها العرب الذين هاجروا الى هذه المنطقة الهامة من القارة منذ عصور موغلة في القدم على شعبها وسكانها ، وكلمة الدناكل أيضا لها نفس الدلاله ، فقد أطلقها اليمنيون على هذا الشعب وذلك نسبة الى اسرة ال انكلى التى كانت تحكم العفر آنذاك فى التاريخ القديم ، وعندما ظهر الاسلام كانت بلاد العفر من أولى البلاد التى قدم اليها وانتشر فيها هذا الدين ، وهذا يفسر لنا سر ارتباط شعب العفر بأصوله الحضارية التى ينتمى إليها وهى العروبة والاسلام .

فجذورهم كما رأينا تنتمى الى الجزيزة العربية ، وهم تيكلمون اللغة العربية بجانب اللغات المحلية الأخرى ويستعملونها فى شتى مناحى الحياة ، ويتمسكون بها ربما أكثر من غيرهم من شعوب منطقة القرن الافريقى ، وهم شعب مسلم يتمسك بدينه وتقاليده الاسلاميه الى ابعد الحدود . ولا يمكن لاى اشخاص مهما اوتوا من القوه السياسية او العسكرية ان يغيروا ما اراده الله لهذا الشعب من انتماء حضارى او دينى او ثقافى ، خاصة وان الشعب كما قلنا عريق فى حضارته ، وصاحب تاريخ موغل فى القدم ، وأقام على مر العصور دولا كان لها نفوذ وسلطان وكان لها جهاد كبير نحو ابراز الهوية العفرية العربية الاسلامية والمحافظة عليها ، وخاصة في العصور الوسطى والحديثة حينما تكالبت قوى البغى والعدوان سواء جاءت من منطقة القرن الافريقى ام من خارجها على استعباد هذا الشعب والقضاء على حضارته وتراثه .

ورغم تعرض هذا الشعب العريق لمؤامرات استمرت على مدى قرون عديدة وكان لها ذيول فى التاريخ المعاصر فى القرن العشرين الا انه بصبره وكفاحة وتصميمه على حياة حرة كريمة استطاع أن يصل الى بر الأمان ، وأن يحقق انجازا كبيرا نرجو أن يحافظ عليه من المؤامرات التى ما زالت تدبر ضده ، سواء فى العلن ام فى الخفاء ، بهدف ابعاده عن انتمائه وتراثه وهويته التى لا يمكن ان يقضى عليها انسان باى حال من الأحوال .

أما الكاتب فهو أحد رجال الكفاح البارزين الذين ضربوا بسهم وافر فى تحقيق مسيرة التحرر

والاستقلال ، وخاض هو وزملاؤه حربا ضروسا ضد قوى البغى والعدوان حتى تكللت جهودهم بالنجاح . ورغم ذلك فقد أثر أن يجاهد فى ميدان آخر ، وهو ميدان العلم والثقافة فاختار أن يكتب تاريخا لوطنه وشعبه، وفى هذا الميدان أصدر عدة مؤلفات ، هذا الكتاب احداها وهو كتاب تناول تاريخ شعب العفر الذى يعيش بعضه الآن فى دول أريتريا ويعيش معظمه فى الدول المجاورة مثل اثيوبيا وجيبوتى .

وفى تناوله لهذا التاريخ تعرض للممالك العفرية القديمة ثم إلى فترة دخول الاسلام الى بلاد العفر وانتشاره فيها ودور العفر فى نشره ، ثم تحدث عن الامارات والممالك الاسلامية التى قامت فى هذا البلاد ، وهى عديدة ، وكان لها سهم وافر فى التمكين للعروبة والاسلام فى هذه المنطقة الهامة من القارة ، وواصل الكاتب المسيرة فارخ لعفر فى العصر العثمانى حتى القرن العشرين ، ولم ينسى أن يدلف الى بعض مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية . والاقتصادية فتحدث عنها كما لم ينسى الحديث عن الدور المصرى والسعودى وإبراز اهميته فى تنمية هذه المنطقة من القارة ، وهو بذلك قد ناقش الكثير من قضايا شعب العفر ، وأعطى صورة واضحة لهذا الشعب منذ تاريخه القديم وحتى القرن العشرين من هنا تنبع أهمية هذا الكتاب الذى ارجو ان يكون فاتحة لدراسات أخرى تؤرخ لهذا الشعب الصديق الذى يحظى من المسلمين والعرب والافارقة وغيرهم بكل احترام وتقدير .

القاهرة فى ٢٠/١٠/١٩٩٦

دكتور

رجب محمد عبد الحليم

أستاذ التاريخ الاسلامى ورئيس قسم

التاريخ بمعهد الدراسات الافريقية جامعة القاهرة

شكــــــر

إن هذا الكتاب ثمرة جهد متصل مع أبناء عفر الذين ساهموا معى بأفكارهم وآرائهم ، سواء كانوا بالقاهرة أو إريتريا أو إثيوبيا أو المملكة العربية السعودية ، وهى المناطق التى أتيحت لى فرصة زيارتها ، حيث التقيت بعدد لا بأس به من أبناء العفريين فى هذه البلاد، وتزودت من خلال اتصالاتى بهم، ومن خلال الحوارات التى أجريتها معهم ببعض المعلومات والدراسات القيمة عن تاريخ العفر – قديما وحديثا – وكان لإسهاماتهم دور كبير فى هذا الكتاب٠ وأخص بالذكر السلطان على مرح وهو الزعيم الروحى لكل العفريين أينما وجدوا، وهو بمثابة الأب والوالد للجميع، والذى يحظى باحترام وتقدير من أبناء المنطقة باعتباره الزعيم الوطنى لهذه الأمة ٠ كما أشكر الأخ المناضل / أحمدمحمد أحو رئيس الحزب الوطنى الديمقراطى للشعب العفرى ،وهو الذى وقف معى فى هذا المجال ولم يبخل علىَّ بالمعلومات المتوفرة لديه عن هذه المنطقة، وكذلك الأخ المناضل/ محمد أبوبكر إبراهيم الملقب (لوممبا) ، والأخ/ محمد عثمان العلوى، والأخ/حبيب محمد عثمان، والأستاذ الفاضل الشيخ/إسماعيل محمد العلوى ، والأخ/ عمر آدم ، والأخ/ محمد على مؤمن، وغيرهم من أبناء عفر الذين زودونى بالمعلومات التى كان لها إسهامات طيبة فى نتائج البحث ٠

الإهــــداء

أهدى هذا الكتاب إلى الزعماء التاريخيين من أمة العفر ، السلطان الشهيد السلطان يسن حيسما أحو ، والقائد الأسطورة الشهيد عبدالله بلال ، والبطل المغوار الشهيد على محمد عثمان أحمد بورى نخره يجلى الذى حطم سجن جزيرة نخر ، والسلطان الشهيد محمد يايو حنفرى ، والبطل الشهيد قمحيد إدريس .

وإلى كل شهداء الحرية من أبناء العفر الذين سقطوا فى ساحة الشرف والفداء فى إريتريا وفى المناطق الأخرى فى سبيل تحقيق الحرية والاستقلال لأوطانهم فى مختلف العصور، حتى ينعم أبناء أمتهم بالأمن والأمان والاستقرار والعدل والمساواة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة الحجرات) (١)

المقدمـــــة

يسعدنى أن أقدم للقارئ العربى والإفريقى هذه الدراسة عن المثلث العفرى فى القرن الإفريقى منذ أقدم العصور، وهى دراسة كانت نتاج عمل دؤوب تواصل دون انقطاع على مدى عامين ٠ ونظرا لانشغالى بكتابة تاريخ إريتريا أرضا وشعبا، وبعد أن فرغت من كتابة هذا الكتاب، ومنذ أن فكرت فى كتابة هذه الدراسة، فقد عقدت العزم على القيام - أولا - بجمع ما يمكن جمعه من مصادر ومراجع، كما عقدت مجموعة من اللقاءات الواسعة لاستكمال هذا البحث مع مجموعة من العفريين، وخاصة كبار السن منهم والذين لهم دراية بتاريخ العفر، وقد حرصت خلال المقابلات وإجراء الأحاديث معهم فى هذا الشأن ألا أتأثر بكل ما يرونه عن تاريخ هذه القومية، منتخبا منه ما يمكن أن يفيد الدراسةموضوع البحث فقط ٠٠

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٢٠

ولقد حاولت أن أسلك بقدر الإمكان منهج الجدل المنطقى ، وابتعد عن العاطفة التى تجر المرء إلى الانفعال ،وتقلب الذات عن الموضوع ؛ لأن آمال العفريين المثقفين وطموحاتهم كبيرة إلى حد المستحيل ، مهما كانت الظروف والصعاب التى تعترض طريقهم ، فليس هناك مستحيل فى قاموس العفر.

وقد توافر لدىّ عديد من المصادر والمراجع العربية والأجنبية الإنجليزية والإيطالية ، إلى جانب الوثائق والدراسات. وقد كانت بعض الدراسات الأجنبية مترجمة، والبعض الآخر تمت ترجمته إلى اللغة العربية، حيث عكفت على قراءتها جميعا للاستفادة منها فى إعداد مادة هذا الكتاب .

وقد وجب علىّ أن أتحرى الدقة والموضوعية ؛ فالأمانة العلمية تقتضى أن أتناول هذه المسألة بعيدا عن الانقياد وراء الميول الشخصية .

ولقد اخترت أن يكون هذا الكتاب عن القومية العفرية – والتى تعتبر من القوميات المهمة التى كان لها دور تاريخى وتأثير مباشر فى أحداث القرن الإفريقى فى العصور القديمة والحديثة – دون غيرها من القوميات الأخرى فى منطقة القرن الإفريقى ، والتى سيأتى دورها فى المستقبل كلما سمحت لى الظروف بكتابة تاريخ هذه المنطقة ، ولكننى بدأت بالعفر نظرا لمكانتها فى قلبى ولأهميتها التى فرضت نفسها على الساحة فى إثيوبيا بعد التطورات والمتغيرات التى حدثت فى المنطقة، وخاصة بعد سقوط نظام منجستو هيلامريام وتولى الجبهة القومية الثورية لشعب إثيوبيا (أهودك) بزعامة الرئيس زيناوى، وإعلان تبنيها مبدأ حق تقرير المصير للقوميات الإثيوبية

جميعها بما فيها العفريون · هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، افتقار المكتبة العربية بصفة عامة إلى تاريخ دول منطقة القرن الإفريقى وشعوبها إلا القليل من الدراسات التى تهتم بهذا الموضوع ، وبخاصة شعب العفر الذى لم يحظ بأى اهتمام يذكر فى الدراسات العربية والإفريقية على الرغم من أهميتها البالغة؛ نظرا لارتباطها بمنطقة تعد من أهم المناطق المرتبطة بالأمن القومى العربى قديما وحديثا· فعلى وجه الخصوص ارتبط هذا الشعب بالأمة العربية ثقافيا ودينيا وحضاريا ، كما أن عفر إثيوبيا وجيبوتى يشكلون بحق عمقا استراتيجيا للشعب الإريترى الذى تربطه بهم علاقات الدم والنسب والجوار والمصالح المشتركة أكثر من غيرهم من القوميات الأخرى فى هذه المنطقة· وذلك لأنه يوجد فى أرضه جزء لا يتجزأ من هذه القومية الكبيرة المنتشرة فى منطقة القرن الإفريقى، وبالطبع لها تأثيراتها فى مسار الأحداث، كما كان لها دورها فى السابق ، ومن هنا كان اهتمامى بهذه القومية · وقارئ هذا الكتاب سيجد فيه الفائدة العلمية التى تفيد الباحث والدارس لأنه ينقل إليه الحقيقة التاريخية عن هذه الأمة ، فكثير من الناس ما زال إلى اليوم لا يعلم عن حقيقة تاريخها وأحوال سكانها إلا النذر اليسير الذى لا يشفى غله ولا يروى ظمأه ، وغالبا ما تكون هذه المعلومات اليسيرة قد وصلت إليه من خلال قراءته للكتب الأجنبية التى تفتقر إلى الحقيقة التاريخية والأمانة العلمية (١) ·

---

(١) لجنة الثقافة والإعلام لرابطة طلاب العفر بالقاهرة ، لمحة تاريخية عن أمة العفر ·

وانطلاقا من هذه الاعتبارات حاولت فى هذه الدراسة تقديم صورة مختصرة عن المثلث العفرى فى القرن الإفريقى منذ العصور القديمة والحديثة، وتأثره بالإسلام وبالحضارة والثقافة العربية الإسلامية، وتأثره أيضا بالثقافات والحضارات التى سادت منطقة القرن الإفريقى فى تلك العصور بما فى ذلك التطور الثقافى والحضارى لشعب العفر والشعوب الأخرى التى عاشت فى هذه المنطقة عبر التاريخ. ومن العوامل التى دفعتنى أيضا للكتابة عن هذا الشعب المناضل- الذى تسارعت الأمم منذ عهود سحيقة للسيطرة عليه- أهمية موقعه الجغرافى والاستراتيجى على البحر الأحمر، شريان المواصلات بين الشرق والغرب، خصوصا بعد فتح قناة السويس فى عام ١٨٦٩م.

ولقد قسمت هذا الكتاب إلى أحد عشر فصلا بجانب الفصل التمهيدى الذى تناولت فيه الخلفية التاريخية للشعب العفرى من حيث الموقع والجغرافية والأرض والتاريخ القديم لهذه الأمة التى كان لها إسهاماتها التاريخية فى المنطقة وعلاقاتها بدول الجوار منذ فجر التاريخ . وقد أبرزت فيه أيضا أهم الممالك العفرية القديمة والأسماء التى أطلقت عليهم من قبل الشعوب المجاورة، فقد عرفوا بألسنة العرب باسم الدناكل، وباسم أودعلى Odaali بألسنة الصوماليين، وتلتال Teltal بألسنة التجرينية ،وأدل بالسنة الأمهرة .

واسم الدناكل اسم مشتق من اسم الدولة العفرية القديمة «دناكل» ، وأما آدال فقد كانت أيضا دولة عفرية قديمة حيث كانت تحتل الجزء الشرقى والجزء الغربى من المنطقة (١) . وهكذا أطلق على العفريين أسماء كثيرة لكنها

---

(١) عبدالله عمر آدم: العفر دولة فى محنة ، استكهولم ، ١٩٩١ ، ص ٢٥ .

ترتبط كلها بتاريخهم القديم ٠ وأما اسم العفر فقد أوردنا فى الفصل التمهيدى أسباب تسميتهم بهذا الاسم، ومن أين جاءت هذه التسمية ومن الذى أطلقها عليهم (١) ٠ وعلى أية حال فقد اضمحلت هذه المشتقات وبقى اسم عفر دون سواه هو الاسم الذى يشمل كل الشعب العفرى . وقد أصبح هذا الاسم محفورا فى الأذهان لتوحيد الشعب ٠

ففى **الفصل الأول** : تناولت كيفية انتشار الإسلام فى القرن الإفريقى، ودور العفر فى نشر الإسلام فى هذه المنطقة، وأهم الصلات القديمة بين الجزيرة العربية منذ فجر الإسلام ومنطقة القرن الإفريقى، ولمحة تاريخية موجزة عن تاريخ الإسلام وتطوره والوسائل التى انتشر بها فى ربوع هذه المنطقة الحيوية من العالم ٠

الفصل الثانى : تناولت فيه التقاء الثقافة العربية الإسلامية بالثقافة الإفريقية فى بلاد العفر وشعوب منطقة القرن الإفريقى ، وبينت فيه جذور العلاقات الثقافية العربية الإفريقية فى المنطقة، وتأثير الثقافة العربية الإسلامية فى العفريين والسلطنات الإسلامية فى الحبشة ٠

الفصل الثالث : أوضحت فيه أهم الممالك الإسلامية التى أسسها العرب فى منطقة القرن الإفريقى من العرب والعفريين والصوماليين والأورموا، بدءاً من مملكة شوا ومرورا بالإمارات الإسلامية السبع وانتهاء بسلطنة أوسا التى تأسست على أنقاض سلطنة إفات والعدل العفريتين واللتين كانتا من أهم السلطنات الإسلامية فى تلك المنطقة فى ذلك الزمان ٠

---

(١) إن منشأ اسم عفر غير معلوم كما أوضحنا فى الفصل التمهيدى وإن كانت الروايات الشعبية ترجح اشتقاق اسم إفريقيا من عفر ٠

الفصل الرابع : تناولت فيه حركة جهاد الإمام أحمد بن إبراهيم فى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادى ، وقد بدأته بنبذة موجزة عن نشأته وحركة جهاده ضد القوى الصليبية فى إثيوبيا وأهم الآثار التى نتجت عن هذه الحركة ، واختتمته بالنتائج التى ترتبت نتيجة على هذا الصراع بين شعوب هذه المنطقة ٠

الفصل الخامس : تناولت فيه الدور المصرى فى القرن الإفريقى وبلاد العفر وموقفها من النفوذ الاستعمارى الأوروبى، وذلك منذ أن أرجعت الدولة العثمانية مينائى سواكن ومصوع وملحقاتها إلى الإدارة المصرية عام ١٨٦٥م حتى اتفاقية ٧ سبتمبر عام ١٨٧٧م بين بريطانيا ومصر، وهى الاتفاقية التى اعترفت فيها الحكومة البريطانية بحقوق الخديوى إسماعيل الشرعية تحت السيادة العثمانية على السواحل الشرقية وعلى طول ساحل البحر الأحمر الغربى ، ابتداء من رأس علبة فى الشمال إلى رأس حافون فى الجنوب ٠

كما أوضحنا فى هذا الفصل أهمية الطريق الملاحى للبحر الأحمر ، وتطور هذه المنطقة حتى القرن التاسع عشر، وسياسية مصر ومقاومتها للنفوذ الاستعمارى فى هذه المناطق ،والدور الإيجابى الذى لغبته فى هذه البلاد وخاصة فى المناطق الساحلية من شرق إفريقيا، واهتمامها بالموانى وشواطئ البحر فى ذلك الوقت بدرجة فائقة تتناسب مع نشاط حركة الملاحة فى هذا البحر، فأصلحت الموانى وأعدتها لاستقبال السفن وإيوائها، كما قامت ببناء الأرصفة لتيسير عملية الشحن والتفريغ، وبناء الأحواض لعمارة السفن

وإصلاحها فى السويس ، كما اهتمت الإدارة المصرية بإقامة الفنارات لهداية السفن فى مختلف موانى البحر الأحمر ٠

فهذا هو موقف مصر وسياستها تجاه البحر الأحمر والأقاليم المطلةعليه وسكان هذه الأقاليم التى كانت تخضع للنفوذ العثمانى المصرى فى فترة مهمة من تاريخ هذه المنطقة ، فالجهد الذى بذلته مصر وما تحمله أبناؤها فى سبيل النهوض بتلك المناطق وتيسير الحياة الكريمة لأهلها ونقلها إلى الحضارة والتقدم بعد أن كانت تعيش فى عصور مظلمة جهد يستحق التقدير٠

الفصل السادس : تناولت فيه أهم السلطنات العفرية منذ القرن التاسع عشر ودور كل سلطنة وأهميتها ٠وهى خمس سلطنات أهمها سلطنة أوسا التى احتفظت باستقلالها حتى الآن، والتى أصبحت – بعد سقوط منجستو وتولى زيناوى حكم إثيوبيا فى عام ١٩٩٠ – الإطار الوحدوى لجميع أبناء عفر ، فهى تتمتع بالحكم الذاتى بعد أن ضم إليها جميع الأراضى العفرية فى ظل الدولة الفيدرالية الإثيوبية التى أعلنت حق تقرير المصير لكل شعوب إثيوبيا ٠

الفصل السابع : تناولت فيه بلاد العفر والقرن الإفريقى فى العصر العثمانى، والخلفية التاريخية للصراع بين القوى المسيحية والإسلام فى الحبشة، وتدخل البرتغاليين إلى جانب الأحباش والعثمانيين إلى جانب المسلمين فى هذه المنطقة ٠

الفصل الثامن : تناولت فيه دور المملكة العربية السعودية فى منطقة القرن الإفريقى وبلاد العفر ، والعلاقات التاريخية التى تربط هذه المنطقة بالجزيرة العربية تجاريا وحضاريا وثقافيا ، ودور المملكة فى دعم شعوب هذه المنطقة فى كافة المجالات ٠

الفصل التاسع : تناولت فيه الأوضاع الاقتصادية وأهم المدن الرئيسية فى بلاد العفر من الناحية الاقتصادية، حيث بينت فيه أنه كان للعفر نظام سياسى تقليدى مستقل متمثل بوضوح فى الحدود الجغرافية ، وقد كانت لهم سيادة على الأنشطة التجارية ، وكانوا يفرضون الرسوم على القوافل حاملة البضائع عبر الأرض العفرية والبحر الأحمر (١) وقد لخصت الأنشطة التى يتركز عليها الاقتصاد العفرى فى ثلاثة محاور وهى :

١ – النشاط الأول : الرعى التقليدى الذى يمارسه الشعب فى جميع أجزاء المنطقة دون استثناء حتى تلك المناطق التى تمارس فيها الزراعة ، وإن كان عائد هذا النشاط الاقتصادى محدودا جدا ·

٢ – النشاط الثانى : يتمثل فى حرفة الزراعة التى تمارس فى منطقة بدا Badda وفى الشمال وعلى نهر أواشى فى منطقة بعدو Baadu وكلو Kalo وهناك أيضا زراعة البساتين التى تمارس فى المناطق الواقعة بين إرر Erer والمناطق المجاورة لمدن النهر ·

٣ – والنشاط الثالث : هو الصيد البحرى حيث يعمل جزء كبير من سكان منطقة الساحل وخاصة منطقة دنكاليا بإريتريا وجيبوتى بالبحر سواء فى صيد الأسماك أو غيرها (٢) ·

الفصل العاشر : تناولت فيه نظام الحكم والسلطة والقيادة والعادات والتقاليد العفرية ومظاهر الحضارة والنظم الاجتماعية فى بلاد العفر·

الفصل الحادى عشر: تناولت فيه تركيبة المجتمع العفرى فى القرن

---

(١) عوض داود محمد : المسألة العفرية فى القرن الإفريقى ، بحث للحصول على الدبلوم، القاهرة • ص ٧ ·

(٢) عبدالله عمر أم : مرجع سابق ، ص ٥٣ ·

الإفـريقى (المثلث العـفـرى) (١) ، والتطورات الأخـيـرة التـى حـدثت فى القـرن الإفريقى، وأوضـحت فيه بإسـهاب وضـع العفر فى إريتريا وإثيوبيا وجيبوتى ٠

وأتمنى أن يكون هذا الكتاب بداية للبحث العلمى الذى يلقى الأضواء على تاريخ هذه الأمة ، وليكن مساهمة أولية للكشف عن الحضارة المندثرة فى هذه المنطقة، والتى كانت تعتبر مهد الحضارات الإنسانية ، نتيجة لموقعها الجغرافى الذى يشكل معبرا بين القارات وخاصة إفريقيا وأسيا (٢)٠

هذه هى مقدمة الكتاب وهى عبارة عن موجز لمحتواه وهو بحث متواضع يتناول موضوعا جديدا جديرا بأن يهتم به الباحثون العرب والأفارقة والأوروبيون ، لأنه يتناول منطقة حساسة من العالم، وهى البوابة الجنوبية للوطن العربى ، ويتناول شعبا واحدا تربطه الوحدة التاريخية والدين واللغة والثقافة، إضافة إلى وعيه وتمسكه الحقيقى بقوميته ٠

وكما كان لمساهمة شعب عفر الفضل فى الإسراع بالوعى القومى ، فقد كان لكفاح سلاطين عفر فى مواجهة القوى الاستعمارية الأثر البالغ فى

---

(١) المثلث العفرى : المنطقة التى يسكنها الشعب العفرى معروفة على وجه العموم باسم المثلث العفرى، وهى مقسمة بين إريتريا وإثيوبيا وجيبوتى٠ ويشمل المثلث منطقة ساحل البحر الأحمر ، شبه جزيرة بورى وجزر دهلك فى الشمال حتى يصل إلى مدينة جيبوتى فى الجنوب ، تتبع الحدود خط سكة حديد جيبوتى – أديس أبابا فى حديقة أواشى الدولية فى إثيوبيا ٠

(٢) لجنة الثقافة والإعلام لرابطة الطلاب العفر بالقاهرة ، لمحة تاريخية عن أمة العفر ٠

الشعب الذى أصبح على وعى بالمشاكل العامة وتهديدات القوى الخارجية وكيفية الدفاع عن وطنه إذاء هذا التهديد· وقد لعب طموح قادة عفر مثل بيت حسيما ، والسلطان على مرح دورا مهما أصبح أساسا للوحدة القومية لهذا الشعب المناضل والمجاهد منذ فجر الإسلام فى المنطقة ·

الفصـــل التمهيـــدي

==

المحتويـات :

١ – الموقع الجغرافى والمناخ فى الأرض العفرية٠

٢ – العفر فى التاريخ السياسى القديم:

أ – الأسماء التى أطلقت على العفر٠

ب – القوميات العفرية٠

حـ – الممالك العفرية القديمة٠

الموقــــع الجغرافـــي (١)

=====

تقع الأرض العفرية فى القرن الإفريقى على الضفة الغربية للبحر الأحمر وتقدر مساحتها بنحو ١٦٠ ألف كيلومترا مربعا ٠ وكما هو الحال فى جميع أجزاء القارة الإفريقية تتوزع الأرض العفرية ضمن الحدود الدولية لثلاث دول متجاورة ، وقد يقع الجانب الأكبر فى إثيوبيا ١٠٥ ألف كم٣ و ٣٥ ألف كيلومترا مكعبا فى إريتريا والمعروف بمنطقة دنكاليا و ٢٠ الف كم٣ من أصل ٢٠٠ر٢٣ كم فى جيبوتى ٠ أى ٨٧٪ من مساحة جيبوتى (٢) ٠

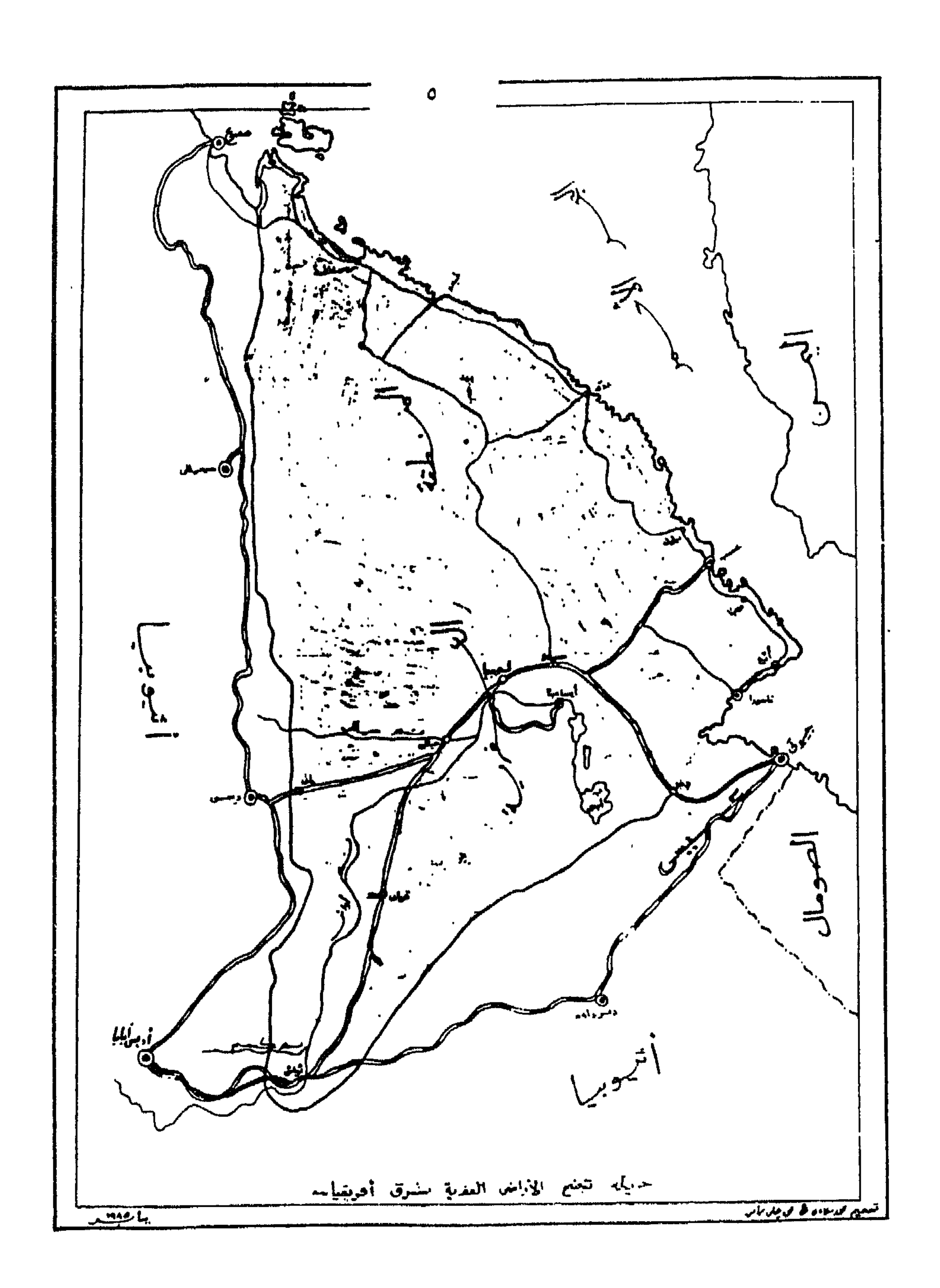
ومعظم الأراضى العفرية شبه صحراوية صخرية يطلق عليها فى بعض الأحيان صحراء الدناكل AFAR DEFIRMESSION نظرا لأخذها شكل منخفض بسبب فرعى الأخدود الإفريقى ٠

بجانب ما تقدم ذكره تمتد منطقة دنكاليا عبر شريط ضيق من الأرض ، يبدأ شمالا من شبه جزيرة بورى وينتهى جنوبا عند الحدود مع جيبوتى ، وتمتد جوانب هذه المنطقة بهضبة الحبشة والبحر ٠ وتعتبر منطقة الدناكل منطقة فقيرة فى الحيوانات والنباتات ، وتظهر على شكل أرض صحراوية وسط مجموعة من الجبال المنعزلة ، تتخللها أودية تنتشر بها الأكاسيا الشوكية ٠ وبوجه عام فإن المرتفعات الجبلية الحقيقية تمتد بعيدا عن البحر فى اتجاه (هضبة الحبشة) حيث نجد منخفضا طويلا يبلغ طوله ١٢٠

---

(١) عوض داود محمد : المسألة العفرية ، فى القرن الإفريقى ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٣ ٠

(٢) انظر الخريطة ص٣٠



خريطة تجمع الأراضي العفرية بشرق أفريقيا

مترا تحت سطح البحر ، وهذا المنخفض المعروف بسهل الملح يبلغ طوله ٢٢٠ كيلو مترا مربعا ، وفى إقليم جنوب دنكاليا – وهى منطقة من أصل بركانى – يوجد العديد من فيضانات السوائل البركانية والتى تمتد بين عدد لا يحصى من المخاريط المبتورة القمة بشكل متميز ، وتندر الكفور فى المنطقة الداخلية الصخرية الصحراوية ·

تحديد الأرض العفرية بين الدول الثلاث :

تحد الأرض العفرية خليج إرافلى والبحر الأحمر من الشمال والشرق، وهضبة إثيوبيا الشرقية من الغرب، وسهول هرر من الجنوب· ويعد أرخبيل جزر دهلك الإريترية أقصى امتداد للأراضى العفرية نحو الشمال · كما يعد أعالى نهر أواش فى جنوب غرب مدينة أواش أقصى امتداد لها نحو الجنوب· ويتضح لنا مما سبق أن الأرض العفرية تأخذ شكل مثلث – والذى يطلق عليه الباحثون المثلث العفرى – قاعدته فى الغرب على أقدام هضبة إثيوبيا الشرقية ، وجزر دهلك – مع شبه جزيرة بورى التى تعتبر امتدادا طبيعيا لها، وأعالى أواش هما طرفى الشمال والجنوب على التوالى لهذه القاعدة، أما رأس المثلث (عند الحدود الجيبوتية) فى الشرق فيشكل الطرف الغربى بباب المندب ويعرف هذا المثلث بالمثلث العفرى (١)·

---

(١) المثلث العفرى : بدأت هذه التسمية عند الجيولوجيين والباحثين ثم الجغرافيين ، وأصبحت اليوم من بين المصطلحات السياسية التى تطلق على المنطقة العفرية فى هذه الدول الثلاث المذكورة أعلاه ·

مناخ المنطقة العفرية (١) :

تتميز المنطقة العفرية بالحرارة المرتفعة والمد الحرارى اليومى الكبير وخاصة فى المناطق الداخلية منها ، والمعدل السنوى للحرارة يتراوح بين ٣٧° و ٤١° صيفا و ٢٧° شتاءا . وترتفع الرطوبة النسبية بشكل ملحوظ فى المناطق الساحلية نظرا لطبيعتها التضاريسية ، مما يعطى السكان الإحساس بأن الحرارة مرتفعة ويؤدى إلى خلق جو خانق. وهناك منخفضات تسجل فيها معدلات تعد من أعلى درجات الحرارة فى العالم مثل منطقة عسل ودوبى.

النباتات في بلاد العفر (٢) :

النباتات فى معظمها نباتات صحراوية ، تزدهر مع سقوط الأمطار وتختفى باختفائها، وتظهر فى معظم المناطق العفرية أشجار السنط وغيرها من الأشجار شبه الجافة ، وتظهر أيضا السافانا الفقيرة فى السهول الداخلية التى تتمتع بمياه الأودية الطويلة التى تنحدر من سفوح الهضبة الإثيوبية الشرقية ، مثل أودية أورا وجيجا GEGAH . وتظهر الاستبس على سفوح الجبال وتختصر الغابات على غابة داى DAY ومبلا MABLA وهناك أحراش كثيفة واسعة عند مصبات الأودية التى تفيض لأكثر من ثلاثة شهور فى العام. كما توجد غابات أشجار المنجروف MANGROOVE ، على معظم طول الساحل ١٠٥٠ كم ، وخاصة فى الجزء الشمالى منه، ولهذه الغابات أهمية خاصة لدى سكان تلك المناطق حيث تتغذى عليها الإبل فى فصل الجفاف.

---

(١) انظر : عوض داود : المسألة العفرية فى القرن الإفريقى ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٤ .

(٢) عوض داود : نفس المرجع السابق ، ص ٥ .

كما تمتد الأرض العفرية المجدبة ككل على قيعان الأنهار الجافة ٠
ويرتبط هطول الأمطار بالمرتفعات ، لذلك تقل الأمطار كلما تحركنا شرقا من التلال إلى السهول ٠ إن الجو فى الشتاء بارد خاصة فى منطقة المرتفعات، وتعد أجف فترة فى السنة Hagay ، هى شهرى مايو ويونية ٠

وهناك فترة أخرى أطول ، ولكنها أقل جفافا ، وتقع خلال الفترة من نوفمبر إلى مارس [١] ٠ ويمتد فصل الأمطار الرئيسى من يوليو إلى سبتمبر ويمثل ٦٠ ٪ من إجمالى الأمطار ٠ ويلى هذا أفضل موسم للزراعة ، ويقع من سبتمبر إلى نوفمبر ٠ وهناك فترة أقل لهطول الأمطار وتقع خلال شهرى مارس وإبريل ٠ وتمثل ٢٠ ٪ من إجمالى الأمطار [٢]٠

الانهار التي تتمتع بها بلاد العفر [٣] :

هناك ثلاثة أنهار ذات تصريف داخلى، اثنان منها أنهار موسمية وهى: نهر راقلى Raglu فى الشمال وتقام عليه الزراعة فى منطقة بدة Badda ، ونهر ميلى Milleh الذى يصب فى نهر أواش فى منطقة تندهو Tandaho قبل أن يصل الأخير إلى مصبه بقليل ٠

أما نهر أواش Awash فهو النهر الوحيد الدائم الجريان، وهو يشق الأراضى العفرية من أقصى جنوب غربها متجها إلى جنوب شرقها ، وإن كان منسوب المياه فيه ينخفض بشكل حاد فى بعض سنوت الجفاف ٠ وتعتبر

---

(١) عبدالله عمر آدم : العفر دولة فى محنة ، ص ٢٣ بعد الترجمة من الكتاب ٠

(٢) عبدالله عمر آدم : المرجع السابق ٠

(٣) عوض داود محمد : مرجع سابق ، ص ٥ ٠

السـهول التى كـونها على ضفافه من أخصب الأراضى الزراعـية فى إثيوبيـا، وهـى المنطقـة الزراعية الرئيسـية فى الأراضـى العفـرية ٠ ويصب هذا النهـر فى بحيرة أوبحى بدا ABHA-BADA ٠

(٢) العفر في التاريخ السياسي القديم :

لقـد أكـد الكثـير من المؤرخين والمهـتمين بدراسة الـتاريخ، أن الشـعب العفـرى هو أقدم شـعب عرفـته منطقة الـقرن الإفريقى ، وهـى من أقـدم المناطق الزاخـرة بالشعـوب ، التى اسـتقـرت فى هذه المنطقـة على امتـداد جانب سـاحل البحـر الأحمر الإفريقى من آلاف السـنين ٠ وتشـير كتب التاريخ والباحثون إلى أن اسـم إفـريقيا اشتق من كلمـة OPHIR ، وتقـول الأبحـاث أنهم جاءوا من الشـرق، أى من المنطقة العربية الواقعة بين الخليج العربى وباب المندب (١) ٠

والدناكل (العـفـر) تشـكل البـوابة التى من خـلالها قـدم المهـاجـرون العـرب الأوائل إلى عـمـوم إريتـريا وإثيـوبيـا وجـيبـوتى ، والشـعب العـفـرى له النصيب الأكبـر من هذه النزوحات المتتالية من الجزيرة العـربية ، والتى كانت تفرغ فى إطارهـا فـائض سكانها فى السـاحل الشـرقى لإفريقيا ، والتى شـهدت على الدوام توزيعا عنصريا وجغرافيا مميزا ٠

ونـزل العـرب السـامـيون أو القـحطانيون شـمالى زولا ومـصـوع ، ومنها توغلوا إلى عـمق الـهـضـبـة الإريترية وإقليم تيـجراى والذى كـان يعـرف قـديما

---

(١) أحمـد يوسـف قرعى : ردود على الأسئلة الخاصة بالعفر من أرشيف القسم العفرى ، بشبكة الإذاعات الموجهة لشرق إفريقيا من إذاعة جمهورية مصر العربية ٠



الحاج
محمد كامل محمد



River crossings (3): a raft on the Awash pulled

نهر أواشى فى بلاد العفر

بالحبشة ، والعرب الكوشيون والعدنانيون والهلالية القدامى والحضارم الذين هاجروا إلى الساحل الدنكلى واستقروا فيه (١) .

ولم يطرأ على مر الدهور ما يعكر استمرار هذا المد العربى البطيئ كما ذكرنا سابقا ، باتجاه السواحل الشرقية للقارة الإفريقية ، ولم تَنْجُ منطقة عفر نفسها ولا الهضبة الإريترية الواقعة بين حوض عنسبة والهوامش من هذه الظاهـــرة (٢) .

فالعرب ذووا البشرة الخالة الذين هاجروا إلى الصومال ودنكاليا، والذين تنتمى إليهم العناصر الكوشية أو العدنانية، قد فقدوا لون بشرتهم لكنهم بقوا محتفظين باسم (عدو مرا) أى (البيض) ، فى حين أن سائر العرب الساميين أو القحطانيين الذين نزلوا إلى شمال دنكاليا مع تقاليدهم السبئية وأسطورتهم السليمانية قد فقدوا لون بشرتهم أيضا ، ولكنهم اكتسبوا اسما جديدا حيث أصبح يطلق عليهم (عسامرا) أى (الحمر) بعد أن امتزجوا مع السكان الأصليين من أبناء البلاد ومدوهم بالدم الجديد فى دنكاليا وبألوان جديدة وبلغة جديدة ، وكأنهم فى بلاد عربية جديدة ، عادوا كما كانوا فى مسقط رأسهم القديم حيث تحكمهم علاقات العداوة التى كانت فى بلادهم الأصلية القديمة ، ودفعتهم وطأة المحيط والبيئة للانصهار مع السكان الأصليين من العفر (٣) .

---

(١) إسماعيل الشيخ محمد علوى : بحث غير منشور عن تاريخ أمة العفر القديم.

(٢) محمد عثمان أبو بكر : تاريخ إريتريا المعاصر أرضا وشعبا، القاهرج ، ١٩٩٤ ، ص ٣٥٥ .

(٣) محمد عثمان ابو بكر : المرجع السابق .

وهكذا يبدو أن التكوين التاريخى للشعب العفرى (الدنكلى) يشكل واحدا من المجموعات العربية الكوشية الحامية (١) ٠

بعد هذا العرض لما يبدو أنه التكوين التاريخى للشعب العفرى ، لابد من الإشارة إلى أن ما أدى إلى خلط تقاليد العفر والدناكل الأصليين هو أن (العدو مرا) و (العس مرا) (٢) ، أضافوا إلى قصة أصولهم العربية البعيدة – شأن ما جرى فى إفريقيا الشرقية كلها – أساطير جديدة تساعدهم على جعل هذه الأصول نبيلة ، بعد دخول الإسلام باعتماد روابط قرابة عربية حديثة – خاصة بقريش – ولم يشذ عن هذا (العسا مرا) الذين جاءوا إلى دنكاليا قبل آلاف السنين ٠

ومن خلال هذا السرد المختصر ، وما يرويه المؤرخون ، فإن العفر كانوا من ضمن محافل المهاجرين القدامى إلى الشاطىء الإفريقى عبر خليج عدن وبوغاز باب المندب فى العصور القديمة، وهاجروا شمالا إلى سهول دنكاليا والمناطق الساحلية على البحر الأحمر ، وبذلك انتشر العفر فى أماكن استراتيجية مهمة فى منطقة القرن الإفريقى، وتخللوا مساحات كبيرة من الأراضى الحبشية ، واستقروا فيها إلى يومنا هذا ٠

---

(١) وهذه الظاهرة لا تنطبق على العفريين فقط ولكن سبقتها أيضا بنفس القدر نزوحات السبئيين والحميريين فى الهضبة الإريترية وإقليم تيجراى ، حيث شكل هؤلاء النازحون فيما بعد –وخاصة فى إقليم تيجراى بعد أن انصهروا واختلطوا بالسكان الأصليين – قوة أستا مملكة أكسوم العظيمة التاريخية ، وتركت بصماتها فى هذه المنطقة التى أمدوها بحضارتهم ونمط حياتهم مع سكان البلاد ٠

(٢) الكافالييرى دانته أودوريتى : دراسة عن المستعمرة الإريترية « مفوضية مصوع الإقليمية » ص ٣٦ ٠

ويرتبط الشعب العفرى بتاريخ عريق ، فى صلاته بالشعوب فى منطقة الجزيرة العربية ومنطقة جنوب البحر الأبيض المتوسط · وتشير كتب التاريخ القديمة إلى أن بلاد (البونت) كانت تصدر البخور والمر – وهى أنواع من النباتات التى كان يعتمد عليها الطلب فى حوض البحر المتوسط فى ذلك الزمان – وكانت تصدر إلى جانب ذلك العاج وأصداف السلاحف وبعض الرقيق، كما كانت تشارك فى تجارة مع الهند شرقا ومع حضرموت واليمن عبر باب المندب ، مما يدل على أن بلاد البونت كانت تُطلق على بلاد الصومال والعفر فى منطقة القرن الإفريقى ، وهى معروفة باسم العفر فى مرحلة من مراحل التاريخ القديم لهذه المنطقة (١) ·

وهناك باحثون يرون أن العفر ينتمون إلى ما يطلق عليه فى التصنيف الأنثروبولوچى : الساميون الشرقيون (٢) ·

وأن أقدم هيكل بشرى – لوسى(٣) « ٣٫٤ مليون سنة » عثر عليه فى منطقة هادار « أوسا » – يبين أن هذه المنطقة كانت آهلة بالسكان منذ أمد بعيد (٤) ·

وفى أواخر الستينيات، تم اكتشاف بعض الحفريات المهمة بجوار الأحواض الفرعية فى منتصف وجنوب وادى أدانتى · وهى تمثل أكثر من ٢٠ عائلة ثديية و ٧٠ من مختلف الأجناس المنقرضة · وبالإضافة إلى ذلك ، تم

---

(١) محمد على مؤمن : نبذة مختصرة عن جغرافية المنطقة العفرية (بحث غير منشور) ·

(2) Correvin R., Histoire De La Afrique, des orgines. Ala 26 G. M. Paris Payot 1964, (UTD 1972).

(٣) لا يقبل العفر الاسم الأجنبى لهذه السيدة ، ويسمونها بالاسم «لوكى» ·

(٤) جوهانسون ايداى : ١٩٧٧ ·

العثور على أكثر من ٦٠ من المصنوعات المحلية يرجع تاريخها إلى حوالى ٥ر١ مليون سنة ٠ وقد تم أيضا عام ١٩٧٣ اكتشاف حفريات للإنسان المتقدم والجنوبى فى منتصف حوض أواشى وحفريات لحيوانات الأحقاب المختلفة التى يرجع تاريخها إلى ما يقرب من ٥ر٣ مليون سنة (١) ٠

أ - الأسماء التي أطلقت على العفر :

كلمة العفر هى كلمة عربية اشتقت من كلمة (العفار أو الغبار) وتقول المصادر التاريخية أن اسم العفر أطلقه العرب على هذه المنطقة منذ الأزل وقبل أن تأتى أسرة الدنكلى إليها ، وقيل عن سبب إطلاق اسم عفر على هذه المنطقة : أنه يوجد فيها ريح جنوبى شديد يهب لشهور عديدة دون توقف يبدأ من رحيتا إلى بورى شمالا حتى يصل مصوع ، وهذا الريح يحمل معه أطنانا من التراب ويعفر بها كل شىء فى المنطقة ٠ ولذلك أطلق العرب على سكان هذه المنطقة اسم العفر ٠

ويرى أحد الباحثين أن العفر محرفة من أفير (OPHIR) وتعنى بلاد الطيب والبخور والتى ورد ذكرها فى التوراة ٠

وهناك بعض الأسماء التى أطلقها الأجانب والجيران على العفر (٢) وردت فى بعض المراجع العربية ،والأجنبية ، مما يجدر بنا الإشارة إليها على النحو التالى :

---

(١) عبدالله آدم عمر : مرجع سابق ، ص ٢٤ ٠

(٢) إن منشأ اسم عفر غير معلوم حتى الآن ،وإن كانت الروايات الشعبية ترجع اشتقاق اسم إفريقيا من عفر ٠

١ - دناكـــــل :

اسم الدناكل أطلق على الشعب العفرى من قِبَل جيرانهم اليمنيين نسبة إلى آل أنكلى - التى عربت إلى دنكلى - حيث كانت هذه الأسرة تحكم العفر آنذاك وتسيطر على الطرق البحرية مع الجزيرة العربية · وكان يطلق العرب اسم الدنكلى على كل من يأتى من منطقة العفر والتى كانوا يسمونها دنكالا ، ويطلقون على شواطئها بر الدناكل - وهذا ما يسميه العرب إطلاق الجزء على الكل (المجاز المرسل)- كما كان الحال بالنسبة إلى إندونيسيا التى كانت تعرف بـ (جاوا) · كما أنه كان شائعا فى تلك الأزمان إطلاق اسم الأسر الحاكمة على الشعوب التى تحكمها تلك الأسر · وهكذا يتضح أن الدنكلى هى قبيلة من قبائل العفر، وليست هى العفر كلها ، وأن الاسم الأصلى والشامل هو العفر (١) ·

وكلمة (دنكلى) أو (دناكل) هى تسمية وردت لأول مرة عند الجغرافى العربى الأندلسى ابن سعد سنة ١٢٨٥م ، أطلقها على الجزء الشمالى من البحر الأحمر والتى تعرف الآن بإقليم دنكالا بإريتريا ·

ويشير كتاب (لمحة تارخية عن أمة العفر - من إعداد وتقديم اللجنة الثقافية والإعلامية لرابطة طلاب العفر بالقاهرة -) إلى أن هذه التسمية مأخوذة من ثلاثة أسماء متشابهة من القبائل العفرية التى كانت لها السيطرة على حركة التجارة على سواحل البحر الأحمر وهذه القبائل هى (٢) :

دنكلـــى وأنكلـــى وأنكالا

---

(١) مكنون جمال الدين إبراهم خليل : كشف الضباب عن أمة العفر ، بحث غير منشور ·

(٢) اللجنة الثقافية والإعلامية لرابطة طلاب العفر بالقاهرة : لمحة تاريخية عن أمة العفر ·

أما مصدر تسمية (الدناكل) فقد اختلف فى تفسير اشتقاقها ، فيرى كونتى روسينى – الباحث الإيطالى ورائد الدراسات الحبشية – أن دنكلى شأنها شأن الحبشة كانت فى الأصل اسما لقبيلة، وعلى ذلك فإن التسمية لعلها – على حد قوله – مشتقة من اسم قبيلة أنكالا ANKALA بشبه جزيرة بورى ٠

بينما يرى باحث آخر أن الكلمة مشتقة من (أناقه) ANAKA (١) ٠

وفى الحقيقة فإن الاحتمال الغالب أن هذه التسمية أخذت من قبيلة (دنكلى) والتى كانت مشهورة بالتجارة كما ذكرنا ، واشتهر إطلاق هذا الاسم على المناطق الساحلية دون المناطق الداخلية من مناطق العفر ٠

ب – آدال (عـــدال) :

هو الاسم الذى أطلقه الأحباش على العفر فى القرون الوسطى ، وهذه التسمية أخذت من اسم مملكة العدل الإسلامية – ضمن الممالك الإسلامية السبع التى تأسست عند انتشار الإسلام فى الحبشة – وهى الممالك التى اتحدت مع مملكة إيفال الإسلامية فيما بعد (٢) ٠

حـ– أود علـــى :

وهذا الاسم أيضا أطلق على العفر من قبل بعض القبائل الصومالية المجاورة للشعب العفرى ، وهو مأخوذ أيضا من سلطنة عدل أو من اسم قبيلة عد على الحاكمة فى سلطنتى تاجورة ورحيتا (٣) ٠

---

(١) وهى قرية على ساحل كيلى KILI بمعنى قوم ٠

(٢) عبدالله عمر آدم : العفر دولة فى محنة ، مرجع سابق ، ص ٢٣ ٠

(٣) وهناك تصور مرادف آخر هو أن هذه الأسماء نشأت من أسماء القبائل٠ حيث إن دنكلى وأدعلى اسمان لقبيلتين عفريتين كانتا موجودتين فى الجزئين الشمالى والجنوبى على التوالى ٠

القوميـــة العفريـــة

هى قومية نموذجية ، من حيث التوافق بين أبناء القومية فى اللغة والدين والجذور التاريخية ، وانتفاء – إلى حد ما – الصراعات والنزاعات وسط أبناء الشعب العفرى، وهى تعد قومية إسلامية نموذجية فى إثيوبيا تطرح نموذجا مختلفا ، فهى أقلها عددا وأكثرها انسجاما، وتشكل نسيجا اجتماعيا متكاملا وفق منظور يستمد التقاليد الإسلامية فى أعماقه ٠

والشعب العفرى شعب مسلم ولا يوجد الوثنيون أو النصرانيون وسطهم ٠ يعيشون فى المثلث العفرى ، أى فى ثلاث دول وهى : إثيوبيا وإريتريا وجيبوتى كما ذكرنا سابقا ٠ يبلغ تعداد العفريين الموجودين فى إثيوبيا ٣ر٥ ملايين نسمة ، ولكن الإحصائيات المحايدة تقدر عددهم بأقل من ذلك ٠ وحوالى ٤٠٠,٠٠٠ يتوزعون بين إريتريا وجيبوتى ، ولم تتم إحصائيات دقيقة لهم حتى هذه اللحظة ٠ وبعض المصادر تقدر تعدادهم بحوالى أربعة ملايين نسمة فى كل المثلث العفرى ٠ وجذورهم تنتمى إلى الجزيرة العربية ويتداولون اللغة العربية فى شتى مناحى الحياة ، وهم من المتمسكين بها أكثر من القوميات الأخرى فى المنطقة بجانب اللغة العفرية ٠ والشعب العفرى يعتبر من أقدم الشعوب الحامية التى استقرت فى منطقة القرن الإفريقى كما ذكرنا أنفا (١) ٠ ومما يؤكد ذلك ما أعلنته المجلة الطبيعية فى جامعة كاليفورنا ،حيث تم مؤخرا اكتشاف أقدم بقايا الإنسان فى منطقة آواشى الوسطى فى إثيوبيا ٠ وقال العلماء وهم الدكتور تيم وايت من جامعة كاليفورنيا ، والدكتور

---

(١) محمد عثمان أبو بكر : مرجع سابق ٠

برهانى أسفا من إثيوبيا ، والدكتور جينى سوا من جامعة طوكيو فى اليابان : (إن حفريات هذه البقايا الإنسانية قد مر عليها ٤ر٤ مليون عام ، وقد علم أن هذه البقايا قد اكتشفت فى منطقة عفرية نائية تقع على بعد ١٣٠ كيلومترا شمال مدينة أديس أبابا ، وتقع المنطقة التى اكتشفت فيها هذه البقايا قرب قرية (الرميسى) بالقرب من نهر أواشى (١)٠

كما أن الدراسات الأثرية والجيولوجية التى قام بها « جوهانسون إدن ، ١٩٧٧ » عن الأراضى العفرية تبدو مشجعة ، وقد أظهرت الأبحاث الميدانية اتساع رقعة الأرض وانحدارها وانحدار أراضى الحفريات لمساحة كبيرة تقدر بحوالى مئة ميل مربع٠

وكل المصادر التاريخية تؤكد أن الشعب العفرى يعتبر من أقدم الشعوب الحامية السامية التى استقرت فى منطقة القرن الإفريقى على امتداد سواحل البحر الأحمر على الجانب الإفريقى منذ آلاف السنين ٠

ويقول الأستاذ ج ٠ كرابيت (J. KRAPT) : (أن اسم العفر كان يطلق على نفس السكان الدناكل الحاليين) ٠ وسوف نتحدث فى هذا الموضوع بالتفصيل فيما بعد ٠

ويقول سعد نوفل فى كتابه (القومية الصومالية) (٢) : إن وطن العفر المذكور فى الإنجيل محتمل أن يكون موقعه فى نقطة ما على امتداد الساحل الشرقى الإفريقى (٣) ٠

---

(١) محمد على مؤمن : المرجع السابق ٠

(٢) عبدالله عمر آدم : مرجع سابق ، ص ٧ ٠

(٣) دكتور تيم وايت والدكتور برهانى أسفاو : إثيوبيا ، بحث منشور من جامعة كاليفورنيا٠

وتشير التقارير والاكتشافات الأثرية إلى أن أرض العفر هى أول قطر فى إفريقيا عرفه القدماء المصريون فى عصر ما قبل التاريخ ، كما توضح بعض المصادر التاريخية أنه كانت هناك علاقات واتصالات تجارية بين قدماء المصريين وسكان سواحل البحر الأحمر (العفريين) ، حيث كانوا يستوردون الكماليات مثل الأخشاب والبخور من سواحل البحر الأحمر عبر باب المندب من إريتريا ، وأن الشعب العفرى كان متعاونا بحكم صلاته الخارجية فى تقدم إفريقيا والعالم الخارجى على مر العصور ٠ ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن الأرض العفرية – وخاصة فى سواحل البحر الأحمر فى إريتريا – لم تكن معروفة عند قدماء المصريين الفراعنة فقط بل أيضا عرفها الفينيقيون ، حيث أطلقوا عليهم اسم (بلاد البخور) ، وكذلك عرفها الرومانيون وأطلقوا عليها (الأرض المجهولة) ، وعرفها الفرس عن طريق التجارة ٠ كما كانت للشعوب العفرية اتصالات وعلاقات تجارية مع الحميريين والسبئيين عبر باب المندب قبل الميلاد ، وكانت للعفر سيطرة كبيرة وتأثير مباشر فى منطقة القرن الإفريقى، لدرجة أن هذه المنطقة كانت تعرف باسم (العفر) فى مرحلة من مراحل التاريخ القديم (١) ٠

ويقول ضمن هذا الإطار الأستاذ إبراهيم محمد عبدالله ماح فى كتابه (الهزيمة الثالثة) فى صفحة ٢٦ : (وإذا تأملنا سيرة وتاريخ وسرعة الأيام فإننا نفهم أن أسماء قد توارثت وتعاقبت على منطقة القرن الإفريقى فى

---

(١) محمد سيد غلاب : شعوب القرن الإفريقى ، الندوة الدولية للقرن الإفريقى . معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، الجزء الثانى ، ص ١٠٨ ٠

الألفين سنة الأخيرة ، فكانت كلها معروفة ببلاد (البونت) قبل الميلاد ثم جاء اسم العفر إلخ ٠٠) (١) ٠

العفر وحركة التجارة فى المنطقة منذ التاريخ القديم :

كانت للعفر سيطرة كاملة على حركة التجارة بالنسبة إلى أقاليم الحبشة الوسطى والشمالية الشرقية ، لدرجة أنهم كانوا يفرضون الضرائب على القوافل الحبشية التى كانت تمر عبر الأراضى العفرية لتوصيل بضائعهم إلى ساحل البحر الأحمر ، فهم قد عرفوا الأسفار فى البحار بالسفن (السنابيك) واشتهروا بعلاقة طيبة مع جيرانهم من العرب ، حيث كانت تصل سفنهم إلى اليمن والهند وبلاد فارس ومصر منذ زمن بعيد (٢)٠

ولقد كانت بلاد العفر قبل القرن الخامس عشر الميلادى – الذى يعد بداية عصر الكشوفات الجغرافية – بلادا مستقلة فى إطار سلطنات وإمارات محلية مستقلة بذاتها (٣) ٠

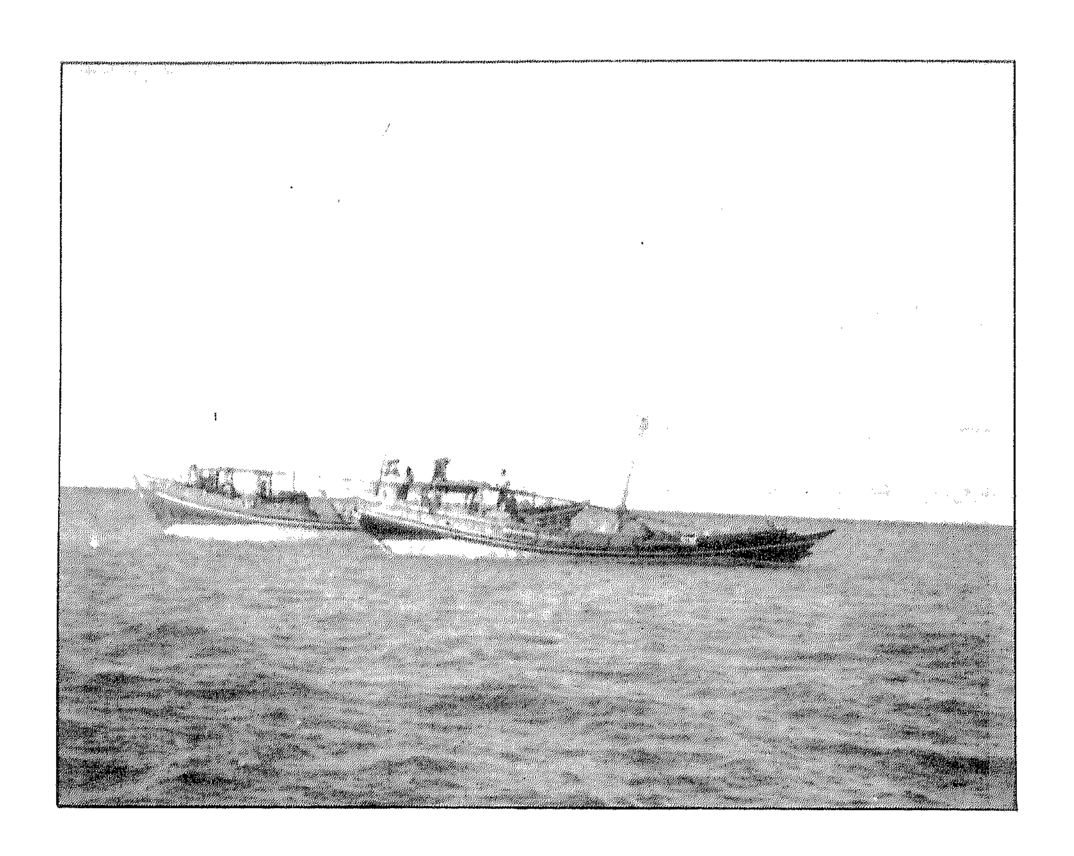
---

(١) إبراهيم عبدالله ماح : الهزيمة الثالثة ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ص ٣٦٠

(٢) إن الأرض والقومية العفرية مذكورة فى كثير من الأغانى الشعبية التى يغنيها المغنى الشعبى العفرى الشيخ أحمد ٠

(٣) بلاى فاير Play Fair :

كتب حاكم عدن الإنجليزى فى تقرير لحكومته أن حكومة زيلع وتاجورة كانت فى أيدى المشايخ العفريين بطريقة وراثية ولم يكن هؤلاء الشيوخ يخضعون لأى دولة أجنبية أو مجاورة ٠



سفينة شراعية

أسباب تراجع قومية العفر عن بعض أراضيها فى العصور القديمة

بعد أن كان العفر ينتشرون فى مناطق شاسعة من القرن الإفريقى بدأ يتقلص تواجدهم فى بعض المناطق ، وظلوا يتراجعون تدريجيا حتى استقر بهم الأمر فى المثلث العفرى الذى يقطنونه الآن · ولهذا التراجع عدة أسباب تتمثل فى العوامل التالية :

العامل الأول :

الانفجارات البركانية التى كانت تحصل فى منطقة العفر ، فقد كانت انفجارات مدمرة تبيد أعدادا كبيرة من البشر والحيوانات · وآخر هذه الانفجارات كانت تقريبا فى عام ١٨٣٠م فى جبل (دبى) ، مما نتج عنه انهيار الكتل الحجرية وحرق كل ما حول الجبل ، وأبيد فيه عدد كبير من البشر ؛ لأنها كانت منطقة مأهولة بالسكان مما أدى إلى هروب سكان المنطقة ونزوحهم إلى مناطق أخرى بحثا عن الأمان والاستقرار وهربا من هذه الانفجارات التى كانت سببا فى انقراض مجموعات كثيرة منهم ·

العامل الثانى :

الحروب الكثيرة التى كان العفر يخوضونها مع جيرانهم أو ضد الغزاة الأجانب حيث إن العفر معروف عنهم دائما الحروب ومواجهة أى غازى قاصد الحبشة عبر البحر ، نظرا لوجودهم على هذه البوابة الشرقية من البحر الأحمر من مصوع حتى زيلع ، كما دخلوا حروبا مع الأجانب من الفرس واليونان والبرتغاليين والأتراك وأخيرا الإيطاليين · كما تعرض العفريون فى الزمن القديم قبل الاستعمار الأوروبى لهجمات كبيرة من البيجا فى الشمال الشرقى فى عهد الملك الدنكلى نجوس يسمر (الملك يسمر) ، علما بأن العفر

كانوا يسمون ملكهم نجوس فى ذلك الزمان ، وقد أخذ هذا اللقب من ملوك قدماء العفر ، كما انتقل هذا اللقب من العفر إلى ملوك الحبشة الذين كانوا يطلقون على ملوكهم ألقاب (رأس) أو (حطى) ، وتوجد حاليا قبيلة من أنكالا فى منطقة بورى تسمى بـ (نجوسا) نسبة إلى نجوس ، ربما لأنهم ينحدرون من السلالة الحاكمة إبان مملكة أنكالا فى العصور الوسطى (١) ٠

إن هذه الحروب التى كانت تخوضها العفر فى العصور المختلفة كان لها تأثيرها من حيث النمو والازدهار والنماء ٠ ولم يتمكن الملك العفرى يسمر من الدفاع عن شمال البلاد من البيجا ؛ نظرا للهجمات التى كانت تتعرض لها بلاده من الجنوب من قومية (أورومو ـ الجالا) المجاورة مما مكّن البيجا من احتلال شمال دنكاليا بإريتريا حاليا حتى سمهر (٢) ٠ وانسحب الملك يسمر إلى الشرق وجعل من إرافلى مقره الجديد ٠ وبنى سدا منيعا لمنع تقدم البيجا من سفح الجبل إلى عمق ثلاثة أمتار داخل البحر وذلك فى غرب مدينة إرافلى ، حيث توجد آثار ذلك الحائط حتى الآن تشهد على عظمة ذلك الملك وحنكته العسكرية ٠ كما يوجد سد مماثل لسد إرافلى فى (عبدور) بمنطقة (دالى) على بعد ٣٠ كيلومترا من إراخلى بناه أيضا ملك عفرى آخر بعد قرن من بناء سد إرافلى ٠ ولقد بنى السد الأخير لمنع هجمات أهل الهضبة وخاصة من تيجراى، والذين كانوا يشنون دائما هجماتهم على شعوب المنخفضات منذ القرون الوسطى وحتى عام ١٩٣٠ (٣) ٠

---

(١) اللجنة الثقافية والإعلامية لرابطة الطلاب العفر بالقاهرة ، مرجع سابق ٠

(٢) عوض داود : مرجع سابق ٠

(٣) محمد عثمان أبو بكر : مرجع سابق ٠

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى أن مملكة العفر كانت فى عصر ممالیك البيجا والبلو وأكسوم فى الشمال الشرقى من البحر الأحمر حتى الهضبة الإثيوبية ، فكانت كثيرة الحروب مع هذه الممالك المجاورة لها فى المنطقة ، وكانت الحروب بينهم تأخذ طابع الكر والفر ۰ وهنا نشير إلى ما يؤكد التأثير العفرى فى بعض المناطق التى ليست لها أى صلة بالعفر اليوم ، نذكر منها على وجه التحديد مناطق تحمل أسماء عفرية وهى تقع الآن فى الأراضى الإريترية والتى كانت تخضع قديما لسلطة البيجا ومنها :

١ - عدردى فى منطقة بركة ۰

٢ - عيلا برعد فى منطقة سنحيت ۰

٣ - عدورسو فى منطقة سمهر ۰

٤ - دكنو (دخنو) والمعروفة حاليا بحرقيقو ۰

٥ - عدوليس فى منطقة زولا ۰

٦ - محاز هرماز وهو وادى فى منطقة زولا يفصل بينها وبين حديس

وتوجد أماكن أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها ، وبالرغم من احتلال البيجا واستيطانها شمال إريتريا لقرون طويلة فإن هذه المناطق وغيرها لازالت تحتفظ بأسماء عفرية ۰ وبعض القبائل العفرية التى لم تتمكن من الانسحاب من الشمال وخضعت لسلطة البيجا والبلو هناك ، قد احتفظت بأصولها وانتماءها العفرى بالرغم من ضياع لغتهم العفرية وأصبحوا جزءا

---

(١) إسماعيل الشيخ محمد علو : مرجع سابق ۰

وفى إرافلى توجد صخرة تسمى (أنكالاسريشا دا) أى (الصخرة التى تكسيها أنكالا) · وقيل : أن ملكا عفريا (نجوس) من قبيلة أنكالا ، والذى كان مقره هناك ، كان يتقلد اللباس الملكى على هذه الصخرة الكبيرة والتى لا تزال قائمة حتى الآن بشكلها الذى يشبه منصة الملك أو عرشه ·

وأيضا يوجد فى إرافلى موقع يسمى بحر بلال على مشارف المدينة وتعتبر حاليا منطقة زراعية · واسم بلال هو من الأسماء الشائعة فى أوساط العفر، بل توجد قبيلة عفرية مشهورة بهذا الاسم (بلالتو) أى البلاليون · وتوجد فى ضواحى إرافلى أيضا منطقة تسمى (دنكى حدا) أى شجرة الفيل · كما توجد على بعد عشرين كيلومترا جنوب شرق إرافلى فى سهل (منقبو) منطقة تسمى (نجوس ربينا) [1] . ويقول الرواة أن الملك الذى قتل فى ذلك الموقع هو الملك شحيم (نجوس شحيم أبرار) وكان زعيما مسلما ومجاهدا ومرابطا لحماية بلاده وشعبه وعامة المسلمين من هجمات الغزاة الأحباش والذين كانوا يغزون بلاد المسلمين من هضبة التيجراى · ونجوس شحيم أبرار الذى استشهد فى ذلك الموقع هو من قبيلة أنكالا العفرية التى كانت تحكم جميع بلاد العفر بعد زوال حكم قبيلة الدنكلى ·

الممالك العفرية القديمة :

١ – مملكة دوبعى :

وهى أقدم مملكة شهدها التاريخ العفرى فى العصور القديمة ، وهم يعدون من قدماء العفريين الأصليين والذين قيل إنهم كانوا من أصل حامى،

---

(١) « نجوس ربينا » أى الموقع الذى قتل فيه الملك ·

يعدون من قدماء العفريين الأصليين والذين قيل إنهم كانوا من أصل حامى، وقد انقرضوا ولم يبق لهم وجود فى المنطقة ، باستثناء قلة توجد منهم فى جزيرة دهلك ، وهم السكان الأصليون لجزر دهلك ٠ وتوجد قبيلة منهم فى السودان وفى الساحل الشمالى لإريتريا (١) ٠ ويقول المؤرخون أن عهد الدوبعى العفرى كان فى زمن عهد العمالقة فى الجزيرة العربية ، ودوبعى العفر كانوا ذا بأس شديد ، ومما يؤكد ذلك آثارهم العملاقة وأعمالهم الخارقة التى تشهد لهم بالقوة ، فقد كانوا يحفرون الآبار داخل الجبال وسط صخور صلبة ، يوجد منها الآن فى جزر دهلك الكبير فى جمهيلى ، ومن يشاهدها لا يكاد يصدق أن هذه الآبار تم حفرها بأيادٍ بشرية ٠ وكان دلوهم التى يسقون بها ماشيتهم من جلود الأبقار – تماما كما يستعمله العفر حاليا من جلود الخراف أو الأغنام ٠ ولكن للأسف لا توجد أشياء كثيرة من آثارهم باستثناء ما يتناقله الآباء والأجداد من العفريين القدامى على شكل القصص والأمثال والأعراف قائلين (كان ذلك فى زمن الدوبعى) ٠

ومن آثارهم الآزار الأسود (مقلمة) التى يلبسها النساء وكبار السن والتى تسمى (دوبعيتو) منسوبة إلى الدوبعى إلخ ٠٠

ولقد اكتشف فى بلدة (أيومن) بمنطقة أرعتا عام ١٨٥٠م بئر كبير وعميق مغلق ولا يدرى أحد من الذى حفره ؛ لأن سكان تلك المنطقة كانوا يردون لجلب المياه مسافة ثلاثون كيلومترا تقريبا نظرا لعدم وجود ماء فى تلك المنطقة ٠ ويعتقد أن هذه البئر تم حفرها فى عهد الدوبعى وأما إغلاقه فربما تم

---

(١) إسماعيل شيخ محمد علوى : مرجع سابق ٠

فى عهد قبيلة الأنكلى التى تعتبر أول من حكم منطقة العفر ·

٢ – المملكة الدنكلية :

كانت صاحبة الحضارة الأولى فى منطقة عموم العفر ، وفى عهدها ازدهرت منطقة عفر وبنيت السفن ، وفى عهدها أيضا ازدهرت تجارتها مع الجيران – ولاسيما مع اليمن ومصر القديمة – كما أنشأت المدن على طول الساحل الغربى للبحر الأحمر من زيلع حتى سواكن مرورا بإرافلى · ويقال إن ميناءهم الرئيسى فى المنطقة كان بيلول والموانى الأخرى ، مثل زيلع وتاجوره· وبينما كانت تجارة جنوب بلاد العفر مع اليمن ، كانت تجارة شاملة مع مصر (١) ·

وفى عهد المملكة الدنكلية كان هناك مدينتان كبيرتان مزدهرتان فى إرافلى وعدوليس ، وفى أوج ازدهارهما كادتا أن تصبحا مدينة واحدة نظرا لتوسعهما، وكاد أن يصل طرفاهما إلى بعضهما البعض · وكان يحكمهما ملك آل دنكلى العفرية الذى كان يطلق عليه لقب دردر ، وتعنى سلطان أو ملك باللغة العفرية· وكانت تشمل سلطنتهم معظم مناطق العفر مثل سلطنة (بيرو) و (تيرو) ، وعلى امتداد المناطق العفرية الحالية · وكانت تجارة هذه المدن مع مصر ، عن طريق القوافل التى كان يصل سير الواحدة منها إلى أكثر من خمسمائة ألف جمل فى القافلة الواحدة · ويذكر أن مدينة إرافلى وعدوليس ازدهرتا ازدهارا كبيرا إلى حد الترف مما أدى إلى بطر أهلها بطرا فاحشا لا حدود له ، إلى أن نزل عليهم سخط من الله وفنوا جميعهم بالوباء

---

(١) شهاب الدين : فتوح الحبشة ·

بعض مغمورة تحت الأرض ، وتظهر تلك القبور حينما يتم الحفر لأى عمل ما هناك فى أطلال عدوليس ٠

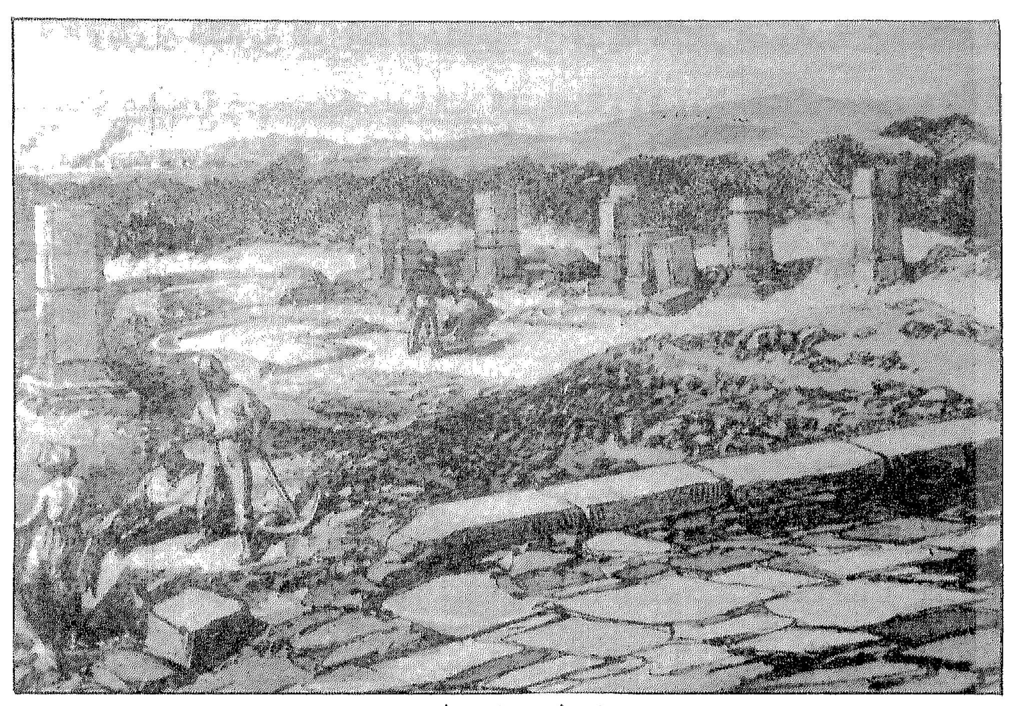
واكتسبت عدوليس اسمها من قبيلة عدولا العفرية والتى كانت تسكن فى هذه المنطقة آنذاك ، وحين قدوم اليونانيين إلى هذه المنطقة وجدوا فيها قبيلة عدولا ؛ ولذلك سماها اليونانيون عدوليس ٠ وقبيلة عدولا هى إحدى القبائل العفرية القديمة والتى كانت قوية وذات نفوذ فى عهد مملكة الدناكل العفرية ، كما أن جزيرة دسى القريبة من عدوليس كانت ضمن أراضى قبيلة عدولا ، ولازالت القلة الباقية من تلك القبيلة موجودة فى جزيرة دسى ، كما توجد أسر متناثرة فى مصوع وحطملوا وحرقيقو ٠

وقبيلة عدولا تنقسم إلى قسمين : القسم الأول يعود أصله إلى قبيلة عدولا القديمة ، أما القسم الآخر فقد انتسب إلى هذه القبيلة واكتسب اسمها ولكنه ليس من قبيلة عدولا الأصلية ٠

وكانت مدينة عدوليس تشرب من نهر (وعا ويعى) الذى كان يصل آنذاك فى جريانه إلى المدينة ويصب فى البحر شرق مدينة عدوليس ٠

وفى إرافلى توجد مقابر مزدحمة تعرف باسم (أمو عدو قبور) أى (المقابر البيضاء) ، حيث يظهر جزء بسيط منها على السطح بعد أن غمرتها الأرض مع مرور الزمن ، على الرغم من أن الأرض فى تلك المنطقة حجرية صلبة ٠

وتشير كتب التاريخ القديمة إلى أن المدينتين العظيمتين المذكورتين آنفا قد انقرض قومهما بين عهدى سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا عيسى عليه السلام ٠



حفريات في مدينة عدوليس

وفى مرتفعات إريتريا فى إقليم أكملى غوزاى بالقرب من مدينة صنعفى توجد قرية تسمى دناقل أو (دناكل)، واسم قرية الدناقل مشتق من اسم قبيلة دناكل ، والتى كانت فى قديم الزمان مدينة كبيرة وكان يسكنها ملك (أونجوس) من الدناكل، ولذلك سميت المدينة على اسمهم وإن كان الكثيرون حاليا لا يعرفون من أين أتت هذه التسمية لهذه المنطقة النائية والبعيدة عن مناطق العفر الحالية ٠

وتسكن هذه المنطقة الآن إحدى القبائل السيهاوية من المشايخ تسمى (دنقولتا) أى الدناكل ، حيث اكتسبت هى الأخرى اسمها من اسم المنطقة ٠

والجدير بالذكر أن الدناقل أو (الدناكل) هو اسم واحد لقبيلة واحدة فى العفر ٠ والصحيح هو دناقل منسوبا إلى دنقلة التى سبق أن قدمت منها قبيلة الدناقل وإن كان اليمنيون جيران العفر حرّفوا بلكنتهم كلمة دناقل إلى دناكل ٠

ويروى التاريخ الموروث للعفريين أن قبيلة دنكلى – والتت كونت أكبر سلطنة عفرية – يعود أصلها إلى الفراعنة ، وقد نزحت من منطقة دنقلة بجنوب مصر وهى البلدة المعروفة التى تقع حاليا بشمال السودان ، واستقرت فى بلاد العفر وامتزجت مع عفر الدوبعى وتعفرت ، ثم ورثت مملكة الدوبعى ووصلت إلى ما أشرنا إليه سابقا (١)٠

ومما يرجح القول كلمة (الساهو) التى تعنى ابن الإله فى اللغة الفرعونية القديمة (**سا هو**) ، وهو الاسم الذى يطلق الآن على قبائل الساهو ذات الجذور العفرية ، كما أن أحد ملوك الساهو (يسبى) أطلق على نفسه عندما تولى العرش اسم الملك (مينا) تيمّنا بملك مصر الفرعونى (مينا) موحد مصر٠ وتنحدر من سلالته قبائل منفرى السيهاوية ، ولا تزال هذه القبائل تطلق على أبنائها اسماء مسبوقة بـ (دا) أى (دمنا) وتعنى مينا الأسمر٠

ومن عادات الدناكل التى توارثوها جيلا بعد جيل أن بناتهم كن يستخرجن زينتهن وطيبهن من أوراق بعض أصناف الأشجار الزيتية ذات الريح الذكية ، ثم يخلطنه بالسمن البقرى، ثم يدهن به شعرهن إلى أن يمتلئ الرأس ويتشبع الشعر وتتقاطر من بين ضفائرهن على الأرض كقطرات حبات المطر ٠ ولذلك يسمون الهضبة فى الأيام التى تكثر فيها قطرات المطر فى فصل الخريف باسم (دنقل) أى دناقل ويعنون به مثل قطرات فتيات الدناكل، ولا

---

(١) إسماعيل الشيخ محمد العلوى : مرجع سابق ٠

يزال هذا الموسم يعرف بهذا الاسم حتى يومنا هذا ٠

وتشير الروايات المحلية إلى أن حدود المملكة الدنكلية فى الهضبة كان نهر مرب – الذى يفصل اليوم بين دولة إريتريا وإقليم تيجراى بشمال إثيوبيا – وكانت تحدها مملكة أقو الحبشية ٠ وذلك قبل أن يغزوها ملك قوندار الحبشى الذى احتل مرتفعات بلاد العفر ومن ثم أصبحت هذه المنطقة تابعة لحكم مملكة قوندار ومن بعدها مملكة أكسوم ٠

وهكذا كانت المملكة الدنكلية العفرية – التى قامت قبل ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد – مملكة مزدهرة سبقت عصرها حيث انتشرت وسيطرت من ساحل البحر الأحمر إلى الهضبة الحبشية وفى جميع بلاد العفر ٠ وكانت معاصرة لممالك وسلاطين من الدول المجاورة كما أوضحنا فى البحث السابق ٠ أما قبيلة الدنكلى حاليا فهى شبه منقرضة حيث يوجد قلة منهم فى بيلول، وهم لا يزيدون عن أصابع اليد الواحدة ٠

المملكة الثالثة : قبيلة أنكالا :

بعد انهيار مملكة الدنكلى بدأ بروز سلطة قبيلة أنكالا العفرية التى أقامت مملكتها على أنقاض المملكة الدنكلية السابق ذكرها مدشنة بذلك قيام المملكة العفرية الثالثة ، حيث قادت قبيلة أنكالا – التى كان قادتها يتمتعون بالفطنة والمهارة والفروسية – القبائل البدوية المتمردة على السلاطين الدناكل ؛ لشعورها بالاضطهاد والاجراءات القاسية التى كانوا يتعرضون لها على أيدى أولئك السلاطين الطغاة ، وخاصة أشهر وآخر سلاطينهم الذى لقب بـ

(دنقاحى يكمى) وذلك لشدته وقسوته وبطشه ، وللاسم معنى لدى العفر [1].

وبعد سلسلة من المعارك والحروب الضارية تم لزعماء قبيلة أنكالا النصر على الدنكلى، وبسطوا سلطانهم على جميع الأراضى العفرية، وورثت عن المملكة الدنكلية توسعها وعلاقتها التجارية مع جيرانها، واستمرت فى حكم العفريين مئات السنين ۰ وإن كان سلاطين أنكالا لم يستفيدوا من أخطاء أسلافهم من سلاطين الدناكل ، بل أقاموا هم أيضا حكما اتسم بالشدة والقسوة وإذلال القبائل العفرية الأخرى ، مما أدى إلى زوال مملكتهم وقيام عهد جديد ومرحلة جديدة من تاريخ العفر والمنطقة العفرية حيث لا تزال آثارها حتى يومنا هذا ۰

قومية قوراقى وصلتها بالعفر GURAGI :

تشير أقوال العفريين القدماء إلى أن قبيلة قوراجى فى جنوب إثيوبيا يعود أصلها إلى قبيلة أنكالا العفرية والتى حكمت بلاد العفر لمدة طويلة من الزمن۰ ولقد نزحت قبيلة قوارقى الدنكلية الأصل منذ قديم الزمان إلى منطقة جنوب إثيوبيا من موطنها الأصلى فى قورع بضواحى مدينة دقى محرى على بعد ٤٠ كيلومترا جنوب العاصمة أسمرا ، واستقرت فى موطنها الجديد بإثيوبيا للعمل فى التجارة ، وحتى يومنا هذا يشتهر القراقيون بالتجارة فى أنحاء إثيوبيا وخاصة فى العاصمة أديس أبابا إذ تحتكر غالبيتهم التجارة التى ورثوها أبا عن جد ۰

---

(١) مكنون جمال الدين شيخ إبراهيم خليل : مرجع سابق ۰

ولا زالت قوراقى تحتفظ بعادات وتقاليد العفر ومنها على سبيل المثال، إذا توفى رجل وترك زوجة فإن شقيق المتوفى أو ابن عمه يعقد زواجه على أرملة المتوفى، وهذا ينطبق على المسلمين والمسيحيين منهم على حد سواء، باعتبارها عادات توارثوها عن أسلافهم العفريين ، فى حين لا توجد مثل هذه العادات لدى المسيحيين من غير الجوراجى · وأغلبية قومية الجوراجى من المسلمين ·

الفصـل الأول

كيفية انتشار الإسلام في القرن الإفريقى

ودور العفر في نشر الإسلام

==

المحتويــــات :

١ – الصلات القديمة بين الجزيرة العربية والحبشة والوسائل التى انتشر بها الإسلام فى القرن الإفريقى .

٢ – لمحة موجزة عن تاريخ الإسلام وتطوره فى المنطقة .

الصلات القديمة بين الجزيرة العربية والحبشة والوسائل التي انتشر بها الإسلام في القرن الإفريقي

===

لقد كان الساحل الشرقى الإفريقى منذ أبعد العصور ، أبعد أمنا وأسرع نجدة ، حيث لم تخلُ موانئ شواطئه من السفن الشراعية العربية التى كانت فيما مضى تمخر عباب المحيط الهندى إلى الجزيرة العربية والخليج ، طوال فصول السنة مهما كانت الرياح البحرية شمالا أو جنوبا ٠

وبذلك ندرك أن انتشار الإسلام فى الشرق الإفريقى من القارة الإفريقية كان مصدره بعثة من العرب الأوائل المهاجرين من الجزيرة العربية ومنطقة الخليج وفدوا بسفنهم الشراعية ، وأولئك الأوائل هم الذين كونوا الإمارات الإسلامية فى شرق إفريقيا عامة والقرن الإفريقى بصفة خاصة، وقد صمدوا بعدها أجيالا إزاء هجمات المسيحيين والوثنيين والاستعمار (١) ٠

فقد كانت رحلات العرب إلى شرق إفريقيا هى أقصر تلك الرحلات وأقربها وأكثرها سهولة ويسرا ٠ وقد استوطن كثير منهم على الساحل وأدخلوا زراعة جوز الهند وقصب السكر التى لم تكن معروفة من قبل (٢) ٠

ولاشك أن الهجرات العربية بظهور الإسلام فى القرن السابع الميلادى كانت أبرز الهجرات التى شهدها الساحل ، وأهمها تأثيرا فى تاريخه بحكم

---

(١) محمد أحمد مشهور الحداد : حقائق تاريخية عن العرب والإسلام فى إفريقيا الشرقية ، بيروت . دار الفتح ، ١٩٧٣ ، ص ٢٦ ٠

(٢) سبنسر ترمنجهام : الإسلام فى شرق إفريقيا ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٩ ٠

العامل الجغرافى الذى يتمثل فى قرب شبه الجزيرة العربية · ونتيجة لذلك لعب العرب الدور الحاسم فى نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية فى ساحل شرق إفريقية حيث نشأت بجهودهم مدن أو مراكز تجارية ، اعتزوا فيها بدينهم واحترامهم لأنفسهم (١) ، فترك ذلك انطباعا طيبا فى نفوس الأفارقة·

وكان للحبشة صلات قديمة مع بلاد العرب قبل الإسلام، وهى صلات تجارية وسياسية وحربية تتمثل فى غزو الأحباش لبلاد اليمن ولم يقطع الإسلام هذه العلاقات وإنما زادها قوة، فاتصال الإسلام بالحبشة يرجع إلى السنة الخامسة من الهجرة حين أوى المسلمون إلى النجاشى اعتصاما بعدله ونجاة من أذى قريش وعدوانها · غير أن هذه الهجرات لم تكن بقصد الإقامة ولكنها تركت أثرا فى حياة البلاد ولفتت أانظار الناس إلى ذلك النبع الروحى الجديد · ثم بدأت الدولة الإسلامية تحتك بالحبشة وبلاد القرن الإفريقى فى عهد عمر بن الخطاب بقصد نشر الإسلام (٢)·

وهكذا انتشر الإسلام عن طريق الدعاة والهجرات وتحركات القبائل العربية وغير العربية والحج والطرق الصوفية والتجارة · كل هذه العوامل أدت إلى انتشار الإسلام فى إفريقيا عموما والقرن الإفريقى وشرق إفريقيا بصفة خاصــــة ·

ونقصد بالدعاة الأفراد المسلمين العاديين ، وقد لعب هؤلاء دورا عظيما فى تاريخ نشر الإسلام فى إفريقيا لأن الإســلام لـم يكـن له دعـاة رسـميـون

---

(١) محمود محمد الحويرى : ساحل شرق إفريقية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٤١·

(٢) رجب محمد عبدالحليم «دكتور» : الإسلام فى شرق إفريقيا ، مذكرة للدراسة ، ص ١٠٩ ·

أو طبقة كهنوت كما فى بعض الديانات الأخرى ، يقع على عاتقها نشر الديانة، وهذا ما ضاعف من مسئوليات الفرد المسلم، فعليه وحده وقع العبء ٠ ومن أهم هذه الوسائل الموعظة الحسنة عن طريق الدعاة والمعلمين والفقهاء والشيوخ ٠ ولم تكن دعوتهم عن طريق القهر وإنما كانت تتمشى مع المنطق الإسلامى القويم فكانت الدعوة الإسلامية دعوة روحية بحتة٠

ويقول المؤرخ الكبير توماس أرنولد : « إن الأساليب السلمية كانت هى الطابع الغالب على حركة نشر الدعوة الإسلامية فى القارة الإفريقية » (١) ٠

ويقول الدكتور رجب عبدالحليم : « إن هجرات القبائل العربية وغير العربية من بربر والصومال وعفار وجالا « أرومـوا » وغيرهم كان لها أثر كبير فى نشر الإسلام وتكوين دول عربية إسلامية فى شمال القارة وشرقها » (٢) ٠

وفى العصر الإسلامى يذكر التاريخ أن العرب استوطنوا إفريقيا الشرقية لأول مرة فى عام ٦٥ هـ – ٦٨٤م فدخلوا السودان ، وإريتريا وغالبية مواطن شعوب الحبشة، والصومال وعفر وغيرها (٣) ٠

---

(١) توماس أرنولد : الإسلام فى إفريقيا ٠

(٢) رجب محمدعبدالحليم «دكتور» : مرجع سابق ، ص ٣ ٠

(٣) محمد أحمد مشهور الحداد : مرجع سابق ، ص ١٥٥ ٠

لمحة موجزة عن تاريخ الإسلام وتطوره

في منطقة القرن الإفريقى والحبشة

بما فيها بلاد العفر

وهذا الموضوع من حيث أهميته يجرنا إلى الحديث بداية عن كيفية دخول الإسلام إلى الحبشة بصفة عامة ، وإلى منطقة استيطان العفريين على وجه الخصوص ، نظرا لأهميته التاريخية فى تكوين الإنسان العفرى بعد اعتناقه الإسلام منذ البدايات الأولى ، ودورهم فى نشر هذا الدين وجهادهم المشهود فى المنطقة ومراحل تطور هذا الدين وازدهاره ٠فمنطقة القرن الإفريقى تعد المكان الثانى بعد مكة الذى انتشر فى فجر الإسلام فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويشترك مع العفر شعوب منطقة القرن الإفريقى فى هذا الشرف العظيم ومنهم الصوماليون وقبائل الساهو والقالا (أوررومو) والجبرته والتجرى ٠ والجدير بالذكر أن كلمة الحبشة فى تلك العصور كانت تطلق على جميع مناطق القرن الإفريقى ٠ وكان دخول الإسلام إلى الحبشة ٦١٤م فى السنة الثانية قبل الهجرة عندما هاجر الصحابة الكرام إليها بادئ ذى بدأ ، ووجدوا كل ترحيب وعطف من مملكة النجاشى أصحمه ، على مبادئ الإسلام السامية وتعاليمه السمحة ٠

كما أن النجاشى نفسه من أوائل من هدى بنور الإسلام واعتنقه ولكنه مات قبل أن تمكنه الظروف من نشره وجعله دين الدولة ، وقد نعاه جبريل عليه السلام إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) فصلى عليه صلاة الغائب (١) ، وذلك فيما رواه أصحاب السيرة النبوية ، وأن النبى عندما رأى ما

---

(١) ابو أحمد الاثيوبى : الإسلام الجديد فى الحبشة ، ١٩٦٤ ، ص ١٥ ٠

لحق أصحابه الذين أسلموا من قومه وأقاربه من الأذى والتعذيب أشار عليهم بالهجرة من مكة إلى الحبشة – وقال لهم : « إن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله فرجا مما أنتم عليه » ٠

وقال الطبرى : « كانت أرض الحبشة متجرا لقريش يجدون فيها رقاقا من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا وكان فيها ملك صالح يقال له النجاشى ، فأمر النبى (صلى الله عليه وسلم) أصحابه بالخروج إليها فخرج منذ ذلك إلى الحبشة نفر من أصحابه يبلغ عددهم ١١ رجلا وأربع نسوة وفيهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وعبروا البحر الأحمر إلى الحبشة واستجاروا بالنجاشى فأجارهم وعلم منهم بعثة النبى (صلى الله عليه وسلم) فأكرم مثواهم ،وكان ذلك فى السنة الخامسة من البعثة ٠ وكان مكثهم فى الحبشة فى هذه الهجرة نحو ثلاثة أشهر ثم عادوا إلى مكة ٠ فلما عادوا إلى مكة وجدوا تعنت القريشيين يزداد كما ازداد عدد المسلمين أيضا ، فعادوا إلى الحبشة ثانية ٠

الهجرة الثانية إلى الحبشة

ولما كانت قريش لا تكف عن أذى المسلمين ، اجتمع عدد كبير ممن أسلموا يبلغ ثمانين رجلا عدا النساء والأطفال، وقصدوا الحبشة ثانيا، فرحب بهم النجاشى وأسكنهم مجتمعين ليقيموا شعائر دينهم ٠ وتقول الروايات الإسلامية أنه أسلم على يد جعفر بن أبى طالب لأنه كان مع المهاجرين فى هذه المرة ٠ وهناك خشى كفار قريش أن يكون هذا العدد من المهاجرين قوة للتبشير بالإسلام فى الحبشة، وأنهم إذا تم لهم ذلك عادوا بجيش جرار من الحبشة لحربهم ونصرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأن غزو

الحبشة لليمن ومكة عام الفيل كان لا يزال عالقا بأذهانهم ، فضلا عن أن جيش الحبشة إذا جاء هذه المرة إنما يكون لنصرة دين الله فلا يسده الله كما سده عام الفيل وأهلكه ، لأنه كان حينذاك يقصد هدم بيت الله (الكعبة المشرفة) • ولذلك قررت قريش إرسال وفد إلى النجاشى ليسلمها المهاجرين ، فجمعت قريش هدايا نفيسة لتقدم إلى النجاشى، وهدايا أخرى لتقدم إلى البطاركة وأرسلتها مع عمرو بن العاص وعبدالله بن أبى ربيعة ، وأفهمتهما أن يتفقا مع البطاركة على أن يساعدوهما فى رد المهاجرين إلى قومهم • فقال أبو طالب حين رأى ذلك أبياتا للنجاشى يحثه على حسن جوار المهاجرين وعدم دفعهم إلى قريش :

ألا ليت شعرى كيف فى النأى جعفر

وعمرو وأعداء العدو الأقارب

فهل ناء فعل النجاشى جعفرا

وأصحابه أو عاق ذلك شاغب

تعلم أبيت اللعن أنك ماجد

كريم فلا يشقى لديك المجانب

تعلم بأن الله زادك بسطة

وأسباب خير كلها بك لازب (١)

---

(١) أبو احمد الاثيوبى : مرجع سابق ، ص ٢١ •

فلما قدم وفد قريش وهم عمرو بن العاص وعبدالله بن أبى ربيعة قدّما الهدايا إلى البطاركة وأخبروهم بما وفدا من أجله ، وطلبا إليهم أن يحولوا بين المهاجرين والنجاشى فأوصلهم البطاركة إليه ، فاستدعى عمرو وعبدالله وشكرهما وسألهما عن حاجتهما ، فقال عمرو : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدكم منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من أبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلم بهم عيبا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه · فلما سكت النجاشى سارع البطاركة بالكلام ، وحاولوا إقناعه بوجوب ردهم إلى قومهم وإبعادهم عن بلاده ، ووجدوا بقدوم عمرو وعبدالله فرصة ثمينة للتخلص من هؤلاء الغرباء الذين لا يدينون بدينهم · ولما كان النجاشى قد أسلم وكتم إسلامه عن أصحابه ، وكان فى قدرته أن يرد وفد قريش بدون أن يسمع حجة المهاجرين ، لكنه أراد أن يُسْمِع أصحابه دعوة الإسلام رغبة منه فى أن تلين قلوبهم إليه ، لذلك أبى أن يبت فى الأمر قبل أن يسمع كلام المهاجرين – وهم الخصم الثانى – ولذلك طلب المهاجرين ، فلما حضروا مجلسه قال لهم ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين أحد من الملل · فتحدث جعفر بن أبى طالب – وكان خطيب القوم وأشدهم جرأة – يصف لهم فضائل الإسلام وقال : (أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسيئ الجوار ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وأباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ·

ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ··· وعدد عليه أمور الإسلام · ثم قال : (فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل الله ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردوننا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادكم واخترناك عن سواك رغبة فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك) (١) ·

فصدقهم النجاشى وأمّنهم وأبى أن يُسْلِمَهم إلى عمرو ورفيقه ، فاختلى عمر بالبطاركة وقال لهم (سأعزو إلى النجاشى بما يدعوه إلى إبعادهم عن بلادكم فإنهم يقولون فى عيسى ابن مريم غير ما تقولون فكونوا معى شدوا أزرى) · فوعدوه خيرا ثم غدا إلى النجاشى وقال له : (إن هؤلاء يقولون فى المسيح غير ما عندكم فيه) ·

فأحضر المهاجرين وقال لجعفر : (هل معك مما جاء به نبيكم عن الله شيئا فتقرأه علىّ) · فقال : نعم · وتلى من أول سورة مريم إلى قوله تعالى: يوم أبعث حيا فبكى النجاشى وأساقفته وقال : (إن هذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة (ثم أخذو عودا من الأرض وقال لجعفر : والله ما زاد على ما فى الإنجيل ولا مقدار هذا العود) · ونظر إلى رسولى قريش قائلا : (انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون) · ورد عليهم

---

(١) فتحى غيث : الإسلام والحبشة عبر التاريخ ، ص ٤٩ – ٥٠ ·

الهدايا فرجعا خائبين ۰ وقال للمهاجرين : (إذهبوا فأنتم آمنون) ۰ فأقام المسلمون فى جواره رغم إرادة البطاركة حتى بعث النبى (صلى الله عليه وسلم) فى طلبهم بعد الهجرة ۰ فعادوا إلى المدينة سنة فتح خيبر فى السنة الثامنة بعد الهجرة ٦٢٩ م ، فكانت مدة إقامتهم فى الحبشة ١٦ عاما ۰ وقد حضر جعفر ورفاقه أيام فتح خيبر فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) (بأيهما نُسَر ، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر) ۰ والنجاشى (أصحمه) كما تقول الروايات المختلفة كان أبوه ملكا على الحبشة وهو صبى صغير فقتل أبوه واستولى عمه على الملك وباع الصبى إلى رجل من العرب من بنى ضمره ، ومكث فى بلاد العرب مدة مكنته من لغتهم وعاداتهم ، وتمضى الرواية فى شرح الظروف التى عاد فيها الصبى عندما كبر وصار ملكا على الحبشة ۰

ونستطيع أن نستخلص من خلال هذا السرد أن أقوام الحبشة من الجبرت والعفر والساهو الذين مرت البعثة الإسلامية إلى الحبشة عبر أراضيهم هم أول من اعتنق الإسلام فى القرن الإفريقى ۰

الرسائل المتبادلة بين النجاشي والرسول عليه الصلاة والسلام :

وقد ثار جدلُ حول كتاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى النجاشى وإمكان التوفيق بينه وبين ما جاء ذكره فى السيرة التى اقتطفنا جزءا منها ، فقد جاء فى ما ذكره ابن إسحاق أن كتابه (صلى الله عليه وسلم) إلى النجاشى ملك الحبشة كما يلى :

نص الكتاب :

(من محمد رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة ، إنى أحمد إليك الله الملك القدوس والسلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم الطيبة

الحصينة حملته من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده · وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى ، فإنى رسول الله وأنا أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت ، فأقبلوا نصحى وقد بعثت إليكم ابن عمى جعفر ومعه المسلمين والسلام على من اتبع الهدى) (١) .

ويمتد الخلاف فى موضوع كتاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى النجاشى على أهميته ، حيث تذكر بعض المراجع أنه أرسله مع ابن عمه جعفر ابن إبى طالب ، ويرى بعضهم أن رسول النبى إلى النجاشى كان رجلا من بنى ضمرة يقال له عمرو بن أمية ، ويربط هؤلاء بين هذا المندوب وبين قصة إقامة النجاشى (أصحمة) لدى بنى ضمرة فى شبابه ، وليس ببعيد أن يكون النبى (صلى الله عليه وسلم) قد أرسل كتابين أحدهما مع ابن عمه جعفر والآخر مع عمرو بن أمية الضمرى · وهنا قد يستقيم ما ذكرته بعض المصادر من أن أحداث الهجرة قد وقعت فى عهد ملكين متعاقبين من ملوك الحبشة ومن هنا جاء الالتباس ·

نص رد النجاشى على الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من النجاشى أصحمه سلام عليك و رحمة الله وبركاته ، لا إله إلا الله هدانى إلى الإسلام ، أما بعد فقد وصلنى كتابك يا رسول الله ، فما ذكرت فيه عن أمر عيسى بن مريم فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ولا علاقة بين النوى والقمح ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وشهدنا بأنك

---

(١) « صبح الأعشى » للقلقشندى ، الجزء السادس ، وذلك فى السنة السادسة بعد الهجرة إلى المدينة ·

رسـول الله صـادقا مـصـدقا وقـد بايعناك وبايـعنا ابن عمـك وأسلمت على يدى الله رب الـعـالمين والـسـلام عليك ورحـمـة الله وبركاتـه) ٠ وقـد أرسل الـنبى (صلى الله عليه وسلم) فى السنة السابعة من الهجرة بكتاب إلى النجاشى وفى هـذا الـكتـاب طلب النبى (صلى الله عليـه وسلـم) إعـادة المهـاجـرين ، وتوكـيل الـنجاشى فى أن يخطب له السيدة أم حـبيبة بنت أبى سـفـيان التى هاجـرت مع زوجـها عـبيدالله بن جـحش فـمات مـرتدا عن الإسـلام ، فـخطب الـنجاشى أم حبيبة للرسـول (صلى الله عليه وسلم) وأصدقها من عنده ٤٠٠ دينار ثم جـهـزها إلى النبى (صلى الله عـليه وسلـم) مع شـرحـبيل بن حـصنة رضى الله عنه ٠

وتبودلت بينهما الهدايا فـقد أرسل النجاشى إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خفين أسودين غير منقوشين ، وحلة وخاتما ذهبا وثلاث عنزات وقرورة غالية (نوع من الطيب) وقميصا وسراويل ومعطفا وبغلا حبشيا٠

هدايا الرسول إلى النجاشى [١] :

وأرسل الرسـول (صلى الله عـليه وسلم) بهدايا منهـا جـبة سندس ، وأوقـيـة من المسك ولكن ردت إليـه لأن الـنجـاشى قـد مـات فى رجب سنة ٩ من الـهـجرة الموافق ٦٣٠ م)٠ ويقال إن النجاشى قـد بعث وفدا برئاسة ابنه (أياحه) إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) سنة ثمـانية من الهـجـرة ومـعـه كـتـاب من الـنجاشى إلى الرسـول وهـذا نصه :

---

(١) النجاشى : تقول المصادر العربية أن النجاشى كان اسمه « أصحمة » ومعناه باللغة العربية «أعطية» وجاء اسمه فى بعض المراجع الأجنبية « إيلا صحم » Ella Saham ٠

كتاب النجاشى إلى الرسول :

بسم الله الرحمن الرحيم إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من النجاشى أصحمه بن أبحر (١) ٠ السلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته ٠٠ لا إله إلا الذى هدانى إلى الإسلام أما بعد :

فقد أرسلت إليك من كان عندى من أصحابك المهاجرين من مكة إلى بلادى كما أمرتنى ، وها أنا الآن قد أرسلت إليك إبنى (أياحه) فى ستين رجلا من أهل الحبشة وإن شئت أن آتيك بنفسى فعلت يا رسول الله فإنى شهدت بأن ما تقوله حق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته) ٠

ويروى السير برج فى الصفحات ٢٧١ وما بعدها – قصة الهجرة والكتب المتبادلة ويذكر اسم الملك فى بعضها أصحمه « إيللا صحم » ثم يعود فيسميه أرمحه ، ثم يستمر فى تسميته أرمحه فى باقى روايته (٢) ٠

فركب المهاجرون العائدون سفينة وركب الوفد الحبشى سفينة أخرى وسارت بهم حتى إذا توسطت البحر غرقت بهم ومات فيخا بن النجاشى٠ والحكمة فى ذلك الله أعلم بها ٠ ولكن لا يستبعد أن يكون غرق السفينة بفعل المخربين البطاركة الناقمين على النجاشى لإسلامه خشية أن يرتبط بالجزيرة العربية لنشر الإسلام ٠ وكان الرجال الستون الذين غرقوا فى البحر قد أسلموا كما لا يستبعد أن يكون هناك رجال غيرهم قد اعتنقوا الإسلام فى الحبشة، ولاسيما أنه ورد فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وإذا سمعوا اللغو

---

(١) فتحى غيث : مرجع سابق ، ص ١٥ ٠

(٢) السير برج : فى صفحات كتابه ص ٢٧١ ، قصة الهجرة ٠

أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين ﴾ بأن هذه الآيات نزلت فى قوم من الحبشة أرسلهم قومهم إلى مكة وهم عشرون رجلا فوجدوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى المسجد فجلسوا إليه وسألوه ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسألة الرسول (صلى الله عليه وسلم) عما أرادوا ودعاهم إلى الله تعالى وتلى عليهم القرآن ، فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه • فقد عرفوه كما كان يوصف لهم فى كتابهم ، فلما قاموا عنه اعترض طريقهم أبوجهل بن هشام فى نفر من قريش وقالوا لهم (هيبكم الله من رَكْبٍ ، بعثكم مَن وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال • ما نعلم ركبا أحمق منكم) ، أو كما قالوا لهم • فأجابهم الوفد الحبشى : (سلام عليكم ، أى لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه من تصديق محمد رسول الله ولكم ما أنتم عليه من الكفر والعناد عن قبول دعوة محمد •) وكذلك قال المفسرون فى سبب نزول قول الله تعالى فى نزول سورة المائدة : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق، ويقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ إلى قوله : ﴿ وذلك جزاء المحسنين ﴾ • بأنها أنزلت فى سبعين رجلا بعثهم النجاشى إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليسمعوا كلامه ويَرَوا صفاته فلما رأوه وقرأ عليهم القرآن أسلموا وبكوا وخشعوا ثم رجعوا إلى النجاشى فأخبروه بما شاهدوه •

وروى فى الآثار أيضا أن وفدا من الحبشة وفد على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سنة غزوة أحد فى السنة الثالثة للهجرة كما أخرجه الطبرى فى معجمه الأوسط ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم على رسول

الله أربعون رجلا من الحبشة فشهدوا معه غزوة أحد فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد) · فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة قالوا يا رسول الله : (إنا أهل ميسرة فأذن لنا نجيء بأموالنا لنواسى بها إخواننا فأذن لهم · فجاءوا بأموالهم وواصوا بها فقراء الصحابة رضوان الله عليهم · فنزل فى حقهم قوله تعالى : ﴿ وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ إلى قوله : ﴿ ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ · وقد قام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بخدمتهم بنفسه ، وعندما قال له أصحابه نحن نكفيك يا رسول الله قال : (إنهم كانوا لأصحابى مكرمين فأحب أن أكافئهم بنفسى) ·

مما سبق يتجلى معنى ما بلغته الصلات الودية والعلاقات الحسنة بين الرسول الكريم وبين النجاشى الرجل الصالح المحب لعيسى ابن مريم والمتبع لتعاليمه ولبشارته برسول يأتى من بعده اسمه أحمد ، ولم تأخذ النجاشى العزة بالإثم والتجبر والعناد فرحمة الله عليه رحمة واسعة ·

وهكذا انتشر الإسلام (١) فى الحبشة منذ عصر النبوة · وكانت الحبشة فى ذلك العصر تضم كل منطقة القرن الإفريقى حيث مكث الصحابة المهاجرون ١٦ عاما وهم يقيمون شعائر الإسلام ويوطدون تعاليمه السمحة بين سكان القرن الإفريقى وهضبة الحبشة والسواحل الشرقية للبحر الأحمر والتى يقطنها العفريون والساهو · ومنذ ذلك الوقت لم يزل الإسلام ينتشر

---

(١) الحبشة : اشتقت كلمة الحبشة من لفظة « حبشات » أو «حبشت» وهى قبيلة عربية نزحت من جنوب الجزيرة العربية إلى سواحل إريتريا ثم توغلت إلى المرتفعات الجبلية لتصبح فيما بعد أحد القبائل التى ساهمت فى تأسيس مملكة أكسوم · وكانت اسم الحبشة تشمل بلاد الصومال وزيلع والجالاه حتى إريتريا ·

فى أرجائها ويتسع من نفسه دون أن يكون له مبشرون من المسلمين سوى أفراد قلائل من تجار العرب الذين كانوا يعبرون البحر للتجارة من الدعاة المصلحين المتفقهين فى الدين الإسلامى ، وهؤلاء الأفراد القلائل من المسلمين الذين نشروا الإسلام فى منطقة القرن الإفريقى هم الذين كانوا يقفون مع أهل السكان فى وجه غارات المبشرين ضد الإسلام فى المنطقة والتى كانت البلاد تموج برسلهم ودعاياتهم التبشيرية المنظمة ٠

ويقول عبدالرحمن عمر عثمان الطويل : لاشك أن دخول الإسلام فى الشرق الإفريقى عامة كان فى الهجرة الأولى لأصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث هاجروا إليه بعد اضطهاد المشركين من كفار قريش لهم، فقد قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : « هاجروا إلى الحبشة فإن فيها ملك لا يظلم عنده الناس » (١) ٠

واسم الحبشة كان يطلقه سكان الجزيرة العربية آنذاك على المنطقة عموما بما فيها إريتريا والصومال والعفر ٠

وفوق ما تقدم ذكره فإن تدفق سبل التجارة العربية على سواحلها الشرقية جعل الإسلام ينتشر شيئا فشيئا ، ولاسيما فى البلدان الواقعة على ساحل البحر الأحمر والتى كان يقطنها العفر والساهو وفى جزيرة الدهلك القريبة من ميناء مصوع ، والتى دخلت فى حيازة خلفاء الإسلام فى عهد الأمويين حتى أصبحت دهلك منفى لمن يسخط عليهم الأمويون فى عهد سليمان بن عبدالملك فى سنة ٩٦ – ٩٩ هـ ، ٧١٥ – ٧١٧م ٠ وكانت هذه

---

(١) عبدالرحمن عثمان الطويل – سفير الصومال فى الإمارات العربية المتحدة سابقا – : الصومال تاريخ وحضارة . الطبعة الثانية ، ص ١٧ ٠

الجزيرة معروفة لدى العرب، وكانت بيئتها شديدة الحرارة وكان الأمير الذى يتولى شئونها من قبل الأمويين يدعى مالك بن شداد · وقد قال فى ذلك أبو الفتح بن عبدالله بن فلاقس الإسكندرى بيتا من الشعر يتناسب مع حرارة الجو واسم الأمير (١) :

ما أقبح بدهلك من بلدة

فكل امرىء حلّها هالك

كفاك دليلا على أنهــا

جحيم وخازنهــا مالــك

وقال أبو المقدم فى بنت القطامى :

لو أصبحت خلف الثريا لزرتها

بنفسى ولو كانت بدهلك درهــا

وظلت دهلك فى حيازة المسلمين حتى العصر العباسى ، كمااستمر الأمويون فى عهد عبدالملك بن مروان فى نفى كل من يسخطون عليه من العلويين ومن يتبعهم اليها مدة من الزمن، لذا ضمت هذه المدينة عددا ليس بقليل من المسلمين بل من الهاشميين والأشراف، وأخذوا ينتشرون داخل مناطق القرن الإفريقى فى الهضبة والساحل · وبالرغم من أن تاريخ هذه الفترة ظل غامضا ومتضاربا بالنسبة للجانبين المسيحى والإسلامى على السواء ؛ لأنه كما ظهر فيما بعد وكما ذكرنا فى السابق انتشر الإسلام انتشارا

---

(١) رينيه باسيه : النقوش الكتابية فى جزيرة دهلك ، ١٩٧٧م، ص ٣٣ – ٣٤·

كبيرا أثناء هذه الفترة بحيث شمل جميع نواحى البلاد فيما عدا تلك المنطقة الجبلية المعزولة بل تعدى ذلك إلى سيطرته على منطقة شوا الجبلية كما سيأتى ذكره باختصار · وقد كان هذا الانتشار امتدادا عاما وزحفا طبيعيا تمتد به القبائل الإسلامية وتنشر ديانتها فى كل مكان دون تنظيم أو تعاون بين منطقة وأخرى وبين جماعة وأخرى ، وقد كان لاتساع الرقعة وتعذر المواصلات أكبر الأثر فى ذلك ·ولم يكن منافسهم المشترك فى تلك الفترة من القوة أو الخطورة بحيث يدفعهم إلى الاتصال أو توحيد الجهود أو ضم الدويلات الإسلامية المتعددة بحيث تتكون منها دولة واحدة قوية ، باستثناء الفترة الوجيزة التى توحدت فيها الدويلات عند جهاد الإمام أحمد بن إبراهيم الملقب بالأعسر، واستمروا فى الاتساع على هذه الصورة حتى شملت مناطقهم أغلب مناطق القرن الإفريقى وهضبة الحبشة، حيث تغلغل الإسلام فى هذه المناطق وكان من القوة بحيث أصبح انتزاعه من قلوب الناس فى حكم المستحيل، وأصبح وجوده حقيقة لا رجعة فيها · وسارعت القبائل الوثنية التى كانت فى تلك المناطق إلى اعتناق هذا الدين الناشئ المنتصر ، وقويت بهم شوكة الإسلام وأهمها قبائل الأوورومو فى إثيوبيا (١)·

تمت كل هذه العمليات فى مدى القرن العاشر والحادى عشر والثانى عشر · وأصبح الإسلام يتحكم فى جميع المناطق الساحلية من أرخبيل دهلك (مصوع) إلى مناطق الدناكل (العفر) وبلاد الصومال وسيدامو فى الجنوب وسلطنة إيفات فى شوا وسلطنة هرر ، وزاد على ذلك أنه بدأ فى تهديد الهضبة الجبلية التى تحصنت المملكة المسيحية وانعزلت فيها ·

---

(١) فتحى غيث : مرجع سابق ، ص ٦٣ – ٦٤ ·

وقبل أن اختتم هذا الجانب من البحث حول انتشار الإسلام فى القرن الإفريقى لابد هنا أن أشير إلى بعض الملاحظات التى كان لها تأثير كبير فى نشر الإسلام فى القرن الإفريقى وشرق إفريقيا عموما منذ البدايات الأولى متأثرة بحضارة الإنسان العربى المهاجر وسلوكياته فى التعامل تجاريا أو دينيا (١) ٠

أولا : لم يدخل الإسلام شرق إفريقيا بحد السيف ، بل كان للتسامح والعدل المتسمين بالبساطة والمنطق السليم أكبر الأثر فى إقبال الناس على اعتناق الإسلام ٠

ثانيا : إن الدين الإسلامى لم يعتمد فى انتشاره فى هذه العهود وما بعدها على سلطة دينية منظمة لها سيطرة روحية تتدخل تدخلا كبيرا فى طريق حياة الأفراد وحريتهم ، ومن هنا فإن الدين الإسلامى لا يعتمد على طبقة كهنوتية تختص بنشر العقيدة ٠ فعلى العكس من ذلك تماما فقد وجد المسلمون أن واجب كل فرد منهم أن يكون داعية لدينه وكل من يعتنق الإسلام يصبح أخا لإخوانه فلا يتميز أحدهم عن الآخر إلا بالإيمان والتقوى ولا توجد وساطة بين المسلم وربه ، وأصبح أمر إيمانه متروكا لشخصه، مما جعله يحمل المسئولية بنفسه، وبذلك يصبح أكثر اهتماما بأداء واجباته الدينية ، وأشد تحملا للمصاعب فى سبيل تعلم مبادئ دينه وشعائره ، ويعتز بحريته التى تنمى فيه الاعتزاز بشخصيته وكرامته ٠

---

(١) فتحى غيث : الإسلام فى الحبشة ، ص ٦٩ ٠

وجميع هذه الصفات ولاشك كانت أقصى ما يتطلع إليه أفراد الشعوب الذين وقعوا فريسة لأنواع السيطرة ، ومنهم سكان إفريقيا الذين تعرضوا خلال تلك العصور لأقصى أنواع الظلم، حيث عانوا من العبودية التى طمست إنسانيتهم، وتاجر الأجانب فيهم بوصفهم سلعا ورقيقا يساقون سوقا إلى من يدفع ثمنهم ·

ثالثا : لقد كان فضل الإسلام عظيما عندما نادى بتحرير العبيد ومحاربة الرق، ولقد اتخذ من ذلك خطوته الأولى التى تتفق وما تقتضيه الدعوة الجديدة من تعزيز أتباعها، حيث حمت كل من يعتنق الإسلام من الرق، فالحرية الشخصية والكرامة الإنسانية من مبادئ الإسلام الأولى·

رابعا : لقد وجد أفراد الشعوب الإفريقية من العرب الوافدين إليهم بحضارتهم ودينهم وتفوقهم فى مختلف نواحى النشاط أنهم لا يفرقون فى المعاملة بين شخص وآخر إلا بالتقوى ، مما جعل أهالى المناطق الإفريقية المختلفة يقبلون على اعتناق الدين الإسلامى فى صورة جماعات وطوائف بأكملها، ذلك الدين الذى يضعهم فى مستوى واحد ويرد إليهم كرامتهم ، فليس بينهم سيد ومسود ، فلم تلبث طوائفهم أن تختلط بالمسلمين حتى تدخل الإسلام ·

خامسا : احتكاك التجار الذين يتجولون ويجوبون المناطق المختلفة سعيا وراء التجارة ومصادر الرزق بشعوب هذه المنطقة، فقد كان هؤلاء التجار هم دعاة الإسلام الذى انتشر على أيديهم أينما تغلغلوا فى إفريقيا ، وكان لما يتصفون به من حسن المعاملة والصدق أثر كبير فى كسب الاحترام والثقة· وبهذه الطريقة البسيطة انتشر الإسلام انتشارا منقطع النظير، هذا بجانب الدعاة الصالحين كما ذكرنا سابقا ·

الفصل الثانـــى

====

التقاء الثقافة العربية الإسلامية بالثقافة الإفريقية
في بلاد العفر والقرن الإفريقى

المحتويـــات :

١ – أهمية القرن الإفريقى بالنسبة للعرب جغرافيا ·

٢ – جذور العلاقات الثقافية العربية والثقافة الإفريقية فى القرن الإفريقى بصفة عامة وبلاد العفر بصفة خاصة ·

٣ – التبادل الثقافى بعد ظهور الإسلام ·

٤ – الثقافة وتأثيرها فى العفر والسلطنات الإسلامية فى الحبشة ·

١ - أهمية القرن الإفريقي بالنسبة للعرب جغرافيا :

تعتبر منطقة القرن الإفريقى حلقة الاتصال بين أجزاء الوطن العربى فى قارتى آسيا وإفريقيا ، وقد سميت المنطقة بالقرن الإفريقى لأنها تشكل ذلك النتوء البارز فى الجانب الشرقى من وسط القارة الإفريقية ، كما تطل المنطقة على بحر العرب شمال غرب المحيط الهندى ، وتشكل مع جمهورية اليمن ومع الصومال وجيبوتى وإثيوبيا وإريتريا المدخل الجنوبى للبحر الأحمر الذى يقف عند مدخله باب المندب · ويحده جغرافيا من الغرب خط وهمى يمتد من خط الحدود السياسية بين كينيا والصومال إلى حدود جيبوتى الغربية · وقد برزت الأهمية الاستراتيجية لمنطقة القرن الإفريقى باعتبارها تتحكم فى طريق البترول بين منطقة الخليج ودول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية (١)·

كما تتحكم هذه المنطقة فى الطرق الدولية للتجارة العالمية إلى المحيط الهندى أو عبر البحر الأحمر والمتوسط عن طريق باب المندب والبحر الأحمر وقناة السويس ثم البحر المتوسط ومضيق جبل طارق وكذلك مضيق موزمبيق ورأس الرجاء الصالح ثم المحيط الأطلنطى ·

وترتب على تلك الأهمية للقرن الإفريقى أن أصبح منطقة صراع بين القوى العظمى فالكل يتسابق على فرض نفوذه عليها للاستئثار بمزاياها

(1) John Spencer, The Horn of Africa, S. Bolicy, Cembridge: Institute Foreign Policy, Analysence, September, 1977. P. 17-33 .

الجغرافية والاستراتيجية ، دون غيره وذلك لتحقيق أحد الأهداف الاستراتيجية الكبرى بتأمين السيطرة على طرق الإمداد بالبترول • ومن هنا جاء الاهتمام العربى بهذه المنطقة قديما وحديثا لأن الارتباط العربى بشعوب دول منطقة القرن الإفريقى ليس بالحدث الجديد بل إن جذوره تضرب فى أعماق التاريخ• كما أن التواصل البشرى والتجارى والحضارى بين الجزيرة العربية والقرن الإفريقى يرجع إلى العصور القديمة • فقد كان البحر الأحمر والمحيط الهندى يشكلان همزة الوصل بين السواحل الإفريقية عموما ومنطقة القرن الإفريقى خصوصا وشبه الجزيرة العربية • كما كان التجار العرب أول من نقل المؤثرات العربية إلى القارة الإفريقية وإلى شعوب هذه المنطقة • كذلك فإن بعض الهجرات البشرية قد شقت طريقها قبل ظهور الإسلام وبعده • وازدادت أهمية هذه الهجرات وفاعليتها بظهور الإسلام الذى أعطاها السند الروحى والمضمون السياسى كما سنشاهد عند سردنا لتأثير الثقافة العربية على عموم القرن الإفريقى •

٢ - جذور العلاقات الثقافية العربية والثقافة الإفريقية فى القرن الإفريقى بصفة عامة وبلاد العفر بصفة خاصة :

كما أوضحنا فى السابق أن العلاقة بين شعوب جزيرة العرب والساحل الغربى للبحر الأحمر قديمة قدم التاريخ نفسه • بل إن علماء الجيولوجيا يؤكدون أن إفريقيا والشرق العربى كانتا رقعة واحدة ، حتى انفلقت قشرة الأرض وفصل البحر الأحمر بينهما • وكما هو معروف أن البحر الأحمر عرف بأسماء متعددة (كالبحر الأحمر الفرعونى ، والبحر الحبشى . وبحر القلزم) • وما يفصل بين اليمن والقرن الإفريقى لا يعدو

أميالا معدودات (١) .

ولم يكن البحر الأحمر رغم وعورة مسالكه يشكل مانعا للهجرات البشرية أو الصلات التجارية ، ومن ثم فقد كانت التحركات البشرية عبر البحر الأحمر أو مضيق باب المندب ميسرة للعرب والأفارقة على حد السواء .

ومن الساحل الغربى غزا الأحباش اليمن فى عهد أبرهة ، ومن الجزيرة العربية كانت هجرات الشعوب الناطقة باللغة السامية كالأحباش والعرب . وقد عبر بعض المهاجرين البحر الأحمر إلى الساحل الإفريقى وكان نصيب بلاد الحبشة والقرن الإفريقى من هذه الهجرات كبيرا ، ومن المعروف لدى الجميع أن بلاد الحبشة أخذت اسمها من قبيلة (حبشيت) الوافدة من جنوب الجزيرة العربية، ومن المعروف أنه كان يطلق اسم الحبشة فى العصور القديمة على المنطقة التى كانت تقطن فيها شعوب القرن الإفريقى بما فيهم العفريون والأرمو والصومال والإريتريون وغيرهم ، كما أن اللغة الحبشية القديمة التى تعرف (بالجعز) وهى لغة سامية قد اقترنت بتلك المنطقة أيضا. وقد يسر ذلك كله سهولة الملاحة فى الجزء الجنوبى من البحر الأحمر ووجود الموانى الطبيعية على ساحله الغربى ، وكان ارتياد البحر واحدا من المناشط التى ألفها سكان جنوب الجزيرة والعفريون على حد السواء .

وما أن استقر التجار العرب على الساحل الإفريقى حتى توغلوا فى الداخل بغية توسيع دائرة مناشطهم التجارية . ثم تبعتهم فيما يبدو هجرات عربية أخرى. ومما يؤكد ذلك وجود آثار حبشية فى منطقة نجران وإريتريا

---

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : العلاقات بين الثقافة العربية والثقافة الإفريقية، ص ٣٣ .

ترجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد. كما بلغ بعض الوافدين للجزء الجنوبى من بلاد البجة الناطقين باللغة الحامية واختلطوا بالسكان الوطنيين حتى ذابوا فيهم ، وإن كان لسانهم السامى ما زال غالبا على بعض لغات إريتريا وبخاصة بين التجرى (Tigree) .

ويتضح من هذه المقدمة المختصرة أن بعض سكان الجزيرة العربية، خاصة فى منطقتى اليمن وحضرموت قد شقوا طريقهم إلى ساحل البحر الأحمر الغربى قبل ظهور الإسلام، ونتيجة لرحلاتهم التجارية واستقرار بعضهم فى الساحل الإفريقى، فقد خلقوا نواة للصلات بين جزيرة العرب وإفريقيا . وقد ازدادت الصلة نموا ، واتسع أثرها وقويت فاعليتها بعد ظهور الإسلام الذى أعطاها دعما روحيا وسندا سياسيا . والصلة بين سكان الجزيرة العربية وساحل البحر الأحمر وشعوبها فى كل من إريتريا والعفريين والصوماليين ربما كانت أقدم وأعرق مما نوهنا به .

ولعل شدة التشابه العرقى واللغوى بين الشعوب اللإفريقية فى القرن الإفريقى الناطقة باللغات الحامية أو الكوشية والشعوب الناطقة باللغات السامية كالعرب والأحباش ، جعلت بعض الباحثين يرجحون أن هاتين المجموعتين قد عاشتا فى موضع واحد ردحا من الزمن تنتميان فى أصولهما القديمة إلى شعب واحد . ويزعم بعض الباحثين أن موطن (الساميين) الأصلى هو شرق إفريقيا وليس الجزيرة العربية كما هو معروف ، هذا لأن المجموعة الناطقة باللغة الحامية أو الكوشيه تنتشر على السواحل الشرقية والشمالية لإفريقيا وتشمل الصومال والعفر وأورومو والإريتريين والبجة والنوبيين والقدماء المصريين (الفراعنة) والبربر . وتضم لغات هذه الشعوب قدرا طيبا من الكلمات العربية ويتجلى هذا فى اللغة العفرية بصفة خاصة .

وتؤكد هذه الصلات العرقية واللغوية التى كانت بين سكان الجزيرة العربية وسكان سواحل إفريقيا الشرقية ، أن تبادل التأثير الثقافى بين المجموعتين له جذور عميقة (١) ٠

وقبل أن نسترسل فى حديثنا هنا لابد من الإشارة إلى التعريف بكلمتى إفريقى وعربى ، فكلمة إفريقيا لم تطلق للدلالة على القارة السوداء كلها إلا فى العصر الحديث، وقد كانت إفريقيا وقفا على تونس إبان الاحتلال الرومانى، ولعلها أكثر الكلمات استعمالا للدلالة على من وفد من الساحل الشرقى لإفريقيا ، سواء كان ذلك عن طريق الرق أو الهجرة ٠

أما العربى فهو ساكن الجزيرة العربية سواء كان هذا العربى من العرب العاربة أو من العرب المستعربة ٠ وكانت السمتان العرقية واللغوية من أهم مميزات هذا العربى قبل ظهور الإسلام٠ وبالرغم من أن شبه الجزيرة العربية كانت (منطقة طاردة) فإن بعضها ممن وفد إليها واختلطوا بالعرب اختلاطا تاما واكتسبوا صفة (العروبة) بالمولد أو بالتمثل بالثقافة العربية٠ وهذا المفهوم الذى لا ينهض على أساس عرقى، بل يعتمد على أساس ثقافى هو الذى وسع معنى العروبة (٢) ٠ وقد تأكد هذا المفهوم الجديد بعد ظهور الإسلام وخروج العرب من حدود بلادهم التقليدية، واختلاطهم بالشعوب التى خضعت للنفوذ الإسلامى، فاستعربت تلك الشعوب وتمثلت فى الثقافة العربية الإسلامية ٠ فهؤلاء المستعربون الجدد لم يكونوا عربا بالمفهوم العرقى البحت، وإنما عرب بالمولد وعرب بالثقافة وعرب باللغة وبالانتماء والوجدان ٠

---

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مرجع سابق ، ص ٣٥ ٠

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٣٧ ٠

ويستوى فى ذلك من استعرب من النبط ، والفينيقيين والقدماء المصريين والبربر والنوبيين والإريتريين بما فيهم العفر والصومال . والمهم فى الأمر أن المفهوم الثقافى فى العروبة يتفق مع نظرة الإسلام الذى ساوى بين الجميع .

وخير ما يؤكد هذا ما جاء فى الحديث الشريف الذى رواه ابن عساكر بسنده إلى مالك بن أنس عن الزهرى عن أبى سلكة بن عبدالرحمن قال : (جاء قيس بن مطاطة إلى حلقة فيها سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى (1) .

فقال : هؤلاء الأوس قاموا بنصرة هذا الرجل – يعنى النبى – صلى الله عليه وسلم – فما بال هؤلاء ؟

فقام إليه معاذ فأخذ بتلابيبه حتى أتى به إلى النبى – صلى الله عليه وسلم – فأخبره بمقالته . فقام مقضبا رداءه حتى دخل المسجد ، ثم نودى الصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا أيها الناس إن الرب واحد وإن الأب أب واحد وإن الدين دين واحد ألا وإن العربية ليست لكم بأب ولا أم إنما هى لسان فمن تكلم بالعربية فهو عربى » . فقال معاذ وهو آخذ بتلابيبه ما تقول فى هذا المنافق . فقال : (دعه إلى النار) . فقال : فكان ممن ارتد فقتل فى الردة (2) .

---

(1) هم ثلاثة من الموالى كانوا من أول من اعتنق الدين الإسلامى .

(2) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، لعبدالقادر أحمد الرومى الدمشقى الحنبلى، دمشق، ١٣٤٩ ج ، ص ٤٥٠ .

التبادل الثقافي بعد ظهور الإسلام (١) :

فلما جاء الإسلام عظم شأن السود ، واتسعت دائرة مشاركتهم فى الأرض واللغة والحديث والفقه والعمل العام وكان منهم بلال الحبشى الصحابى الجليل أول مؤذن فى الإسلام ٠ ومنهم أيضا عطاء بن أبى رباح فقيه مكة ومحدثها ٠

وقد بلغ بعضهم مبلغا بعيدا فى تمثل ثقافة العرب ولغتهم كأبى نعامه مولى بن سعيد والحفظان وكان شاعرا فحلا وخطيبا لا يبارى ٠ وكان منهم وعكيم الحبشى أفصح من فصحاء العرب وقد أخذ منهم علماء الشام ٠ ومن أبناء الزنجيات عرار بن شاش القائد الشهير و منهم سعيد بن جبير أعظم أصحاب عبدالله بن عباس فى الحديث ، وكذلك مسلم بن خالد الزنجى وهو من علماء الطبقة الخامسة وقد أخذ عنه الإمام الشافعى ٠

كان لظهور الإسلام آثار عظيمة ونتائج باهرة على الجزيرة العربية فقد أمدت العقيدة الإسلامية للعرب سياجا دينيا وفكريا ساعدهم على خلق وحدة داخلية ٠ فتحت راية الإسلام خرج العرب صوب الشرق والغرب والشمال ، وكانت الطرق التى سلكها العرب المسلمون إلى القارة الإفريقية هى نفس الطرق التى سلكها أجدادهم من قبل ، وكان ظهور الإسلام دينا عالميا وثورة فكرية كبيرة، واستهلالا لصفحة جديدة فى تاريخ العلاقات الثقافية بين العرب وجيرانهم الأفارقة ٠

---

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : مرجع سابق ، ص ٤٤ ٠

وقام العرب المسلمون فى هذه الأقطار بالدور الإيجابى فى نشر العقيدة الإسلامية وبسط نفوذها السياسى والثقافى فى المرحلة الأولى ومنذ البدء صار الإسلام الركيزة الأولى للثقافة العربية ، كما أن اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ولغة أهل الجنة صارت وعاء للثقافة الإسلامية، وقد مهد انتشار الإسلام انتشار كثير من مظاهر الثقافة العربية كاللغة وظاهرة تمثل النسب العربى، ومع أن العرب لم يعرفوا بأنهم دعاة «تبشير» ملتزمون ، فإن نشرهم للثقافة العربية كان يلازمه عادة نشر الإسلام ٠ وكان لتجار العرب والبدو دور رائد فى بذر نواة التعاليم الإسلامية فى المجتمعات الإفريقية٠ وسرعان ما رسخت أسس العقيدة الإسلامية وحلت بالتدريج مكان المعتقدات الوثنية والمسيحية التى كانت سائدة فى تلك المجتمعات وكانت مصر أول الأقطار الإفريقية تأثرا بالعقيدة الإسلامية ، فقد تأصلت فى زمن وجيز جذور الحضارة الإسلامية والثقافة العربية فيها حتى صارت مصر جزءا لا يتجزأ من كيان الأمة العربية الإسلامية ، بل تبوأت الزعامة الثقافية على العالم العربى فى كثير من الأحيان ٠ فمن مصر تعربت كثير من المأثورات الثقافية فى البلاد المجاورة ٠ وهو تشرب مماثل لتشربها من الجزيرة العربية ذاتها ٠ كما أن الموقع الجغرافى لمصر قد مكنها من أن ترتبط ارتباطا وثيقا بالكيان الإفريقى تؤثر فيه وتتأثر به حضاريا واقتصاديا، وكان دور مصر عظيما فى دعم التبادل الثقافى بين هذه الشعوب ٠

الثقافة وتأثيرها في العفر والسلطنات الإسلامية في الحبشة :

وكما أوضحنا سابقا لم تقتصر الصلة بين العرب وبلاد القرن الإفريقى والحبشة على اليمن فحسب بل امتدت حتى شملت الحجاز ٠ فقد كانت أرض هذه البلاد كما ذكر « الطبرى » متجرا لقريش يتاجرون فيها ويجدون فيها «رقاعا» (١) من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا ٠

ولعل هذا ما حدا بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يشجع أصحابه على الهجرة إلى الحبشة هروبا بدينهم لما كثر إيذاء قريش لهم ٠ وقال لهم « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملك لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم مما أنتم فيه مخرجا ٠ كما أن علاقة العرب والأحباش اتسمت بالود فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) ٠ وكان لهذه الرعاية الكريمة التى أولاها النجاشى للمهاجرين أثر فى ألا ينزل المسلمون بلاد الحبشة منزلة أرض الجهاد ، بل اتسمت علاقتهم بها بالسلم فى معظم الأوقات ، وقد زاد تردد العرب المسلمين على هذه البلاد فى العصر الإسلامى من أجل التجارة٠ بالإضافة إلى المدن الساحلية التى كانت تحفل بتجارة العرب حيث أنشأ العرب مراكز تجارية جديدة على ساحل القرن الإفريقى ٠

ومع نمو النشاط الاقتصادى العربى فى تلك المنطقة ، كثر استقرار العرب المسلمين واختلطوا بالسكان الوطنيين مما مهد لنشر الإسلام بين المواطنين تدريجيا ٠ لذلك دخل الحبشة ، وتأثرت بلاد القرن الإفريقى ببعض

---

(١) الطبرى أبو جعفر محمد بن جرير ، تأريخ الرسل والملوك ، لندن ٩٨٩، ج ٣٢٨٠

(٢) محمد عبدالغنى سعودى : العلاقات العربية الإفريقية ٠

المهاجرين العرب ، الذين توافدوا فى أعداد يسيرة تمثل مختلف الطبقات من زراع اليمن وتجار حضرموت وعمان والحجاز كما أوضحنا فى المقدمة ٠ وكان أرخبيل دهلك وميناؤه مصوع وعصب وميناء زيلع الواقعة فى الجنوب وبربره، من أوائل المدن التى تأثرت بالإسلام والثقافة العربية ، ومنها تسربت بعض المؤثرات الثقافية عبر الطرق التجارية خصوصا فى السهول الساحلية بين بدو العفر «الدناكل والساهو» ومن أقصى الشمال، ومن ميناء سواكن ومصوع تدفق تيار إسلامى أخر عبر بلاد البجا حتى إريتريا ٠

وفى أقصى الجنوب « بين الحبشة والصومال وبلاد العفر » مهد ذلك التسرب البطىء للثقافة العربية الإسلامية ، فنشأ عدد من الإمارات أو السلطنات الإسلامية فى أقصى الجنوب والتى تقع جنوب مضيق باب المندب، وقد عرفت هذه السلطنات عند المؤرخين العرب ببلاد «الطراز الإسلامى» ، لأنها على جانب البحر كالطراز لتلك المنطقة – وكونت حلفا إسلاميا عظيما كما أسلفنا الذكر – وكانت دائرة نفوذ ذلك الحلف الإسلامى أكبر من مساحة مملكة البجا المسيحية ٠ كما كانت مسيطرة على موارد ذلك الإقليم وتجارته الخارجية سيطرة شبه كاملة ٠ وكانت التجارة بالنسبة للمسلمين فى الحبشة منشطا مهما للكسب ، وقد مهد هذا النشاط التجارى لربط التجارة الحبشية بالبلاد الإسلامية وخاصة مصر وكانت معاملة سلطنة « أوفات » بدنانير مصر «الدراهم الواصلة إليها بصحبة التجار» (١) ٠ وقصد مسلموا الحبشة فى ذلك الوقت بلاد اليمن والحجاز للتزود من مدارسها ، وكان أغلب أهلها على مذهب الإمام الشافعى ، وبعض من أتباع الحنفى ،

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، القاهرة جـ ٢ ، ٣٣١ ٠

وعرف سكانها فى العالم الإسلامى « بالجبرت» وهى كلمة حبشية بمعنى أجبرت ومعناها أيضا عباد الله ونسب إليها الجبرتى (١) ٠

وكلمة الجبرت لها معانى ومفاهيم كثيرة، وقد توسع مفهوم هذه الكلمة حتى صارت تطلق على المسلمين من الأحباش، وكان ملوك الإمارات الإسلامية إذا أحسوا بالاضطهاد من المسيحيين جاءوا إلى ملوك اليمن للعون والحماية ٠ فقد استنجد أبناء السلطان «أوفات» بالملك الناصر بن الأشرف بن إسماعيل فزودهم بالخيل والمال والعتاد الحربى ،وإن كانت العلاقة بين الحبشة واليمن يغلب عليها السلم دوما قديما وحديثا ٠ كما استنجد أهل «أوفات» بسلطان مصر محمد قلاون لنفس السبب ٠

وقد أصدر السلطان الناصر قلاون بطريك الكنيسة المصرية بمصر – وهو الذى يمد الكنيسة الحبشية بالمطارنة الأقباط – أمره بأن يكف ملك الحبشة عن إيذاء المسلمين ٠ وكان تدخل السلطان محمد بن قلاون غير المباشر واحدا من مظاهر العلاقات الكثيرة التى تربط بين بلاد الحبشة ومصر الإسلامية ٠ ولم تقتصر تلك العلائق على التعامل التجارى الذى نوهنا به ، ولكنها امتدت فشملت المناشط الدينية والثقافية وكان للأحباش أروقة خاصة بهم فى الجامع الأزهر، أهمها رواق الجبرتى – وهو موجود حتى يومنا هذا – ومد مسلمى الحبشة بالعلماء الذين عاشوا فى عصر الإمام فخر الدين بن على الزيلعى (٢) والمحدث الزيلعى جمال الدين عبدالله بن يوسف بن محمد والشيخ على الجبرتى الجد السابع للمؤرخ المصرى عبدالرحمن الجبرتى ٠ وكان من

---

(١) عبدالمجيد عابدين : بين الحبشة والعرب ، ص ١٥٦ ٠

(٢) نفس المرجع ، ص ٥٣ ٠

العلاقات المهمة التى ربطت بين بلاد الحبشة ومصر انتشار المسيحية فى الحبشة على يد تجار مصريين . ومنذ القرن الرابع الميلادى ظل بطريرك الاسكندرية يعين مطرانا مصريا ليرأس الكنيسة الحبشية حتى عام ١٩٤٦م وكان المطران المصرى يتمتع بمكانة سامية فى الحبشة لا تقل عن مكانة الملك . وقد عمل المطارنة المصريون على دعم المذهب الأرثوذكسى وترجموا كثيرا من الكتب الدينية من العربية إلى اللغة الحبشية كما أن بعض الكنائس قد شيدها مصريون . وبالرغم من هذه العلاقات الدينية ، فقد ترددت علاقة الود بين البلدين إلى تهديدات بسبب موقف كل بلد من الأغلبية الدينية التى تتبع له فى البلد الآخر، فكان الأحباش يلوحون بقتل مسلمى الحبشة أو تحويل مجرى النيل عن مصر ، كما كانوا يتآمرون مع القوة الصليبية فى أوروبا لتطويق مصر وكسر احتكارها لتجارة الشرق (١) .

ويروى «المقريزى» فى حوادث ١٣٢٦ « أن ملك الحبشة أرسل رسالة إلى السلطان الناصر محمد بن قلاون يطلب فيهد إعادة ما خرب من كنائس النصارى ومعاملتهم بالإكرام والاحترام ويهدد بتخريب ما عنده من مساجد المسلمين وبسد النيل حتى لا يعبر إلى مصر » (٢) .

وهكذا بالرغم من تعصب ملوك الحبشة وأباطرتها وإصرارهم على إقصاء المسلمين عن المناصب القيادية، وعدم مشاركتهم فى صنع القرار فى الدولة ، كان الإسلام يكسب أتباعا جددا يوما بعد يوم وكان تدفق الفقهاء

---

(١) سعيد عبدالفتاح عاشور « دكتور » : بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة فى القرون الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، ١٤ ، ١٩٦٦ – ١٩٦٧ ، ص ٢٦.

(٢) المقريزى ، على بن أحمد :الإلمام ، القاهرة ، د . ت . ، ص ٣ .

ورجال الصوفية من مصر والحجاز وشمال إفريقيا يسهم فى رفع مستوى الوعى الإسلامى بطريقة أعمق وأشمل مما كان عليه الحال من قبل ٠ وقد اتبع مشايخ الطرق الصوفية منهجا مبسطا فى نشر الدين الإسلامى بهذه البلاد حيث كانوا يعتمدون على بساطة التقاليد ومزجها بالتلقين واستعمال الترانيم كالمدح والطبول فى الأذكار، وكان نجاحهم كبيرا حتى إن أتباعهم أضافوا عليهم الكرامات وخوارق الأعمال ٠ وكان لجهدهم الروحى والاجتماعى – مثلا فى مساعدة الفقراء والضعفاء – أثر كبير فى إشاعة الاستقرار والألفة والتلاحم بين أشتات مختلفة من شعوب هذه المنطقة ، ولهذا كله غلبت روح التصوف على الثقافة الإسلامية فى بلاد القرن الإفريقى ، وكثرة انتشار القباب والأضرحة للأولياء والصالحين فى هذه البلاد دليل على ذلك ٠

وهكذا نستطيع أن نقول من خلال هذا البحث الذى أشرنا إليه: استطاع الإسلام بسماحته وما يدعو إليه من إخاء أن يصوغ كل هذه المجموعات المتنافرة وأن يمزج بينها مزجا بشريا وثقافيا خالقا نموذجا لمايجب أن تكون عليه العلاقات البشرية فى هذه المنطقة من القرن الإفريقى ، والتى تعتبر متحفا للشعوب ٠ وتمكن الإسلام – رغم المعارضة الرسمية له من الأباطرة وملوك الحبشة – من جذب أتباع له من المواطنين ، وعلى هذه الفئة من علمائهم وفقهائهم وقع عبء نشر العقيدة الإسلامية والدفاع عنها إلى يوم الدين ٠

وكانت للصلة – كما ذكرنا – بين بلاد القرن الإفريقى وجزيرة العرب ومصر أثر فى إرساء الحياة الثقافية فى البلاد ، سواء كان ذلك على المذهب الإسلامى أو المذهب المسيحى على السواء ٠ وضمن هذه الشواهد امتد الإسلام فى هذه المنطقة الساحلية الممتدة من صعيد مصر حتى بلاد القرن الإفريقى،

وتمثلته شعوب كثيرة من قبائل البجا والتجرى والساهو والصومال والعفر والأرومو والجبرتة · وكانت السمة الفقهية غالبة على الثقافة الدينية فى هذه البلاد كما ذكرنا ، وإن كانت الثقافة العربية رغم تبنى هذه القبائل للنسب العربى لم تضرب بجذور عميقة كما هو الحال فى أوساط بلاد السودان، لذا ظلت هذه المجموعات الساحلية محافظة على لغاتها وعلى كثير من تقاليدها (١) باستثناء العفريين الذين يمتازون بتأثرهم بالثقافة العربية والإسلامية أكثر من غيرهم من شعوب هذه المنطقة وهذا يتضح فى اللغة العفرية، وفى الأعراف والتقاليد العفرية التى تستند غالبيتها نصا وروحا إلى الإسلام، ولا تتعارض معه فى كثير من الأحيان · وبهذا الحديث يمكننا أن نقول إننا أعطينا فكرة موجزة عن التأثر الثقافى العربى والإسلامى فى منطقة عموم القرن بصفة عامة وبلاد العفر بصفة خاصة ·

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المصدر من ص ٤٥٩ - ٤٦٩ ، عرب فقيه شهاب الدين بن أحمد ابن عبدالقادر « فتوح الحبشة » ، نشره رينيه باسه فى باريس ، ١٨٩٧م، من ص ١٣، ١٤، حتى ص ٥٢ ·

الفصل الثالث

==

أهم الممالك الإسلامية التي أسسها العرب في العصور الوسطى من العرب العفريين والصوماليين في الحبشة « مسلمي زيلع »

===

المحتويات :

١ – مملكة شوا الإسلامية٠

٢ – إمارة زيلع٠

٣ – إمارة هرر٠

٤ – امارة جما الإسلامية٠

٥ – الإمارات الإسلامية السبع فى القرن الإفريقى :

- ١ – إمارة إيفات الإسلامية٠
- ٢ – إمارة عدل الإسلامية٠
- ٣ – إمارة هدية الإسلامية٠
- ٤ – إمارة الدوارو الإسلامية٠
- ٥ – مملكة فطجار٠
- ٦ – مملكة بالى٠
- ٧ – مملكة شرفة٠

١ - مملكة شوا الإسلامية :

تألفت من المهاجرين إلى الحبشة ، ومن القبائل التى اعتنقت الإسلام فى تلك القرون ومن الممالك والسلطنات الناشئة حيث بدأت صغيرة ثم أخذت فى النمو والاتساع ، وازداد شأنها وتوطدت أقدامها · وسبق أن أشرنا فى المقدمة إلى أن الإسلام لم يدخل إلى الحبشة عن طريق غزو عسكرى أو حروب كما حدث فى الفتوحات الإسلامية الكبرى التى تغلبت فيها الدولة الإسلامية على الدول المجاورة ودخلت إليها بجيوشها وسلطانها وتنظيماتها وأساليبها الجديدة فى الحكم ، بل كان دخول الإسلام إلى الحبشة تغلغلا هادئا بدأ بالمهاجرين الذين ينشرون الدين الجديد بين القبائل الوثنية بمختلف الأساليب، وكان لتفوقهم الحضارى أكبر الأثر فى استجابة الكثيرين من أهل البلاد إلى الدعوة (١) · وتأسست هذه المملكة الإسلامية فى قلب الهضبة الحبشية فى إقليم شوا المشهور ، وذلك فى عهد حكم ملوك الحبشة الأجويين· وكان سلاطين هذه المملكة من بنى مخزوم (مخزومى) أسرة سيف الإسلام خالد بن الوليد ·

إن إنشاء هذه الدولة يعود إلى عام ٦٩٨ م ، فبنى مخزوم من المهاجرين الأوائل إلى الحبشة فى عهد الأمويين حيث تغلغلوا داخل القرن الإفريقى، وتمكنوا من إنشاء تلك الدولة الإسلامية فى هذا المكان من قلب الحبشة الذى يعتبر من أمنع المعاقل فوق مرتفعات الهضبة ، والذى تقع به مدينة أديس أبابا الحالية · وقد استمرت مملكة شوا الإسلامية خلال أربعة قرون فى شبه عزلة عن العالم الخارجى ، كما استمرت أسرة بنى مخزوم على عرش هذه المملكة

---

(١) فتحى غيث : مرجع سابق و ص ٨٢ ·

حتى عام (١٢٢٥م) (١) حيث اغتصبها منها شيخ يدعى مالازا الذى بقى على العرش ١٨ عاما، وبعدها استولى عليها سلطان آخر ، وانتقل الحكم من ملك لآخر فى حروب داخلية لا تهدأ حتى تدهور حال المملكة ٠ وفى نفس الوقت كانت مملكة إيفات (IFAT) تراقب الأمور فى مملكة شوا الإسلامية عن كثب ، وانتهزت فرصة تحللها وجردت عليها أربع حملات انتهت باستيلاء مملكة إيفات الإسلامية على مملكة شوا عام ١٢٨٩م ٠ وتنسب مملكة بنى مخزوم فى شوا إلى (ود بنى هشام المخزومى) الذى خرج من الحجاز ناقما فى خلافة عمر بن الخطاب ٠ ويعود تاريخ قيام هذه المملكة إلى أواخر القرن السادس الهجرى ٠ويذكر هذا صاحب تاريخ بنى مخزوم فى نهاية القطعة الأثرية التى عثر عليها بدءا بالإمارة المخزومية فيقول : (وبلغنا أن أمراء بنى مخزوم من أولاد ود هشام المخزومى كانوا قد خرجوا زمن عمر بن الخطاب) ٠ ومن تولى من أولاده فى شوا ملكها ٢٨٣ هـ إلى ٨٩٦ هـ إلى السنة المذكورة ٦٨٤ وبذلك مكثت ٣٩٠ سنة ٠ ويقول تشيرول : (إن لغةً حبشيةً ساميةً كانت لغة التخاطب فى إمارة شوا) ٠

وتعتبر سلطنة شوا أقدم سلطنة إسلامية نشأت فى منطقة القرن الإفريقى على الاطلاق، وانتهت عام ٦٨٤ هـ /١٢٨٥م على أيدى سلطنة أوفات التى استولت عليها وأصبحت شوا ضمن الأقاليم التى تكونت فى هذه السلطنة (٢) ٠

ويمكن وضع سلطنة شوا بين خطى عرض ٧ ، ١٠° شمال خط

(١) فتحى غيث : مرجع سابق ، ص ٨٤ ٠

(٢) زاهر رياض : الإسلام فى إثيوبيا ، ص ٧٢ ، ٧٣ ٠

الاستواء ، وبين خطى طول ٣٨ ، ٤١° شرقا (١) ، ويحتل موقعها الآن ما يعرف باسم إقليم Tulama حيث تقع مدينة أديس أبابا (٢) · ومعروف أن الجزء الغربى من هضبة شوا كان مقرا للأسرة السلمانية التى حكمت بلاد الحبشة كلها منذ عام ٦٦٩ هـ/ ١٢٧٠م · وعلى هذا فقد وقعت سلطنة شوا الإسلامية بين سلطنة أوفات الناشئة من الشرق ومملكة شوا السليمانية المسيحية من الغرب (٣) ·

٢ - إمارة زيلع :

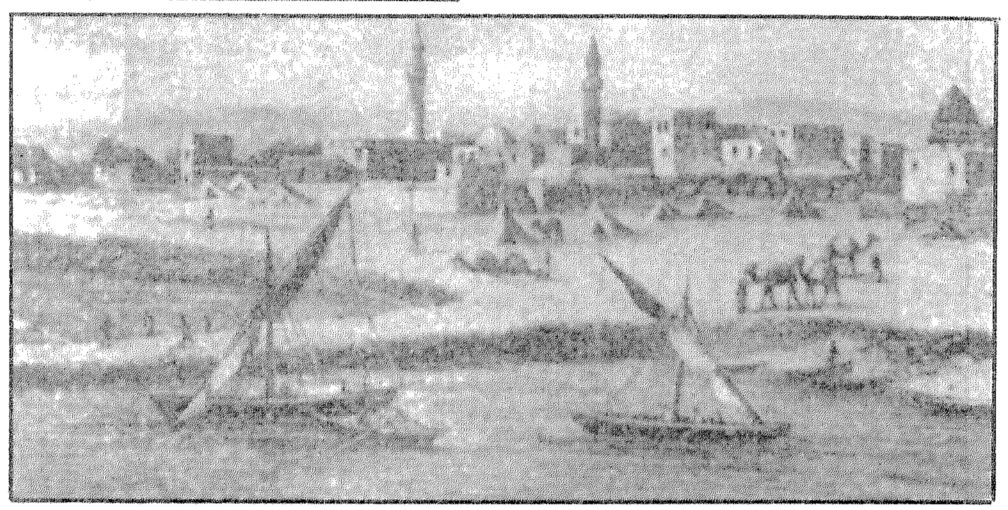
يذكر ابن سعيد المغربى زيلع على أنها من مدن القرن الإفريقى المشهورة التى كانت تقطنها القبائل العفرية والصومالية والتى تقع اليوم فى الأراضى الصومالية · ويقول المغربى : (أهلها مسلمون يكثرون الحج والتردد على ساحل عدن وزبيد وهى محل حط وإقلاع) · ويسمى الدمشقى زيلع باسمها الصومالى (عودل) وما زال هذا الاسم متداولا بين الصوماليين المحليين· وقد كانت زيلع من أهم المستوطنات العربية على الساحل الصومالى الشمالى، وكانت تتحكم فى تجارة هضبة الحبشة وما ورائها مع الجزيرة العربية فى الشرق · فمن زيلع كانت تصدر منتجات الحبشة والصومال، وأهمها الجلود، والصمغ والسمن والعاج وعطر الزباد ، وتصل إليها الواردات كالأقمشة والبخور والأسلحة والأوانى الفخارية والخزفية ·

---

(1) The Atlas od Africa , P. 227.
(2) Trimingham : Op. Cit., map
(٣) رجب محمد عبدالحليم « دكتور »: مرجع سابق ، ص ٢٤ ·



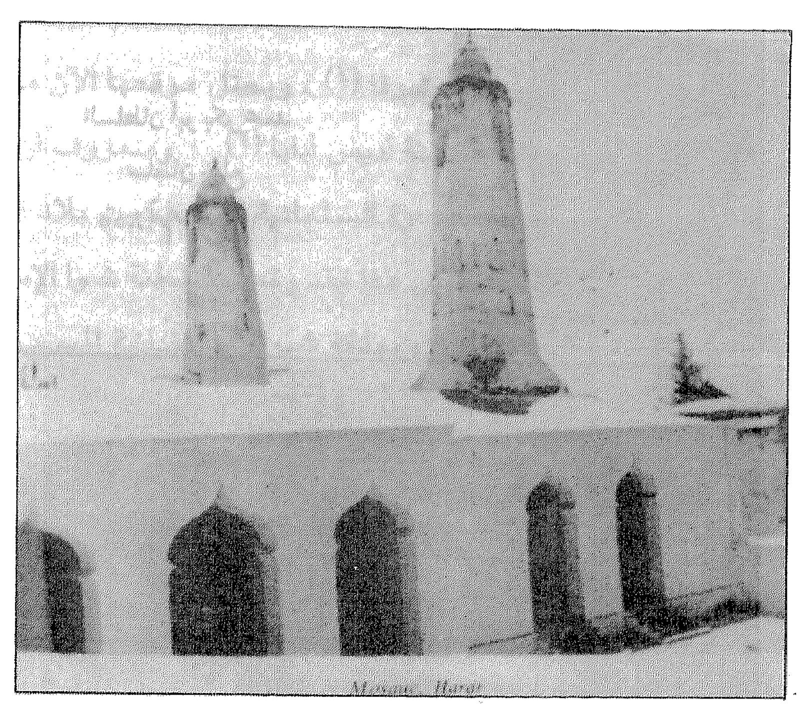
السلطان أبو بكر محمد
سلطان زيلع
١٨٥٥م - ١٨٧٥ م



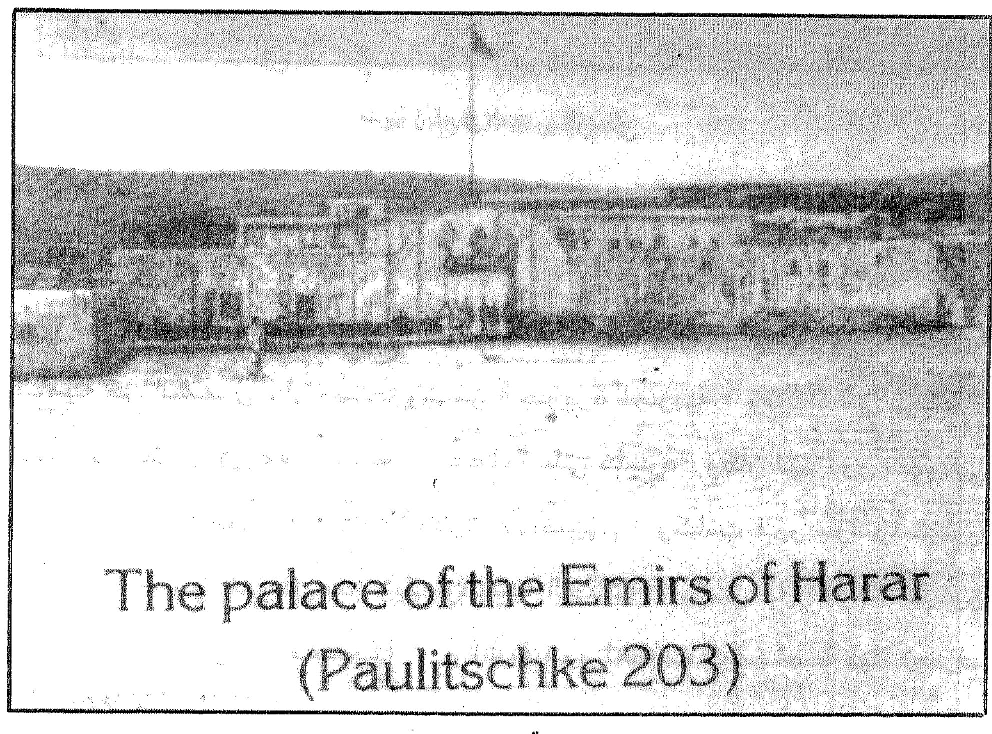
مدينة زيلع فى العصور الوسطى

٣ - إمـــارة هـــرر :

تقع مدينة هرر شرق أديس أبابا وسط هضبة على ارتفاع خمسة آلاف قدم فوق سطح البحر ، وهى مدينة مسورة ، أسستها إما مستوطنة عسكرية سامية من الشمال ، أو مهاجرون من الجزيرة العربية · وقد اعتنق سكانها الدين الإسلامى فى وقت مبكر ، وعملوا على نشره· وكان لها دور مهم فى التصدى لحملة ملوك الحبشة الغازية لأراضيهم · وكانت هرر مركزا تجاريا مهما على طريق القوافل بين زيلع وهضبة الحبشة · وأهل هرر قوم متدينون وبالمدينة أكثر من ٨٠ مسجدا · ولمدينة هرر لغة محليةخاصة بها تعرف



مسجد هرر القديم



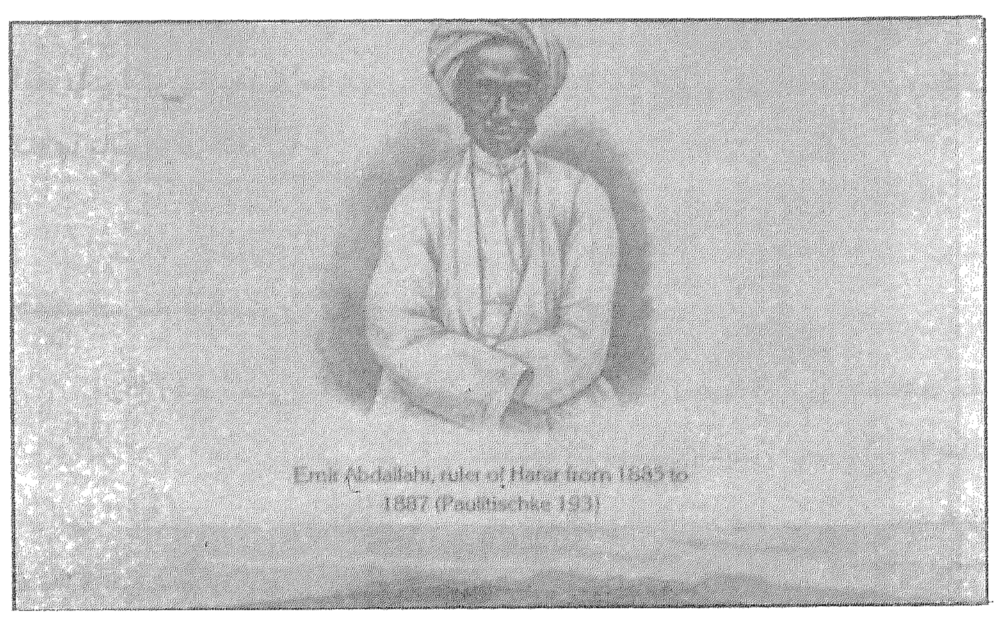
The palace of the Emirs of Harar (Paulitschke 203)

قصر هرر

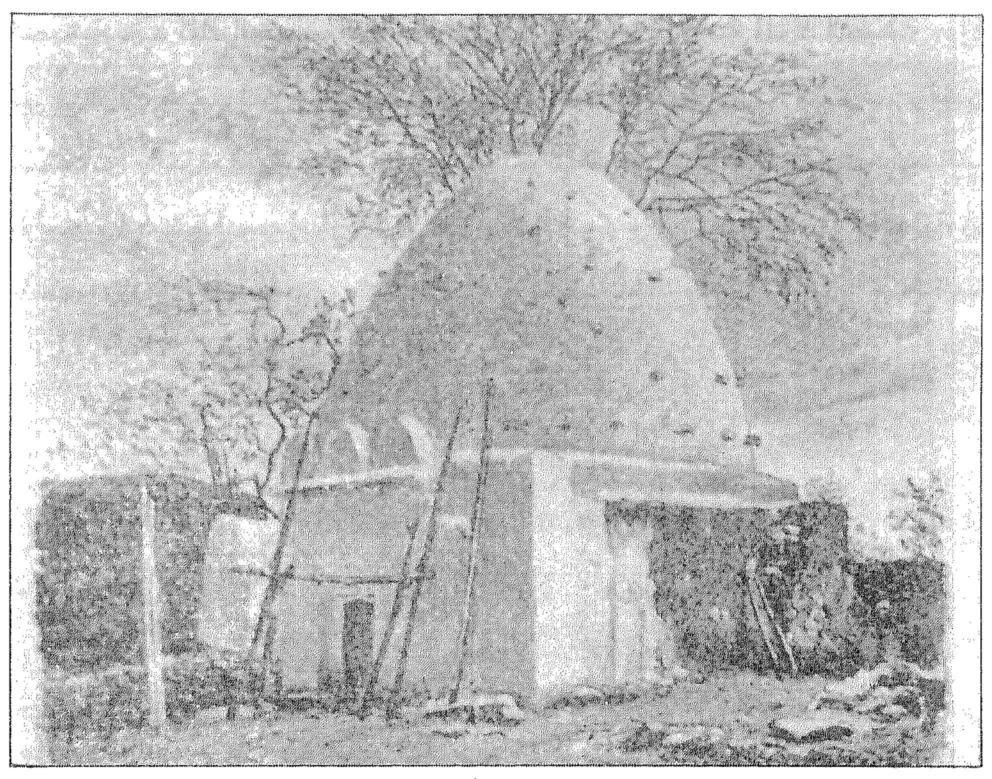
باسم (حضرى) وهى متأثرة كثيرا باللغة العربية ولاسيما فى مجال المفردات لكونها منذ الأمد البعيد الإمارة الإسلامية الأولى فى الحبشة ، وتكتب لغتها بالحروف العربية ·

ضعف إمارة هـرر :

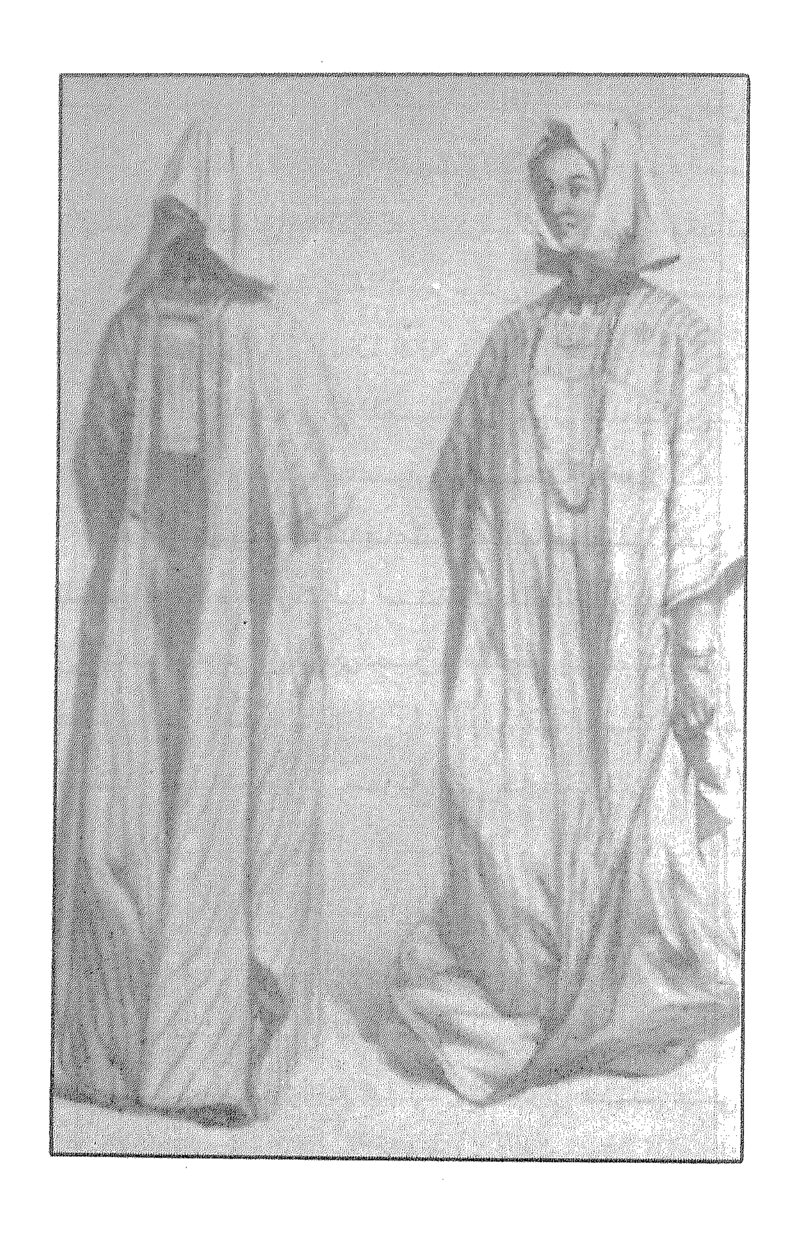
وكان قد انتهى مجد سلطنة هرر الإسلامية بعودة الأمير المجاهد عام ١٥٦٨م – ٩٧٥ هـ ، والتى كان قد اتخذها المسلمون مقرا لهم عام ١٥٢٠م الموافق ٩٢٦ هـ · ومنهم الإمام أحمد بن إبراهيم الشهير بجيران · وبعد هذه الإمارة انسحب من بقى منهم إلى زيلع على الساحل الشرقى من بلاد الدناكل (عفر) واتخذوا مدينة (أوسا) مقرا لهم · حيث انتهت مقاومتهم لملوك وأباطرة الحبشة بعد تلك الحروب الطاحنة، وتوقفوا عن أى مقاومة لملوك الحبشة – إلا فى فترات متقطعة – الطامعين فى توسيع ملكهم بهذه البلاد ، والذين استعانوا بالبرتغاليين لتزويدهم بالأسلحة المطورة آنذاك · وأمام هذا التحالف الأجنبى استسلمت إمارة هرر أمام هذه الجيوش المتحالفة · ولقد أقام المسلمون فى هذه الإمارة ثلاثة قرون متتالية نشروا خلالها لغة التوحيد والعدل فى أرجاء جميع السلطات الإسلامية التى شهدتها الحبشة ·


Emir Abdallahi, ruler of Harar from 1885 to 1887 (Paulitschke 193)

الأمير عبد الله حاكم هرر



ضريح في هرر



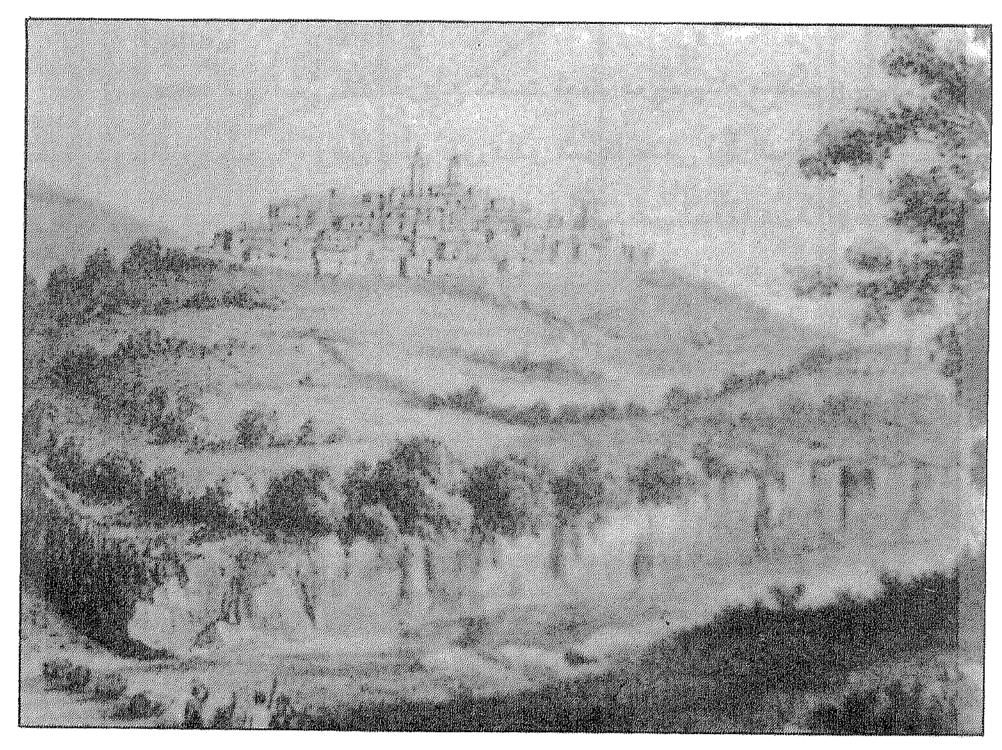
صورة لفتاتين من بنات عرقبة

إمارة جما الإسلامية :

كانت مقاطعة جما فى الجنوب الغربى الحبشى التى يسكنها قبائل أرمو (جالا) إمارة وثنية، فقد أسلم أهلها فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادى فأصبحت سلطنة إسلامية ملكها السلطان محمود بن داود المشهور (بأبى حفار) أى صاحب الحصان الكميت والتكينى- وهذه أسماء للخيل - وهما من الألقاب التى يفخر بها الأبطال عند قبائل أرومو ، وقد تولى حكمها أبو حفار فى عام ١٢٩٥ هـ الموافق ١٨٧٨م ،وكان على علاقة حسنة مع حكومة الحبشة ومساعدا لها فى إدارة البلاد الخارجية ٠ وكانت إمارة جما من أغنى المناطق فى الحبشة ، وكانت ملجأ للمسلمين مثل سلطنة أوسا التى كانت تميل للأمن والاستقرار والدعوة باعتبارها السلطنة الإسلامية التى بقى لها استقلالها ٠ وقد طمع فيها منليك فاعتدى عليها وأدخلها تحت حمايته عام ١٢٩٨ هـ الموافق ١٨٨١م ، تاركا لها استقلالها الداخلى على أن تكون وراثية فى ذرية أبى حفار، على أن تؤدى جزية سنوية إلى حكومة أديس أبابا ٠ وبسقوط هذه المملكة الإسلامية الظاهرة لم يبق فى الحبشة سلطنة إسلامية مستقلة باستثناء سلطنة أوسا العفرية التى حافظت على استقلالها الذاتى لقرون طويلة ، بعد أن كانت الممالك الإسلامية فى الحبشة كثيرة وكان لكل واحد منها جيش خاص وإدارة واستقلال داخلى ٠ وكان العلماء الصالحون من شتى البلاد العربية يأتون إلى تلك الإمارات الإسلامية فى الحبشة لإرشاد أهلها ونشر الدعوة الإسلامية فيها والإقامة بها حتى اختلطوا بقبائل تلك البلاد وامتزجوا فيها وتصاهروا مع أهلها ، ولا يزال منهم حتى الآن بعض الأسر العربية المحافظة على عاداتهم وتقاليدهم العربية مثل قبائل (عرقبا) التى قدمت من سوريا ، وهذا يظهر فى لبسهم وعاداتهم وتقاليدهم العربية القديمة ٠



الأمير أحمد بن أبو بكر حكم من ١٨٥١ - ١٨٦٦



قلعة هرر فى القرون الوسطى

وبلاد الزيلع والحبشة تقع الآن فيما يسمى بمنطقة القرن الإفريقى التى تضم دول : إثيوبيا ، إريتريا ، الصومال ، جيبوتى (١) ٠

وطبيعى أن هذه الأسماء لم تكن كلها معروفة فى العصور الوسطى ٠ فقد كان هناك ما يعرف عند العرب والمسلمين باسم الحبشة التى حرفها البرتغاليون إلى كلمة Abyssinia ، وهناك بلاد الزيلع التى نشأت فيها ممالك الزيلع الإسلامية ٠

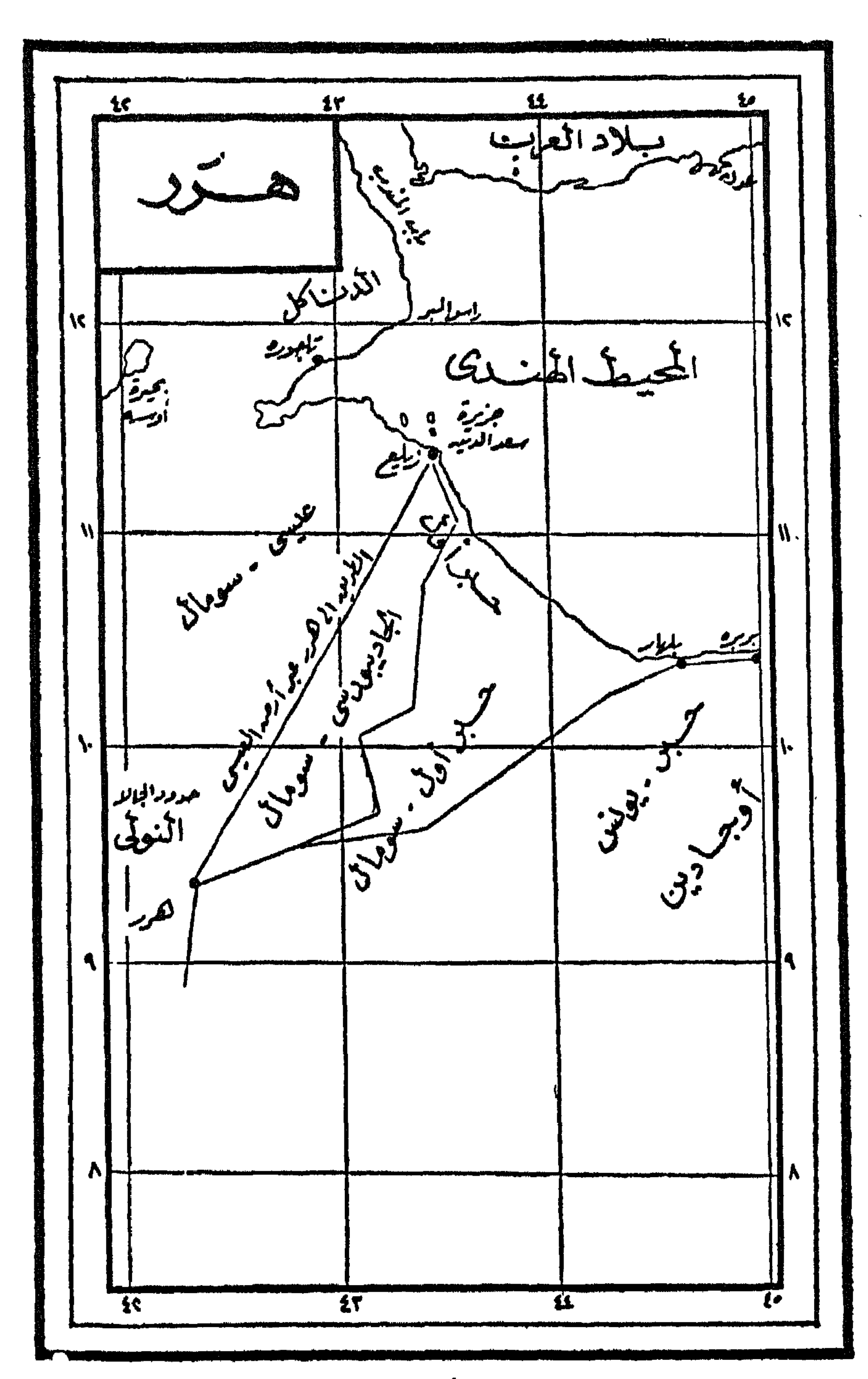
وعلى ذلك فإن الهضبة الشرقية لدولة أثيوبيا الآن بما فيها منطقة هرر وأروس وبالى ومنطقة الأوجادين كانت جزءا من بلاد الزيلع الإسلامية فى العصور الوسطى ٠ وكذلك الأقاليم الإثيوبية الحالية التى تشمل سلطنة أوسا وبيرو وجزءا كبيرا من جنوب إريتريا يقع شمال الهضبة الشرقية وشرق الهضبة الحبشية ، كانت أيضا كلها ضمن بلاد الزيلع الإسلامية (٢) ٠

وبتحديد أدق فإن بلاد الزيلع كانت تمتد من ميناء مصوع شمالا إلى إقليم الأوجادين جنوبا ، ومن رأس غوردافو شرقا حتى أطراف الهضبة العربية غربا ٠ بل إن الدولة الإسلامية امتدت لتشمل بعض أجزاء هذه الهضبة فيما كان يعرف بسلطنة شوا الإسلامية التى كانت تقع فى الجزء الشرقى من هضبة شوا حيث تقع مدينة أديس أبابا الآن وتشمل أيضا ما كان يعرف

---

(١) انظر خريطة رقم (١) التى تبين حدود الحبشة والإمارات الإسلامية فى القرن ١٣ ، ١٤ ، ١٥م ، وهى مأخوذة من كتاب رجب محمد عبدالحليم : العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى ٠

(٢) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٥ ، القاهرة ، ص ١٣ ٠



هذا الرسم عمل بالاستعانة بالخريطة التى وضعها الرحالة «بيرتون»
وبخريطة أركان حرب الجيش المصرى التى وضعت بعد فتح هرر
(موضح بها موقع كل من تاجورة، زيلع، بلهار، بربرة - والطرق المؤدية
من هذه الموانى لهرر والقبائل الموجودة فى هذه الجهات

بمملكة هدية ومملكة شرفا الإسلاميتين الواقعتين جنوب هضبة شوا فيما يعرف الآن بإقليم جالا تلما وجوراجيا وكمباتا (١) ٠

وقد عبر المؤرخون القدماء عن هذه الحدود بوضوح، فقال القلقشندى أن بلاد الزيلع هى « البلاد المقابلة لبر اليمن على أعالى بحر القلزم «البحر الأحمر» ، وما يتصل به من بحر الهند «المحيط الهندى» ٠ ويعبر عنها باسم الطراز الإسلامى لأنها على جانب البحر كالطراز له » (٢) ٠وقال العمرى إن «هذه البلاد يقال لها بمصر والشام بلاد الزيلع ٠٠ وأن طولها برا وبحرا خاصا بها نحو شهرين وعرضها يمتد أكثر من ذلك (٣) ٠ وقال المقريزى إن جبرت (أوفات) من أرض زيلع ، وإن إقليم هدية من بلاد الزيلع (٤)٠ وجبرت فى شرق البلاد وهدية فى أقصى حدودها الغربية جنوب أديس أبابا الحالية ٠

وهكذا حدد القلقشندى موقع بلاد الزيلع ، وحدد العمرى طولها وعرضها ، وهو طول وعرض يتناسب مع الحدود التى وردت لتلك البلاد ، وأشار المقريزى إلى أقصى حدودها الغربية وهى مملكة هدية الإسلامية التى كانت تقع غرب الأخدود الإفريقى (٥)٠

ويقول الدكتور رجب محمد عبدالحليم :

« وكان سكان بلاد الزيلع الإسلامية يتكونون من عناصر حامية وعربية٠ وأغلب هذه العناصر الحامية هى ما يعرف بقبائل الصومال والجالا

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥ ٠

(٢) صبح الأعشى : حـ ٥ ، ص ٣٢٤ ٠

(٣) مسالك الأبصار ، حـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٧٧ ٠

(٤) المقريزى : الإلمام بمن فى الحبشة ، ص ٣ ، ٩ ٠

(٥) رجب محمد عبدالحليم « دكتور» : مرجع سابق ، ص ١٦ ٠

« أرومـوا » والعفـر أو الـدناكل · وكـان العفـر يرتكزون شـمـال نهر أواشـى ، والصـومـال والجالا يرتكـزون جنوب هذا النهر وفى الهضبـة الشرقـية لإثيـوبيا الآن · وتلك الشعـوب التـى تكونـت منها الإمارات الإسـلامية فى تلك الفـترة – من العفر والصـومال والجالا – أطلق عليها اسم « الزيلع » أو الزيالعة ·

ولم يكن يجمع هؤلاء الزيالعة مملكة واحدة فى العصور الوسطى ، بل توزعوا بين عدة ممالك وسلطنات إسلامية لم تكن متحدة أو متعاونة فى معظم الأحيان ، وكان يحكم كل منها ملك مستقل (١) ·

ويقول المقريزى : « طول أرض زيلع برا وبحرا نحو شهرين » أى ٢٧٠٠ كم تقـريبا بالمقاييس الحديثة وعـرضـها أكثر من شـهـرين أى نحـو أكثـر من «٣٠٠٠ كم» (٢) · ويقول أحمد برخت ماح « ولممالك الزيلع لغات مختلفة منها هذه اللغـات : ١– أبو ، ٢– إيكا ، ٣– وريا ، ٤– سـيدامـو ، ٥– كـمبـات ، ٦– جـورجى ، ٧– هـررية ، ٨– لافـى ، ٩– الابو، ١٠– برجى ، ١١– دراسـة ، ١٢– ولامو ، ١٣– حمركوك ، ١٤– عفر (٣)·

والزيالعة مغايرون ومتـمـيزون عـمن حولهـم سواء من ناحـية اللغـة أو الدين أو العـادات والتـقـاليـد · فـهم جمـيـعا مـسلمـون وتجمـعـهم تقـريبا وحـدة الأصول والتاريخ ، وهـم يعتقدون أنهم ينتمون لسلالة معين (٤) ·

---

(١) العمـرى : مسالك الأبصار ، حـ ٢ ، ق ٣ ، ورقة ٤٧٧ · والقلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٥ ، ص ٢٣٥ ·

(٢) المقريزى : الإلمام ، مرجع سابق ·

(٣) أحمد برخت ماح : وثائق عن الصومال – الحبشة – إريتريا ، القاهرة ١٩٨٢ ، الطبعة الأولى ، ص ٥٦·

(٤) محمـد عبدالغنى سعودى « دكتور » : إفريقيا دراسة لشخصية الأقاليم ، القاهرة ١٩٧٦ ، الأنجلو المصرية ، ص ٢٨٠ ·

ويقول سبى : « إن انتشار الإسلام لم ينحصر فى السواحل الإريترية بل امتد عبر إريتريا إلى داخل الحبشة حتى تألفت سبع ممالك إسلامية عربية عرفت ببلاد الطراز الإسلامى (١) ٠

ويمضى أيضا « صبح الأعشى عن مسالك الأبصار » فى وصف بلاد مسلمى الحبشة واصفا إياها بالطراز الإسلامى لأنها على جانب البحر كالطراز له وهى البلاد التى يقال لها بمصر والشام بلاد الزيلع (٢) ، والزيلع إنما هى قرية من قراها ، غلب عليها اسمها ٠

تكوين الإمارات الإسلامية السبع فى القرن الإفريقى :

وعندما جاء القرن السابع الهجرى وجدت فى تلك البلاد سبع إمارات إسلامية زاهرة بالعلم والتقوى ترفرف العدالة الإسلامية والمساواة الحقيقية عليها ، وكانت ذات مساجد وجوامع تقام فيها صلاة الجماعة ، وكانت على جانب عظيم من السعادة والرخاء ٠ وهذه الممالك السبع هى إيفات ، وروره ، أربين ، هدية ، شرفة ، بالى ، دارة ٠ وقد امتدت من زيلع فى الساحل الصومالى فى خليج عدن حتى قلب شوا « إيفات » وإلى بحيرات عروسى ، وجاء تفاصيل ذكرها فى كتب التاريخ العربية مثل كتاب « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمرى ، وكتاب الإلمام بمن فى الحبشة من ملوك الإسلام للمقريزى (٣) ٠

---

(١) عثمان صالح سبى : مرجع سابق ، ص ١٢٠ ٠

(٢) فتحى غيث : مرجع سابق ، ص ٨٦ ٠

(٣) عثمان صالح سبى : تاريخ إريتريا ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ١٩٨٤، ص ١٢٠ ٠



المقاطعات الاسلامية فى عهد عمدا سيون

(١٣١٤ - ١٣٤٤م)

(ص ١٦ الإسلام فى أثيوبيا - ترمنجهام)

١ - إمارة إيفات الإسلامية :

وتنسب هذه السلطنة إلى اسم عاصمتها وهى مدينة أوفات التى كانت تسمى أيضا مدينة جبرة أو جبرت ، والتى كانت تعتبر من أكبر مدن منطقة القرن الإفريقى ، وهى على مسافة عشرين مرحلة غرب مدينة زيلع (١) ٠

ومملكة إيفات الإسلامية كانت أوسع الممالك الإسلامية السبع فى الحبشة ٠ ويقول العمرى : « ليس بأوفات سكة تضرب بل كانت معاملاتهم بدنانير ودراهم مصرية الواصلة إليهم فى صحبة التجار وكان أمراؤها من العرب المهاجرين » ٠ ويقول المقريزى : « إن مملكة إيفات أسسها قوم من قريش ، ومنهم من يقول هم من بنى عبدالدار ، ومنهم من يقول إنهم من بنى هاشم ، ثم من ولد عقيل بن عبدالمطلب قدم أولهم من الحجاز ونزل أرض (جبره) التى عرفت فيما بعد باسم جبرت » (٢) ، هى من أرض زيلع واستوطنوها ٠ وكانت هذه السلطنة أوسع ممالك الزيلع أرضا ، فقد كان طولها يبلغ مسيرة خمسة عشر يوما وعرضها مسيرة عشرين يوما بالسير المعتاد (٣) ٠ وكانت تشمل ما يعرف الآن بجيبوتى والجزء الجنوبى من إريتريا وسهول الدناكل وتمتد جنوبا وتضم الجزء الشرقى من حوض نهر أوشى ، والهضبة الصومالية بما فيها منطقة هرر والأوجادين ، وتمتد شرقا لتشمل جزءا كبيرا مما يعرف الآن بالصومال الشمالى بما فيه من موانى زيلع وبربر ، ويمكن وضع هذه المساحة الواسعة بين خطى عرض ٨° ، ١٥° شمال خط

---

(١) رجب محمد عبدالحليم «دكتور» : مرجع سابق ، ص ١٧ ٠

(٢) العمرى : مسالك الأبصار ، مرجع سابق و جـ ٢ ، ق ٣ ٠

(٣) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ١٧ ٠

الاستواء وبين خطى طول ٤٠° ، ٤٦° شرقا (١)٠

وعلى ذلك فقد كانت سلطنة أوفات تسيطر على مدخل البحر الأحمر من الجنوب الغربى وتقابل بلاد اليمن ، وهى بذلك أقرب بلاد الزيلع إلى مصر (٢) ٠

وكانت ذات قوة عسكرية لا بأس بها ونظرا لاحتواء هذه السلطنة على جزء كبير من وادى نهر أواشى وعلى جزء كبير من الهضبة الصومالية ، فقد توفر لديها قدر من الأرض الخصبة والمياه اللازمة للزراعة بما يكفى حاجة السكان ٠ وقد هيأ لها ذلك الوضع الاقتصادى زعامة دولة الزيلع الإسلامية وتحمل أعباء الكفاح والجهاد ضد الحبشة ، كما هيأ لها موقعها الاستراتيجى الممتاز أن تكون حلقة وصل بين ممالك الزيلع الإسلامية الأخرى وبين دول العالم الإسلامى المختلفة وخاصة فى مصر والحجاز واليمن (٣) ٠

وكانت هذه الإمارة عامرة بالقرى ، ويكثر فيها المطر ليلا فى الغالب، ويمر بها نهر صغير فى إيفات، ولها قلعة على تل دار للملك ٠ وبهذه المملكة عدة مدن أخرى ومن خيراتها الفواكه وقصب السكر ٠ وكانت هى أوسع ممالك الزيلع أرضا، وكانت تملك ١١٥ ألفا من الفرسان وأهلها يتكلمون اللغة العربية، بجانب لغتهم المحلية (٤) ٠

ومما زاد من أهمية إيفات موقعها الجغرافى فى المنحدرات الشمالية

---

(1) The Atlas of Afriva, P. 227 .

(٢) العمرى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ورقة ٤٧٨٠

(٣) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ورقة ٤٨٥ ٠

(٤) انظر فى ملاحق الكتاب الجدول الخاص بسلاطين أوفات ، نقلا عن كتاب الدكتور رجب محمد عبدالحليم ، ص ٢٦٠-٢٦١٠

الشرقية لهضبة الحبشة (شوا) وهى منطقة كانت تمر بها أهم طرق القوافل من زيلع إلى أقاليم الحبشة الوسطى وكان نفوذها يمتد إلى زيلع مما جعل العمرى يقول : « إن من يملك إيفات يحكم زيلع » ٠

سلطنة عدل : ADAL

كانت عدل ضمن أقاليم سلطنة أوفات حتى عام ٨٠٥ هـ - ١٤٠٢م وكانت تعرف باسم « عدل الأمراء » (١) ٠وعندما سقطت دولة أوفات قامت بدلا منها دولة عدل بقيادة نفس الأسرة التى كانت تحكم أوفات وكانت هذه السلطنة الجديدة أقل من سلطنة أوفات السابقة فى المساحة والقوة العسكرية والاقتصادية ٠

فقد كانت تشمل الأرض الواقعة بين ميناء زيلع وهرر وتمتد جنوبا لتشمل جزءا مما يعرف الآن بالصومال الشمالى وإقليم الأوجادين ٠ ويمكن وضع مساحة هذه السلطنة بين خطى عرض ٨° ، ١٢° شمالا وخطى طول ٤٢° ، ٤٨° شرقا (٢) ٠

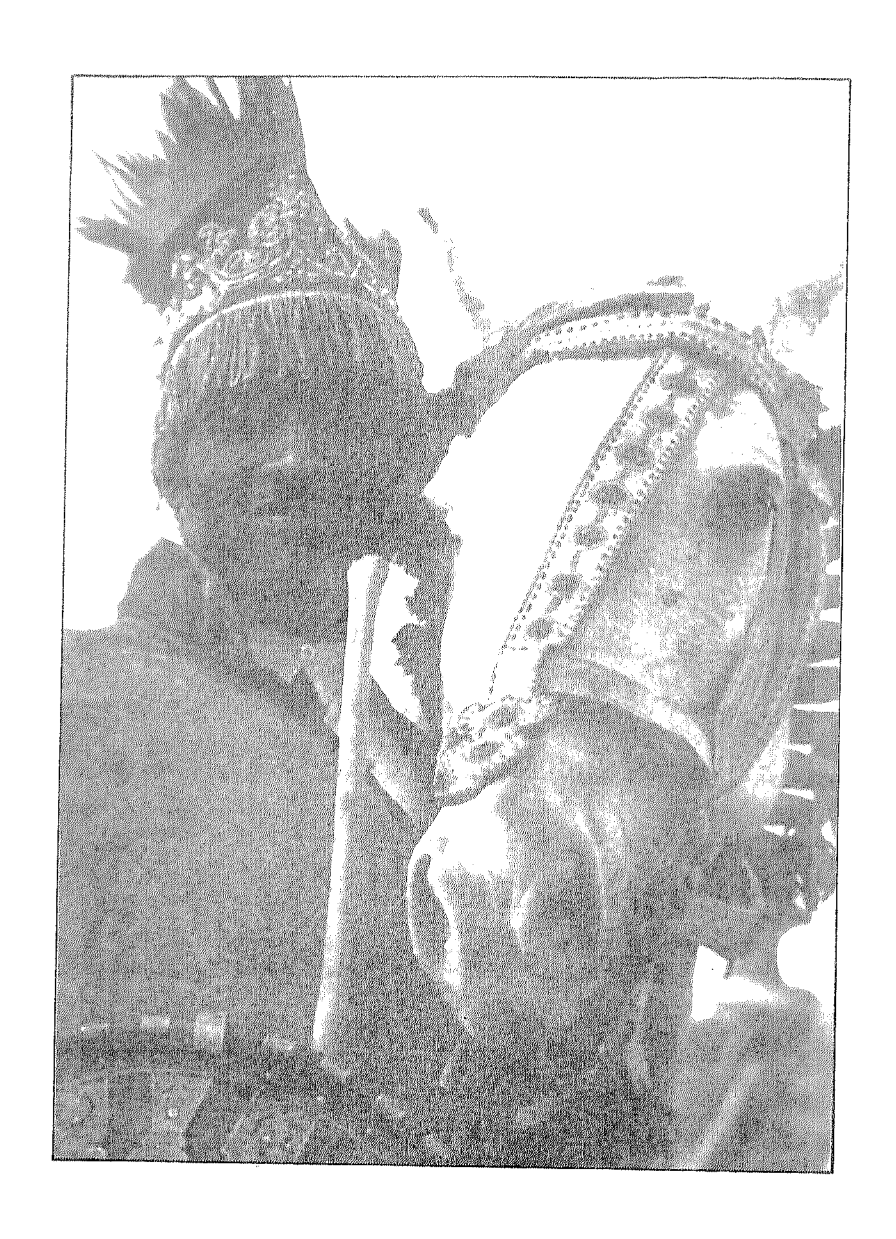
وقد أخذت هذه السلطنة اسمها من ميناء عدل الذى كان يقع على رأس خليج تاجورة قرب جيبوتى الحالية وكانت عاصمتها تسمى دكر (٣) حتى عام ٩٢٧ هـ /١٥٢١م عندما انتقلت العاصمة إلى مدينة هرر فى عهد السلطان أبو بكر بن محمد ٠

---

(١) العمرى : نفس المصدر السابق ، ق ٣ ، ورقة ٤٨٥ ٠

(٢) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ١٩ ٠

(٣) المقريزى : الإلمام ، ص ١٤ ٠



أحد قادة الأحباش

وبخلاف دكر وهرر كانت سلطنة عدل تشمل عددا آخر من المدن المهمة مثل مدينة زيفه وكداد وزعلكة وهوبت ومشمنجو دوسيم وبها نهر يسمى نهر شيخ (١) .

وقد توسعت هذه السلطنة فى عهد السلطان عمر الدين بن عمر من ذرية سعدالدين والإمام أحمد بن إبراهيم الغازى حتى ضمت كل ممالك الزيلع الإسلامية ومعظم أقاليم الحبشة المسيحية على الرغم من أنها كانت فى بدايتها أقل مساحة وقوة من سلطنة أوفات ، ولكن اتساعها على هذا النحو لم يستمر طويلا أمام الهجوم البرتغالى الحبشى كما سيأتى القول ، إذ هزمت تلك الدولة عام ٩٤٩ هـ /١٥٤٣م وانكمشت حدودها لتصبح دويلة صغيرة بين هرر وسواحل زيلع والصومال (٢) .

وكانت سلطنة عدل (٣) قد هاجمت الأحباش فى عهد دنجل بقيادة الأمير محفوظ حاكم زيلع ولكنه هزم وقتل سنة ١٥١٦ م واجتاح دنجل السلطنة وخيل إليه أن الخطر قد زال ، ولكن عدل سرعان ما استرجعت قوتها بفضل الأمير أحمد بن إبراهيم الذى سوف يأتى ذكره فيما بعد ، والذى ما كاد يطمئن على مركزه فيها حتى ضم العفريين والصوماليين فى قوة ضاربة كبيرة وتمكن من أن ينزل بالإمبراطور هزيمة كبيرة فى عام ١٥٢٩ (٤) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩ – ١٤ .

(2) Jones Monrie, Op, Cit., P. 85 .

(٣) راشد البراوى : « دكتور » الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٥٢ .

(٤) انظر فى ملاحق الكتاب الجدول الذى يبين سلاطين عدل الإسلامية : نقلا من كتاب الدكتور رجب محمد عبدالحليم «العلاقات بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى » ، ص ٢٦٠ – ٢٦١ .

٣ - إمـــارة هديـــــة الإسلامية Hadya :

وتقع هدية جنوب إقليم شوا وإقليم الداموت وشمال إقليم كمباتا ، وغرب البحيرة التى تسمى الآن بحيرة Zway التى سماها عرب فقيه باسم نهر زواى (١) ٠

وكانت مساحتها تبلغ مسيرة ثمانية أيام طولا وتسعة أيام عرضا (٢) ، وهى أقل مساحة من سلطنة أوفات، فقد بلغ عدد فرسانها أربعين ألفا، وعدد مشاتها أكثر من ضعف هذا العدد ٠ ومع هذه القوة العسكرية فقد وقعت هدية تحت نفوذ الأحباش منذ وقت مبكر وخاصة بعد ضعف سلطنة عدل ، وصار ملوكها يدفعون الجزية لملك الحبشة أو إثيوبيا الحالية (٣) ٠

٤ - إمارة الدوارو الإسلامية (٤) :

تقع إمارة دوارو جنوب شوا وإلى الغرب من إيفات ، حيث تحد إيفات على الشاطئ الأيمن لنهر أواشى ثم تمتد جنوبا إلى نهر وابى الذى يحد الحدود مع إمارة بالى وهى المنطقة المعروفة الآن باسم عروس وعاصمتها مدينة « دكار» ويبدو أن هذه الإمارة كانت فى الإقليم المعروف الآن باسم « درداوة » على الخط

---

(١) عرب فقيه : فتوح الحبشة ، ص ٢٨٠ ٠

(٢) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ٢٥ ٠

(٣) الحبشة وإثيوبيا : يقول جون جنتر : « إن كلمة إثيوبيا » يونانية الأصل ومعناها « وجه منحرق » ومعظم الإثيوبيين يكرهون الاسم القديم المتوارث وهو « الحبشة » لأن هذه الكلمة من أصل عربى ومعناها « الخليط » ٠

(٤) وقد ذكرها العمرى باسم دوارو وذكرها عرب فقيه باسم دواروا ٠
انظر : مسالك الأبصار ، حـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٨١ للعمرى ، فتوح الحبشة لعرب فقيه ، ص ٢٤ ، ٢٦ ٠

الحديدى الذى يربط أديس أبابا بميناء جيبوتى • وتتشابه ظروف الحياة فيها مع إخواتها من الممالك الإسلامية السابقة ، وإن كانت مساحتها أقل (١) •

فقد ذكر العمرى أن طولها يبلغ مسيرة خمسة أيام وعرضها مسيرة يومين ، ورغم ذلك فقد كانت تملك جيشا قويا لا يقل عن جيش أوفات فى عدد الفرسان والمشاة (٢) • وتميزت أيضا باحتوائها على عدد كبير من المدن ، مثل مدينة ونباريه وكحل وبرى وزميت ورهرق•

٥ – مملكة فطجار Fatagar :

كانت هذه المملكة تقع حول الجزء الأوسط من نهر أواشى فى شماله وجنوبه ، وكان نصفها الشمالى يمتد شمالا حتى يصل قرب مدينة لابلابلا (لاليبالا الحالية) (٣) •

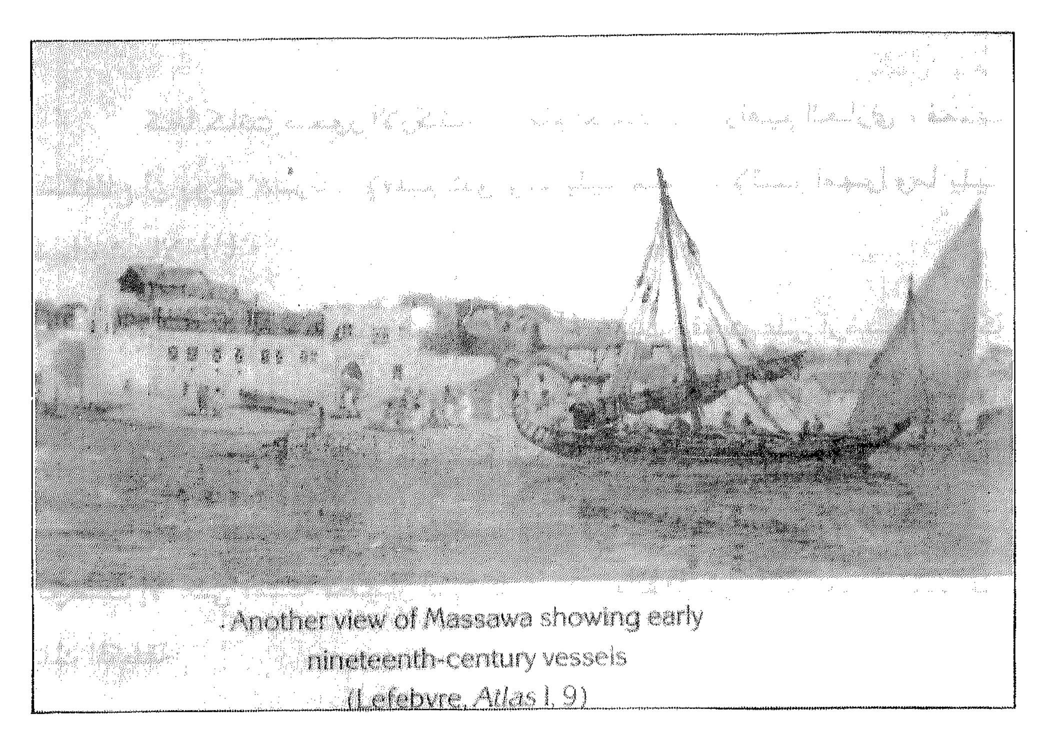
وهو بذلك يفصل بين سلطنة أوفات وبين إقليم أمحرا (أمهر) وشوا • أما نصفها الذى يقع جنوب نهر أواشى ، فقد كان يتصل بمعظم الممالك الإسلامية التى تقع جنوب هذا النهر • كما يحده من الشرق سلطنة عدل وإقليم هرر ، ومن الغرب مملكة هدية وشرفة ومن الجنوب الشرقى مملكة دوارو ، ومن الجنوب الغربى مملكة بالى وعلى ذلك فقد كانت هذه المملكة تمثل أهمية كبيرة لملكة الحبشة ، فهى تقع فى قلب الممالك الإسلامية ومن يسيطر عليها يستطيع أن يوجه ضرباته إلى تلك الممالك •

---

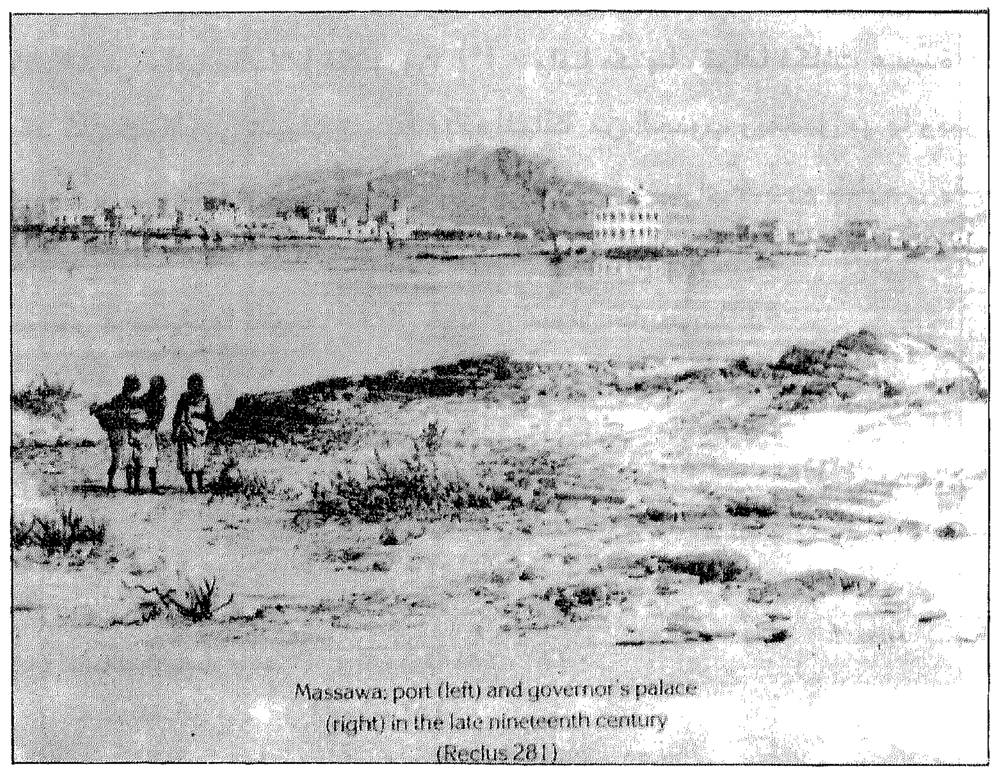
(١) العمرى : مرجع سابق ، حـ ٣ ق ٣ ورقة ٤٨٠ ، ٤٨١ •

(٢) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ٢١ •

(٣) عرب فقيه : نفس المصدر، ص ٢ ، ٣ •



Another view of Massawa showing early nineteenth-century vessels (Lefebvre, *Atlas* I, 9)



Massawa: port (left) and governor's palace (right) in the late nineteenth century (Reclus 281)

منظرين لميناء مصوع القديم فى العصور الوسطى

كما كانت محور الاركتاز للإمام أحمد بن إبراهيم الغازى ، فمنها استطاع أن يوجه ضرباته لإقليم شوا وما يليه جنوبا ولإقليم أمهرا وما يليه غربا وشمالا (١) ٠

وقد ورد ذكرها عند عرب فقيه (٢) ،حيث وقعت على أرضها المعركة الشهيرة التى تسمى معركة شمبر كورى والتى كانت أول نصر كبير لمسلمى الزيلع على نصارى الحبشة عام ٩٣٥ هـ /١٥٢٩م (٣) ،كما ورد ذكرها عند العمرى حيث قال : أرابيين تقع بين دوارو وبين هدية (٤) ٠ ولا ينطبق هذا الوصف إلا على مملكة فطجار التى كانت تقع بالفعل فى زمن عرب فقيه فى تلك المنطقة ٠

وكانت مملكة فطجار مملكة قوية ، فعدد فرسانها لا يقل عن عشرة آلاف فارس ، أما مشاتها فكثيرون (٥) ٠ وأما مدنها وقراها فكانت عديدة ٠ وقد كان نهر الوبى شبيلى يحيط بهذه المملكة من الجنوب ويفصل بينها وبين مملكة بالى ، كما هيأ لها فرصة الدفاع والمقاومة ضد أى هجوم خارجى يقع عليها بسبب هذه الطبيعة الجغرافية وما فيها من أنهار عديدة كانت تشكل حواجز طبيعية لها تأثيرها الفعال ضد أى عدوان خارجى (٦) ٠

---

(١) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ٢٠ ٠

(٢) عرب فقيه : مرجع سابق ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ٠

(٣) المصدر السابق ، ص ٦١ – ٧٣ ٠

(٤) مسالك الأبصار : حـ ٢ ، ق ٣ ، ورقة ٤٨١ ، ٤٨٢ ٠

(٥) المصدر السابق ، حـ ، ق ٢ ، ورقة ٤٨٢ ٠

(٦) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ٢١ ٠

٦ – مملكــة بالــي الإسلاميـــة :

كـانـت مملكة بالى تقـع جنوب مملكة فطـجـار ويفـصـلـها عـن مملكة دوارو نهر وبى شـبـيلى ، وتقع فيها منابع وروافد نهـر جوبا الذى ينحدر جنوبا حتى يصب فى المحيط الهندى جنوبى بلاد الصومال ٠

وقد أشـار عرب فقـيه إلى أحـد روافد هذا النهر وسـماه نهـر (ونبات) وقال عنه أنه كبير كثـير الماء مثل وبى شـبيلى [١] ٠ وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن مسـاحتها مسيرة عشـرين يوما طولا وسـتة أيام عرضـا ، كما أشاروا إلى غناها ووفرة خيراتها وطيب هـوائها وخصـب أراضـيها [٢] ٠

وعلى ذلك فـقد كـانت هذه المملكة تشـمل أرضـا واسـعة تمتد بين نـهر وبى شـبيلى ونهـر جوبا وروافده ٠

وقد كـان سـكانها كثـيرين وجيـشـهـا كبيـر العدد ، إذ بلـغ عدد فـرسانه ثمانية عـشـر ألف فارس، وكان مشـاتهـا أكثر من ذلك [٣] ٠ وقد تضـمـنت هذه المملكة التى تسـمى الآن باسم إقليم أو مدينة بالى عددا كبيرا من المدن ٠

٧ – مملكــة شرخــــة :

كانت المملكة تـقع جنوب مملكة هـدية ، كما كـانت مساحـتها مـحدودة وضـيـقـة، فطولهـا يبلـغ مـسـيـرة ثلاثة أيام وعـرضـهـا مـسـيـرة أربعـة أيام [٤]٠ وكـان جـيـشـهـا يتكـــون من ثلاثـــة آلاف فـــارس وضـعـف هـــذا الـعـدد من

---

(١) محمد عرب فقيه : فتوح الحبشة ، ص ٩٩ ٠

(٢) العمرى : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ورقة ٤٨٢ ٠

(٣) العمرى : نفس المصدر ورقة ٤٨٣ ٠

(٤) نفس المصدر ، ص ٤٨٣ ٠

المشاة· وكانت كأخواتها دواروا وآرابيت فى بقية أحوالها من الزى والمعاملة والحبوب والفواكــه والبقول وسائر ما لهم وما عليهم (١) ·

قد تحدثت فى هذا الفصل عن الممالك الإسلامية التى كانت تعيش فى تلك المنطقة منذ انتشار الإسلام فى القرن الإفريقى ، وهذه الممالك المذكورة لها علاقة وثيقة وقوية مع العفر بل بعض السلطنات كانت تتكون من الشعب العفرى حيث كان يطلق عليها بلاد الزيلع الإسلامية · وقد تحدثنا عنها بالتفصيل ، عن موقعها ومساحتها وقوتها العسكرية وبعض مدنها وأنهارها ومحاصيلها وطبيعتها الجغرافية باعتبار هذه الممالك لها صلتها بالقومية العفرية فكان لابد من ذكرها فى هذا الفصل لأن شعوب هذه المنطقة كانت تواجه نفس المصير المشترك من الظلم والاستعباد من جانب أباطرة إثيوبيا فى تلك الفترة ·

ومما هو جدير بالملاحظة أن المؤرخ الكبير القلقشندى أضاف إلى ممالك الزيلع جزر دهلك ومدينة عوان المواجهة لبلاد اليمن وكذلك سلطنة مقديشيــو (٢) ·

باعتبار كل هذه البقاع كانت تدين بالإسلام ، ويعيش أهلها فى منطقة القرن الإفريقى وينتمى سكانها لنفس العناصر التى ينتمى إليها سكان بلاد الزيلع (٣) والعفر ، ولم تكن بعض ممالك الزيلع تعيش هى الأخرى حياة الاستقلال فى كثير من الأحيان · فقد كان الأحباش يبادرونها بالغزو والقتال

---

(١) فتحى غيث : مرجع سابق ، ص ٨٧ ·
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ص ٣٣٥ – ٣٣٦ ·
(٣) دائرة المعارف الإسلامية : جـ ٢ ، ص ٢٩ ·

والهجوم والاضطهاد ، ويفرضون عليها سيطرتهم وإن كانوا يبقون حكمها فى يد أسرات مسلمة تتوارث الحكم فيها تحت المظلة الحبشية (١) .

ويقول القلقشندى نقلا عن (مسالك الأبصار) إن جميع ملوك هذه الممالك وإن توارثوها ، لا يستقل منهم بملك إلا من أقامه سلطان أمهرا «النجاشى أو الحطى » وإذا مات منهم ملك ومن أهله رجال قصدوا إلى سلطان أمهرا ، وتقربوا إليه جهد الطاقة ، فيختار منهم ملك يوليه (٢) .

ثم قال : وهذه الممالك السبع ضعيفة البناء قليلة الغناء ، لضعف تركيب أهلها وقلة محصول بلادهم وتسلط النجاشى سلطان أمهرا عليهم، مع ما بينهم من عداوة الدين .

ثم حكى عن الشيخ عبدالله الزيلعى وغيره : أنه لو اتفقت هذه الملوك السبعة واجتمعت ذات بينهم ، قدروا على مدافعة الخطى أو التماسك معه ولكنهم مع ما هم عليه من الضعف وافتراق الكلمة بينهم تنافس .

ويمضى القلقشندى فيقول : « وقد أتى الحطى ملك الحبشة النصارى على معظم هذه الممالك بعد الثمانمائة « القرن الرابع عشر الميلادى » وقتل أهلها وحرق ما بها من المصاحف ، وأكره الكثير منهم على الدخول فى دين النصرانية » (٣) .

---

(١) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ٢٧ .

(٢) فتحى غيث : مرجع سابق ، ص ٨٨ .

(٣) القلقشندى : صبحى الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٣٣٥ .

لكن هذا الوضع قد تغير منذ القرن الخامس عشر الميلادى حينما وصل سعار الصليبية إلى أقصى مداه فى نفوس الأحباش ، فصارت بعض هذه الممالك تحكم بواسطة حكام من النصارى الأحباش كان يرسلهم ملك الحبشة ، ويدعم حكمهم بحاميات عسكرية حبشية قوية كانت تقيم فى تلك الممالك الإسلامية ، مما دفع هذه الممالك إلى القيام بأكبر حركة للجهاد ضد الأحباش فى النصف الأول من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى٠ وسوف يتضح لنا ذلك عند حديثنا عن الصراع الذى نشب بين هرر وإمامها أحمد بن إبراهيم (جرن) وبين ملك الحبشة (لبنى دنجل) منذ عام ٩٣٤ هـ/١٥٢٧ م حتى عام ٩٤٩ هـ/١٥٤٢م [١] ٠

---

(١) انظر الجداول فى ملحق الكتاب ملوك الحبشة من الأسرة السليمانية فى العصور الوسطى ، نقلا عن كتاب العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى ، للدكتور رجب محمد عبدالحليم ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤ ٠

الفصـــل الرابـع

====

حركة جهاد الإمـام أحمد بن إبراهيم في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي

====

١ - حركـــة الجهـــاد٠

٢ - الإمام أحمد بن إبراهيم٠

٣ - نبذة موجزة عن نشأة الإمام أحمد بن إبراهيم٠

٤ - الآثار التى نتجت عن حركة الجهاد٠

٥ - ازدياد النفوذ الإسلامى من جديد٠

٦ - دور العفر والإمـام أحمـد بن إبراهيم فى نشـر الإسلام فى منطقـة القرن الإفريقى٠

٧ - أهم النتائج التى ترتبت على هذا الصراع فى الحبشة٠

١ - حركة الجهاد في بلاد الزيلع :

كان شن الحروب وما يتبعها من إبادة وتخريب وتدمير وقتل وسبى وأسر هو الأسلوب الشائع الذى لجأ إليه الأحباش والزيالعة حسما للصراع فيما بينهم ٠ وقد امتلأ تاريخ هذين الشعبين فى العصور الوسطى بتلك الحروب ، بحيث لم يخل عهد ملك حبشى من حرب أو حروب شنها واعتدائهم على بلادهم (١) ٠

٢ - نبذة موجزة عن نشأة الإمام أحمد إبراهيم :

بدأ الإمام أحمد (جران) حياته بالانتساب إلى أسرة الأمير محفوظ ، فتزوج ابنته وكسب تأييد أنصاره وتثقف ثقافة دينية غزيرة (٢)٠

الإمام أحمد بن إبراهيم هو الملقب بالأعسر ويطلق عليه أحمد جرن Gran ، ولقد كانت نشأته الأولى فى هوبات Hubat – وهى المنطقة الواقعة بين جلديسا وهرر التى أصبحت فيما بعد مركزا لعملياته العسكرية – ولقد وضعه والده تحت رعاية أحد عبيده الذين حررهم ويقال له : « عدلى أو عدولى» الذى أصبح فيما بعد من كبار مؤيديه ٠ ولقد تزوج الإمام أحمد من باتى ابنة السلطان محفوظ إمام زيلع وكسب بذلك تأييد أتباع الإمام محفوظ ٠ وصار

---

(١) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ١٣٣ ٠

(٢) حسن أحمد محمود « دكتور » : الإسلام والثقافة العربية فى إفريقية ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٤٦٤ ٠

أخيرا من قواد الأمير أبون بعد موت الأمير محفوظ ولما قتل الأمير على يد السلطان أبى بكر [1] ٠

أمضى الإمام أحمد سنواته الأولى فى صراع مع السلطان أبى بكر فى هرر، وانتهى ذلك الصراع بمقتل السلطان ، وقام الإمام أحمد بتنصيب شقيق القتيل ملكا تابعا له على هرر [2] ٠ وعندما فرغ من هذا الأمر أخذ يعمل على تحقيق الهدف الأكبر الذى شعر بأنه قد خلق له (وهو أن يكون إماما للمسلمين) ويستولى على جميع أرجاء الحبشة ٠

اتبع الإمام بعد أن سيطر على مقاليد الأمور فى هرر سياسة موفقة جمعت الناس حوله [3] ٠ فقد طبق الشريعة الإسلامية فى حكمه وخاصة فى توزيع أموال الزكاة على مستحقيها [4] ، وكان السلاطين قبله يجمعونها ويحتجزونها لأنفسهم ولبطانتهم [5] ٠ كما طبق الشريعة الإسلامية بالنسبة لأموال الغنائم ، وبهذه الأعمال كسب حب الجند وحب الفقهاء والعلماء والمشايخ ، كما كسب أيضا محبة الشعب ٠ فقد كان يجالس ويلاطف المساكين ويرحم الصغير ويوقر الكبير ، ويعطف على الأرملة واليتيم ، وينصف المظلوم من الظالم حتى يرد الحق إلى مكانه ، ولا تأخذه فى الله لومة لائم [6]٠ كما

---

(١) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ١٧٠ ٠

(٢) عرب فقيه : مرجع سابق ، ص ١٧ ٠

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧ ٠

(٤) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ١٧٠ ٠

(٥) عرب فقيه : نفس المصدر ، ص ٨٩ ٠

(٦) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » ك المصدر السابق ، ص ١٧٠ ٠

قضى على قطاع الطرق فأمنت البلاد وانصلح حال الناس وانقادوا له وأحبوه ونسجوا حوله الأساطير وقالوا عنه « لا تسموه سلطان ولا أمير ولكن سموه إمام المسلمين ٠٠ أو إمام آخر الزمان ٠٠ وأنه هو الذى يصلح الله تعالى به بلاد الحبشة » (١)٠ ولذلك اشتهر بلقب الإمام دون غيره من الألقاب، ولم يتسم باسم السلطان أو الأمير (٢) ٠

بعد أن تخلص الإمام أحمد جران من السلطان أبى بكر المناوئ له والظالم لرعيته ، وبعد أن ضمن حب الناس له ، أخذ يجمع القبائل تمهيدا للرد على الأحباش ٠ وقد ساعده على ذلك أن الحركة الإسلامية كانت قد اكتملت وأتت ثمارها بين قبائل الصومال والعفر منذ نهاية القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر من الميلاد ٠

وسرعان ما أعلن رفضه لدفع الجزية لملك الحبشة وعندئذ أصبح قيام الحرب بينهما أمرا لا مفر منه ، وعندما تحركت الحبشة واجتاحت سلطنة عدل، تصدى لها الإمام أحمد وهزمها شر هزيمة ، وعندئذ اشتعلت فى نفوس المسلمين حماسة الجهاد فى سبيل الله والتى كانت كامنة فى نفوسهم وقتا طويلا ٠ ومنذ ذلك التاريخ وانتصارات الإمام سلسلة متصلة٠ فقد استولى فى سنة ١٥٣١م على دوارو وشوا ثم الأمهرا ولاستا فى سنة ١٥٢٣م واستولى فى طريقه على السلطنات الإسلامية پالى وسيدامو وجوراجى ٠

---

(١) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : نفس المصدر السابق ، ص ١٧١

(2) The Combridge History of Islam, Vol 1. P. 385.

وقد اتسمت غزواته بالسرعة والمفاجأة والحماس والشدة وما أن جاءت سنة ١٥٣٥م حتى كان الإمام أحمد قد سيطر على وسط الحبشة وجنوبها وبدأ فى غزو مقاطعة تيجراى التى دانت له ، بالرغم مما بذلته من مقاومة عنيفة ضده ، وقد امتدت سلطته إلى شواطئ البحر من الشرق حتى مدينة كسلا من الغرب ·

لقد جمع الإمام أحمد منذ حداثة سنه بين المواهب السياسية والجندية وكان عاقدا العزم على القضاء على المملكة الحبشية، وكان هو الزعيم الذى قدر له أن يعيد إنشاء القوة السياسية والعسكرية للمسلمين فى جنوب شرق الحبشة حيث أدت فتوحاته إلى بسط سلطانه على ثلاثة أرباع أراضى المملكة الحبشية ·

وقد لد الإمام أحمد سنة ١٥٠٦م فى بلدة (دعكه) بمقاطعة هوبات Hobat فى سلطنة عدل وهو من أصل عفرى كما تؤكد المصادر العفرية · كما تشير بعض المصادر الصومالية بأنه من أصل صومالى وإن كان فى الأرجح أنه من القبائل العفرية كما تدل الشواهد على ذلك · وتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ الكبير والكاتب القدير الزميل أحمد برخت ماح الصومالى ينسبه أبا وأما إلى الصومال فى كتابه (وثائق عن الصومال والحبشة وإريتريا) (١)·

واعتمد الإمام أحمد فى جهاده ضد الأحباش على القبائل العفرية والصومالية · وكان العفر يشكلون غالبية جيشه ، ،يخلصون له إخلاصا

---

(١) أحمد برخت ماح : وثائق عن الصومال والحبشة وإريتريا ·

منقطع النظير فى الجهاد ضد الأحباش، لدرجة أن عرب فقيه وصفهم (بأنهم أهل الغزو والجهاد الأصلى المعتمد عليهم فى القتال) [١] . وخاصة بعد أن دخلت تلك القبائل فى الإسلام وانفعلت بحركة الجهاد انفعالا قويا ، وأضافت لهذه الحركة ما كانت تمتاز به تلك القبائل البدوية من قوة الشكيمة وصدق العزيمة وشدة المراس ، وأصبحت هى القوة الإسلامية الرئيسية فى منطقة القرن الإفريقى فى ذلك الوقت ، وكانت بحق عماد حركة الجهاد التى قادها الإمام أحمد بن إبراهيم ضد الأحباش [٢] .

وقد عرف الإمام أحمد بن إبراهيم بالورع والتمسك بالدين ، فاستغل الأتراك العثمانيون هذا الورع وهذه التقوى عند شيخنا الإمام وأقنعوه بأن إقامة دولة إسلامية فى الحبشة من شأنه أن يجعل البحر الأحمر بحيرة إسلامية آمنة ، وأنه إذا اقتنع الإمام بهذه الفكرة فسوف يمدونه بالمدافع والبنادق وبعض الجند لتدريب رجاله على استعمال هذه الأسلحة الجديدة .

وكما تقدم ذكره فإن الإمام أحمد بدأ بتوطيد مكانته لدى القبائل الصومالية والعفرية ، وذلك بفض المنازعات بين القبائل العفرية والصومالية وتوحيد صفوفها والعمل على مشاركتها فى الجهاد . وبالفعل أنشأ الإمام قوة ضاربة من العفريين والصوماليين تحت راية الجهاد فى سبيل الله . وكان كثير من قواد الإمام من قبائل الحرله و (المرساى) مثل الأمير مجاهد والأمير حيسمانور والجراد شمعون والجراد برهان وعلوشى بن الهجين وخالد

---

(١) عرب فقيه : مرجع سابق .

(٢) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ١٧١ .

والوردى الذى كان دليلا للإمام فى الحبشة · وكان هؤلاء القواد يتنافسون مع قواد الصومال فى سرعة الزحف عند الهجوم على بلاد الحبشة حتى وصفهم (عرب فقيه) : (بأنهم صناديد الأبطال) [1] وكان جيش الإمام أحمد إبن إبراهيم إضافة إلى العفر والصومال والعرب خاصة الحضارم الذين خاضوا معه القتال فى شجاعة نادرة وكانوا دائما فى مقدمة صفوفه وكانوا يضربون بالبنادق والمدافع ويصنعون له السفن التى يجيدون صناعتها ·

فكان يقسم جيشه إلى ثلاث فرق منظمة ووضع كل القبائل من أصل واحد فى فرقة واحدة وهى كالآتى :

١ – قبائل الحرلّـــه :

جعلها فى الميمنة وعين قائدها ابن خالته سلطان محمد ·

٢ – قبائل المرساى (العفرية) :

وهم أهل الغزو والجهاد والمعتمد عليهم فى القتال فقد جعلهم فى القلب وهو على رأسهم وأمرهم بالثبات وعدم التفرق ·

٣ – قبائل الصومال :

وجمعها فى الميسرة وعين قائدها (منان بن عثمان) [2] ·

---

(١) عرب فقيه : مرجع سابق ·

(٢) أمين توفيق الطيبى « دكتور » : الحبشة عربية الأصل والثقافة ، ليبيا – طرابلس عام ١٩٩٣ ·

وقد أدت روح الجهاد التى سيطرت على جند المسلمين إلى التفانى فى القتال ؛ لأنهم لم يكونوا يقاتلون ضد الأحباش لا بكثرة ولا بقوة بل بالعزم والصمود والعقيدة الإسلامية التى كانت تملأ قلوبهم ٠

وعلى إثر حملات متوالية قام بها الإمام فى السنوات الست التالية، تمكن من السيطرة على معظم الحبشة كما ذكرنا آنفا، كما استعان بالأتراك فى اليمن فأمدوه بنحو مائتى جندى مزودون بالأسلحة النارية التى لم تكن معروفة فى القتال فى القرن الإفريقى وفى الحبشة ، ففر الأحباش أمام قوات الإمام كهشيم تذروه الرياح ٠

وكان الإمام أحمد بن إبراهيم ، الملقب « بجران » و « الغازى » (١٥٠٦-١٥٤٢) من أبرز الزعماء الدينيين المناهضين للسياسات السلمية التى درج عليها سلاطين أسرة سعد الدين فى العمل على حل نزاعهم مع ملوك إثيوبيا بالطرق السلمية ، والتى أدت أحيانا إلى دفع إتاوة معلومة لهم ٠ وكان الإمام أحمد فى بادئ الأمر فارسا مقداما تحت إمرة الجراد أبون الذى أحبه واصطفاه لما لمسه فيه من شجاعة فائقة وبراعة عقل راجح فى المشورة وبعد مقتل الجراد أبون على يد أبى بكر بن محمد بن أزر سلطان عدل، عمل الإمام أحمد على جمع أنصاره ومعاونيه خاصة من بين أتباع الجراد أبون الراحل ومن الموالين للإمام محفوظ صاحب زيلع بعد أن أتم زواجه من ابنة هذا الأخير ٠ فبينما سمح الإمام أحمد لأفراد أسرة سعد الدين بالاستمرار فى الحكم بشكل صورى ، فإنه قد اتخذ لنفسه منحى مخالفا ، حيث نذر نفسه ومجهوده للمهام التى اعتقد بأن المولى سبحانه وتعالى قد بشره بإنجازها ألا وهى غزو بلاد

المسيحية ونشر الدين الإسلامى فى ربوعها ٠

خرج الإمام أحمد بن إبراهيم فى نفر من أتباعه غازيا لإثيوبيا لأول مرة فى عام ١٥٢٧م ، وقد رجع منصورا ومعه الكثير من الغنائم٠ وكانت هذه الغزوة التى حدثت فى أيام حكم الإمبراطور الإثيوبى لبنا دنجل (Lebna Dengil) (١٥٠٨–١٥٤٠م) بداية لسلسلة من الحروب الطاحنة التى استمرت خمسة عشر عاما ٠ وقد كان لدعوة الإمام أحمد وإعلانه الجهاد ضد الإثيوبيين المسيحيين فعل السحر فى نفوس المسلمين بعد الاضطهاد والإذلال الذى تعرضوا له نتيجة لخضوع حكامهم لسيطرة ملوك إثيوبيا المسيحيين ٠ لذا لاقت دعوته قبولا لا نظير له من قبلهم ، وانضم المحاربون إلى صفوف جيوشه فى حماس بالغ ٠ وبعد أن جمع حوله جميع القوات المسلمة قام الإمام أحمد بإطلاقها على بلاد إثيوبيا المسيحية (١) ٠

بدأت الجيوش الإسلامية باكتساح إقليم شوا حيث تمكنت من إلحاق شر هزيمة بجيش لبنا دنجل فى معركة شمبرى كورى عام ١٥٢٩م٠ ثم بعد ذلك تقدمت نحو الشمال وتمكنت من بسط سيطرتها على إقليمى أمهرا ولاستا بحلول عام ١٥٣٣م٠ كما عبرت وحدات أخرى من جيوش الإمام نهر الأبادى (النيل الأزرق) واكتسحت إقليم قوجام كله، ثم واصلت مسيرتها عبر سهول دمبيا متجهة نحو غندار ٠ وعندئذ هرب لبنا دنجل وقليل من أعوانه بحثا عن ملجأ يلجأون إليه، وظل متنقلا من مكان إلى آخر ، والجيش الإسلامى

---

(١) الأمين عبدالكريم : مرجع سابق ، ص ٥٤ ٠

يتعقبه٠ وقد أرسل الإمام أحمد بعدها بقية جيوشه لفتح بقية أجزاء البلاد ٠ وكان نتيجة ذلك أن استولى المسلمون على أقاليم بالى وقراقى وهادية وسيدامو وغيرها من البلاد الواقعة جنوب شوا ٠ كما أوفد الإمام أحمد الولاة إلى البلاد التى تم فتحها لتنظيم أمورها وتحصيل الجزية وتقسيم الغنائم٠ وفى عام ١٥٣٤م قاد الإمام أحمد جيشه غازيا لإقليم تجرى فى أقصى الشمال٠ وبالرغم من وعورة المنطقة ومقاومة أهل الإقليم الشديدة فقد تمكن المسلمون من احتلال مدينة أكسوم التاريخية حيث عملوا على تخريبها وحرق أديرتها وكنائسها والاستيلاء على الكنوز والنفائس التى وقعت بين أيديهم ٠

وما لبث أن لجأ طرفا الصراع لطلب العون الخارجى لتدعيم موقفهم، فقد اتصل الإمام أحمد بالأتراك العثمانيين فى اليمن الذين أمدوه بالمدافع والبنادق والجنود المدربين على استعمالها٠ واستنجد الإثيوبيون بالبرتغاليين الذين كانوا فى ذلك الحين قد بسطوا نفوذهم على ساحل إفريقيا الشرقية ودخلوا فى مواجهة مع العثمانيين بغرض السيطرة والتحكم فى تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندى [1]٠ ومات لبنا دنجل عام ١٥٤٠م بينما وصلت النجدة البرتغالية فى عهد خليفته جلاوديوس (Glawdewos) الذى حكم ما بين

---

(١) فى شأن بداية العلاقات بين البرتغال وإثيوبيا بهدف العمل سويا للقضاء على النفوذ الإسلامى فى البحر الأحمر وشواطئ إفريقيا والمحيط الهندى ، راجع :

Francsco Alvoraz : Norrative of the PortugeseEmbassy to a Byssinia During the Years 1520 - 1627, Trans. by Lord Stanley of Alderler (1881) J.S. Trimingham; Op. Cit., PP. 76-77. 82-83, 84.

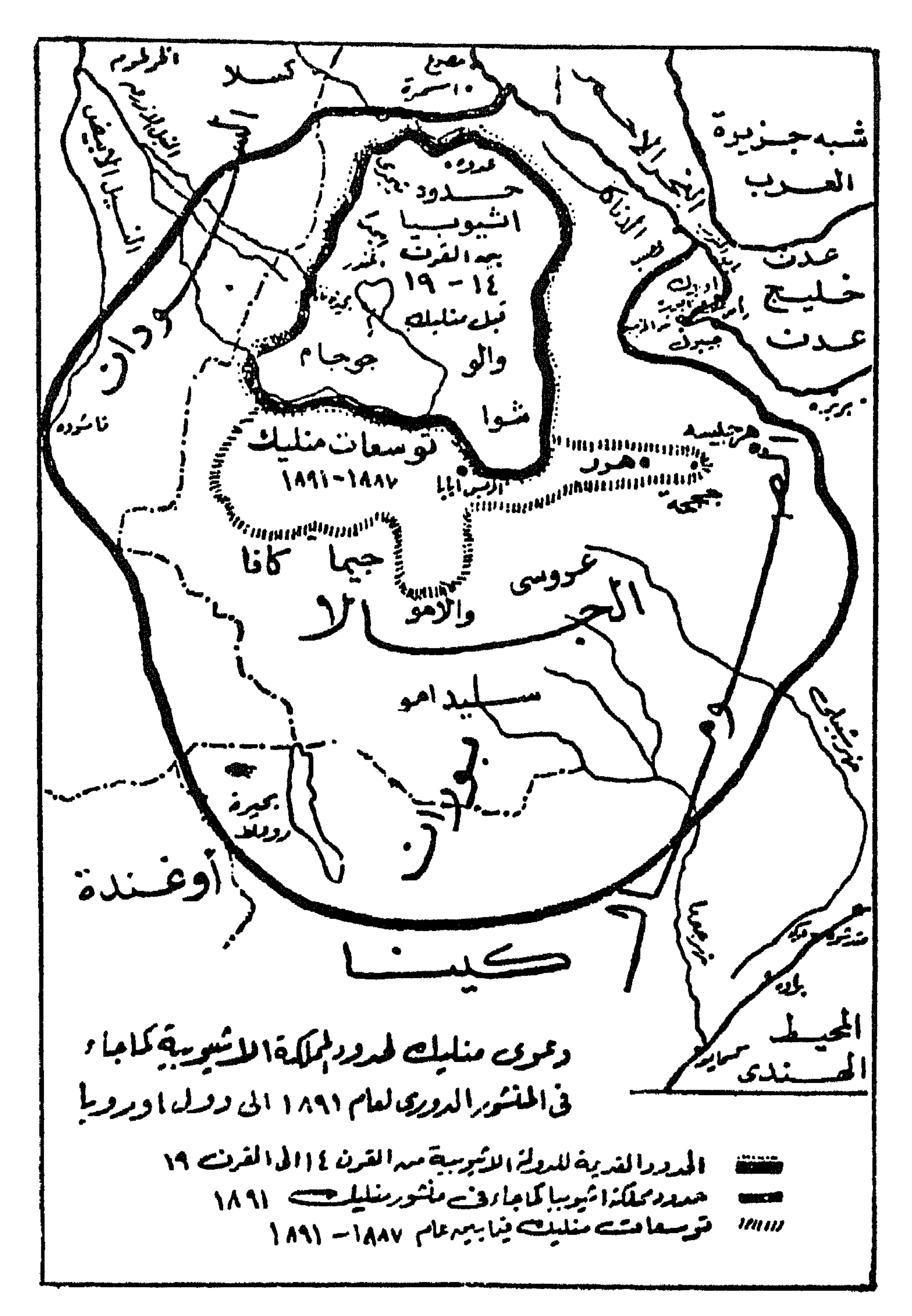
أعوام ١٥٤٠م و ١٥٥٩م ٠ وقد تكونت تلك النجدة من أربعمائة من الجند البرتغاليين المسلحين بالأسلحة النارية تحت قيادة كروستوفر داجاما ومعهم بعثة كاثوليكية تبشيرية من اليسوعيين ٠ وقد كان لإدخال تلك الأسلحة لأول مرة فى المنطقة أثر فعال فى تحديد نتائج القتال ٠ فقد تمكن الإثيوبيون إثر معاونة البرتغاليين لهم من هزيمة الجيوش المسلمة فى موقعتين وقعتا عام ١٥٤٠م، وإن كان وصول الجند الأتراك ومشاركتهم فى القتال إلى جانب المسلمين نتج عنه هزيمة ساحقة للإثيوبيين المسيحيين وحلفائهم البرتغاليين، وقد قتل خلال المعركة كرستوفر داجاما ٠ ولسبب لا يزال غامضا صرف الإمام أحمد الجنود الأتراك الذين عاونوه وأرسلهم إلى بلادهم ٠ وأخيرا استشهد الإمام أحمد فى الخامس والعشرين من فبراير عام ١٥٤٢م وهو يقاتل جيشا إثيوبيا يساعده البرتغاليون ٠ وكان استشهاد الزعيم الروحى لحركة الجهاد الإسلامية نذيرا باضمحلال الحركة التى قامت على قوته وإرادته، إذ سرعان ما تفرقت جموع المقاتلين وتشتت شملهم ٠

وقد حاول الأمير نور بن مجاهد – ابن أخت الإمام أحمد وخليفته فى قيادة حركة الجهاد الإسلامية – أن يجمع شمل بقية أعوان الإمام أحمد لمواصلة الحرب ضد الإثيوبيين المسيحيين ، لكن محاولته تلك منيت بالفشل٠ وبعد عدة معارك تأرجحت خلالها كفتا النصر والهزيمة بين الطرفين وسقط أثنائها الإمبراطور جلاوديوس صريعا ، هزم نور بن مجاهد أخيرا وفر ملتجئا إلى حاكم مصوع التركى ، تاركا إدارة شئون هرر لأحد القادة وهو الأمير عثمان٠ على أن سلطنة هرر أخذت تضعف وتضعف وتقلصت حدودها من جراء

هجمات قبائل القالا الذين خربوها واخضعوا سلاطينها تحت نفوذهم ورحمتهم . وبنهاية القرن السابع عشر لم تكن هنالك قوة إسلامية قادرة على لَمّ شمل المسلمين الذين انهكت قواهم من جراء الحروب المتعددة التى خاضوها كما صارت بلادهم خرابا (١) .

---

(١) الأمين عبدالكريم : مرجع سابق ، ص ٥٦ .



كسلا
شبه جزيرة العرب
عدن
خليج عدن
حدود اثيوبيا بعد القرن ١٤ - ١٩ قبل منليك
جوجام
والو
شوا
توسعات منليك ١٨٨٧-١٨٩١
هرر
جيما
كافا
عروسى
الجالا
أوغندة
كينيا
المحيط الهندى
دعوى منليك لحدود المملكة الاثيوبية كما جاء في المنشور الدوري لعام ١٨٩١ الى دول اوروبا
الحدود القديمة للدولة الاثيوبية من القرن ١٤ الى القرن ١٩
حدود مملكة اثيوبيا كما جاء في منشور منليك ١٨٩١
توسعات منليك فيما بين عام ١٨٨٧ - ١٨٩١

(خريطة رقم ٣)

٤ - الآثار التي نتجت عن حركة الجهاد :

أجمع المؤرخون على أن غزوات المسلمين هذه كان لها أثر كبير فى ازدياد انتشار الإسلام فى ربوع البلاد الإثيوبية والمناطق المجاورة لها ٠ فقد كان من بين الذين اتخذوا من الغزوات الإسلامية فرصة الخروج عن طاعة إثيوبيا ونبذ المسيحية وأعلان إسلامهم من جديد، أعداد كبيرة من الزعماء ورؤساء القبائل والعديد من أتباعهم المسلمين فى الأصل والذين تنصروا لأسباب دنيوية ٠ ومن البديهى أن فرض الإسلام على بعض القوم المسيحيين قهرا بحد السيف لم يكتب له أن يدوم لأمد طويل ، وإن كان البعض ممن اعتنق الدين الإسلامى أثناء تلك الغزوات ظلوا متمسكين بعقيدتهم إلى يومنا هذا (٢) ٠

ومما لاشك فيه أن الحروب التى دارت بين المسلمين والمسيحيين قد أوقعت الكثير من الدمار والخراب ببلاد كل من الطرفين ، وتمثل ذلك فى إزهاق الآلاف من الأرواح، وخراب العديد من المدن والمنشآت الرئيسية ٠ وقد اتسمت هذه الحروب بالقسوة البالغة التى اتبعها كل طرف ضد الطرف الآخر ٠ فقد حرص الطرفان على تخريب وحرق المدن التى استولوا عليها، وخاصة أماكن

---

(٢) عرب فقيه :مصدر سابق٠

J.S. Trimingham : Op. Cit., P. 90

M. Perham : Op. Cit., P. 42' E. Ullendroff: Op. Cit., P. 75.

العبادة بعد نهب كنوزها وقتل أكبر عدد من رجال الدين وغيرهم من القادرين على الحرب وسبى النساء وبيعهن فى أسواق الرقيق ٠ وقد كان الخراب والدمار الذى لحق ببلاد الإثيوبيين المسيحيين هائلا ومؤثرا ، فمجرد ذكر اسم الإمام أحمد بن إبراهيم (جرن) قد ظل إلى يومنا هذا يثير فى أذهانهم الرعب والهلع والخوف من تكرار ما حدث فى الماضى ويذكرهم بقرب الهلاك (١) ٠

وقد ترتب على تدخل البرتغاليين والعثمانيين فى شئون إثيوبيا آثارا مريرة٠ فبعد أن ساعد البرتغاليون إثيوبيا عسكريا فى حروبها ضد القوى الإسلامية قاموا بمحاولة تحويل أهل البلاد وحكامها عن المذهب الأرثوذكسى الذين كانوا يعتنقونه وحاولوا قطع علاقة كنيستهم بالكنيسة القبطية المصرية وإتباعها للبابوية الكاثوليكية بروما ٠ ولتحقيق هذا الغرض أرسلت البرتغال العديد من البعثات التبشيرية اليسوعية التى صادفت نجاحا محدودا فى بادئ الأمر ٠ وقد كان ذلك النجاح مؤقتا إذ واجه اعتناق الأباطرة زادنجل (Zadengil) وسيسنيوس (Susenyos) – الذى حكم ما بين (١٦٠٧–١٦٣٢م) – للعقيدة الكاثوليكية ، ومحاولتهما العمل على نشر المذهب الجديد ، معارضة عنيفة من قبل رجال الدين الإثيوبيين٠ وما لبث أن أدت هذه المعارضة إلى نشوب حرب أهلية مدمرة، انتهت بمقتل زادنجل وإجبار سيسنيوس على التنازل لإبنه عن

---

(1) Affay R.S. Vol. 68 N. 270, Jamuary , 1969, P. 50
See also : J, Markakis: Op. Cit., P. 63.

العرش٠كما تم طرد البعثات التبشيرية الكاثوليكية من البلاد وطرد الذين تحولوا للمذهب الجديد والبطش بهم ٠ وأعقب ذلك أن أغلقت إثيوبيا أبوابها فى وجه كل الأوروبيين دون تمييز للمذاهب التى اعتنقوها، الأمر الذى دعم عزلة إثيوبيا عن دول العالم الأوروبى المسيحى، حيث دامت هذه العزلة حتى منتصف القرن التاسع عشر ٠ وحتى عندما سمح لبعثات التبشير الأوروبية بالعمل فى البلاد فقد منعوا منعا باتا من التبشير وسط الإثيوبيين المسيحيين بل ظلوا موضع شبهة ومظنة بالغبن (١) ٠

وفى الجانب الآخر فقد تمكن الأتراك العثمانيون من الاستيلاء على مصوع وحرقيقو عام ١٥٥٧م ، وألحقوها مع سواكن باشوية جدة ، وأطلقوا عليهم جميعا «ولاية الحبش» ٠ ثم بسطوا نفوذهم بعد ذلك بقليل على زيلع وجعلوها تابعة لوالى اليمن ٠ ونتيجة للاتفاقات المبرمة بين الباب العالى ومحمد على والى مصر وحلفائه، فقد أحيلت المناطق الخاضعة لسيطرة العثمانيين إلى الإدارة المصرية ٠ وفى عام ١٨٧٥م تمكنت مصر من فتح سلطنة هرر التى كانت فى ذلك الوقت تحت إمرة الأمير محمد بن عبدالشكور٠ وهكذا وجدت إثيوبيا المسيحية نفسها مجابهة من جديد بقوى مسلمة توسعية تسعى لبسط نفوذها نحو الداخل (٢) ٠

---

(١) زاهر رياض : مصدر سابق ، ص ٩٩-١٠٠ - ١٠٢ ٠

(٢) انظر كذلك شوقى عطالله الجمل « دكتور » : مصدر سابق ، ص ١٠٧ - ١٠٩ ، ١٢٦ ٠

وتجدر الإشارة إلى أن الحروب العنيفة التى دارت بين المسيحيين والمسلمين قد أدت إلى إنهاك قوى الطرفين على السواء مما شل من قدرتهما للتصدى لقبائل الأورومو (القالة) التى تدفقت من الجنوب الشرقى· ففى الفترة ما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر تمكنت هذه القبائل من احتلال الجزء الأكبر من جنوب إثيوبيا الحالى وإزاحة معظم قبائل السيداموا التى كانت تقطن به · كما استقرت جماعات منهم فى المناطق المحيطة بهرر، وفى إقليم شوا وقوجام، بينما نزحت مجموعات أخرى نحو الشمال ، وقد انتهى بها المطاف أخيرا إلى الاستقرار فى قلب مملكة إثيوبيا نفسها · غير أن هذه القبائل لم تشكل خطرا داهما فى نظر الإثيوبيين المسيحيين مثل القوى الإسلامية نظرا لتفرقها وفقدانها الأيديولوجية التى تتمتع بها (١) ·

٥ - ازدياد النفوذ الإسلامي من جديد :

وبالرغم من الجهد المضنى الذى بذل فى سبيل احتواء انتشار قبائل الأورومو (القالة) تمكنت إثيوبيا من إعادة توحيد نفسها وتوطيد سلطة أباطرتها ، وإن كان ذلك لم يدم طويلا · فقد تضافرت عدة عوامل على دفع البلاد إلى عهد جديد ببداية القرن الثامن عشر الميلادى · ولم تكن الحروب التى

---

(١) الأمين عبدالكريم : مرجع سابق ، ص ٥٧ ·

قاستها إثيوبيا والتى استمرت لثلاثة قرون وما لحق من جرائها من خراب ودمار وإنهاك للقوى هى السبب الوحيد الذى دفع البلاد إلى حالة الضعف والفوضى اللذين عانت منهما · ولعل العزلة التامة عن العالم الخارجى والتى فرضتها إثيوبيا على نفسها كانت مدعاة لذلك الضعف ، إذ حرمتها من الدعم المادى والثقافى من قبل العالم المسيحى الخارجى · كما لا يخفى علينا أن إبعاد المبشرين الكاثوليكيين كان نتيجته حتمية تسلط رجال الدين الإثيوبيين على مظاهر الحياة العامة وتدخلهم المتزايد فى الشئون السياسية لإثيوبيا · كما عانت الكنيسة الإثيوبية نفسها من الانحلال عامة ومن تعدد وتنافر المذاهب الدينية · كما كان لتدفق قبائل الأورومو (القالة)وغزوهم للبلاد منذ منتصف القرن السادس عشر ، وما أحدثوه فيها من تخريب دور فعال فى تفاقم هذه الفوضى (١) ·

وقد ظهرت ملامح هذه الفوضى فى أكثر من ناحية من نواحى الحياة العامة فى إثيوبيا ، وإن كان أعظمها شأنا هو الضعف والوهن المتزايد الذى أصاب العسكرية والسلطة السياسية للأباطرة · فقد أخذت العوامل الإقليمية تتغلب على حساب السلطة المركزية مما أدى إلى تركيز السلطة الفعلية فى أيدى حكام الأقاليم من نبلاء تجراى وشوا وقوجام وغيرهم· ونتيجة ذلك

(1) Bahays History of the Galla in Some Records cited above Trimingham : Op. Cit., PP. 91-93-94 ; J. Markakis. Op. Cit., P. 15-16.

أصبح الأباطرة حكاما اسما فقط حيث لا يملكون من الأمر شيئا· ودفع هذا التطور الأباطرة الإثيوبيين لطلب العون والدعم من زعماء ورؤساء قبائل الأورومو (القالة) المقيمين بالمناطق المجاورة لعاصمتهم غندار · وهم قبائل اليجو والولو والريا والأزينو · ومما زاد من خطورة الأمر أن هذه القبائل بالذات كانت قد اعتنقت الإسلام لا المسيحية الأرثوذكسية ، فقد كانت الديانة الأخيرة كانت تمثل فى نظرهم عقيدة أعدائهم الإثيوبيين· كما أمدهم اعتناقهم للإسلام بالفرصة لادعاء مآثر تاريخية مجيدة يردون بها على ما يدعيه الإثيوبيون المسيحيون لأنفسهم · ولأول مرة فى تاريخها وجدت هذه القبائل فى اعتناق الدين الإسلامى العامل الأيديولوجى الفعال الذى كانوا يفتقرون إليه فى السابق · وقد عمد بعض زعمائهم إلى اعتناق الديانة المسيحية الأرثوذكسية، لأسباب سياسية فى المقام الأول ، وقد قاموا أحيانا بتزويج بناتهم للأباطرة الإثيوبيين لكنهم ظلوا يعتمدون فى قوتهم وعظم نفوذهم على سند ودعامة رجال قبائلهم المسلمين (١)·

ففى الفترة ما بين عام ١٧٦٩ وعام ١٨٥٥م والتى عرفت «بعصر الفوضى الكبرى» استطاع الرأس على زعيم قبيلة اليجو المسلمة مع أفراد أسرته أن يسحقوا قوة ونفوذ بلاد التقراى والأمهرا المسيحيين وأن يركزوا

---

(1) Trimingham : Op. Cit., PP. 101, 107, 110 - 112, J. Markakis : Op. Cit., PP. 18, 64; Magir : Op. Cit., PP. xxiii - xxv, 27.

السلطة فى أيديهم ٠ ولقد استتب لهم الأمر بعد أن نجح كبارهم فى تنصيب أنفسهم أوصياء على الأباطرة المقيمين فى العاصمة غندر ، والذين جعلوا من الأباطرة دُمًى فى أيديهم يحركونها كيف شاءوا ٠ وقد تميزت هذه الفترة بالدسائس والمؤامرات والفتن المتواصلة وتوالت الحروب سجالا بين الأوصياء على الأباطرة وأتباعهم من القبائل المسلمة من جانب ،وبين نبلاء التجراى والأمهرا وسندتهم من الإثيوبيين المسيحيين من الجانب الآخر ٠ وكان من نتيجة ذلك أن قسمت البلاد إلى عدة أقاليم ومقاطعات شبه مستقلة ، يقوم على أمرحكم كل منها أكثر من نبيل أو رأس ، وقد اجتهد كل منهم فى محاولة اختلاق أنساب إنتمائية للأسرة السليمانية ٠ وبالتالى إثبات حقه الشرعى فى وراثة العرش الإمبراطورى ٠

وفى خلال هذه الفترة زار إثيوبيا الرحالة الأسكتلندى جيمس بروسى الذى ترك لنا وصفا مفصلا لرحلته ولحالة الفوضى الداخلية المزرية لإثيوبيا أثناء إقامته بالبلاد والتى امتدت فيما بين عام ١٧٦٩م و ١٧٧٢م ٠ ونستطيع من خلال ذلك الوصف أن نستشف الكثير من حالة الفوضى التى عمت إثيوبيا حينئذ (١) ٠

(1) James Bruce : Travels to Discover the Sources of the Nile.

ونتيجة للتدهور السياسى الذى انتاب إثيوبيا فى « عصر الفوضى الكبرى » وازدياد نفوذ القوى المسلمة فيها ، سنحت فرصة ذهبية لتزايد انتشار الدعوة الإسلامية فى الأقاليم الخاضعة للسلطة الإثيوبية والمناطق المجاورة لها · فقد تحول العديد من القبائل الرعوية القاطنة فى شمال وشمال شرق إقليم إريتريا وفى السهول المطلة على شواطىء البحر الأحمر الغربية من المسيحية الأرثوذكسية إلى الإسلام · ونذكر من ضمن هذه الفئة الحباب والبلين والماريا وخلافهم ممن كانوا يدينون سابقا بالديانة المسيحية لعدة قرون(١) ·

وكذلك يرجع الفضل فى ازدياد انتشار الإسلام فى إثيوبيا والأقاليم المجاورة لها أثناء القرن التاسع عشر الميلادى إلى عدة عوامل خارجية وداخلية كان من أبرزها ؛ انتعاش حركة التجارة فى منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقى بصفة عامة، وسيطرة المسلمين على حركة ومسيرة القوافل التجارية · وقد شكل تغلب القوة الإسلامية الخارجية ممثلة فى استيلاء محمد على باشا على السودان وعلى الحجاز لبعض الوقت، ونجاح الدعوة الوهابية فى الحجاز، وتوسع النفوذ التركى وامتداد سيطرته وإدارته على معظم الموانى المطلة على شواطئ البحر الأحمر الغربية وعلى ما تبقى من إمارة هرر الإسلامية عاملا آخر لا يقل أهمية عن سابقه ·

---

(١) الأمين عبدالكريم : مرجع سابق ، ص ٥٩ ·

وقد تزامن تزايد موجة انتشار الدعوة الإسلامية فى ربوع الدولة الإثيوبية نفسها مع انتشار الإسلام فى الأقاليم الجنوبية الشرقية الغربية التى لم تخضع لسيطرة الأباطرة الإثيوبيين إلا فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادى. فبالرغم من أن إمارة هرر الإسلامية كانت قد تخطت قمة مجدها فى أيام حركة جهاد الإمام أحمد بن إبراهيم وخليفته نورين مجاهد وتقلص نفوذها سياسيا وعسكريا ، فإن ما تبقى منها ظل محافظا على مكانة مدينة هرر نفسها بوصفها مركزا مهما للتجارة ووسيط لمجرى القوافل التجارية بين المناطق المحيطة بها وموانى البحر الأحمر الغربية . ولقد حافظت مدينة هرر ودعمت مكانتها بوصفها قاعدة لتجميع خبرة العلماء والفقهاء، ومركزا مؤثرا فى نشر الدعوة الإسلامية .وقد ساعدت الفترة القصيرة التى خضعت فيها مدينة هرر والأقاليم المجاورة لها للحكم التركى (١٨٧٥م - ١٨٨٥م) على ازدياد نفوذها فى نشر تعاليم الإسلام وسط قبائل الأورومو المجاورة لها . وذلك بفضل توثيق ارتباطها بالعالم الإسلامى الخارجى، وتشجيع وفود العلماء والفقهاء إليها، وبناء المزيد من المساجد والمدارس الإسلامية . كما زاد من قدرتها بوصفها مركزا للإشعاع ونشر الدعوة الإسلامية وجود العديد من أضرحة الفقهاء الذين ذاع صيتهم لما عرفوا به من كرامات وورع وتقوى ، ولقربها الجغرافى من ضريح الشيخ حسين باليلى فى سهل قوبا بالقرب من نهر الوبى شيبيلى كما ذكرنا سابقا (١) .

---

(1) HJ.S. Trimingham, Op. Cit., PP. 120-121;
M. Perham : Op. Cit., PP. 308-310.

كما أحرزت الدعوة الإسلامية أيضا تقدما ملحوظا وسط مواطنى ممالك الأورومو (القالة) الخمس الواقعة حول حوض نهر الجيبى فى الجنوب الغربى، وقد تم ذلك بفضل توافد مجموعات عديدة من التجار الجبرتة والصوماليين المسلمين ومن تبعهم من العلماء والفقهاء عن طريق القوافل الرئيسية التى تربط الموانى الساحلية بالمنطقة ٠ وقد أقام بعض هؤلاء هناك لفترات متفاوتة أو بصفة مستديمة منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين ، ووجدوا من حكام وأمراء تلك الممالك الكثير من الترحيب بسبب نشاطهم التجارى والمنافع المادية التى تيسرت بفضلهم للملوك ومواطنى تلك الممالك ٠ وقد ساعد على نجاحهم فى بث الدعوة الإسلامية طول إقامتهم بالبلاد، وما نعموا به من مكانة اجتماعية وحرية موفورة حتى أسلم على أيديهم الملوك والأمراء الذين تبعهم معظم العامة من الأهالى (١) ٠

وهكذا منذ ذلك التاريخ – حوالى ١٥٢٣م – أحرز الإمام أحمد انتصارات عظيمة متوالية واجتاح مملكة الحبشة بأسرها حتى اتصل بالإمارات الساحلية فى مصوع وسواكن وإمارة الدجن فى حوض القاشى وبركة فى غرب إريتريا ونصب أحد الأمراء حاكما لحماسين ، واتصل بالسلطان الفونج فى سنار فى السودان (٢) ٠

---

(1) Enrico, Cerulli: L'Islam Neiregni : Galla Infependenti, L. Africa Italiana, Vol, 35.

(٢) عثمان صالح سبى : تاريخ إريتريا ، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٢٩.

كما سجل تفاصيل وقائعه شهاب الدين (الملقب بعرب فقيه) فى كتابه فتح الحبشة ، حيث واكب الإمام فى غزواته ٠

٦ - دور العفر والإمام أحمد بن إبراهيم في نشر الإسلام في منطقة القرن الإفريقى :

كما أوضحنا فى حديثنا عن اعتناق شعوب هذه المنطقة للإسلام وأهمهم العفر الذين يقطنون المواقع الاستراتيجية فى البحر الأحمر وباب المندب ، حيث كانت (معدر) (١) ممرا للفوج الأول من الصحابة رضوان الله عليهم إلى ملك الحبشة النجاشى ٠ ويرجع للعفر والساهو الفضل فى سلامة هذه البعثة وكان ذلك بداية نور الإسلام فى المنطقة العفرية منذ فجر الإسلام والتى عمها فيما بعد ٠ والشعب العفرى والصومالى لا يوجد بينهم من يدين بغير الإسلام ٠ والعفريون كلهم سنيون على مذهب الشافعية والحنفية ٠ وكما بيّنا آنفا زادت سرعة انتشار الإسلام بين العفرسكان المنطقة فى القرن الإفريقى بفضل الهجرات العربية ودورها فى نشر هذا الدين ، إضافة إلى العلاقات التجارية القوية التى كانت تربط بين بلاد العرب وسواحل البحر الأحمر ، وكانت مناطق العفر من أهم المناطق التى نفذ منها الإسلام إلى الهضبة الحبشية ٠

---

(١) (معدر) : هى الممر المائى للفوج الأول من الصحابة – رضوان الله عليهم – إلى مملكة الحبشة، وهى ميناء صغير يقع فى شواطئ الحر الأحمر الإريترى (منطقة عفرية) ٠

وتحمل العفر منذ ذلك التاريخ أعباء نشر الإسلام فى ربوع المنطقة حتى وصل الإسلام إلى عمق منطقة القرن الإفريقى كما أشرنا فى كيفية تأسيس الإمارات السبع فى الحبشة · وكانت كل هذه السلطنات لا تخلوا من العفريين، بل كان معظم سكانها - بجانب الصومال والعرب - عفريون· وقامت هذه السلطنات بدور كبير فى النشاط التجارى، كما أنها قامت بدور لا يستهان به فى تصديها لغزوات الأحباش بقيادة الإمام أحمد بن إبراهيم والذى أسلفنا ذكره فى المقدمة · وكانت سلطنة عدال Adal تحتل مكانة ممتازة فى المنطقة · وعندما غزا الأورومو جنوب إثيوبيا وهرر ، لجأت سلطنة عدال إلى وادى أوسا ولا يزال هذا الإقليم يتمتع بحكم شبه ذاتى فى إثيوبيا الحديثة فى إطار إقليم العفر ·

ودخلت هذه الممالك الإسلامية فى العصور الوسطى حروبا طويلة مع الأحباش تبادل فيها الطرفان النصر والهزيمة ، وقد انتهت بتبعية هذه الممالك إلى ملك الحبشة· وقد أخذ هذا الصراع طابعا دينيا متطرفا ؛ لأن الحبشة المسيحية فى ذلك الزمان كانت تشن دائما حروبا صليبية ضد هذه الممالك الإسلامية وخاصة فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر وفى النصف الأول من القرن السادس عشر، حيث انتهى هذا الصراع النهاية المتوقعة له بعد أن تكاتف الغرب الصليبى مع ملوك الحبشة فى القضاء على الممالك الإسلامية ببلاد الزيلع · وكانت ممالك الزيلع الإسلامية تجاهد وتقاتل الأحباش واحدة بعد أخرى ، فإذا انهارت إحداها قامت دولة أخرى رفعت لواء المقاومة (١) ·

---

(١) أمين توفيق الطيبى « دكتور » : الحبشة عربية الأصل والثقافة . ليبيا ، طرابلس ، ١٩٩٣·

وكذلك تعددت الدول التى قادت الصراع ضد الأحباش ، فقد قامت أول سلطنة إسلامية أوفات (إيفات) وجمعت شمل الممالك الإسلامية الأخرى فى بلاد زيلع، بعدها استطاعت وأد الصراع عام ٨٠٥ هـ - ١٤٠٢م٠ ولما انهارت تلك الدولة فى ذلك العام أمام ضربات الأحباش حلت محلها سلطنة عدال الإسلامية فحمل لواء المقاومة الإسلامية طوال القرن التاسع الهجرى إلى القرن الخامس عشر الميلادى٠ ولما استكان السلاطين العدل للأحباش حمل الإمام أحمد بن إبراهيم الذى يلقبه العفريون بأحمد قوره (الأشول) لواء الجهاد واستطاع أن يتصدى لعدوان الأحباش ثم الهجوم عليهم فى عقر دارهم ٠

وفى سنة ٩٣٥ هـ إلى ست شهور (حسب تعبير صاحب فتوح الحبشة) فى أوائل سنة ١٥٢٩م أحرز الإمام نصرا حاسما على ملك الحبشة (لبنا دنقل) فى معركة كبرى هى معركة (صحبر كورى) Shebera Qure ٠ وانقلبت الحبشة على أعقابها وكادت حركة الجهاد والتى قام بها الإمام أحمد أن تقضى على النصرانية فى الحبشة لولا النجدة البرتغالية التى انقذتها وهزمت جيش الإمام الذى استشهد قرب بحيرة تانا فى رمضان ٩٤٩ هـ - فبراير ١٥٤٣م وتفرق جنده بمجرد موته وانهار الحكم الإسلامى فى الحبشة (١)٠

---

١) نفس المرجع السابق ٠

وبعد هذه الكارثة التى حلت بجيوش المسلمين ودمرتها تجمعت بقايا قوات فرسانهم مجددا فى مدينة هرر وانتخبت نور بن مجاهد وهو ابن أخت الإمام أحمد أميرا سنة ١٥٥١م وقد قام بتعزيز قواته، واشتبك مع قوات الإمبراطور قلايدوس فى معركة انتصر فيها على قلايدوس وقتله فى ٢٣ مارس ١٥٥٩م وتوفى إثر إصابته بمرض الطاعون سنة ١٥٦٧م· وفى هذه الفترة حدثت تطورات شهدتها منطقة القرن الإفريقى حيث شنت قبائل الأورومو (القالا) غارات شديدة على الأحباش المسيحيين والمسلمين على السواء ، مما دفع الإمام أحمد وهو أحد أفراد عائلة الإمام أحمد جرن (الأعسر) إلى نقل مقر سلطنته إلى واحة أوسا فى صحراء العفر (دناكل) تاركا رئاسة مدينة هرر إلى أخيه عام ١٥٧٧م ، وبدل لقبه بالوزير واستمرت الإمامة تحكم فى أوسا كما ذكرنا سابقا ·

ويذكر السلطان على مرح سلطان سلطنة أوسا الحالى : أن سبعة عشر أماما حكموا فى أوسا وكان آخرهم الإمام سلمان ·

وكانت هذه الحروب الكثيرة التى خاضها الإمام أحمد بن إبراهيم قد تسببت فى كثير من الخسائر فى الأموال والأرواح خصوصا بين قبائل العفر والصومال الذين اعتمد عليهما الإمام فى جهاده فى المنطقة · وهكذا يتضح لنا – من خلال سردنا لوقائع أحداث تاريخ هذه المرحلة – دور العفر فى نشر الإسلام فى المنطقة باذلين أرواحهم وأموالهم ، فالعفر لا يستهان بدورهم حاضرا ومستقبلا فى تاريخ المنطقة وتطورها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ·

ردود الفعل من جانب الإثيوبيين المسيحيين :

كان من الطبيعى أن يثير تحول الكثير من السكان الإثيوبيين إلى الإسلام ،وازدياد النفوذ الإسلامى فى المناطق المجاورة حفيظة أباطرة إثيوبيا وتخوفهم من مغبة اتحاد القوى المسلمة داخليا وخارجيا لتهديد أمن وسلامة بلادهم ٠

مما دفع أباطرة إثيوبيا والقائمين على أمور البلاد من النبلاء ورجال الكنيسة إلى التيقن من أن إتاحة الفرصة لازدياد النفوذ الإسلامى فى داخل البلاد وفى الأقاليم المجاورة لها ، سيؤدى فى نهاية المطاف إلى فنائهم القومى٠ كما أن الارتباط الوثيق بين مفهومهم للقومية الإثيوبية والديانة المسيحية الأرثوذكسية استبعد إمكانية الجمع بين الانتماء للقومية الإثيوبية واعتناق ديانة أخرى مخالفة للدين المعلن والرسمى للبلاد ٠ فقد حددت هذه العوامل أوضاع ومكانة المواطنين الإثيوبيين المسلمين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا داخل الكيان الإثيوبى ، كما بررت اتخاذ سياسات معادية لمصالحهم من قبل السلطة الحاكمة ٠ وقد أحدثت هذه الهيمنة فجوة عميقة بين أتباع الديانتين فى وضعهم السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى ظل الدولة الإثيوبية ٠

فقد عانى مسلمو إثيوبيا من العديد من سياسات التفرقة منذ أمد طويل٠ كما حرم على المسلمين امتلاك الأراضى الزراعية إلا إذا منحت لهم بشكل رسمى من قبل الأباطرة أو حكام الأقاليم ٠ فالطريقة الوحيدة التى

كانت تمكن الإثيوبى المسلم فى الماضى من امتلاك أراضى زراعية هى طريقة الشراء، وقد كان ذلك نادر الحدوث فى إثيوبيا قبيل منتصف القرن الحالى· ولهذا لجأ المسلمون فى شمال إثيوبيا للحصول على الأراضى الزراعية عن طريق الإيجار التعاقدى لفترات زمنية معينة · وكذلك منع المسلمون من المشاركة فى تصريف شئون البلاد ومن شغل مناصب الدولة · فالمنصب الوحيد تقريبا الذى كان يتم اختيار شاغله عادة من وسط المسلمين هو منصب (نقاد رأس) أى رئيس التجار أو محصل الضرائب التجارية · ولذا فقد تركز نشاط المسلمين فى إثيوبيا فى العمل بالتجارة ومزاولة الحرف اليدوية ممثلا فى احتكار طبقة الجبرتة للتجارة فى البلاد حتى صار لفظ جبرتى مرادف للفظ مسلم فى تلك الفترة (١) ·

اتخذ الإمبراطور تيدروس الثانى (١٨٥٥ - ١٨٦٨م) - بعد أن نجح فى التغلب على الأوصياء الأباطرة وسدنتهم من قبائل الأورومو المسلمة - سياسة تهدف إلى إعادة الوحدة للبلاد من جديد · وكان من الطبيعى أن يتخذ من الدين المسيحى الأداة التى اعتقد بأنها ستمكنه من تحقيق الهدف المنشود · فكان ذلك سببا فى انتهاجه سياسة عدائية صارمة ضد المواطنين الإثيوبيين المسلمين · ففى عام ١٨٦٤م أصدر مرسوما يجبر المسلمين فى إثيوبيا على اعتناق المسيحية الأرثوذكسية، ويعامل كل من يرفض الإنصياع للأمر معاملة الخارجين عن طاعة العرش الإمبراطورى · كما اندفع تيدروس الثانى فى مقدمة جيوشه يحارب قبائل الولو واليجو المسلمة، وأخذ يقتلهم دون

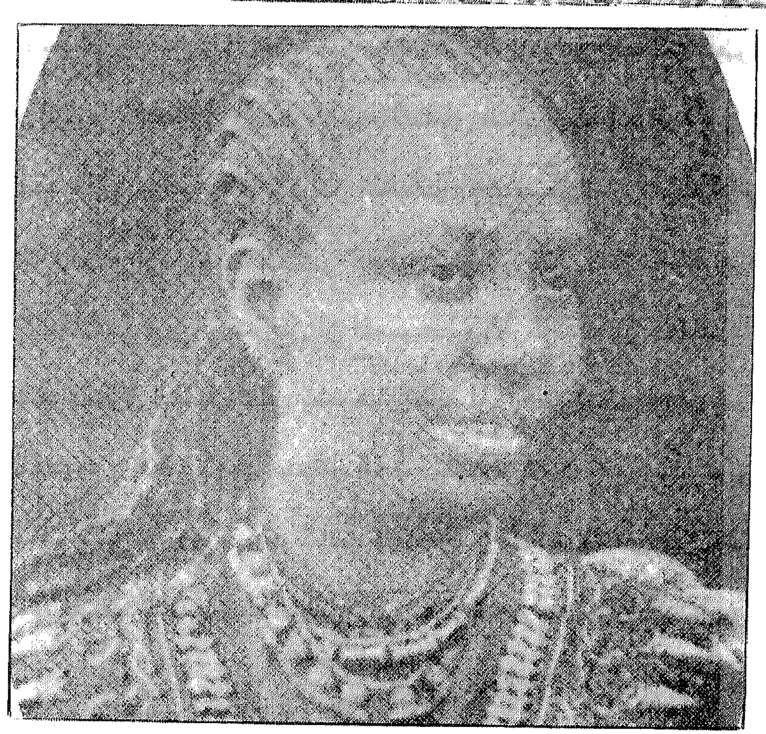
رحمة ويخرب ويحرق ديارهم ويجبرهم على اعتناق المسيحية الأرثوذكسية ·
وكانت هذه القسوة التى تعرض إليها المسلمون هى السبب الذى دفع بأعداد كبيرة منهم للهجرة إلى السودان وبلاد الصومال وإلى إقليم هرر وممالك الجيبى فى الجنوب الغربى والتى كانت فى ذلك الوقت خارج سلطان مملكة إثيوبيا ·

كما كان خليفة الإمبراطور يوحنا الرابع (١٨٧٢ - ١٨٨٩م) أكثر حماسا لتوحيد إثيوبيا تحت اللواء المسيحى الأرثوذكسى، بصورة أشد قسوة على مواطنى البلاد غير المسيحيين · وكانت الدوافع التى وراء اتخاذ تلك السياسات نابعة من اعتقاد يوحنا الراسخ بتدعيم الوحدة الوطنية الداخلية لإثيوبيا تحت لواء عقيدة دينية موحدة وهى الديانة المسيحية الأرثوذكسية ·

وقد أحدثت سياسات يوحنا المتشددة ضد المسلمين ردود فعل وسط قبائل الولو خاصة ، حيث أدت إلى قيام حركة جهاد الشيخ طلحة فى عام ١٨٨٤م والتى سرعان ما أخمدت ، كما أدت إلى اندلاع الثورة بعد مقتل زعيم الولو المسلم أمادى صادق، والتى استمرت لمدة عامين (١٨٨٥ - ١٨٨٦م) · وبالرغم من أن الدوافع الرئيسية لهاتين الثورتين كانتا ذات صبغة محلية ، إلا أننا لا نستبعد احتمال التأثير غير المباشر لنجاح الثورة المهدية فى السودان فى إعطاء الأمل بالخلاص للمجموعات المسلمة المقهورة والمغلوب على أمرها بإثيوبيا · ومن الغريب فى الأمر أن اندلاع القتال بين الجيوش الإثيوبية وجيوش المهدية فى الغرب فى عام ١٨٨٧ ، ومقتل يوحنا الثانى فى القتال ضد



الامبراطور
منيلك الثانى



الامبراطورة
لمهايتـــو
قرينة الامبراطور
منيلك الثانى

جيوش المهدية عام ١٨٨٩م ، لم يصحبه المزيد من القسوة والعنف فى محاولة تنصير مسلمى إثيوبيا ٠

أما الإمبراطور منليك الثانى (١٨٨٩ - ١٩١٣م)٢ الذى استولى على العرش بعد مقتل يوحنا فقد انتهج سياسة تتسم بالكثير من المرونة والواقعية حيال المسلمين الخاضعين لسلطة المملكة الإثيوبية٠ ولعل بعض ما يفسر ذلك كون منليك أكثر تسامحا من حكام شمال ووسط إثيوبيا فى التعامل مع مواطنيهم من غير المسيحيين الأرثوذكسيين ٠ وذلك لكثرة أعدادهم واعتماد الحكام عليهم فى تصريف شئون أتباعهم فى الدين ، وفى توثيق علاقات شوا التجارية مع العالم الخارجى٠ كما أن منليك قد حذا حذو أسلافه فى القيام بتوسيع حدود إقليمه نحو الجنوب منذ أن كان ملكا له ٠ وقد واظب على الاستمرار فى تلك السياسة بجهد خارق بعد اعتلائه العرش الإمبراطورى ، ونجح فى احتلال وضم جميع المناطق الجنوبية الحالية إلى المملكة الإثيوبية ٠ وقد كان مواطنو الكثير من تلك الجهات، مثل هرر وممالك الجبى فى الجنوب الغربى وسلطنة العفر ومنطقتى الأقادين وغيرها، يدينون بالدين الإسلامى٠ وبالرغم من أن المسيحية الأرثوذكسية ظلت هى الديانة الرسمية للبلاد فإن العمل على نشرها وسط المواطنين المسلمين لم يسع له بكثير من الجهد ٠ فقد تمت استمالة بعضهم تحت إغراء تقديم الألقاب والمناصب والأراضى إليهم ٠ وقد كانت أعداد من تنصروا من بين المسلمين قليلة جدا ، فالأهداف السياسية الرامية إلى عدم إثارة حفيظة المسلمين والاحتفاظ بولائهم

أملت على منليك الثانى انتهاج السياسة المرنة والمهادنة تجاه المسلمين فى إثيوبيا (١) .

وخلاصة القول إن النضال بين القوى المسيحية والقوى المسلمة - فى منطقة القرن الإفريقى عامة وفى إثيوبيا بالذات - لم يؤد إلى القضاء على أى من القوتين . ففى المناطق الساحلية بطول سواحل البحر الأحمر الغربية والسواحل المطلة على خليج عدن انتشرت قبائل الصومال والعفر المسلمة . هذا فى الوقت الذى تركزت فيه القوى المسيحية الأرثوذكسية فى الهضاب المرتفعة من الأراضى الإثيوبية وإن لم يخل الأمر من وجود قبائل ومجموعات مسلمة عديدة تعيش وسط مسيحيى إثيوبيا - ومن أبرز هذه المجموعات المسلمة تلك التى تقطن فى - مدينة هرر وفى إقليم بالى والأقادين وأغلب قبائل الأورومو فى الجنوب الغربى والمجموعات المسلمة فى الهضاب الشرقية ومنحدراتها وفى إريتريا . وقد ظل أثر هذا الصراع قويا فى تاريخ المنطقة كلها إلى اليوم (٢) .

---

(1) Ibid, P. 41. J. Markakis : Op. Cit., 67-68. Marcus : The Life and Times.

(٢) الأمين عبدالكريم : مرجع سابق ، ص ٦٤ .

٧ - أهم النتائج التي ترتبت علي هذا الصراع في الحبشة :

فى هذا الصراع الذى دام أكثر من ثلاثة قرون منى الزيالعة المسلمون بهزائم كبرى كان لها أثرها على المستقبل السياسى للدول الإسلامية فى منطقة القرن الإفريقى ، ولهذا لم يتمكن الأحباش من القضاء على ممالك الزيلع الإسلامية رغم الانتصارات العديدة ، ولم يتمكن الزيالعة أيضا من القضاء على مملكة الحبشة النصرانية رغم انتصاراتهم الباهرة ٠

وبذلك ظل التوازن قائما بين دولة الإسلام ودولة النصرانية فى منطقة القرن الإفريقى ، ولم تتمكن أى منهما من القضاء على الأخرى ،وهذه هى النتيجة السياسية التى انتهى إليها ذلك الصراع الطويل المرير فى العصور الوسطى(١) ٠

ومن الآثار التى ترتبت أيضا على ذلك الصراع الذى قام بين الممالك الإسلامية وبين الأحباش فى تلك العصور ، تعميق الحقد والكراهية فيما بينهما٠ حيث ترك هذا الصراع كما هائلا من الألم والمرارة وشعور بالظلم والاضطهاد الذى لم يجد الزيالعة مخرجا منه ٠ ونتج عن ذلك الظلم حقد دفين وكراهية عميقة تبادلها الطرفان منذ ذلك الحين وأورثاها لأبنائهم وأحفادهم من بعد ٠

---

(١) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ٢٥٠ ٠

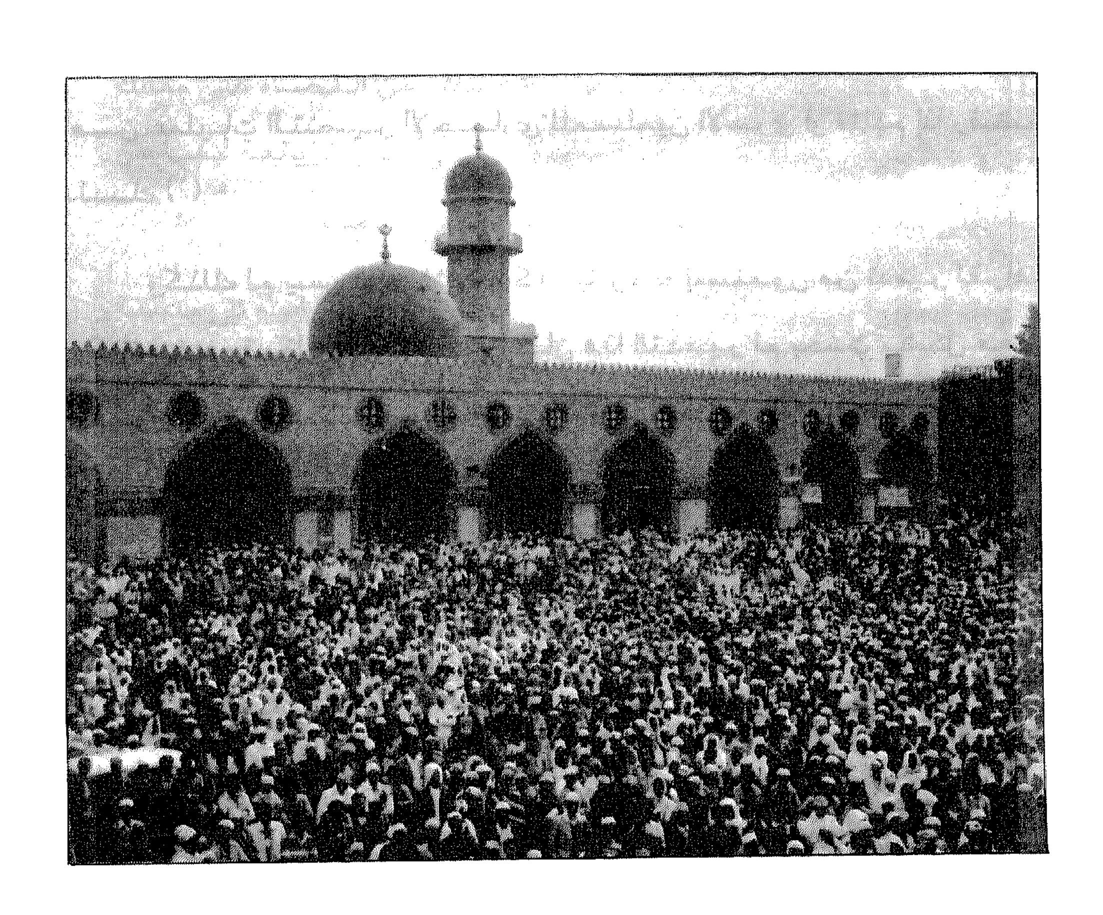
وهذا الشعور بالألم والظلم ، وهذا الحقد وتلك الكراهية المتبادلة والمتوارثة هى نتيجة طبيعية لما كان يحدث أثناء المعارك الحربية المتصلة والتى استمرت بين الطرفين ٠ حيث لم ينس المسلمون فى الحبشة إحراق الأحباش لمدنهم وقراهم ومساجدهم ومصاحفهم ،كما لم ينسوا أيضا ما كان يقوم به الأحباش من عمليات التنصير الإجبارى للمسلمين الأسرى أو قتلهم إذا رفضوا ذلك (١) ٠

وكذلك لم ينس الأحباش ما كان يقوم به المسلمون من تدمير لقراهم وكنائسهم وقتل رهبانهم ، وإن كان هذا التدمير لم يحدث بشكل فعال سوى مرة واحدة ، حينما تمكن الإمام أحمد جران من اختراق هضبة الحبشة والسيطرة على معظم أقاليمها لبضع سنوات ٠ أما الأحباش فقد كان غزوهم وتدميرهم لبلاد الزيلع قائما ومستمرا بحيث لم يخل عهد ملك حبشى من الزحف والعدوان على إحدى الممالك الإسلامية ٠

أما الآن فقد بقى الإسلام عميقا وقويا فى نفوس أبناء هذه الشعوب وإن كان يعتنقه الأغلبية فى إثيوبيا، وكذلك بقيت المسيحية شعبا عريقا وقويا ، والحل الأمثل لهذه الشعوب هو التعايش مع شعوب هذه المنطقة داخل الدولة الإثيوبية الواحدة فى ظل التعدد والوحدة والديمقراطية ٠

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٥٠ .



الجامع الكبير فى أديس أبابا العاصمة

الفصـــل الخامـــس

====

الخلفية التاريخية للصراع بين القوى المسيحية والإسلامية في الحبشة منذ بداية القرن الرابع عشر إلي نهاية القرن التاسع عشر ودور العفر فيها

المحتويـــات :

١ – الخلفيـــة التاريخيـــة٠

٢ – العلاقات بين أكسوم وبلاد العرب٠

٣ – بداية الصراع بين المسيحيين والمسلمين٠

١ - الخلفيــة التاريخيــة

تعتبر إثيوبيا فى نظر الإثيوبيين أنفسهم ، وفى نظر بقية دول العالم ، دولة فريدة من نوعها فى إفريقيا· فبالرغم من كونها دولة إفريقية صميمة بحكم موقعها الجغرافى ، فإن تكوين سكانها العرقى وماضيها السياسى والاقتصادى وتطور ثقافتها يربطها بدرجات متفاوتة بالشرق الأوسط · فقد كان لقرب القرن الإفريقى من جنوب شبه الجزيرة العربية بصفة خاصة أثر فعّال ودائم فى تاريخ إثيوبيا فى الألف سنة الأولى قبل الميلاد على الأقل · فالنشاط التجارى والبحرى للقبائل السامية بجنوب غرب شبه الجزيرة العربية قادهم لعبور مضيق باب المندب والوصول إلى سواحل شرق إفريقيا وجزر البحر الأحمر وساحله الغربى · وبنفس القدر كذلك إلى السواحل الآسيوية فى المحيط الهندى (١) ·

وبالطبع كانت أنظار المهاجرين العرب الأوائل مركزة منذ البداية حول السواحل والبلاد الواقعة بالقرب منهم خلف البحر الأحمر · وقد ساهم فى ذلك ضيق البحر الأحمر وهدوء الملاحة فيه نسبيا فى أغلب فصول السنة ·

وكان مجيئهم فى الغالب طلبا للرزق من وراء توسيع نشاطاتهم التجارية وللاستيطان حينا آخر ·

---

(١) الأمين عبدالكريم : الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية فى إثيوبيا إلى نهاية القرن التاسع عشر ، مجلة دراسات إفريقية ، العدد الأول ، رجب ٥-١٤ هـ ، ابريل ١٩٨٥م ·

وقد ازدادت هجرات أولئك الوافدين عندما تغيرت الأحوال المناخية فى موطنهم الأصلى، مما دفع بهجرات سامية متعددة للبلاد المجاورة الخصبة وأهمها بلاد الصومال وإثيوبيا وشواطئ إفريقيا الشرقية (إريتريا) · ويعتقد بعضهم أن انهيار سد مأرب عام ١٢٠م ، والطوفان الذى أحدثه كان له أثر عظيم فى هجرة مجموعات عديدة من اليمن وحضرموت ، دخل بعضها إلى بلاد الصومال – إريتريا – وإثيوبيا · وقد أسست مجموعات من هؤلاء المهاجرين والمغامرين عدة مراكز تجارية وعسكرية على طول الساحل الغربى للبحر الأحمر والسهول المتاخمة له · وبعد ذلك توغل بعضهم إلى الداخل واستوطنوا فى الهضبة حيث تزاوجوا واختلطوا مع السكان المحليين الكوشيين ·

وبالرغم من أن هؤلاء المهاجرين وفدوا فى فترات متباعدة ، وبأعداد صغيرة، فإن الذين استقروا منهم هناك استطاعوا بفضل حضارتهم وثقافتهم الراقية أن يبسطوا سيطرتهم على العناصر المقيمة · وبالتدرج فقدوا تميزهم العرقى واندمجوا وسط الجماعات الموجودة آنذاك من السكان الكوشيين، وأدى هذا التمازج العرقى والتلاقح الحضارى إلى ظهور دولة أكسوم فى منتصف القرن الأول الميلادى · وهكذا نجد أن مملكة أكسوم ترجع بجذورها التاريخية القديمة وإرثها السياسى والحضارى إلى الكوشيين الأفارقة والساميين القادمين من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية (١) ·

ومن أبرز المميزات التى تنفرد بها إثيوبيا هى أن كنيستها الأرثوذكسية تعتبر أقدم كنيسة مسيحية فى إفريقية ، بخلاف الكنيسة القبطية الأم فى

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٤٢ ·

مصـر · فقد كان مـجيء المسيحية نتيجـة للتوسع التجـارى والصلات الثقافيـة بين مملكة أكسوم والهيلينيين فى سوريا ومصـر ·

وأول ملك أكسـومى تم تنصيره فى منتـصف القـرن الـرابع الميلادى هـو «عيزانا» ، الملقب أحيانا بـ « قسطنطين إفريقيا » (١) · تلا ذلك انتشار الدين الجـديد وسط السكان المحليين بصـورة تدريجيـة ، وفى مناطق جـغـرافيـة متفرقة· لهذا وللعـزلة التى عاشتـهـا إثيوبيا عن العـالم المسـيحى الخـارجى ، تسربت إلى الديانات المسيحية الإثيوبية بعض المعتقدات من ديانات أخرى مثل السريانية واليهودية بجانب الوثنية الإفريقية، مما ميزها بطابعها الخاص · ومع ذلك – وبعكس صـور التمـازج الحـضـارى الأخـرى التى زالـت واختـفت بزوال مملكة أكسـوم – فإن هـذه العـقـيدة الجـديدة نمت وتعـمقت · فلـم تكتف بأن صـارت الدين الرسـمى للدولة وللمـجتمع الإثـيوبى فـحسب، بل شكلت أقـوى عوامل التكامل والعنصر الأساسى للوحدة القومية الإثيوبية (٢) ·

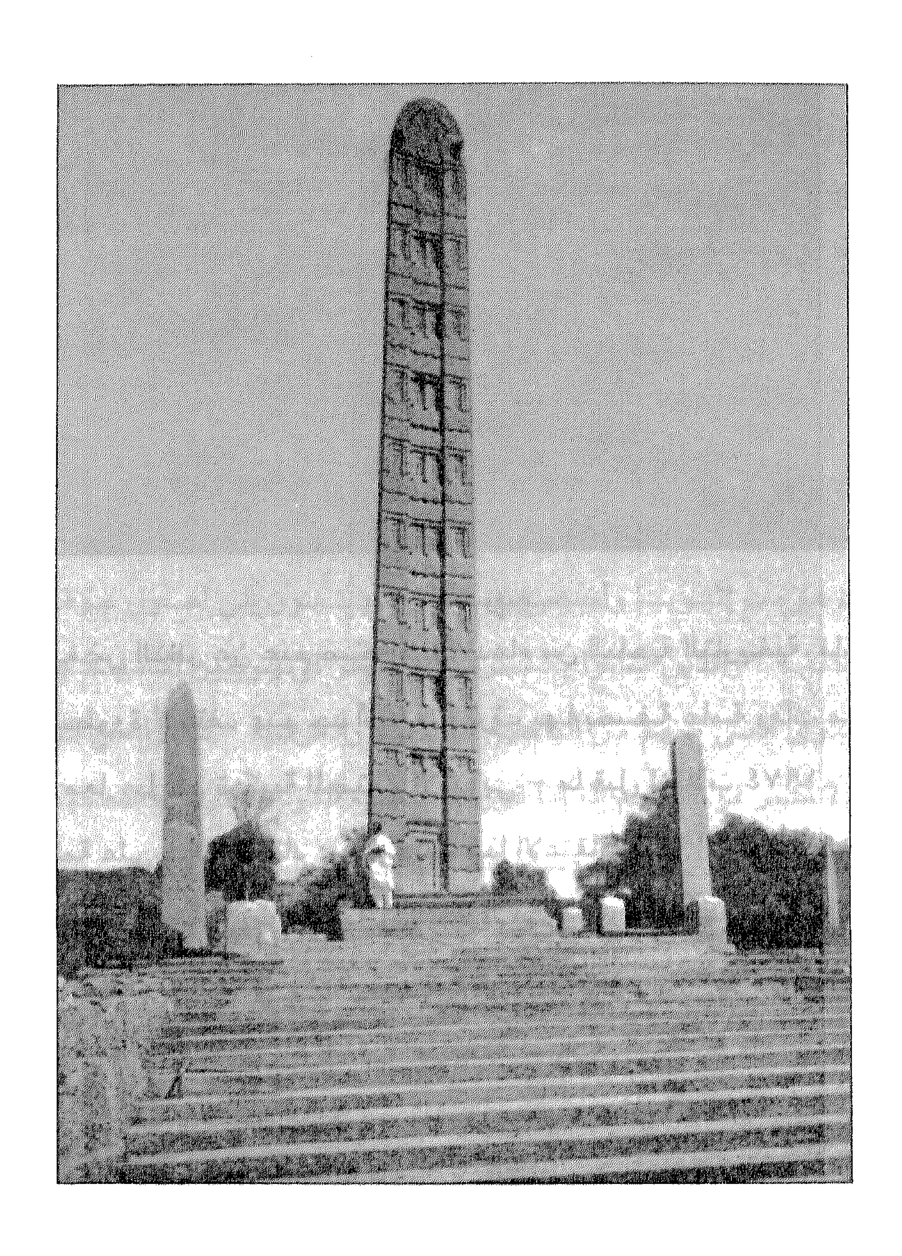
ومن العـوامل التى لا تـقل أهمـيـة عن الكنيسـة الأرثوذكـسـيـة وجـود مـا يسمى بـ « سـلالة الأباطرة السليمـانيين» الحـاكـمة · فأباطـرة إثيـوبيا كـانوا يدعون لأنفسهم شرعية تاريخية شبه إلهية ، على أساس نسب مؤسس دولتهم منليك الأول، والذى يدعى بأنه ولد نتـيـجـة عـلاقـة بين الملك سليمـان والملكة بلقيس ملكة سبأ والتى تعرف فى إثيوبيا باسم ماكيد (٣) ·

---

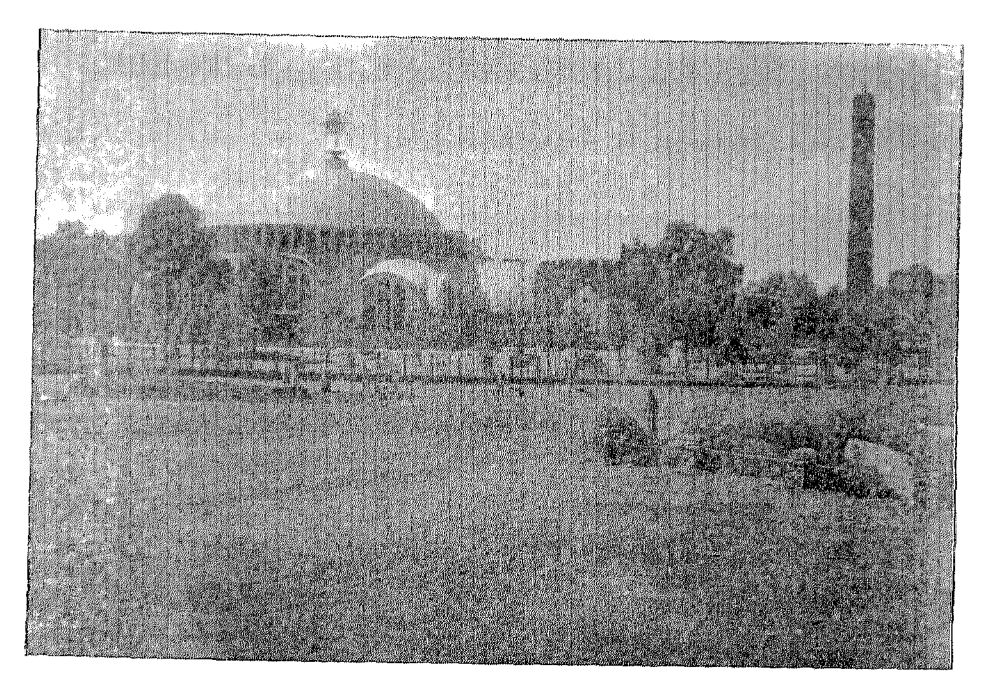
(١) محمد عثمان ابو بكر : كتاب تاريخ إريتريا المعاصر أرضا وشعبا ، القاهرة ١٩٩٤، ص ٨٠ ·

(٢) الأمين عبدالكريم : مصدر سابق ، ص ٤٢ ·

(٣) عن الأساطير الإثيوبية القائلة بتسلسل الأسرة الحاكمة من سيدنا سليمان بن داود ملك بيت المقدس فى القرن العاشر قبل الميلاد ·
يمكن الرجوع إلى زاهر رياض : قصة ملكة سبأ بين الأسطورة والتاريخ ، تاريخ ملكة سبأ ، ١٩٦٦، ص ٢٦ – ٣٢ ·



مسلة أكسوم



كنيسة أكسوم

وبغض النظر عن عدم صحة هذا الادعاء من الناحية التاريخية، فإن أهمية هذه الأسطورة لا تقف عند حد أنها معترف بها بصفة عامة وذات مدلولات لاهوتية معا ، بل إن تركيبة المجتمع الإثيوبى – ما قبل انقلاب ١٩٧٤م – كانت كلها قائمة على هذا الاعتقاد · فقد أوجد هذا الاعتقاد المبرر الأيدولوجى للعلاقة المتينة بين الكنيسة الأرثوذكسية والعائلة الإمبراطورية المالكة · ومن ثم بررت الهيئة الثقافية والسياسية والعسكرية للإثيوبيين وسوغت ميولهم التوسعية · كما ساهمت فى إدخال المفاهيم العنصرية لتبرير إخضاع واستعباد غير الإثيوبيين المسيحيين الذين يختلفون عنهم، على أساس الدين والشكل وأسلوب الحياة · فالمسوغات الدينية والقانونية من قِبَل كل من الكنيسة والدولة كانت تستنبط من سفر الأوروبيين (Liviticus) ومن الشريعة الموسوية (Mosaiclaw) ثم طورت فيما بعد فى كل من الكبراناجست

(Kebranagast) (مجد الملوك) والفتحانجست (قانون الملوك) - بالإضافة إلى سفر التكوين (Fethnagast) وغيره من الكتب الأخرى ٠

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره، فإثيوبيا هى الدولة الإفريقية الوحيدة المحظوظة التى سلمت من سيطرة الاستعمار الأوروبى الحديث ٠ ومن ثم استطاعت ليس فقط الحفاظ على استقلالها وسيادتها السياسية ، بل إنها صارت مشاركة فى عملية التوسع والاستحواذ على منافع مادية بالحصول على أراضى جديدة ضمتها إلى ملكها ٠ فالفتوحات التى تمت فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى نتج عنها ميلاد دولة إثيوبيا المعروفة بحدودها لدينا اليوم باستثناء إريتريا ٠فقد كان المستعمرون الأوروبيون الذين أبرمت إثيوبيا معهم إتفاقيات حدود هم المنافسون الوحيدون لها ، كما فعلوا مع بعضهم البعض ٠ فقد هزمت إثيوبيا وأخضعت شعوبا ينتمون إلى أصول عرقية وديانات مختلفة ، والذين كانوا يعتبرون فى نظر الإثيوبيين المسيحيين أنهم فى مستوى أدنى منهم من الناحية الثقافية والعرقية ٠ فالأراضى التى أضيفت كانت أكبر فى الحجم إذا ما قورنت بحجم الدولة الإثيوبية الحقيقية ٠ ومن حيث العدد فإن المجموعات العرقية والدينية والتى تتكون من المسلمين والوثنيين الذين أضيفوا قهرا إلى الدولة يفوقون الإثيوبيون المسيحيين عددا ٠

وإثيوبيا بحدودها الدولية المعترف بها حاليا تضم عددا من المسلمين يتراوح عددهم بين ٥٠٪ - ٦٠٪ من جملة سكانها (١) ٠

(١) الأمين عبدالكريم : مرجع سابق . ص ٤٣ ٠

٢ - العلاقة بين أكسوم وبلاد العرب :[1]

لقد كانت لمملكة اكسوم علاقات وطيدة مع بلاد عدة ، منها الإمبراطورية البيزنطية وسوريا الهيلينية ومصر وجنوب شبه الجزيرة العربية بشكل خاص٠ وقد تدخلت أكسوم عسكريا مرتين فى جنوب شبه الجزيرة العربية فى نهاية القرن الثالث الميلادى وبعده بقليل ، حيث بسطت سيطرتها على مملكة حمير لفترة قصيرة ، ولكن قبل منتصف القرن الرابع الميلادى عادت مملكة حمير مستقلة مرة أخرى ٠ وبصفتها حليفة لبيزنطة فقد تبنت أكسوم قضية المجموعات المسيحية فى اليمن ونجران بالذات٠ ففى أعوام ٥٢٣ م – ٥٢٥ م قاد الملك الأكسومى كالب (كذلك يسمى ال أصبحا عند الإثيوبيين) حملة بحرية انتقم بها من قتل المسيحيين هنالك وإجبارهم على اعتناق اليهودية فى عهد ذى نواس ، وقد انتهت تلك الحملة بهزيمة اليهود وإعادة سيطرة اكسوم للمرة الثالثة على بلاد اليمن ٠ وفى أيام الملك الأكسومى جبرا ماسكل (Gabra Maskal) أغرى أبرهة الأشرم سيده على غزو الحجاز وهدم الكعبة ، ليصرف التجار العرب عن مكة المكرمة وليحول حجيجهم وتجارتهم إلى صنعاء بدلا منها ٠

وقد تمت تلك الحملة المشئومة الفاشلة عام ٥٧٠م ، وهو نفس العام الذى ولد فيه النبى– صلى الله عليه وسلم –وقد أطلق العرب على تاريخ تلك الغزوة (عام الفيل) (٢) ٠

---

(١) انظر : صورة لمملكة اكسوم القديمة ، ص ٠

(٢) انظر القرآن الكريم (سورة الفيل) « ١٠٥ » و (سورة قريش) « ١٠٦ » وابن هشام «أبومحمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميرى » : السيرة النبوية ، الجزء الأول ، (١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦م) ، صفحات ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٧و ٥٩ ٠

وإذا كانت أكسوم المسيحية قد منيت بالفشل فى تلك الغزوة فإن ما لقيته فى اليمن من هزيمة كان بالغ الأثر ٠ فقد ثار اليمنيون بقيادة سيف بن ذى يزن ، واستنجدوا بالفرس مما ملكهم من إخراج الأكسوميين من اليمن نهائيا لتدخل تلك البلاد فى حوزة الفارسيين حتى الفتح الإسلامى ٠ وبازدياد النفوذ الفارسى فى البحر الأحمر أولا، ثم بعد ظهور وانتشار الإسلام، فقدت أكسوم سيطرتها على سواحل البحر الأحمر مما قطع صِلاتها بالشرق الأوسط والعالم المسيحى المعاصر، ومع ذلك فقد بقيت هنالك علاقات ضعيفة مع الكنيسة القبطية بالأسكندرية، والتى كانت منذ القرن السابع الميلادى تعامل بتسامح منقطع النظيرتحت سيطرة المسلمين ٠ أما العلاقات مع ممالك النوبة المسيحية فى الغرب والتى لم تكن حسنة فيما بينها ، فقد قطعت بواسطة قبائل البيجا الغزاة الذين توغلوا واستوطنوا فى الأجزاء الغربية من هضبة إريتريا ٠

وعلى الرغم من تخطى مملكة أكسوم مرحلة عنفوانها وتقلص مطامعها على سواحل البحر الأحمر والسهول المتاخمة لها لم تسقط المملكة المسيحية أنذاك ، حيث قاومت الكنيسة والعائلة المالكة عوامل الانهيار ٠ كما قاما معا بالتوسع السياسى والنشاط التبشيرى الموجه نحو الجنوب على طول أقاليم تجرى وأمهرا وهضبتى قوجام وشوا ٠ كما ظلت هنالك علاقات سلمية ذات صبغة تجارية فى الغالب الأعم بين مملكة أكسوم والجزيرة العربية ٠والدليل على ذلك معرفة المنتجات التقليدية لأكسوم فى الجزيرة العربية ، ووجود

الأحباش الموالى وسط القريشيين فى الحجاز فى صدر الإسلام، وغيرهم ممن امتزجت فى عروقهم الدماء العربية إضافة إلى دمائهم الإفريقية ، والذين عرفوا « بأغربة العرب » ٠ واختيار بلاد أكسوم بوصفها ملجأ للمسلمين الأوائل الذين عُذِّبوا على يد كفار مكة لدليل آخر على العلاقات السائدة بين عرب الحجاز ومملكة أكسوم عند ظهور الإسلام ٠

٣ - بداية الصراع بين المسيحيين والمسلمين :

بدأ تحرش الملوك المسيحيين بالإسلام فى الحبشة فى أواخر القرن السابع الهجرى حيث بدأ ملوك إثيوبيا يسيئون معاملة المسلمين بتثقيل كواهلهم بفرض ضرائب فادحة لا تتحملها حالتهم المادية بقصد التضييق عليهم وإفلاسهم ٠ وقد كان أول من أساء معاملتهم من الملوك هو الملك «يكونوأملاك» ٠

ويمكن القول بأن هذا الصراع قد بدأ بعد استرداد العائلة السليمانية للعرش الإثيوبى بتولى يكونوا أملاك (Yekuno Amalak) الحكم ما بين عام ١٢٧٠ و ١٢٨٥م ٠ وقد تبع ذلك انتقال مركز الدولة الإثيوبية من إقليم لاستا إلى أمهرا فى الجنوب ، كما أدى ذلك إلى اتخاذ سياسات عدائية تدريجيا من قبل ملوك إثيوبيا ضد الممالك الإسلامية المجاورة ، وخاصة مملكة إيفات ، بهدف الحد من توسعهم وسيطرتهم على طرق التجارة الداخلية والخارجية تمهيدا للقضاء عليهم ٠ وعلى الرغم من أن البواعث الأساسية لبداية هذا

الصراع كانت سياسية واقتصادية فى المقام الأول ، فإن عامل النزاع الدينى بين القوتين المتجاورتين والمتعصبتين لديانة أتباعهم سرعان ما طغى على ما سبقه من أسباب ومبررات ٠

وعلى ذلك بدأ الصراع بين المسيحيين والمسلمين ، فى بادئ الأمر على شكل مناوشات بسيطة ومحدودة على الحدود والتخوم التى تفصل بين ممالك الفريقين ٠ لكن هذا قد تطور فيما بعد مما أدى إلى نشوب قتال، ومعارك طاحنة بينهما ٠ وترجع بداية تلك الأحداث إلى عهد يعقيبا صيون (Yagbea Syon) (١٢٨٥م – ١٢٩٤م) والأباطرة الذين جاءوا للحكم من بعده٠ وقد غدت تلك الحروب متصلة وعنيفة بصفة خاصة فى عهد عمدا صيون الأول (Amda Syon I) (١٣١٤م – ١٣٤٤م) وخليفته سيفا أراد (Sayfa Arad) (١٣٤٤م – ١٣٧٢م) (١) ٠

ويمثل عهد زراء يعقوب (Zara Yagob) (١٤٣٤م – ١٤٦٨م) أوج عظمة وقوة العائلة السليمانية سياسيا وعسكريا ، فسرعان ما أصاب الوهن الدولة المسيحية بعد ذلك مما دفع ملوكها إلى التخلى عن السياسات العدائية الهجومية ضد جيرانهم من المسلمين واتخاذ سياسات يغلب عليها الطابع الدفاعى ٠

---

(١) الأمين عبدالكريم : مرجع سابق ، ص ٥١ ٠

تزخر المصادر الإثيوبية للفترة ما بين القرن الثالث عشر والخامس عشر الميلادى بتفاصيل الاقتتال المتواصل بالغ العنف بين الفريقين ، وما تبعه من دمار وقتل وسبى ٠ فالغزوات العديدة لبلاد إثيوبيا التى قام بها حق الدين ، سلطان إيفات مع حليفه حاكم وفاتاجار ، أدت إلى تصدى عمدا صيون الأول إليهم ٠ ففى عام ١٣٢٨م أوقع بهم شر هزيمة وخرب بلادهم٠ ثم رجع إلى بلاده وبرفقته حق الدين الذى وقع فى الأسر بعد أن نصب أخاه صابر الدين مكانه بوصفه حاكما تابعا له على كل من إيفات وفاتاجار ٠ وما لبث أن تحالف صابر الدين مع كل من سلاطين هادية ودوارا وتم الاتفاق بينهم على مهاجمة إثيوبيا كل منهم فى جهة مختلفة فى وقت واحد٠ ولكن عمدا صيون تمكن من إجهاض هذا المخطط حيث تمكن من محاربة جيوش كل منهم على انفراد ملحقا بهم الهزائم الواحدة تلو الأخرى ٠ وكانت إمارة هادية هى أول من تصدى لها عمدا صيون فخرب أقاليمها وأحرق مساجدها وسبى واسترق العديد من مواطنيها٠ وكان نفس المصير من نصيب إمارة فاتاجار ثم دوارو من بعدها ٠ أما إمارة إيفات نفسها فقد أرغمت على الخضوع المباشر لسلطان ملك إثيوبيا مع الإبقاء على حياة حاكمها الذى أخذ أسيرا ٠ وبهذا تم القضاء على الاستقلال الفعلى لتلك الإمارات الإسلامية، حيث عمل عمدا صيون على إخضاعها لسيطرة إثيوبيا تحت أمرة جمال الدين ٠ الأخ الآخر لحق الدين بوصفه حاكما عليها من قبل سيده ملك إثيوبيا المنتصر٠

وقد أثارت انتصارات عمدا صيون الأول تلك حفيظة سلاطين إمارات عدل ومورا ، الذين سارعوا لمحاربة الملك الإثيوبى دون أن يحالفهم التوفيق . ثم عادوا مرة أخرى ، بعد أن ضموا جمال الدين إلى صفوفهم لمقاتلة عمدا صيون، لكن هذا الأخير تمكن من إحراز النصر عليهم ثم أنزل الدمار بهم وأحرق مدنهم الكبرى ومساجدهم (١) .

ولم يكن حال المسلمين فى الفترة التى تلت انتصارات عمدا صيون الأول أفضل مما سبق . ومما ذكره ابن فضل الله العمرى، ونقله عنه القلقشندى ، يتبين لنا أن الغلبة كانت لإثيوبيا فى حين تقلص دور الإمارات الإسلامية إلى الخضوع لسلطان ملك إثيوبيا على الرغم من المحاولات العديدة من جانبهم للخلاص من سيطرته .

ولم يتغير هذا الحال خلال القرن الرابع عشر الميلادى . ففى عام ١٣٧٦م وبعد توليه الحكم بقليل رفض حق الدين الثانى الهيمنة الإثيوبية وشن الحرب مجددا ، ولكنه هزم وقتل كما قتل العديد من جنده . وباءت محاولة شقيقه سعد الدين الثانى لمواصلة الحرب بالفشل إذ هزمت جيوشه وهرب بنفسه إلى زيلع حيث تتبعه الإثيوبيون وقتلوه عام ١٤٠٢م بعد حصار طويل . وباحتلال الإثيوبيين لميناء زيلع الذى استمر لمدة عشرين عاما ،

---

(1) E.A.W. Budg : Op. Cit., PP. 305-312 : J.S. Trimengham; Op. Cit., 74 - 76, 78 " T. Tamrat, Op. Cit., PP. 150-155.

كتبت النهاية لوجود إمارة إيفات ٠ أما أبناء سعد الدين الثانى العشرة فقد ذهبوا إلى اليمن حيث وجدوا الملجأ لفترة وجيزة عند حاكمها أحمد بن الأشرف إسماعيل٠ ثم عادوا بعدها واتخذوا لأنفسهم لقب سلاطين عدل [١] ٠

ومن الملاحظ أن مسرح تلك الحروب التى دار رحاها طوال الثلاثة قرون الماضية ظل فى أغلبه خارج نطاق أرض الدولة الإثيوبية نفسها٠ ولكن فى عام ١٥٢١م قام أبو بكر بن محمد سلطان عدل بنقل مركز إمارته من داكار إلى هرر [٢] ٠ مما جعل إمارة عدل أكثر قربا من إثيوبيا وأوثق صلة بما يدور من صراع بينهما وبين المسلمين المجاورين لها ٠ ومنذ ذلك التاريخ غدت إمارة عدل النصير الرئيسى للمسلمين فى نزاعهم مع دولة إثيوبيا ٠ وقد تميزت إمارة عدل بموقع استراتيجى مهم لتحكمها فى طرق التجارة الرئيسية التى تربط الأقاليم الشرقية والجنوبية الشرقية بميناء زيلع - كما كان تحت إمرة سلاطينها - بحكم جوار إمارتهم لقبائل الصومال والعفر - مقاتلون مولعون بالقتال ومتمرسون فى سرعة الحركة والمراوغة ٠ وقد مكنت هذه المميزات حكام عدل من إحراز بعض الانتصارات فى الحروب التى خاضوها ضد الإثيوبيين ٠ فمن الأرجح أن كل من الأباطرة ثيدروس وإسحاق قد فقدوا حياتهم فى عام ١٤١٢م و ١٤٣٠ م بالتتالى فى القتال ضد عدل ، ولكن هذا النجاح لم يستمر طويلا إذ سرعان ما رجحت كفة الإثيوبيين ،مما نتج عنه مقتل عدد من سلاطين عدل مثل صبر الدين الثانى ومنصور وجمال الدين

---

(١) زاهر رياض : مصدر سابق ، ص ٧٨ ٠ ٧٩ ٠

(2) Trimingham : Op. Cit., PP. 75-76, 78-80; Ullendroff : Op.Cit., PP. 69-71. J.S. Trimingham : Op. Cit., P.85.

وبادلى بن سعد الدين فى الحروب التى دارت بين الطرفين فى الفترة الوجيزة ما بين عام ١٤٢٢م وعام ١٤٤٥م ٠

ويعتبر عهد زراء يعقوب (١٤٣٤م – ١٤٦٨م) بصفة عامة ذروة قوة الدولة الإثيوبية سياسيا وحربيا ، حيث اضطر الأباطرة الذين خلفوه إلى اتخاذ سياسات غلب عليها الطابع الدفاعى فى وجه موجات الهجوم المتجددة من قبل القوى الإسلامية (١) ٠

وقد اتفق تغير الحال مع حدوث تغيرات سياسية واجتماعية فى إمارة عدل وفى غيرها من المشايخ الإسلامية الواقعة فى السهول الممتدة بين سفوح الهضبة الإثيوبية والبحر الأحمر ٠ فبسبب إنهاك قواهم والخسائر الجسيمة التى لحقت ببلادهم من جراء الحروب المتعددة التى خاضوها ، اتخذ الحكام التقليديون سياسات جديدة تهدف إلى التعايش السلمى مع مملكة إثيوبيا المسيحية ٠ ولم ينل هذا الموقف رضا أكثرية المسلمين المتحمسين لدينهم وعلى رأسهم مجموعة من الدعاة أطلق على كل منهم لقب الإمام ٠ فقد كان الرأى عند هؤلاء الدعاة وأتباعهم أن الجهاد لا المهادنة هو الواجب الأول على المسلمين فى محاربة الإثيوبيين وأتباعهم ، وكان طبيعيا أن ينمو ويتزايد نفوذ هؤلاء الدعاة الذين كانوا أصلا موضع التقدير من مواطنيهم على حساب سلطة الحكام التقليديين وخصوصا عند قبائل الصومال والعفر٠ ونتج عن إحالة الأمراء من أسرة عمر ولشما – فى إمارة عدل على وجه الخصوص – إلى مرتبة حكام صوريين بينما تجمعت أغلب السلطات السياسية والحربية فى أيدى مجموعة الأمراء ٠

---

(١) الأمين عبدالكريم : مرجع سابق ، ص٥٣ ٠

وهكذا كان القرن الثامن الهجرى أوضح زمن عرفت فيه حالة الإسلام بالتفصيل فى هذه البلاد ، فقد اعتنى المؤرخون بتدوين أخبار حكوماتها الإسلامية وألفوا فيها كتبا كثيرة وكان ممن ألف فى ذلك المقريزى كتابا أسماه « الإعلام عما فى أرض الحبشة من ملوك الإسلام » وكذلك المؤرخ الكبير شهاب الدين العمرى فى كتابه « مسالك الأبصار » والقلقشندى فى كتابه «صبح الأعشى » · وفى العصور الوسطى ما كتبه المؤرخ الكبير الدكتور رجب عبدالحليم فى كتابه « عن العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى » وجميعهم وصفوا ممالك الإسلام فى إثيوبيا وذكروا أنها إمارات سبع إسلامية تتمتع بالرخاء والسعادة (١) ·

وقد تعددت مظاهر العداء والصراع بين دولة الحبشة المسيحية وممالك الزيلع الإسلامية منذ أن تولت الأسرة السليمانية حكم الحبشة كما أوضحنا فى عام ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠م ، وقام كل فريق بدوره فى تصعيد ذلك الصراع وفى تكثيفه · وكانت ردود الأفعال الناتجة عن هذا الصراع تحدث لدى الجانبين · فإذا قام الأحباش بعدوان رد عليه المسلمون بقدر استطاعتهم · وإذا اعتدى الأحباش على مقدسات إسلامية كحرق المصاحف وتخريب المساجد وهدمها ، قام المسلمون بنفس الشىء عند هجومهم على بلاد الأحباش ، فيحرقون الكنائس ويدمرونها (٢) ··· إلخ ·

---

(١) أبو احمد الإثيوبى : مرجع سابق ، ص ٣٦ ·

(٢) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ١٢١ ·

التنصير الإجبارى لمسلمى الزيلع الإسلامية :

وتظهر هذه الناحية فى نشاط ملوك الحبشة المكثف فى تنصير المسلمين تنصيرا إجباريا وفى فرض النصرانية على بلاد إسلامية بأكملها ، مستخدمين فى ذلك كافة الوسائل من ترغيب وترهيب وتعذيب (١) ٠

وقد عمد ذرا يعقوب (٨٣٨ - ٨٧٣ هـ /١٤٣٢ - ١٤٦٨م) إلى القضاء على الوثنية وعلى كل ما هو غير مسيحى فى مملكته ٠ وكان هذا الملك يعتبر ممالك الزيلع الإسلامية السبع تقع ضمن مملكته ، كما هى عادة ملوك الحبشة (٢) ٠ وحرصا على تحقيق هدفه فى نشر المسيحية واضطهاد مخالفيها من أصحاب الأديان الأخرى كالمسلمين واليهود والوثنيين فقد عين موظفا خاصا مهمته تعقب غير المسيحيين والتبليغ عنهم لتقديمهم للمحاكمة (٣) ٠

وقد أرغم زرا يعقوب جميع السكان غير المسيحيين على اعتناق المسيحية لتصوره بأن ذلك سيخلق إثيوبيا المتحدة (٤)٠

ويقول الدكتور محمد عبدالحليم فى كتابه مسلمى الزيلع : « وقد ذهب هذا الملك فى اضطهاده للمسلمين حدا جعله يقرر ويأمر بأن تنصر له إحدى بنات ملوك المسلمين فى بلاد الزيلع وأن تحمل إليه كل عام ، فكان يتم ذلك خوفا من عدوانه على المسلمين وقتلهم وحرق مساجدهم إذا امتنعوا عن ذلك ٠ فكانوا يرسلونها له بعد أن يغسلوها ويكفنوها ويصلون عليها على

---

(١) القلشندى : مرجع سابق ، حـ ٥ ، ص ٣٣٦ ٠

(٢) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق، ص ١٢٢ ٠

(٣) زاهر رياض : الإسلام فى إثيوبيا ، ص ١٣٥٠

(٤) زاهر رياض : تاريخ إثيوبيا ، ص ٨١ ٠

اعتبار أنها قد ماتت بخروجها عن دين الإسلام » (١) .

ويبدو أن عمليات التنصير التى فرضها ملوك الحبشة على المسلمين فى بلاد الزيلع ومنطقة القرن الإفريقى بصفة عامة ، كانت واسعة ومستمرة . فقد تحول عدد لا بأس به من أهل تلك البلاد الإسلامية إلى المسيحية خوفا من بطش ملوك الحبشة ، وتم هذا التحول فى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادى بالذات بعد أن ضعف المسلمون وقوى الأحباش بما عقدوه من صلات مع ملوك أوروبا وأصحاب المشاريع الصليبية (٢) .

وفى هذه الفترة وصلت إلى الحبشة أول بعثة برتغالية فى عهد الملك داوود ، ومن شدة حقده على الإسلام اقترح على الوفد البرتغالى أن يشترك ملوك فرنسا وأسبانيا والبرتغال فى حرب صليبية معه يشنها على جيرانه العرب (٣) ، ولكن رئيس الوفد البرتغالى رفض هذا العرض .

وهذا الحديث يقودنا إلى الجهاد الذى قام به الإمام أحمد بن إبراهيم ، وكما هو معروف ومما سردناه من حقائق تاريخية أن الإسلام قد دخل الحبشة وانتشر فيها سلميا بالدعوة الحسنة دون سفك الدماء واستعمال القوة إلا دفاعا عن العدوان الذى قام به الإمبراطور « يكونوا املاك » وخلفاؤه على الإمارات الإسلامية .

وخلال تلك الفترة الحالكة المظلمة بزغ فجر المجاهد الكبير الإمام أحمد ابن إبراهيم «صلاح الدين الحبشى » حاملا راية الجهاد فاكتسحت جيوشه

---

(١) عرب فقيه : مصدر سابق ، ص ٢٨١ .

(٢) رجب محمد عبدالحليم « دكتور » : مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

(٣) ابو احمد الإثيوبى : مرجع سابق ، ص ٤٠ .

معظم الإمبراطورية بل جميع أقاليم الحبشة بادئة من مدينة هرر قاعدة إمارته فى الجنوب الشرقى للحبشة حتى توغلت إلى الشمال وإلى الغرب وكان يقودها بنفسه فأوقعت أعظم الرعب فى قلوب ملوك المسيحية · وقد انتصر الإمام أحمد فى عدة وقائع مشهورة انهزمت فيها القوات الحبشية حيث رفرف علم التوحيد فى أرجاء الحبشة كلها في عهده ولم يزل يواصل جهاده وينشر دعوة التوحيد والعدل والحق ستة عشر عاما من سنة ٩٣٤ إلى ٩٥١ هـ الموافق ١٥٢٨ – ١٨٤٥م حتى استشهد فى إحدى غزواته ، وسوف نتحدث بالتفصيل فى الفصل السادس حول جهاده وانتصاراته ·

الفصـــل الســـــادس

====

أهم السلطنات العفرية منذ القرن السادس عشر
حتي القرن العشرين

===

المحتويـــات :

١ – كيفية سقوط مملكة أنكالاوبروز زعامة حرا الماحس ٠

٢ – الوضع العـفرى قبل مجىء الاستعمار الأوروبى فى المنطقة ٠

٣ – سلطنـــة رحيتـــا٠

٤ – سلطنة تاجوره٠

٥ – سلطنة جو بعد

٦ – سلطنة قريفو (بيرو) ٠

٧ – سلطنة أوسا ٠

١ - كيفية سقوط مملكة أنكالا وبروز زعامة حرا الماحس : (١)

هناك قصة طريفة ذات طابع أسطورى يرويها العفريون عن كيفية سقوط مملكة أنكالا، إذ يقول الرواة إن أهل أنكالا كانوا يعاملون الرعيةباستعلاء وازدراء – كعادة الحكام فى تلك العصور – وكانت من بين القبائل العفرية التى تخضع لسلطة أنكالا قبيلة (عبلى) ، الموجودة حاليا فى جيبوتى بنفس اسمها القديم وهى تنقسم إلى فرعين (دتا عبلى) و (عسا عبلى) أى (عبلى السمراء) و (عبلى الحمراء) ويوجد في إريتريا أبناء عمومتهم (حضرمو) وهم ينقسمون أيضا إلى فرعين (دتا حقى) و (عسا حقى) أى (حقى الأحمر) و (حقى الأسمر) ٠

وكان لقبيلة عبلى زعامة محلية خاصة بها من بين أبنائها، وزعيمها فى تلك الفترة كان يدعى (على عبليس) وكان له قريب يدعى (عمر يوسف) ، وقد كان متزوجا من الأسرة المالكة وقيل إنه كان متزوجا بنت السلطان٠ وقد قتل عمر يوسف بأمر من السلطان ، وكان قد أنجب من زوجته ابنا تكفل به قريب والده على عبليس، وأشرف على تربيته وإعداده لمهام كان يخطط لها فى صمت بكثير من الصبر والمثابرة ، وعندما شب عن طوقه وأجاد الفروسية

(١) من الروايات المحلية التى يتناقلونها أبا عن جد ، وقد كتبت هذه القصة عن رواية أحد المشايخ الكبار فى أديس أبابا ٠ والجدير بالذكر أن حكايات العفر الشفهية ليست مستخدمة بوصفها مصدر معلومات فى كثير من الدراسات عن العفر، وفى اعتقادى بأنها أحسن المصادر ٠ وأوجه القصور فى الحكايات الشعبية هو افتقارها إلى تحديد تواريخ الأحداث ٠

وجميع أنواع فنون القتال وفن قيادة الرجال، اتفق معه على خطة ذكية، وهى أن يذهب خلسة إلى منطقة عد عيلا فى تاجوره وأن يتسلق شجرة كبيرة يتجمع الناس تحتها وحولها عادة إلى أخر الخطة التى سيأتى ذكرها ٠

وفى الصباح حضر على عبليس إلى المنطقة ونادى على المواطنين الذين كانوا فى المنطقة، وأعلن أمام الملأ بأنه يوجد شخص غريب على الشجرة، وتجمع الناس لرؤية هذا الشخص وطلبوا منه النزول من الشجرة فاشترط للنزول من الشجرة تحقيق مطالبه حسب نصيحة قريبه وكفيله ومربيه على عبليس ، وتمثلت مطالبه فى : (١) تزويجه بفتاة بكر ٠ (٢) أن يوضع تحت قدميه جلدين أحدهما أحمر والآخر أبيض لينزل عليه من الشجرة دون أن تلمس قدماه التراب ٠ فوافق على عبليس على تزويجه ابنته البكر حسب الاتفاق بينهما ووضع له جلدين أحمر وأبيض ، فاختار النزول والجلوس على الجلد الأحمر وأعلن للحاضرين أنه يدعى حرا الماحس (الرجل الذى أصبح فوق الشجرة) و (عسا مرا) وهو (الرجل الأحمر) ٠ ومن هنا أخذ بعض المؤرخين الذين كتبوا عن أمة العفر إطلاق اسم (عسا مرا) على بعض أحفاد حرا الماحس٠ ولكن هناك رواية عفرية أخرى عن قصة عسا مرا وعدو مرا وسوف نعمد إلى ذكرها فى الفصول القادمة ٠ وهكذا وبظهور شخصية حرا الماحس بدأ عهد جديد فى منطقة العفر تحت زعامته ثم تحت زعامة أبنائه وأحفاده من بعده ٠

وبعد هذه الحادثة التى حبكها على عبليس حبكا محكما ، بدأت القبائل العفرية التى كانت تعانى من جبروت سلاطين أنكالا تبحث عن منقذ يحررها منها ، فأخذت تلتف حول حرا الماحس الذى استغل الأمر بذكاء شديد مستعينا

بعمه وحماه ومستشاره المخلص على عبليس ،فجمع حول رايته قبيلة عبلى والقبائل العفرية الأخرى التى أعلنت ولاءها له ، فأخذ فى تنظيمها وإعدادها للمواجهة مع قوات السلطان٠ وبالفعل تمت المواجهة المرتقبة فحقق حرا الماحس انتصارات تلو الانتصارات، بينما أخذت قوات السلطان فى التراجع نتيجة الهزائم التى منيت بها ٠

سلطنات أبناء حرا الماحس :

وفى عهد أبناء حرا الماحس ، وبعد أن تم لهم الاستيلاء على أجزاء كبيرة من البلاد، أقاموا أول سلطنة لهم فى رحيتا ونصب أكبر أبناء حرا الماحس سلطانا عليهم وكان اسمه (عد على) أى (على الأبيض) ٠

ووضع الشيخ على عبليس – الذى كان العقل المفكر والمخطط لتأسيس مملكة حرا الماحس – فى نفس الوقت أسس وضوابط وطقوسات لا تكتمل الشرعية إلا بها ، وهى أن يتم تتويج السلطان أو الملك على النحو التالى :

١ – أن يتولى على عبليس نفسه ، ومن بعده أحفاده وضع التاج على رأس السلطان ٠

٢ – أن تقوم كل قبيلة من القبائل العفرية الرئيسية فى المنطقة، والتى ساندت حرا الماحس فى كفاحه ، بالاشتراك فى تنصيب السلطان؛ مثل أن تغسله قبيلة معينة وتلبسه قبيلة ثانية وتعلن النبأ على الملأ قبيلة ثالثة إلخ٠

ولا تزال هذه التقاليد متبعة حتى الآن فى كل من سلطنة رحيتا وسلطنة تاجوره فى جمهورية جيبوتى ودولة إريتريا ، حيث يتوارث الحكم فيها سلالة أسرة عد على الابن البكر لحرا الماحس ٠

والجدير بالذكر أن نظام السلطنتين يقتضى أن يكون للسلطان نائب باسم الوزير من نفس أسرته ولكن من فرع آخر · وفى حالة وفاة السلطان أو عجزه عن أداء مهامه يحل الوزير محل السلطان، ويختار ابن السلطان السابق وزيرا له ، وفى حالة وفاة الوزير يُختار الوزير من نفس أسرة الوزير المتوفى·

وهكذا تتم عملية تداول السلطة فى إطار الأسرة الحاكمة بطريقة ديمقراطية وبواسطة أهل الحل والعقد من كبار الشخصيات العفرية من القبائل المختلفة التى تقع فى إطار السلطنة· وهو الأمر الذى ساعد على الاستقرار وحال دون حدوث الصراع على السلطة، حيث كان يتم انتقال السلطة بطريقة مرنة وسلسة بفضل هذا النظام الذى يعود الفضل فى وضعه إلى عبقرية الشيخ على عبلس وبُعد نظره ·

٢ - الوضع العفرى قبل مجيء الاستعمار الأوروبى فى المنطقة :

قبل قدوم الاستعمار الأوروبى كان العفر يعيشون فى ظل سلطنات مستقلة ذات حدود جغرافية واضحة المعالم تنتقل فيها السلطة بالوراثة وكانت العلاقات التى تسود بين هذه السلطنات تتأرجح بين التعاون والتشاور حينا وبين التنافس والهيمنة لتشكل كل واحدة منها وحدة سياسية أوسع فى إطار السلطنات الوراثية حينا آخر كما سيتضح فيما بعد (١) ·

(١) أحمد يوسف قرعى : مرجع سابق ·

ولقد كان للسلطات العفرية نظاما سياسيا تقليديا مستقرا متمثلا بوضوح فى الحدود الجغرافية · وقد كانت لهم سيادة على الأنظمة التجارية وفرض الرسوم على القوافل حاملة البضائع عبر الأراضى العفرية فى البحر الأحمر · فقد كان لهم تاريخ سياسى طويل فى الحكم الذاتى المستقل ·

وفى الحقيقة ، فى ذلك الزمان ، كانت للعفر ولايات وسلطنات قوية وذات نفوذ فى القرن الإفريقى (١) ·

١ - سلطنة رحيتا : (٢)

سلطنة رحيتا هى أول سلطنة أقامتها أسرة حرا الماحس بعد التخلص من نفوذ الأسرة الأنكلية، ونصب على السلطنة أكبر أبناء حرا الماحس والذى كان يدعى (عد على) وكانت تشمل الساحل الممتد من رأس بيلول فى الشمال حتى مدينة أبوخ (حيو) الواقعة على مداخل خليج تاجوره فى الجنوب، وكانت تشترك فى الحدود من الداخل مع سلطنة أوسا وسلطنة تاجوره وسلطنة قريفو (بيرو) · ويتوارث حكم هذه السلطنة حتى الآن أسرة قبيلة عد على التى تحكم أيضا سلطنة تاجوره، وهم أبناء عمومة ينحدران من عد على الابن البكر لحرا الماحس كما ذكرنا · وتوجد فى إطار سلطنة رحيتا عدة قبائل عفرية أهمها : عد على، ياسوما، كونعيلى بورا، ميلا، عد على شيخا وراتليه·

---

(١) عبدالله عمر آدم : دولة فى محنة ، ص ٥٤ ، بعد الترجمة ، استكهولم ·

(٢) عوض داود محمد : المسألة العفرية فى القرن الإفريقى ، القاهرة ١٩٩٣، ، ص ١٧ ·

وهى ترمز إلى وحدة إقليمية فهى أقصى الحدود الجنوبية لمنطقة دنكاليا وهى السلطنة الوحيدة فى إريتريا، وهى أقوى السلطنات العفرية إقليميا وسياسيا . وهناك سبع قبائل تتعايش فى منطقة سلطنة رحيتا . كما أن سلطة السلطان تمتد لتشمل ٣٥ قبيلة، ويتم الاعتراف بهذه السلطة حيث تعطى كل عائلة السلطان ضريبة سنوية تتمثل فى بقرة واحدة .

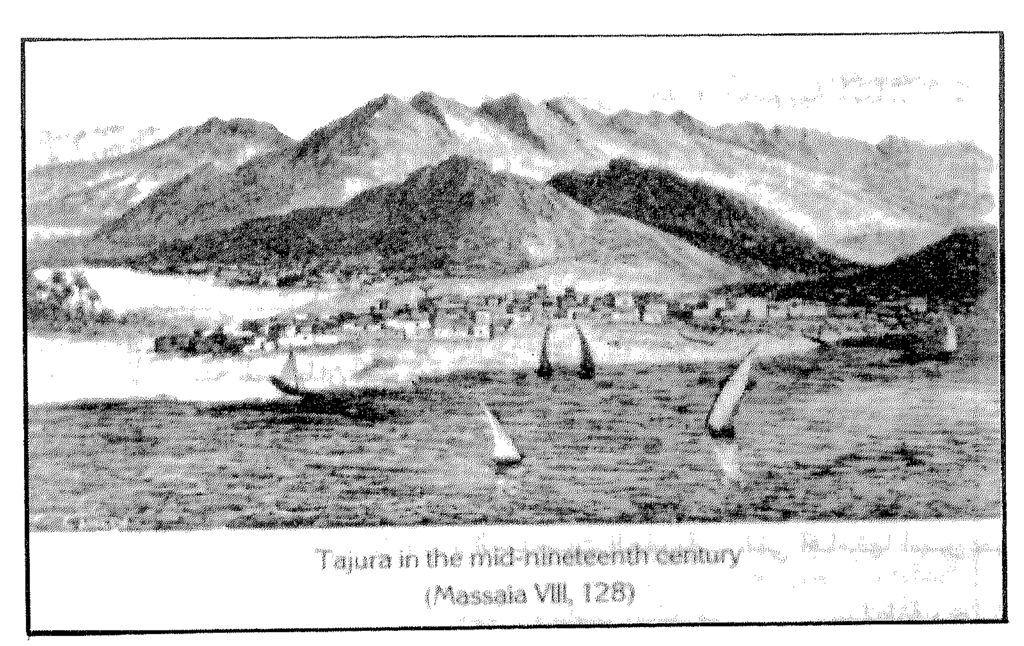
٢ - سلطنة تاجوره :

سلطنة تاجوره هى من أقدم السلطنات العفرية - التى أقامتها أسر حرا الماحس مع سلطنة رحيتا - وأعرقها ، وكانت تمتد من جنوب سلطنة رحيتا حتى بحيرة عسال حيث تبدأ حدود سلطنة جوبعد التى تحدها من الغرب. وهذه السلطنة اشتهرت بالتجارة لكونها إحدى طرق القوافل الرئيسية للحبشة منذ زمن بعيد [١] مع المناطق العفرية التاريخية ، وتوجد فى إطارها قبائل عدة أهمها : عد على شيخا. حوبا، سنفودا، معنديتا، ويعما، أفرودى وسعد على.

وهذه السلطنة لها تاريخ عريق فى التجارة مع الجزيرة العربية والقارة الإفريقية وهى تقع شمال جيبوتى. وبعد احتلال فرنسا لجيبوتى أنهت دور السلطنة السياسى، لكنها سمحت للأسرة الحاكمة بالاحتفاظ بسلطتها الشكلية تحت إشراف الإدارة الفرنسية ، وهم لا يزالون يختارون سلاطينهم كما كان الأمر فى السابق .

---

(١) عوض داود محمد : مرجع سابق ، ص ١٧.


Tajura in the mid-nineteenth century
(Massaia VIII, 128)

صورة لسلطنة تاجورة فى العصور الوسطى



اجتماع سلطان تاجورة مع الوفد الفرنسى

وهكذا تمكن أبناء حرا الماحس من إقامة سلطنتين لهم فى الأراضى التى كانت تحكمها مملكة أنكالا، ونصبت عليهما السلاطين من أسرة عد على الذى هو الابن البكر لحرا الماحس كما ذكرنا ٠ أما أبناء الابن الثانى لحرا الماحس إبراهيم الذى كان يطلق عليه (مودايلى إبراهيم) وكنى بذلك لكونه كثيف الشعر ، فقد استمروا فى فتوحاتهم وتوسعاتهم فيما تبقى من الأراضى تحت سيطرة سلطان أنكلا الذى كان فى تراجع مستمر تحت ضربات أبناء حرا الماحس المتصاعدة٠

وقد استقر سمبو لكعولى ابن مودايلى إبراهيم وحفيد حرا الماحس بوادى دمهو بالقرب من عد عيلا بجيبوتى بين ميلا وتاجوره، وسمى هذا الوادى بدمهو نسبة لوجود أشجار السواك التى يوجد منها الكثير فى هذا الوادى والذى يسمى دمهو باللغة العفرية ٠ ومن هنا أخذ اسم دمهويتا الذى يطلق على أحفاد سمبو لكعولى المنتشرين فى أنحاء العفر قاطبة ٠

تقدم أحد أبناء سمبو لكعولى إلى الجنوب بمنطقة دبنى وأسس هناك سلطنته التى سميت فيما بعد بسلطنة (جوبعد) ، بينما تقدم الابن الآخر (حيرى حمدو) إلى الشمال ، وظلا يواصلان فتوحاتهما فيما تبقى من الأراضى تحت سيطرة أنكالا٠ وبعد غزوات متواصلة وحروب مريرة تمكن الطرفان من إقامة سلطنتين جديدتين هما : سلطنة جوبعد وسلطنة بيرو ٠

وفى نفس الفترة تقدم أحد فروع منودايلى إبراهيم فى منطقة الوسط

باتجاه عيلا دعر ومندا حتى إقليم أوسا بقيادة قائدهم العظيم كيعو، وتمكنوا من هزيمة قوات الإمام سلمان الذى كان يحكم منطقة أوسا وأقاموا بها سلطنتهم · ويعود الفضل فى تكوين سلطنة أوسا إلى الفتوحات التى قام بها القائد الفذ كيعو والذى مهد لقيام السلطنة فى عهد إيداحس بن كدافوا ·

ولكن ظل أبناء سمبو لكعولى وأحفاده من بعدهم يرجعون إلى أبناء عمومتهم المنحدرين من عد على فى سلطنتى رحيتا وتاجوره فى كل أمورهم، كما كانوا يحملون إليهم جزءا من الخراج والغنائم التى يستولون عليها كنوع من الولاء للبيت الكبير ·

٣ - سلطنة جوبعد : (١)

بعد أن انفرد أبناء عد على ابن حرا الماحس بسلطنتى تاجوره ورحيتا - كما ذكرنا سابقا - ذهب أحد أبناء سمبو لكعولى إلى الجنوب باتجاه منطقة دبنى وأسس هناك سلطنته الخاصة به والتى سميت بسلطنة جوبعد، نسبة إلى المنطقة التى أقيمت بها والتى كانت تمتد جغرافيا من مدينة دخل فى جيبوتى - التى كانت عاصمة للسلطنة - حتى جبال إيرمى ثم إلى حراسا ومنها إلى

---

(١) سميت هذه السلطنة باسم المنطقة التى تشغلها وتمتد جغرافيا من منطقة دخل (عاصمتها الحالية) ·

بحيرة (أبحى بد) وحتى بحيرة عسال [1] • وتوجد فى إطارها عدة قبائل منها دبنى، عدو رسو.

وهذه السلطنة فى مرحلة من مراحل التاريخ كانت من أقوى السلطنات ، ووقفت فى وجه الاستعمار الغربى وتصدت له بقوة وصلابة ، وتقع هذه السلطنة فى الجنوب والجنوب الغربى من جمهورية جيبوتى •

٤ – سلطنة قريفوا (بيرو) :

تحدها سلطنة رحيتا من الشرق وسلطنة أوسا من الجنوب ، وتحدها من الغرب المرتفعات الهضبية الحبشية ، وتبدأ سواحلها من شبه جزيرة بورى الواقعة جنوب مصوع حتى رأس بيلول عند الحدود مع سلطنة رحيتا ، وتاريخ هذه السلطنة ملئ بغزواتها مع الحبشة ودفاعها المستميت عن أراضيها وعن استقلالها ضد الاعتداء المتكرر من جانب نصارى الحبشة والاستعمار الإيطالى. [2]

---

(١) لجنة الثقافة والإعلام برابطة الطلاب العفر بالقاهرة ، مرجع سابق ، ص ٢٢•

(٢) عوض داود محمد : مرجع سابق ، ص ١٧ •

وقد قام بتأسيس هذه السلطنة أحد أحفاد حيرى حمدو ابن سمبو لكعولى، حيث إنه عندما تحرك أحد أبناء سمبولكعولى إلى الجنوب ليؤسس فيها سلطنة قوبعد، تحرك هو شطر الشمال ، واستمرت فتوحاتهم حتى أقام حسن دبى (عسقالى) من أحفاد حيرى حمدو ابن سمبو لكعولى سلطنة قريفو (بيرو) ٠

ففى ظل المد الاستعمارى الذى شهدته المنطقة وتقاسم الدول الغربية لتركة الإمبراطورية العثمانية، قامت شركة روباتينو الإيطالية بتأجير قطعة أرض فى ميناء عصب من الشيخ إبراهيم الذى كان عمدة لمدينة عصب تحت إمرة سلطان رحيتا حيث كانت عصب جزءا من سلطنته ٠

وجدير بنا هنا أن نشير إلى أن معظم المؤرخين الأجانب الذين كتبوا عن تأجير شركة روباتينو لقطعة أرض فى عصب، أطلقوا على الشيخ إبراهيم لقب السلطان وهو خطأ وقع فيه أولئك المؤرخون ، لأنه لم يكن هناك ما يسمى بسلطنة عصب، وبالتالى لم يكن هناك ما يمكن أن نسميه بسلطان عصب ، إنما كان بها عمدة يعينه السلطان ويصرف الأمور فيها بتوجيه منه (١)٠

عند نزول الإيطاليين على الشواطئ الإريترية كانت هذه المناطق تخضع إداريا للإمبراطورية العثمانية، وكانت سلطنة قريفو على صلة وطيدة بدولة الخلافة العثمانية ٠ وكان سلطانها فى تلك الفترة يدعى حيسما أحو، والذى

---

(١) عبدالله عمر آدم : مرجع سابق ٠

قاوم بصلابة التغلغل الإيطالى فى أراضى سلطنته، وعندما شعر بدنو أجله أوصى أبناءه بمواصلة القتال ضد الإيطاليين حيث اعتبر هجومهم غزوا صليبيا مسيحيا يستهدف الإسلام والمسلمين فى المنطقة. وقد نسق أبناء السلطنة مع إخوانهم وأبناء عمومتهم فى شبه جزيرة بورى لمقاومة الإيطاليين وقد كان يقودهم الشيخ على عثمان بورى الملقب بـ (نخرة ياقلى) وتعنى باللغة العفرية محطم نخرة (*). واستمرت مقاومة سلطنة قريفو للغزو الإيطالى من عهد السلطان حيسما والسلطان محمد حيسما من بعده حتى عهد السلطان الشهيد يسن حيسما، وباستشهاده تمكن الإيطاليون من تدمير السلطنة وذلك فى عام ١٩٢٩م.

ومن القصص المثيرة فى هذه الحرب الإيطالية العفرية القضاء على بعثتين إيطاليتين كانتا فى طريقهما إلى مناطق العفر بهدف الاستكشاف والتجسس ، حيث أرسلت السلطات الإيطالية بعثة من إرافلى إلى بدة، وتمت تصفيتها فى دودوم التابعة لسلطنة قريفو. أما البعثة الثانية التى تحركت من بيلول فقد تم القضاء عليها بالقرب من منطقة دابو التابعة لسلطنة أوسا. وكان رئيس هذه البعثة يملك كلبا بوليسيا اصطحبه معه، وعندما قُتِل قطع

(*) نخرة جزيرة نائية تقع فى أرخبيل دهلك وكان ينفى إليها المستعمرون الإيطاليون قادة المقاومة الوطنية الذين يخشون بأسهم ليلقوا حتفهم هناك. ولم يخرج حيا – أى ممن تم نفيهم إلى تلك الجزيرة – سوى الشيخ على عثمان الذى كسر الباب الحديدى للسجن وحطم قيوده وقضى على الحراس الإيطاليين، وأفرج عن المساجين وأخذ القائد الإيطالى أسيرا، وأبحر بهم إلى بورى ليواصل من جديد مقاومته ضد المستعمر الإيطالى . ولذلك سمى بـ (محطم نخرة).

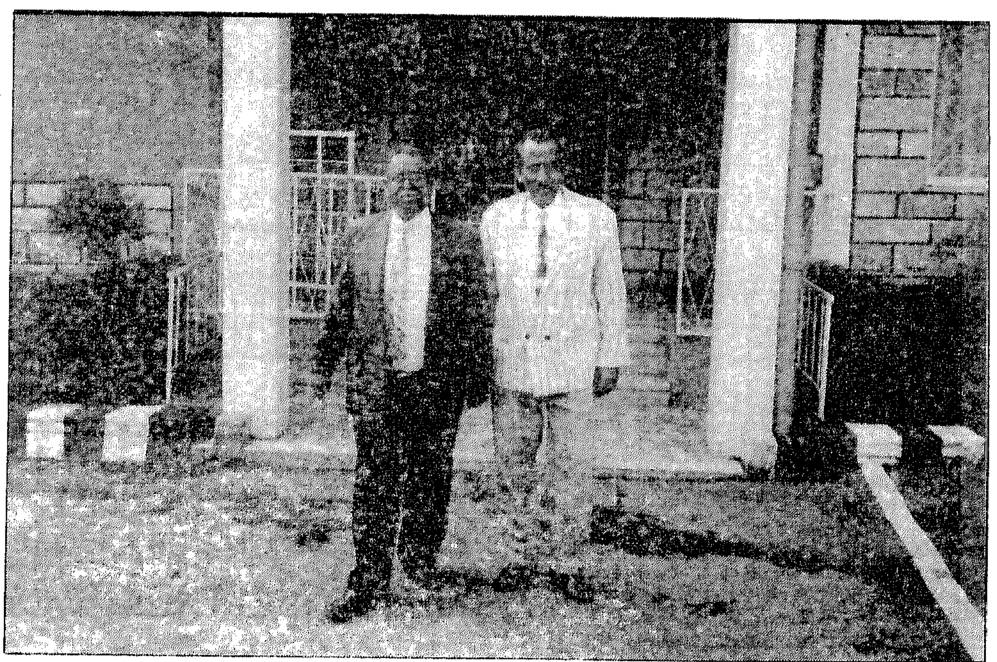
الكلب ذراعه وعاد به إلى مقر حاكم عصب الإيطالى الذى تعرف عليها من ساعة يده وأدرك ما حدث للبعثة ، فجمع أعيان العفر فى المدينة وسألهم عمن قتل أفراد البعثة فقالوا له : إنهم أهل سلطنة قريفو · فسألهم ماذا يفعلون عادة عندما يقتل لهم عزيز لديهم فأجابوه قائلين : إننا نقيم له نصبا تذكاريا من الأحجار على شكل هرم ونسميه (ويدل) حتى نأخذ له الثأر · وبالفعل أقام الحاكم الإيطالى نصبا بالمواصفات التى ذكرها له العفريون، وكان هذا النصب التذكارى قائما فى مدخل مدينة عصب وكان يعتبر من إحدى معالم المدينة، لكن الامبراطور هيلى سلاسى عندما زار عصب بعد استيلائه على إريتريا أمر بازالته حتى لا يعطى شرف مقاومة السلاطين العفر للغزو الإيطالى الذى رحب به الأباطرة الأحباش، ووقع معهم إمبراطورهم منليك اتفاقية تعترف بشرعية استيلائهم على إريتريا عام ١٨٩٠م ، وتقاسم معهم السيطرة على السلطنات العفرية والإسلامية (١)·

وبعد القضاء على البعثتين بدأ الإيطاليون فى تكثيف العمليات العسكرية باتجاه بيلول وعد وافمبو وودى، واستمروا فى مواصلة زحفهم نحو معاقل قوات سلطنة قريفو، واستمرت مقاومة القوات العفرية لسنوات طويلة· وعندما اشتد الحصار عليهم لتفوق الإيطاليين عددا وعدة زار السلطان يسن حيسما أديس أبابا التى كانت تسمى آنذاك أنطوطو (Antoto) ؛ لمقابلة الملكة زوديتو إمبراطورة إثيوبيا وولى عهدها رأس مكونن الذى أصبح فيما بعد إمبراطورا لإثيوبيا تحت اسم هيلى سلاسى، طلبا للدعم بحكم الجوار وباعتبار

---

(١) محمد عثمان أبو بكر : مرجع سابق ·





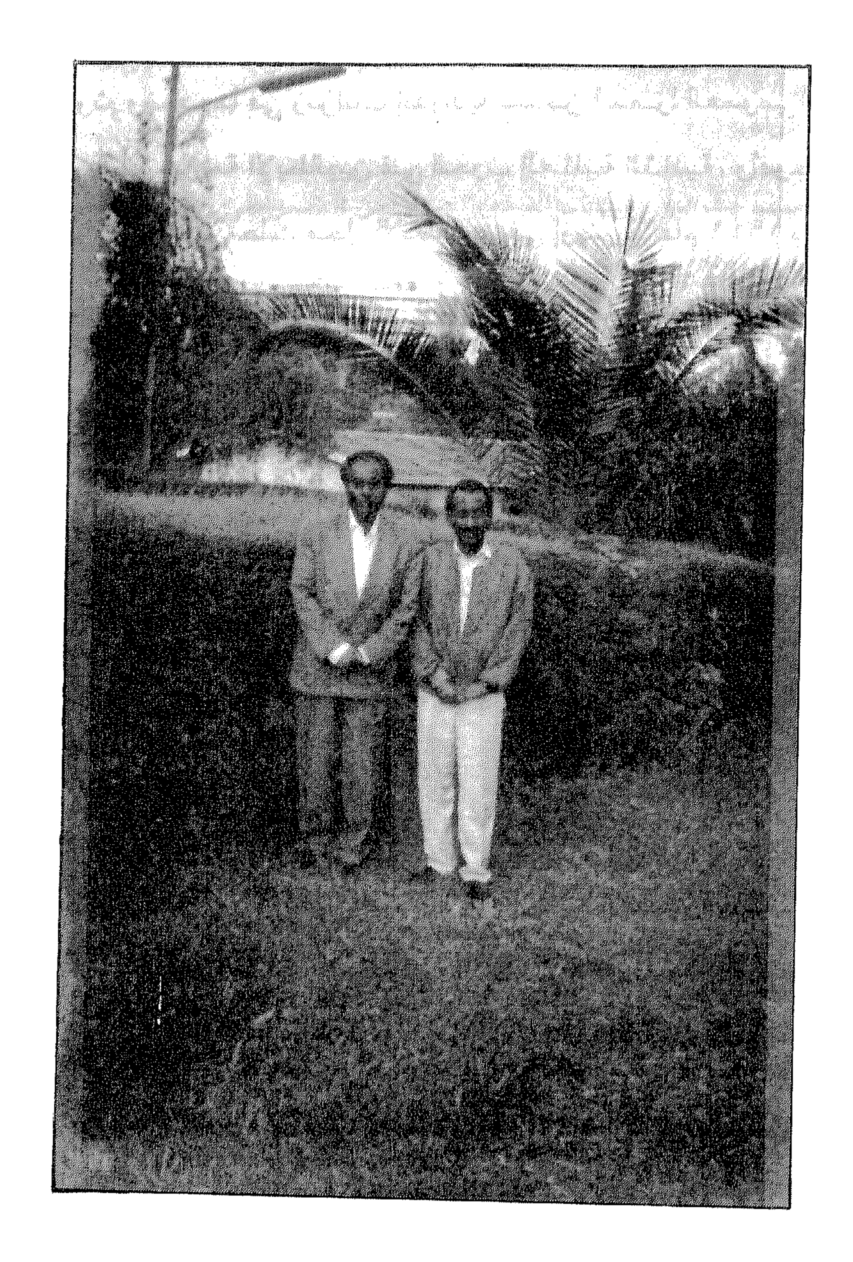
صورتان للسيد أحمد محمد أحو ابن السلطان محمد أحو

مع المؤلف محمد عثمان أبو بكر فى أديس أبابا

سلطنة قريفو تعتبر الخندق الأول للدفاع عن المنطقة وأنها تخوض معركة الجميع ٠ وأنه فى حالة انهيار مقاومتها سوف يواصل الغزاة الإيطاليون زحفهم حتى يتموا سيطرتهم على المنطقة بأسرها٠ ولكن لم يجد السلطان يسن حيسما أى تجاوب من حكام إثيوبيا، وعاد الوفد العفرى برئاسة السلطان يسن حيسما بخفى حنين ، بل - ولسخرية القدر - عاد معظم أعضاء الوفد الذى كان يضم القادة وعلية القوم وقد أصيب العديد منهم بمرض الجدرى الذى كان متفشيا فى الحبشة ليصرع أكثر من مائتين من خيرة قادتهم العسكريين وجنودهم٠ وجدير بالذكر أن السلطان يسن حيسما كان أول سلطان عفرى يزور المملكة الحبشية ٠

وقد استغلت السلطات الإيطالية هذا الوضع المتردى فى السلطنة وشددت من هجماتها على المقاومة العفرية، وتمكنت من تدمير سلطنتهم نهائيا بعد تصفية السطان الشهيد يسن حيسما عن طريق الخداع والغدر والخيانة ٠

ولم يبق من جيش السلطنة سوى عدد محدود تحت قيادة السلطان محمد أحو الذى أصبح سلطانا على ما تبقى من أراضى السلطنة خارج سيطرة القوات الإيطالية ٠ وقد استمرت مقاومة العفر بقيادة سلطانهم الجديد والذى لم يكن تجاوز السادسة والعشرين من عمره ٠ وقد شن حرب عصابات ضد الإيطاليين متخذا من منطقة أورا معقلا له وقاعدة انطلاق لعملياته العسكرية٠ وظل فى مقاومته حتى عام ١٩٣٥م عندما غزا الإيطاليون الحبشة واستولوا عليها ، فوجدها الإيطاليون فرصة سانحة لتصفية حسابهم مع عدوهم التاريخى اللدود ، فحاصروه من كل الاتجاهات وتمكنوا من أسره بعد معركة طاحنة سقط فيها الكثيرون من الجانبين ، وأخذ أسيرا إلى أسمرا ومعه ابن



المناضلان أحمد محمد أحو ومحمد أبو بكر (لوممبا)

عـمتـه أحـمـد شـحـيم من قـبـيلة أنكالا ، وهـو يـعـيش حـتـى يومنا هـذا فى مـدينة عصب. وتم وضـعـهما فى زنزانات إنفرادية بسـجن أسـمـرا الـعمومى وظلا رهـن الاعـتـقـال حـتى هـزيمة الإيطاليين فـى الحرب الـعـالمية الـثـانـيـة، وأفرجت عنـهـمـا الإدارة البريطانية التى حلت محل الإيطاليين فى إريتريا عام ١٩٤١م (١).

وعاد السلطـان محـمـد أحو إلى أورا وبدأ فى إعـادة تنظيم شئون سـلطنته فى بيـرو على ضـوء المسـتـجـدات والتطورات التى حـدثت فى فـتـرة اعـتـقـاله . ولا يـزال يعـيش السلطان محـمـد أحـو حتى الآن وقـد تجاوز عـمـره التسـعين عامـا .

وتوجـد فى إطار هـذه السلطنة قـبائل عـفـرية كـثـيرة بجـانـب العـشـائر المتفرعة من عسـاقلى الذى أسس سلطنة قريفو حيث أنجب عسـاقلى أربعة أبناء هـم :

١ – برعلى (المجعد).
٢ – عسا أحو.
٣ – عصب بكرى.
٤ – عسا قعص.

وبينما استـقـر أبناء برعلى فى قريفو يتولون أمور السـلطنة التى أسسـها والدهم وآل إليـهم أمـرها من بـعـده، انتـشـر بقـيـة إخوتـه فى مناطق أخـرى من السلطنة يسـاهمون فى توطيد دعـائم حكم الأسرة ويحـمـون أطرافـها البعـيـدة ويدافعون عن حدودها المترامية. وتنحدر من سلالاتهم القبائل التالية :

---

(١) أحمد محمد أحو : بحث غير منشور .

١ – عسا أحو : وتنحدر منه قبائل حرتو ويتواجدون ابتداء من عد حتى إقليم تيجراى ·

٢ – عصب بكرى : ويتواجدون بدءا من الشواطئ الإريترية حتى إقليم تيجراى الإثيوبى ·

٣ – عسا قعص : ويتواجون فى منطقة شبه جزيرة بورى وبردولى وقلعلو؛ ومنهم قبائل عس محمدو ، قعص سمبو، على كيفرتو، عد أحمدو، وعس مومنتو ·

وبر على هو الذى وضع أول قانون عرفى للعفر وتعرف بـ (بر على مدعه) أى قانون بر على ويعتبر قانونا شاملا ومفصلا، لم يترك شاردة ولا واردة إلا وضع لها حكما ، فى كل المجالات السياسية والاجتماعية والجنائية·

وفى مراحل لاحقة وضع بدتو (Budatto) من سلالة عصب بكرى قانونا اقتبس فيه الكثير من قوانين بر على ، أخذا فى الاعتبار ظروف منطقته وما استجد من التطورات فى المجتمع العفرى ، واعتبر قانونه الذى عرف بـ (بدتو مدعه) تطويرا للقوانين التى وضعها بر على ·

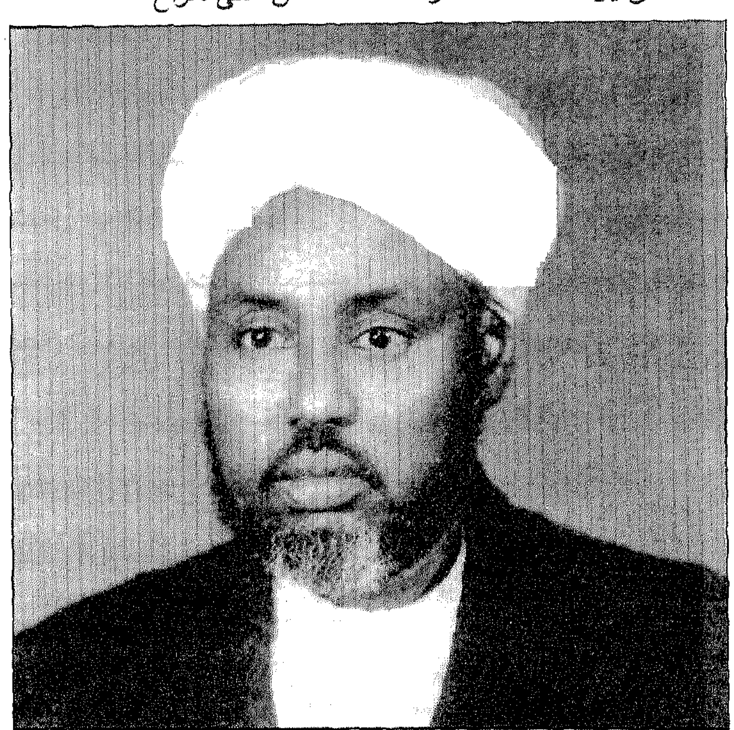
ولا يزال العفريون يحتكمون فى كثير من أمورهم إلى هذا القانون العرفى الذى وضعه حكماؤهم وعباقرتهم من أمثال بر على وبدتو ·

٥ – سلطنة أوسا :

تعتبر سلطنة أوسا من أهم السلطنات العفرية وأقواها على الإطلاق،

ويكفى أن نشيرإلى أن إمارة هرر كانت تابعة لها فى وقت من الأوقات· وتقع هذه السلطنة على ضفاف نهر آواشى ، وهى بمثابة واحة فى قلب الصحراء تحتوى على أخصب الأراضى الزراعية، ويرجع قيامها إلى أواخر القرن السادس عشر الميلادى·

ويعود الفضل فى تأسيس هذه السلطنة إلى الفتوحات الكبيرة والانتصارات الباهرة التى حققها القائد العظيم « كيعو » من أحفاد مودايلى إبراهيم على قوات الإمام سلمان الذى كان أميرا على تلك البلاد ، ممهدا الطريق لسيطرة قبيلة موديتو – بقيادة إيداحيس بن كدافو – على البلاد بعد أن أجهز على البقية الباقية من جيش الإمام سلمان ، ليعلن سلطنته التى لا تزال قائمة حتى يومنا هذا تحت زعامة السلطان على مراح ·



صورة للسلطان على مرح سلطان سلطنة آوسا

وقد عرفت هذه السلطنة الجديدة – التى قامت على أنقاض إمارة بنى سليمان – فى بادئ الأمر باسم سلطنة إيداحيسو ، نسبة إلى الإيداحيس الكبير جد كدافو ، وتعاقب على حكمها عدد من السلاطين الأقوياء ، منهم كدافو يايو وكدافو محمد وإيداحيس محمد والسلطان حنفرى محمد الذى حكم السلطنة ستون عاما وتوفى سنة ١٨٦٣م (١) .

ويعتبر سلطان أوسا تاريخيا سلطان عموم العفر والرئيس الأعلى للعفر، مما جعل له نفوذا كبيرا عليهم، وذلك لموقع السلطنة العام وقوتها العسكرية والاقتصادية (٢).

وقد شهدت سلطنة أوسا عهدها الذهبى إبان حكم السلطان محمد حنفرى الذى عرف بالعبقرية وبعد النظر، إذ عمل على تحسين علاقاته بجيرانه – سواء كان مع الإدارة الفرنسية فى جيبوتى أو السلطة الإيطالية فى إريتريا – وعمل على تطوير سلطنته كما طور القانون العرفى الذى كان سائدا بما يخدم مصلحة المجتمع العفرى . وعندما كان فى حوالى الستين من عمره وقع السلطان محمد حنفرى من على ظهر فرسه وأصيب فى رأسه ، مما أدى إلى إصابته بشلل تام وفقدان النطق. وأوصى ابن أخيه محمد إيداحيس بتسيير أمور السلطنة مؤقتا ، علما بأنه كان له أبناء من زوجتيه اللتين انقسما إلى جناحين متصارعين، حيث وقف الأشقاء الذين كانت تدعى والدتهم رقيه من قبيلة معنديتا فى جانب – ويدعمهم محمد إيداحيس الذى كان كلفه عمه

---

(١) عثمان صالح سبى : مرجع سابق ، ص ١٤٢.

(٢) عوض داود محمد : مرجع سابق ، ص ١٩ .

السلطان للإشراف على أمور السلطنة عندما أقعده الشلل – بينما رفض الجناح الآخر الذى عرف بـ (المدينانى) نسبة إلى أمهم (مدينة من قبيلة دميلا) فقد رفض هيمنة إخوانهم واستئثارهم دونهم بالسلطة وكان أبرز أعضاء هذا الجناح يايو محمد حنفرى ٠ وبعد وفاة السلطان تأجج الصراع بين الطرفين وانفجر القتال بينهما، مما أدى إلى تدخل السلطان حيسما ، سلطان بيرو وهو من أبناء عمومتهم كما ذكرنا سابقا لوقف القتال بين الإخوة ٠ وتم الاتفاق بينهم على تقاسم السلطة حيث يتولى أحد الطرفين حكم الإقليم الشرقى من السلطنة بينما يتولى الطرف الآخر حكم الإقليم الغربى مع الاحتفاظ بوحدة السلطنة ٠ لكن هذه الاتفاقية لم تدم طويلا، فسرعان ما نشب القتال بين الطرفين مجددا، ليسيطر على الوضع الجناح الذى كان يؤيده محمد إيداحيس، مما دفع الجناح الآخر إلى الفرار من المنطقة فلجأ يايو إلى سلطنة بيرو ، بينما لجأ شقيقه الثانى إلى سلطنة تاجوره٠ أما الشقيق الثالث فقد لجأ إلى منطقة جوانى فى بعدو آواشى، والتى كانت تقطنها قبائل عفرية خارج سيطرة السلطنة ٠

وبعد فترة من الزمن بدأ الجناح المنهزم فى جمع أنصارهم وأتباعهم فى كل من سلطنتى بيرو وتاجوره ، لشن الهجوم على السلطنة، واستعادة حقوقهم المغتصبة من أشقائهم ٠ وعندما علم محمد إيداحيس – الذى كان له ضلع كبير فى إبعاد يايو وأشقائه باستعداداتهم وحشوداتهم – بدأ فى نقل أمواله ومواشيه وجميع ممتلكاته إلى منطقةسمو فى بعدو، وذلك تحسبا للأمور واستعدادا للرحيل والانتقال إليها فى حالة انتصار يايو وأشقائه٠

وبدأ الهجوم المرتقب بقيادة يايو وأخيه حنفرى على السلطنة من جميع المحاور ، وفى هجوم صاعق تمكنوا من الاستيلاء على السلطنة وفر محمد إيداحيس الذى كان قد نقل كل ممتلكاته مع أفراد أسرته إلى منطقة سمو كما ذكرنا ٠ أما الجناح الذى كان يسانده فقد انهزم فى المواجهة وتم أسرهم وقتلهم مع أنصارهم ٠ وهكذا دانت الأمور ليايو محمد حنفرى، الذى أصبح حاكما مطلقا ومهيمنا على مقدرات السلطنة ، وكان شديد البأس مهيبا فخضعت له كل القبائل المجاورة٠

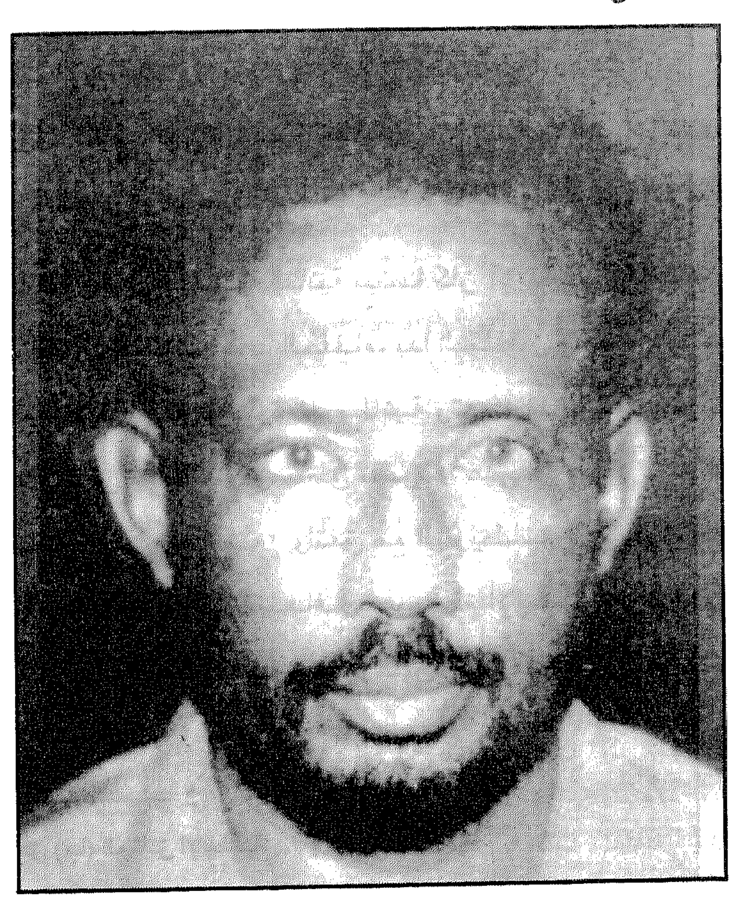
وبعد وفاة السلطان يايو خلفه على الحكم ابنه محمد ، وحسن علاقاته مع السلطات الإيطالية فى إريتريا والتى وجهت له الدعوة لزيارة العاصمة الإيطالية روما٠ وقد لبّى الدعوة وقام بزيارة إيطاليا التى أطلقت عليه لقب سلطان عموم العفر، وقد عرف عنه طموحه لإقامة دولة عفرية موحدة (١) ٠

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية بينما كان الإيطاليون يتعرضون لهزائم فى جبهات القتال المختلفة ضد الحلفاء، بدأ السلطان محمد يايو فى فتح قناة الاتصال مع الحلفاء عبر الإدارة البريطانية وتعهد لهم بطرد القوات الإيطالية المرابطة فى أراضى سلطنته ومناطق نفوذه، على أن يعترف الحلفاء بدولة عفرية موحدة تحت زعامته٠ واتفق مع البريطانيين وتعهدوا له بتحقيق طموحاته للاستفادة منه فى إضعاف خصومهم الإيطاليين وإنهاء وجودهم فى منطقة القرن الإفريقى، لكنهم سرعان ما تنكروا له عندما طلب منهم

---

(١) انظر ملحق (ب) الوثائق الإيطالية ٠

الإمبراطور هيلى سلاسى عدم الموافقة على إقامة دولة عفرية فى القرن الإفريقى، موضحا لهم خطورة إقامة مثل هذه الدولة فى المنطقة، ومذكرا إياهم بالحروب الدينية التى شنها الإمام أحمد بن إبراهيم (قرين) عندما تمكن من إقامة دولة العدل الإسلامية التى كان معظم قادتها وأكثر من نصف جنودها عفريون، واستطاع بهم تدمير المملكة الحبشية فى القرن السادس عشر الميلادى. وعندما شعر السلطان محمد يايو بالموقف البريطانى لجأ إلى الفرنسيين الذين كانوا يسيطرون على جيبوتى ، لكن حظه معهم لم يكن أفضل من حظه مع البريطانيين.



حبيب محمد يايو ابن السلطان محمد يايو سلطان آوسا سابقًا



مقاتل عفرى بعد التحرير من جيش جبهة التحرير العفرية



قوات عفرية تدخل العاصمة العفرية (آساعيتا)

أمام هذا الوضع، وشعور السلطان محمد يايو بخطورة الأمر ، وخوفا على سلطنته من العدو الإثيوبى المتربص ، لم يجد بدًّا من أن يطلب من الإدارة البريطانية ضم سلطنته وملحقاتها إلى حكم الإدارة البريطانية فى إريتريا ، لكنهم تجاهلوا طلبه هذا حيث كان رأيهم قد استقر على ترك السلطنة لقمة سائغة لإثيوبيا فى إطار السياسة العامة التى كان ينتهجها الغرب لحماية الدولة الحبشية التى يعتبرونها حليفة لهم ٠

ظل الوضع على هذا الحال إلى أن حانت الفرصة التاريخية للإمبراطور هيلى سلاسى الذى كان يتخوف من مواجهة قوات السلطان محمد يايو الذى كان تمكن من تسليح قواته تسليحا جيدا بعد استيلائه على أسلحة الجيش الإيطالى المرابط فى منطقته والذى اضطر إلى الانسحاب منها مخلفا وراءه بعض أسلحته ٠ وسنحت الفرصة للإمبراطور الإثيوبى عندما دب الخلاف بين السلطان محمد يايو ووزيره الأول فتورارى يايو حمدى الذى لجأ إلى الإمبراطور وكشف له كل أسرار السلطان ومخططاته ومخابئ أسلحته، كما أبلغه بأنه تمكن من تجنيد أعداد كبيرة ضد السلطان وأنه فى وسعه القضاء على حكمه بما له من نفوذ هناك ، ووافق هيلى سلاسى على خطة الوزير يايو دون أن يتنبه السلطان إلى ما يحاك ضده من المؤامرات ٠



يايو حمدى

حامادو يايو ، أحد السياسيين العفر البرزين فى إثيوبيا، كان عضوا فى البعثة التى صاحبت سلطان أوسا خلال زيارته لموسولينى فى روما · وأصبح صديقا حميما لهيلاسلاسى ، لدرجة أنه رأس جيشا لهيلاسلاسى لأسر منافسه السلطان محمد يايو · وكان المفاوض الرئيسى بين قوات المقاومة العفرية ونظام هيلاسلاسى فى الستينات· توفى فى أواخر عام ١٩٧٢ ·

الاعتداء علي سلطنة أوسا عام ١٩٤٣م :

لقد شهدت سلطنة أوسا العفرية الاعتداء على أراضيها من قبل جيش الاحتلال الإثيوبى فى عهد الإمبراطور هيلى سلاسى، وهى أشد وأفظع حملة عرفها سكان سلطنة أوسا ، وذلك فى ليلة السبت ٢١ ربيع الثانى ١٣٦٣ هـ الموافق ١٩٤٣م ، حيث تقدم جيش الاحتلال الإثيوبى ليلا والناس نيام والسكون مطبق على المدينة ٠ ويقول شاهد عيان لهذه المعركة – عندما يحكى عن ذكريات تلك الليلة المشئومة – أنه سمع أصوات السيارات وأزيزها من بعيد فاستيقظ، وكانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، وفى نفس الوقت حضر رجل اسمه الحاج أحمد حسين، فناداه وخرج إليه، وعندما شاهد السيارات صاح قائلا : (إنها الحرب لقد باغتنا العدو) ٠ وأحصى الرجلين ٧٠ عربة حربية تطفىء أنوارها بعد أن تصل أماكن التجمع وكان قد وصل قبلها ضعف هذا العدد ، ولم يمض دقائق قليلةحتى دوت أصوات المدافع الرشاشة الكثيرة، حيث تحول الوادى إلى بركان والطلقات النارية تخترق الظلام كأضواء الشمس التى تخترق السحب الكثيفة، وصار الوادى جحيما فى لحظات ٠ وعندما زحف الجيش من المطار إلى المدينة انقسم إلى قسمين : قسم اتجه إلى مقر السلطان وقسم آخر اتجه إلى مقر ابنه الكبير ٠ فالقسم الذى اتجه إلى مقر السلطان كان أشد وأعنف فى هجومه ، واستولى بغتة على مخزن الأسلحة ، فدافع العفريون بما لديهم من الأسلحة البيضاء، غير أن رشاشات الأعداء قضت عليهم قضاء تاما وفرَّ من نجى منهم إلى الغابات مع ابن السلطان ، ووجهت قوات الأحباش

الغازية هجومها على مقر السلطان· وبينما كانت المعركة غير المتكافئة قائمة كالجحيم، والقوات الحبشية الغازية تحاصر القصر وتقصفه من كل الاتجاهات، هرعت زوجة السلطان من غرفتها إلى الحصن الذى كان يرقد فيه السلطان مريضا، فبادرها أحد الضباط الأحباش بدفعة من طلقات رشاشه فأرداها قتيلة وحمل الجنود الأحباش السلطان المريض فى عربة من عرباتهم العسكرية · وما أن بزغ فجر اليوم الثانى طلع النهار على البلدة التى احترقت بيوتها، مخلفة وراءها جثث الضحايا من النساء والأطفال حوالى ٩٠ وما يقرب من ١٠٠ جثة من الرجال منتشرة بين ممرات الطرقات وزنقات البيوت · وهكذا انتهت هذه الحملة البربرية الوحشية من قِبَل قوات الاحتلال الإثيوبية على تلك البلدة · وقد كانت هذه الحرب خديعة وخيانة دبرت بإحكام بالغ ونفذت بدقة متناهية ، حيث كان الغرض من العملية هو اغتيال السلطان ·

وهكذا تعرضت سلطنة أوسا – وهى آخر السلطنات الإسلامية فى الحبشة – لهجوم غادر يتنافى مع أبسط مبادئ القوانين والاتفاقيات وحسن الجوار، وقد وراح ضحيتها السلطان محمد يايو الذى وضع فى سجن الم بغا فى أديس أبابا حيث لقى حتفه· ولكن سلطنة أوسا لم تذهب لقمة سائغة للأحباش كما كانوا يريدون ، حيث تولى حكم السلطنة بعد محمد يايو السلطان على مراح حنفرى فى سنة ١٩٤٥ وأصبح سلطان سلطنة عفر بعد أن أزاحت إثيوبيا السلطان محمد يايو الذى كان سجينا لديها · والسلطان على مراح هو ابن عم السلطان السابق · وقد بايعه الشعب العفرى سلطانا على سلطنة أوسا خلفا للسلطان محمد يايو · وهى تعد آخر سلطنة من السلطنات

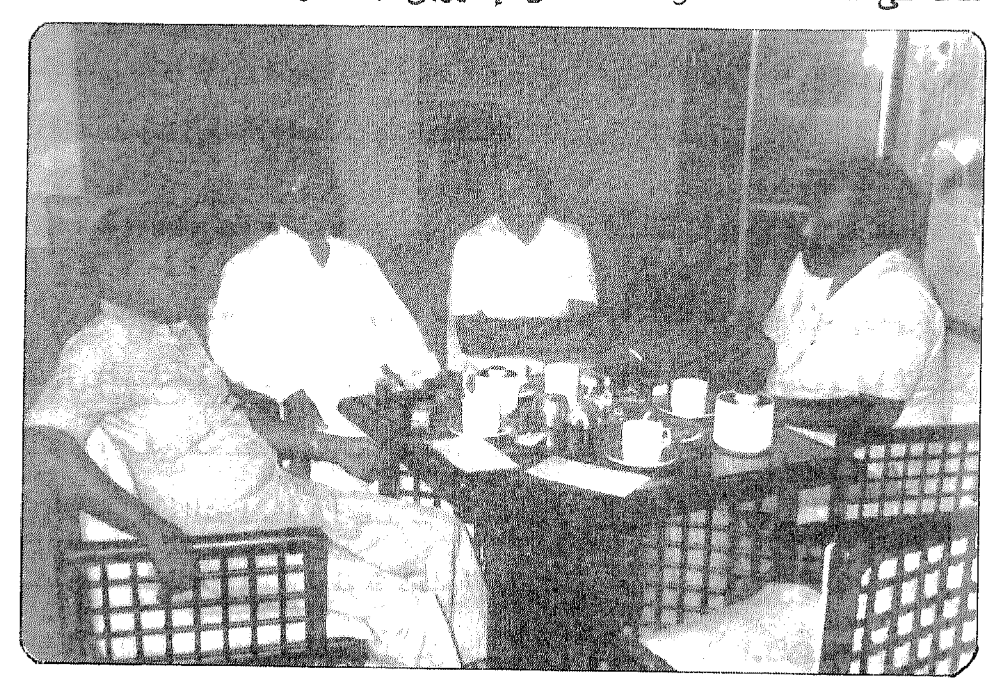
الإسلامية التى شهدتها إثيوبيا فى العصور القديمة والوسطى ٠ ولم تتوقف الاعتداءات الإثيوبية على سلطنة أوسا ٠ ففى عهد هيلى سلاسى أيضا عام ١٩٥٢م بدأ التوتر بين السلطان على مراح والحكومة الإثيوبية التى كانت تسعى دوما لإنهاء وضع السلطنة ، تمهيدا لضمها نهائيا إلى إمبراطوريتها٠ لكن السلطان على مراح أفسد محاولات إثيوبيا ومخططاتها الرامية إلى إزالة الكيان العفرى فى السلطنة، حيث خاض السلطان على مراح نضاله الطويل ضد القوات الإثيوبية وأعد العدة لمواجهة إثيوبيا ٠ ولما اشتدت عليه هجمات الجيش الإثيوبى إنسحب بقواته إلى حدود جيبوتى - وكانت جيبوتى آنذاك تحت الاستعمار الفرنسى - وقام بتوزيع قواته على شكل مفارز لحرب العصابات فى مناطق أوسا المختلفة لمقاومة قوات الاحتلال الإثيوبية ٠ ثم عاد السلطان إلى مقر سلطنته بعد عامين تقريبا عندما تم الصلح بينه وبين الإمبراطور هيلى سلاسى الذى خشى عواقب استمرار المواجهة مع العفر، الأمر الذى يمكن أن يؤدى إلى اتساع دائرة الصراع فى المنطقة بأسرها ٠ ونصت الاتفاقية على بقاء السلطنة على ما كانت عليه ، على أن تظل على ولائها الرمزى للإمبراطور فى إطار الإمبراطورية الإثيوبية، وأن تكون للسلطان الصلاحية المطلقة فى إدارة بلاده٠ وهكذا ظل الحال حتى بداية عهد منجستو هيلى مريام الذى نقض الاتفاقية وتجاهل استقلالية السلطنة ومكانة السلطان ٠

وفى عهد منجستو شهدت السلطنة اعتداء آخر تم فيه احتلال السلطنة بعد أن ارتكب جيش منجستو مجزرة دموية ، وأحرق جميع القرى المجاورة

---

(١) محمد عثمان على خير : العفر يحمون الإسلام فى القرن الإفريقى ، جريدة المسلمون ، بتاريخ ١٩٩٣/٦/٢ ٠

فى سلطنة أوسا ، وراح ضحية هذا العدوان البربرى مئات من الأطفال والنساء والشيوخ، ولم تنجُ عاصمة السلطنة (أسعيتا) من التدمير والخراب والنهب والسلب، بينما انسحبت قوات السلطان إلى الريف والجبال حيث نظمت صفوفها لخوض حرب عصابات طويلة الأمد لمقاومة الجيش الإثيوبى [1] . ولجأ السلطان على مراح إلى جيبوتى ثم إلى المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٥م، ووجد لدى المملكة العربية السعودية الضيافة الكريمة، حيث وقفت معه فى كفاحه ضد قوات الاحتلال الإثيوبى لبلاده وأمدته بمساعدات مادية



الوفد العفرى برئاسة حبيب سلطان على مرح
فى أثناء زيارته لأبو ظبى وبصحبتهم المؤلف محمد عثمان أبو بكر
ممثل جبهة التحرير الإريترية فى الخليج مرحبا بهم فى الإمارات

---

(١) محمد عثمان على خير : العفر يحمون الإسلام فى القرن الإفريقى ، جريدة المسلمون ، بتاريخ ١٩٩٣/٦/٢ .

وسياسية ومكنته من مواصلة كفاحه حتى انتصار الثورة الإثيوبية وسقوط نظام منجستو ٠

وفى فترة الكفاح المسلح ضد نظام منجستو أسس السلطان على مراح جبهة التحرير العفرية برئاسته ، وبدأ التنسيق مع جميع فصائل المقاومة الإثيوبية التى كانت تعمل على إسقاط النظام الديكتاتورى وتحرير الشعوب الإثيوبية من قبضته، كما بنت الثورة العفرية علاقات وطيدة مع الثورة الإريترية بمختلف فصائلها ، كما قامت الثورة الإريترية بمساعدة قوات السلطان بالسلاح والتدريب بما لها من خبرة فى مقارعة الجيش الإثيوبى ٠ كما قامت بتقديمه إلى أصدقائها فى العالم العربى والإسلامى ٠

دور سلطنة أوسا بزعامة السلطان علي مرح في التطورات الأخيرة في إثيوبيا : (١)

عكست التطورات الأخيرة فى إثيوبيا ومنطقة القرن الإفريقى الدور الفعال (لسلطنة أوسا العفرية) التى أثبتت طوال التاريخ أنها معقل للإسلام والمسلمين فى الحبشة وعموم منطقة القرن الإفريقى ٠ لقد شكلت السلطنة الإطار القوى والمتماسك فى صد كل الهجمات التى واجهت تلك المنطقة ، حيث شهدت السلطنة – قبل سقوط نظام الإمبراطور هيلى سلاسى عام ١٩٧٤م – نهضة زراعية شاملة قادها السلطان على مرح حنفرى مثل أسلافه القدامى من سلاطين العفر الأقوياء، وذلك باعتماده على الوسائل الزراعية الحديثة وجلب الخبراء والمهندسين للإشراف على مزارع القطن والفواكه والخضروات، كما أن هناك مؤشرات قوية لوجود أنواع مختلفة من المعادن فى باطن الأرض العفرية،

---

(١) على عثمان المبارك : جريدة المسلمون : مقابلة مع السلطان على مرح ، ١٣ ديسمبر ١٩٩٤، العدد ٢٥٩٠

وهذه الخيرات التى حبا الله بها هذه المنطقة كانت من الأسباب والدوافع التى دفعت حكام الحبشة إلى الدخول مع السلطنة فى حروب دائمة ومتكررة. وبقت السلطنة مستقلة حتى عام ١٩٣٠م ، ومع انتهاء الوجود المصرى التركى من سواحل البحر الأحمر والإمارات الإسلامية لم تعد السلطنة قادرة على التحرك باستقلالية خاصة كما أوضحنا سابقا، فقد أصبحت محاصرة بالوجود الإيطالى فى إريتريا والفرنسى فى جيبوتى، بالإضافة إلى تطور الأطماع الحبشية، مما أدى فى النهاية إلى تعرض السلطنة لاعتداءات كثيرة من حكام إثيوبيا. وفى عام ١٩٥٦م عندما كان النفوذ الصهيونى فى الحبشة فى أوجه، طلب الإمبراطور هيلى سلاسى من السلطان على مراح أن يدخل فى اتفاقية تجارية مع النظام الصهيونى لشراء اللحوم والمواشى من منطقة السلطنة العفرية المعروفة بثروتها الحيوانية الكثيرة، لكن هذا الطلب قوبل بالرفض من السلطان تضامنا منه مع إخوانه المسلمين وأشقائه العرب وتأكيدا لرفضه للاحتلال الصهيونى لفلسطين. وقد شهدت السلطنة فى عهد السلطان على مراح خلال فترة صراعها مع هيلى سلاسى نشاطا كبيرا فى مجال التعليم، حيث أقامت المعاهد الدينية والمدارس ، ونشرت تعاليم الدين الإسلامى واللغة العربية والقرآن الكريم وغيرها من العلوم الحديثة. وقد تخرج من هذه المعاهد والمدارس أعدادا كبيرة من الطلاب العفريين، واصل بعضهم تعليمه العالى فى الخارج خاصة بالقاهرة التى فتحت أبوابها لأبناء منطقة القرن الإفريقى دون قيد أو شرط ، وكثيرون منهم ساهموا فى عملية الجهاد والبناء فى مناطق العفر . ويوجد اليوم بالقاهرة أكثر من ٢٠٠ طالب

عفرى من مختلف مناطق العفر تضمهم رابطة أبناء العفر، ويقومون بإسهامات كبيرة فى بلورة أوضاع العفر فى جميع المجالات الثقافية والاجتماعية والسياسية ٠

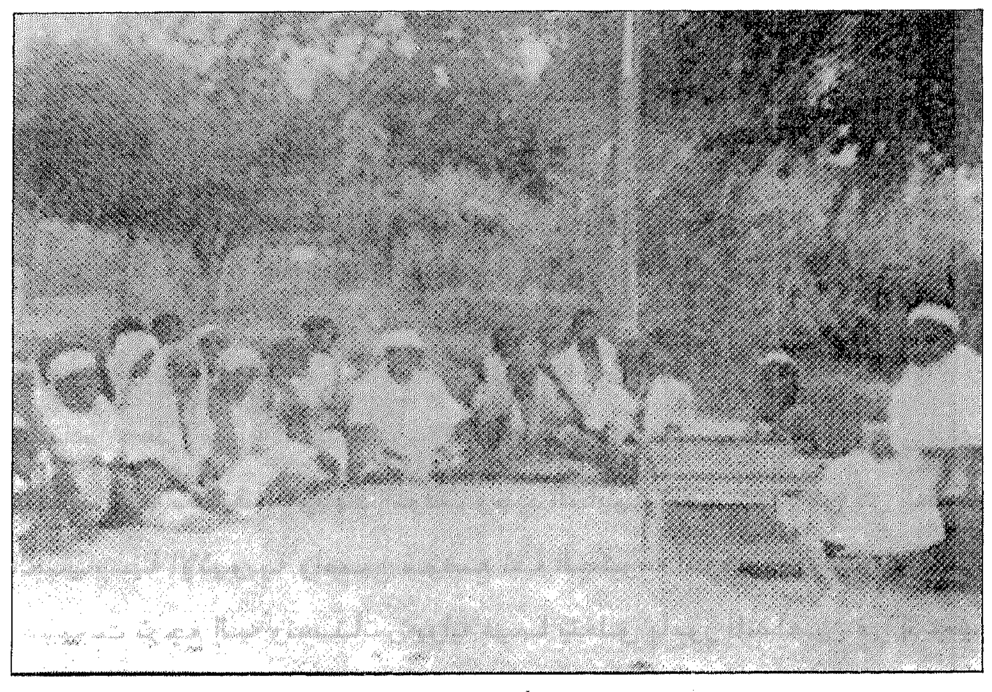
جهاد أبناء السلطنة :

فى مطلع عام ١٩٧٥م اجتاحت القوات الإثيوبية كما أوضحنا سابقا أراضى الشعب العفرى، بما يشبه حرب الإبادة الجماعية ضد الشعب الأعزل، ولكن الشعب العفرى واجه القوات الإثيوبية بكل صلابة وثبات بالرغم من إمكانياته المحدودة وغير المتكافئة٠ وقد أكد اجتياح نظام منجستو للسلطنة عن تحقيق أطماع إثيوبيا التاريخية التى كانت تتحين الفرص لإزالة السلطنة العفرية باعتبارها – كانت وما زالت – عمقا مهما لمسلمى الحبشة جميعا وليس فقط للعفريين، وذلك من أجل إنهاء هذا العمق الإسلامى الذى كانت تتمتع به السلطنة ٠ وكانت إثيوبيا دوما تخطط من أيام هيلى سلاسى حيث كان حلم حكام إثيوبيا دائما هو إنهاء دور السلطنة باعتبارها آخر السلطنات الإسلامية التى احتفظت بوجودها وكيانها المستقل حتى التاريخ الحديث٠ ولقد حاول هيلى سلاسى الدخول إلى الأراضى العفرية ، لكنه كان يتردد ويخاف من نتائج هذا الاجتياح وهو يعانى من الحرب فى إريتريا ، التى وقفت فى وجه أطماع إثيوبيا التوسعية وكانت سببا مباشرا فى سقوط نظامه ٠

وبعد سقوط نظام منجستو والانتصار العظيم الذى حققته شعوب إثيوبيا بقيادة الجبهة الديمقراطية لشعوب إثيوبيا ، بدأت الحوارات واللقاءات مع الزعيم السلطان على مرح ، وخيرته الحكومة الانتقالية فى الاستقلال



السلطان على مرح فى المؤتمر الأول لقومية العفر بعد سقوط منجستو



السلطان على مرح يلقى محاضرة أمام حشد من شعب العفر بعد التحرير

بسلطنته بحكم وضعية السلطنة السابق ، لكنه تقدم بمشروع بديل يؤكد بعد نظره السياسى وتطلعاته الإسلامية الواسعة وإحساسه بمسئوليته تجاه شعب العفر المتواجدين فى الأقاليم الإثيوبية الأخرى ولاسيما إقليم تيجراى. وتضمن مشروعه ، أنه يمكن أن يقبل بالحكم الذاتى فى إطار إثيوبيا بشرط أن يتم ضم العفر الموجودين فى الأقاليم الإثيوبية المختلفة فى إقليم عفرى واحد، وهى أقاليم ولّو وتيجراى وشوا وهرر، وتكون الأقليم تحت إدارته . ووافقت حكومة زيناوى على هذا الشرط ونفذت الحكومة الانتقالية طلبه وضمت سائر أراضى العفر بسكانها فى إطار إقليم عفرى واحد بزعامة سلطنة أوسا وعاصمته مدينة أسعيتا التى هى عاصمة السلطنة فى نفس الوقت . بل وجد هذا المبدأ قبولا واستحسانا لدى جميع القوميات الإثيوبية وأقرته الحكومة الانتقالية فى إثيوبيا بوصفه مبدأ أساسيا لجميع القوميات .

وهذه المواقف الواضحة عززت من مكانة السلطان وأكسبته حب العفريين باعتباره زعيم روحى وبمثابة الأب لكل العفريين، وهذا الاتجاه أدى إلى لجم القوى الخارجية المعادية التى كانت تتربص بالسلطنة لزجها فى مشاكل داخلية وخارجية والتى كانت ستعرقل جهودها من أجل معركة البناء والتعمير .

وفى مؤتمر المصالحة الوطنية الإثيوبية الذى ضم كل الأحزاب السياسية والشخصيات الوطنية الإثيوبية والذى عقد فى أديس أبابا عام ١٩٩٢م أعلن السلطان على مراح تمسكه بوحدة إثيوبيا ضمن مشروعه السياسى الذى أشرنا إليه سابقا . وبهذا الموقف وجد التأييد والاحترام من كل القوى السياسية الإثيوبية وأصبح موضع ثقة الحكومة المركزية الإثيوبية، التى أصبحت ترجع إليه وتستأنس برأيه فيما يتعلق بأمور المسلمين فى إثيوبيا

كلها· وأصبح ابنه حبيب سلطان على مراح رئيس الحكومة الإقليمية المحلية ، وقد شكل حبيب أول وزارة إقليمية فى أسعيتا عاصمة الإقليم ·

اقتصاد سلطنة أوسا :

فى أرض أوسا يكوّن النهر سلسلة من البحيرات الصغيرة التى استغلت مياهها فى الزراعة ، وذلك باستخدام نظام من الحواجز والسدود التى أقامها فى الماضى الحرفيون العرب بطلب من سلطان أوسا ·



صورة السلطان على مرح سلطان سلطنة آوسا فى الوسط مع حاشيته بعد العودة إلى بلاده عقب انهيار نظام منجستو عام ١٩٩١

ويعتبر العفريون أوسا جنة (عدن) ، ففى أراضيها يزرع الذرة والقطن والتبغ وتربى آلاف الماشية· وكانت تزرع أرض السلطنة سابقا باسم السلطان على أساس إقطاعى، لكن هذا الموقف قد تغير بعد أن أصبحت سلطنة أوسا تضم فى إطارها جميع الأراضى العفرية فى إثيوبيا ، وأصبحت السلطنة جزءا أساسيا ومكملا لإقليم العفر فى ظل التقسيمات الإدارية التى أقرتها الحكومة الانتقالية فى إثيوبيا ·

ويقول الإنجليزى نسبيت Nesbitt [(١)] وهو أول أوروبى تمكن من زيارة سلطنة أوسا عام ١٩٢٧م : (إن فى سلطنة أوسا نظاما للرى أنشأه العرب الذين استدعاهم السلطان خصيصا لهذا الغرض قبل عدة أجيال)· ويصف نسبيت نظام الرى هذا بقوله : (لاحظنا أن التحكم فى فيضان نهر الآواشى بحواجز أو سدود تسمح للماء بالانسياب فقط بعد بلوغ منسوب معين، وعندئذ ينساب الماء فى قنوات الرى أو يسمح للماء بأن يغمر مناطق مهملة معينة · وبهذه الطريقة أمكن التحكم فى الفيضان وإبقاء الماء فى منسوب معين دون الحواجز التى عملت على تنظيم انسياب الماء لتزويد الواحة به) ·

كما يذكر الرحالة تشيسنجر (Thesiger) وقد زار سلطنة أوسا عام ١٩٣٣م، بأنه علم بأن على الطريق الغربى لبحيرة عدويد Adbada جسورا أنشأها العرب فى قديم الزمان · وبفضل الصحارى المقفرة التى تحيط بالسلطنة وتحميها من الغارات الآتية إليها من المرتفعات الحبشية ، احتفظت السلطنة باستقلالها التام إلى عام ١٨٩٥م حينما جهز إمبراطور الحبشة

---

(١) نسبيت Nesbitt : مرجع سابق·

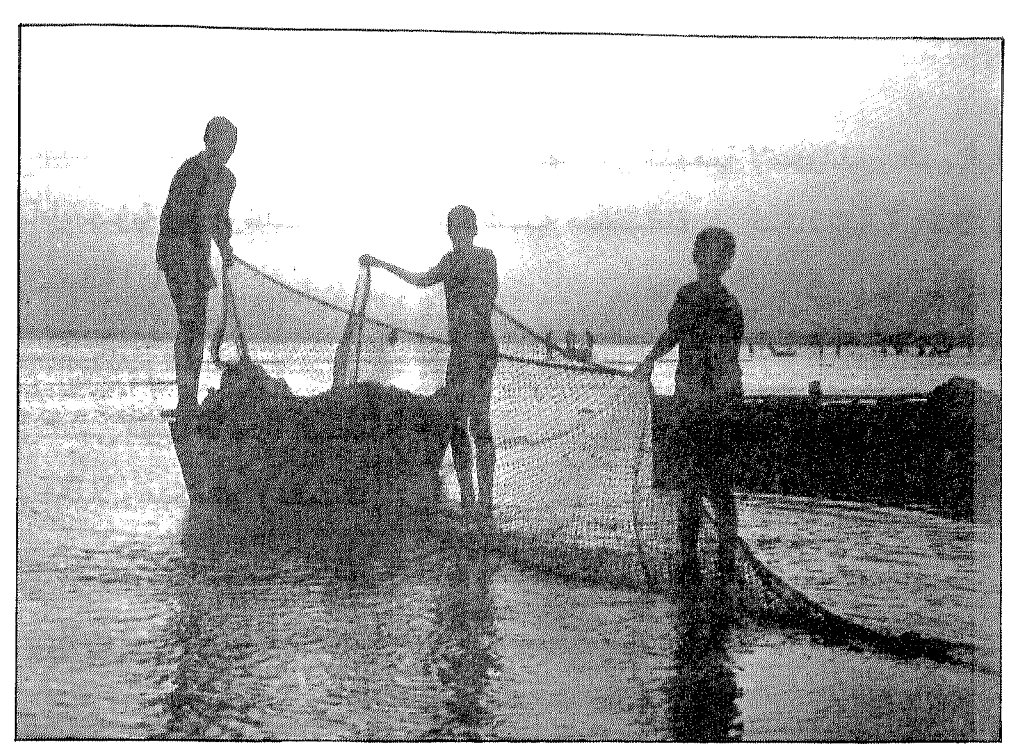
منليــك حملــة إلى أوسـا أرغـمت سلطانها على التبعية لإمبراطور الحبشة بأداء جزية لـه ، وظلت سلطنة أوسـا شـبه مسـتقلة وإن كانت تابعة شكليا للحبشة (١)٠

وأهم القبـائل التى توجد فى إطار سلطنة أوسا هى قبيلة دمهيتا – وتنتمى إليها الأسرة الحاكمة – وأوغعنوك ومادیما وغوميار وعبليه وموديتو وغاليلا وعدكالتو ومفيديتا٠

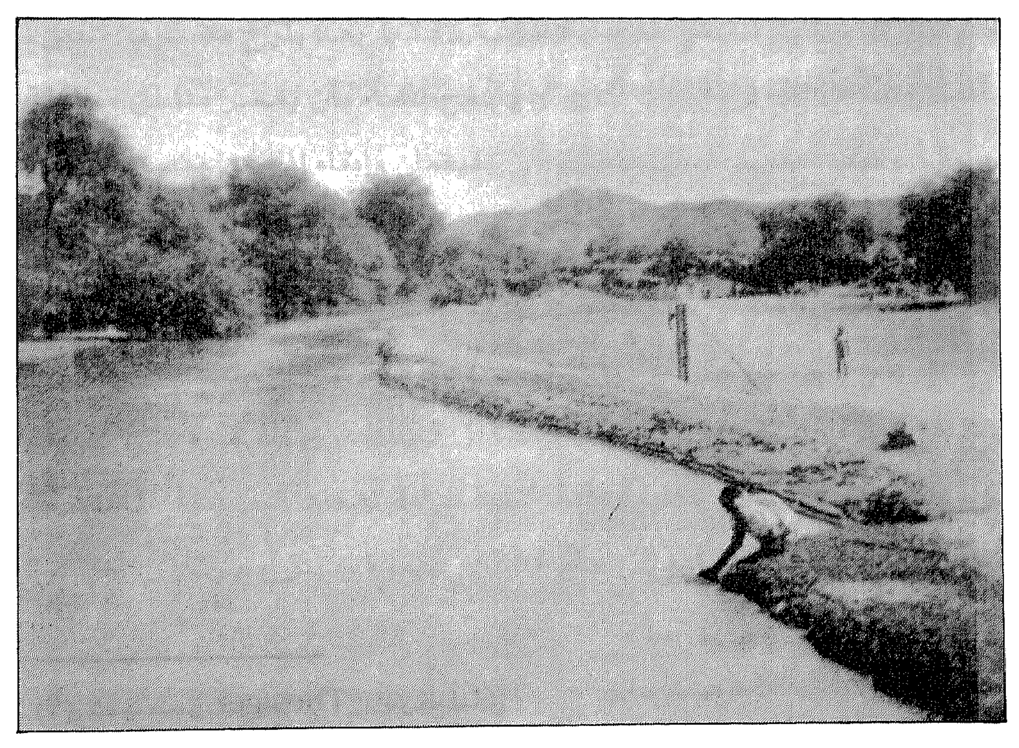
ومن خلال دراستنا فى أسماء هذه القبائل كنا قد أشرنا لتسمية عدومار وعامره وفى ختام هذا الفصل نورد التسمية الأخرى لهذه الأسماء ٠

---

(١) تشيسنجر Thesiger : مرجع سابق ٠



نهر أواشى أثناء الغروب



نهر أواشى فى آوسا

رواية أخرى لتسمية عدو مار وعسامرا :

تقول بعض الروايات العفرية أن تسمية عسامرا (الحمر) وعدومرا (البيض) لا تدل على عنصرى الأمة العفرية واختلاف جذورهما كما زعمت كتابات بعض المؤرخين الأجانب ٠ إنما أطلقت هذه التسمية فى عصور لاحقة عندما نشب قتال بين سلطنتى أوسا وبيرو من جهة وكل من سلطنات رحيتا وتاجوره وقوبعد من جهة أخرى ٠ وكان سبب الخلاف بين السلطنات الخمس التى كانت تتقاسم حكم المناطق العفرية بعد انهيار مملكة أنكالا، أنه جرت العادة على أن تدفع السلطنات الثلاث – قوبعد، بيرو، أوسا – خراجا سنويا لسلطنتى تاجوره ورحيتا بوصفه نوعا من الولاء لهما باعتبارهما ينحدران من عدعلى الابن البكر لحرا الماحس والذى تنحدر منه كل الأسر العفرية الحاكمة٠ لكن سلطنتى بيرو وأوسا أخلّتا بالعهود المتعارف عليها وامتنعتا عن أداء الخراج ، بينما ظلت سلطنة قوبعد على ولائها لأسرة عدعلى ، مما أدى إلى اندلاع الحرب بين السلطنات الخمس، سلطنتى أوسا وبيرو فى جانب، وسلطنات تاجوره وروحيتا وقوبعد فى الجانب الآخر ٠

وقد استمرت الحروب بين الطرفين لأكثر من مائة عام، وشهدت مناطق درة وموسى على أعنف تلك المعارك ، وكذلك عاصمة سلطنة تاجوره التى تعرضت للتدمير على أيدى قوات سلطنتى أوسا وبيرو اللذين كانا يتفوقان على خصومهم بالعدد والعدة٠ وكان يقود الجيش الغربى – كما كان يطلق

على محور أوسا وبيرو – قبيلة العتو الشديدة المراس ،وهم فرع من سلالة موديلى إبراهيم · وبعد أكثر من مائة عام من القتال والدمار توصل الطرفان للصلح بإنهاء القتال بينهما ، وانسحاب القوات إلى مواقعها الأصلية واحتفاظ كل سلطنة بحدودها السابقة ، على ألا يطلب عد على الولاء من السلطنات الأخرى، ويظل التعاون بينهم فى إطار الإخوة والمصلحة المشتركة ·

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الحرب لم تكن بين قبيلتين مختلفتين أو بين عنصريين تختلف جذورهما كما كان الحال فى حرب أنكالا وحرا الماحس أو دنكلى ودوبعى قبلهما ، إنما كانت حرب السلطة بين أفراد الأسرة الواحدة ، حيث كان الجميع من أبناء حرا الماحس · ويمكننا القول بأن الحرب أخذت طابعا إقليميا بين سلطنات الشرق وسلطنات الغرب ، حيث كانت كل من سلطنات رحيتا وتاجوره وقوبعد المتحالفة فى شرق البلاد بينما تقع أراضى سلطنتى أوسا وبيرو فى غرب البلاد · وقد أطلق على الجبهة الشرقية (عدو مرا) بينما أطلق على الجبهة الغربية (عسا مرا) · وتعنى كلمة (عدى) فى اللغة العفرية الشروق وكلمة (عسى) الغروب ، ومن هنا جاءت تسمية عسا مرا وعدو مرا التى تطلق على العفريين ·

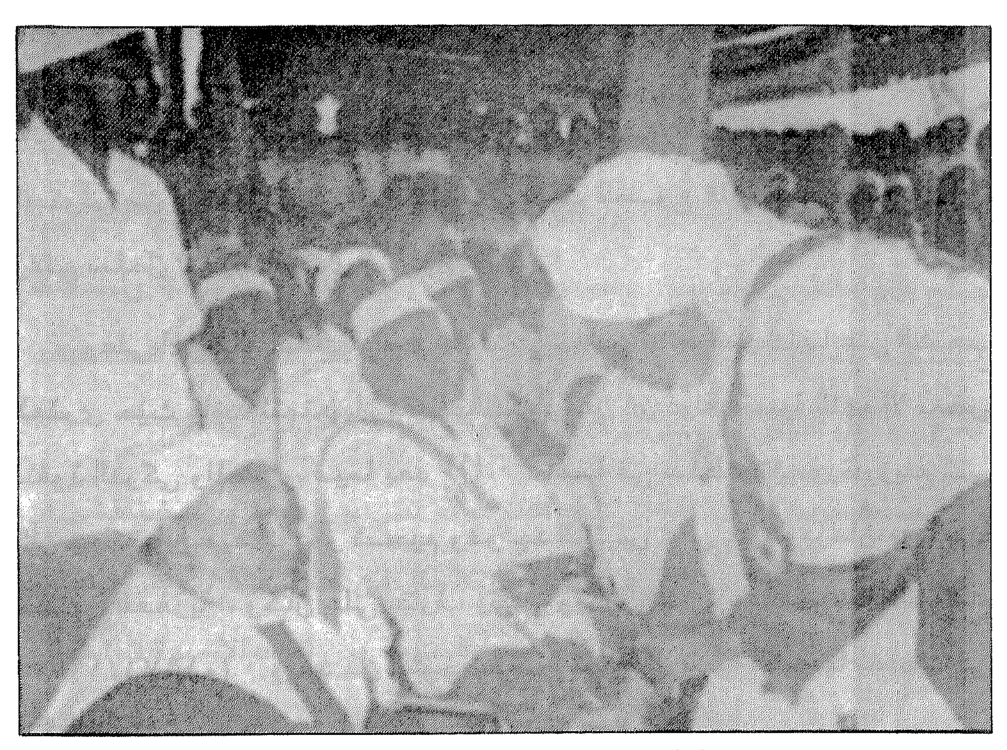
هذا ومن خلال سردنا لتاريخ هذه السلطنات العفرية قد اختصرنا الحديث حول حدودها الحالية · ويقول الباحث الإنثروبيولوجى :

إن العفر قد استقروا تماما فى بداية القرن التاسع عشر فى الجزء الجنوبى من إريتريا الحالية ، ابتداء من جنوب مصوع على طول خليج تاجورة وعلى ساحل المحيط الهندى (خليج عدن) ٠

وعلى أى حال كانت هذه السلطنات تمارس فقط سيادتها على الشعب العفرى حيث كانت تتمتع باستقلالها الكامل عن أى دولة أجنبية اللهم إلا بعض النفوذ التركى والمصرى فيما بعد [١] ٠ خاصة فى سلطنة تاجورة وزيلع التى كان يحكمها السيد أبوبكر شحيم وهو جد الرئيس على عارف برهان من قبيلة حسبوا العفرية ، وكان على عارف رئيس وزراء جيبوتى قبل استقلالها عام (١٩٧٥/١٩٧٦م) ٠ ويعد من الشخصيات العفرية الوطنية التى لها بصمات فى تاريخ العفر الحديث ٠

---

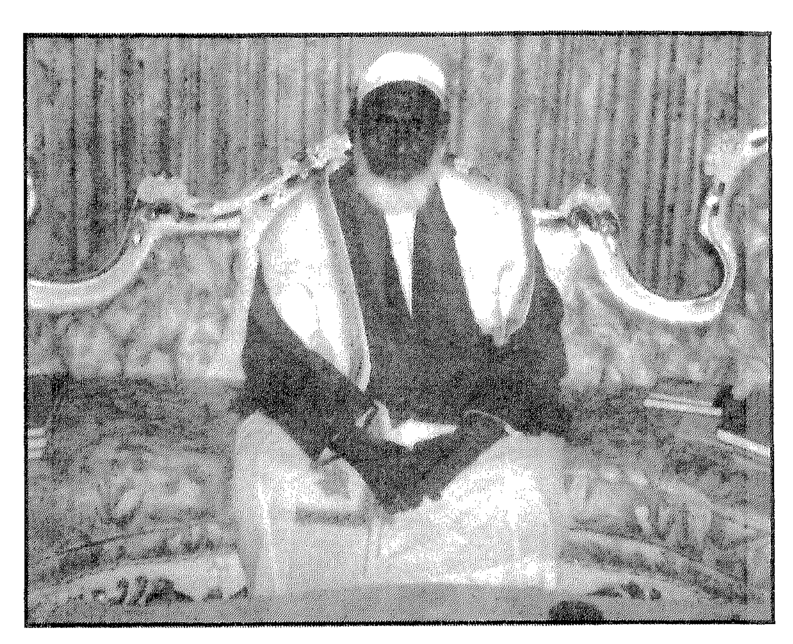
(١) جلال يحيى : مصر العربية والأطماع الاستعمارية فى القرن التاسع عشر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ١٣٩ ٠



السلطان على مرح مع مندوب جريدة المسلمون



السلطان على مرح فى مجلس الحكم



السلطان على مرح سلطان سلطنة آوسا بعد العودة إلى أرض الوطن



السلطان على مرح فى قصره

الفصـــل السابــع

===

بلاد العفر في العصر العثمانى

===

المحتويــــات :

١ – مصر وشواطئ البحر الأحمر إبان الحكم العثماني ٠

٢ – النفـوذ الاستـعمـارى الأوروبى ونشـاط عمـلائهم فى هذه المنطقـة ورد فعل الحكومة المصرية : ١٨٧٠ – ١٨٧١ ٠

٣ – تجدد النشاط الإيطالى فى مصوع وملحقاتها : ١٨٨٠ – ١٨٨٥ ٠

مصر وشواطئ البحر الأحمر إبان الحكم العثمانى :

القرن الإفريقى هو ذلك الجزء الذى يبرز من هذه القارة فى شرقها ويفصل المحيط الهندى عن خليج عدن ، وهو ذو شكل مثلث تقريبا · ولهذه المنطقة أهمية استراتيجية كبيرة نتيجة لموقعها الجغرافى الذى يجعلها تتحكم فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر · ولقد وضحت هذه الأهمية للقدماء المصريين منذ فجر التاريخ ، وقد حاول البرتغاليون اقتحام هذا البحر من الجنوب لتوجيه ضربة عنيفة، إن لم تكن قاضية لسلطنة المماليك فى مصر والتى كانت تسيطر على الشرق الأدنى كله من مصر إلى الشام، وإلى الحجاز واليمن (١) ·

وصل البرتغاليون إلى شمال إفريقيا بعد اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ، وبدأت أنظار الدول الأوروبية تتجه إلى هذه المناطق فى شرق إفريقيا والتى كان للعرب كما ذكرنا فى السابق صلات قديمة تربطها بهذه المناطق ، وهى تتمثل فى هجرات كبيرة لجماعات منهم امتزجت بالسكان المحليين ، وكان العفر والصومال والأرومو يكونون عناصر مهمة من سكان هذه السواحل الإفريقية·

وكان لشعوب هذه المنطقة أهمية خاصة بالنسبة لمصر كما وضحت هذه الأهمية عند وصول بريطانيا إلى عدن عام ١٨٣٩م وزادت وضوحا مع مشروع قناة السويس ، والتى أصبحت من يومها شريانا حيويا

---

(١) جلال يحيى « دكتور » : مشكلة القرن الإفريقى وقضية شعب الصومال ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ٥ ·

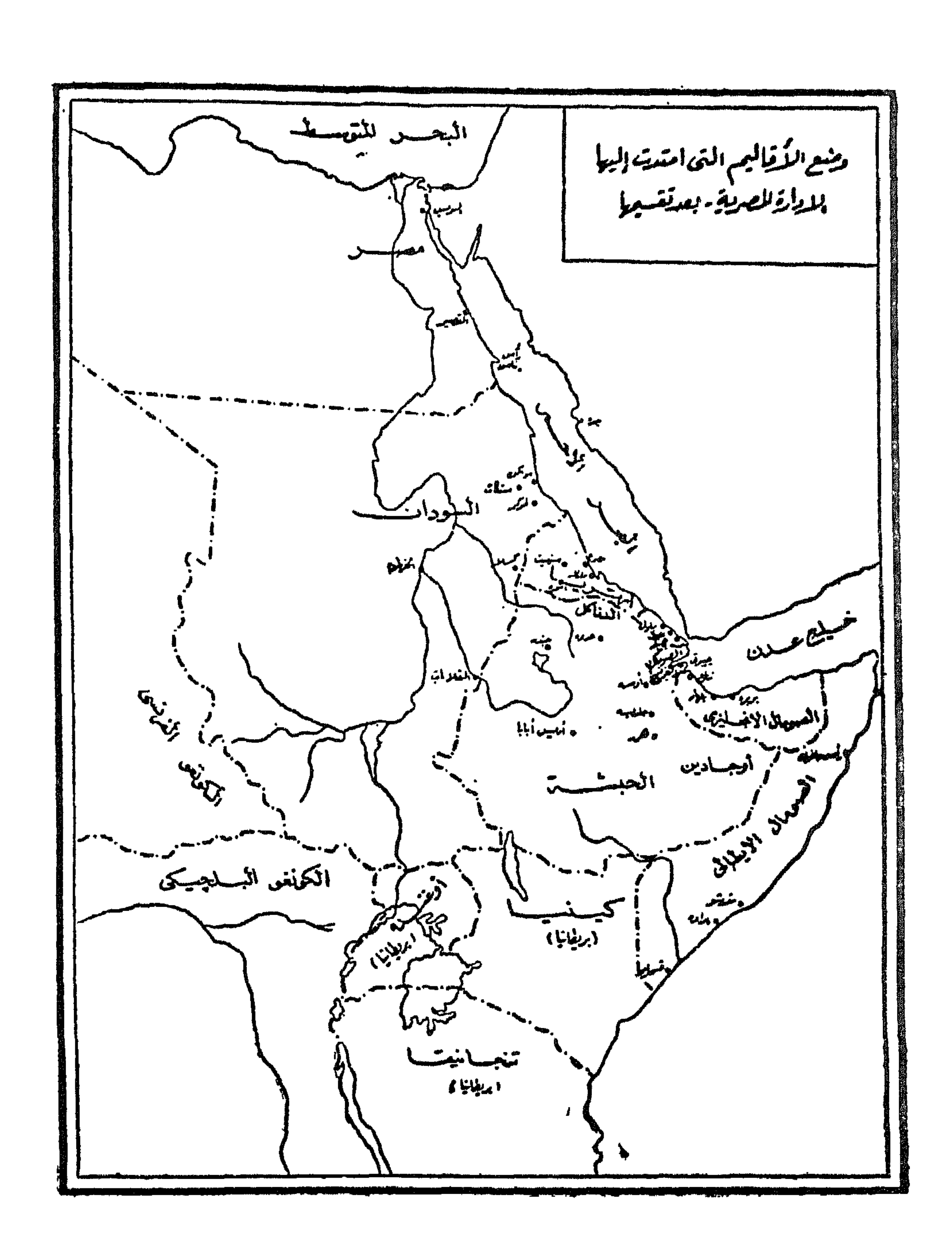
يصل الشــرق بالغرب، وظلــت بلاد العفـر معبـرا للشعوب بين قارتى آسيـا وإفريقيـــا ٠

وبعد انتشـار الإسلام اعتز العفريون باعتناقهم الإسـلام الذى ميزهـم الله به عن جيرانهم ٠

ومنذ أقدم العـصور كانت هناك عـلاقات وثيقة بين بلاد العفر ومـصر حيث كـانت بينهم مـبادلات تجارية وتأثيـرات ثقـافيـة، ولا تزال هـذه العـلاقـات وطيدة بين شعوب هـذه المنطقة ومصـر منذ العصـور القديمة ٠

وكانت سواحل البـحـر الأحـمر قـد خضـعت للسـيادة العـثمانيـة منذ أوائل القـرن السـادس عـشـر، وقـد ارتبط انتشــار نفـوذهـم على هـذا الســاحل بسياســتهـم الخاصة بمدافعـة الخطر البرتغالى عن هـذا البحـر، ومـن ثم استولى العـثمانـيون على الموانى المهمـة الواقـعة على شـاطئيه الأسـيـوى والإفـريقى ، وجعلـوا من البحر الأحـمر بحيرة عـثمـانية أغلقوهـا فى وجه السـفـن الأوروبية المسـيحـية التـى كانت ترابط فى منافـذ هـذا البـحـر، مـحاولـة اجـتيـاحـه٠ هـذا إلى جـانـب أن الدول الأوروبيـة كـانت تحـاول الـدخـول فى عـلاقـات وارتبــاطات مع حكومة الحـبشة المسيحية بهـدف خوض غمار حرب عامة ضـد العالم الإسـلامى واقتصادياتـــــه ٠

وكان العثمانيون فى أواسط القرن الســادس عشـر قد بسـطوا سيادتهم على مينائى سـواكـن ومصـوع، وعينوا حاكـما تركيا على كل منهمـا ، ووضـعوا هـذين الميناءين تحت إشـراف باشا جدة « حـاكم الحـجـاز » وأطلقوا عليـها «ولاية الحـبش» واسـتـعـانوا بأحـد الزعمـاء الوطنيين وهـو نائب حـرقـيقـو Harkiko



وضع الأقاليم التى امتدت إليها
الإدارة المصرية - بعد تقسيمها
البحر المتوسط
مصر
السودان
خليج عدن
الصومال الإنجليزى
أوجادين
الحبشة
أديس أبابا
الصومال الإيطالى
الكونغو البلجيكى
كينيا
(بريطانيا)
تنجانيقا
(بريطانيا)

وكان يسمى بنائب البر للمعاونة فى أعمال الحكومة بمصوع ، وبآخر مثله بسواكن، وكلفوهما بجباية الضرائب من القبائل المنتشرة على طول ساحل البحر الأحمر الغربى ٠

وبعد أن تغلب إبراهيم بن محمد على باشا على الوهابيين، عينه السلطان محمود الثانى (١٨٠٨ – ١٨٣٩) فى يوليو ١٨٢٠ على باشوية جده، وغدا إبراهيم باشا يلقب بوالى ولاية الحبش ومتصرف سنجق جدة (١)٠ وأرسلت مصر إلى مصوع حاكما جديدا هو عابدين بك على رأس قوة من ستمائة جندى٠ وتغير الوضع بالنسبة لنائب البر فتقلص نفوذه وحاولت مصر فى السنوات القليلة التالية أن تبسط نفوذها فى ظل التبعية العثمانية على الحبشة وسواحل البحر الأحمر الغربية ، لكن هنرى صولت القنصل البريطانى لدى مصر حذر حكومة محمد على من أن الدول الأوروبية لن تسكت عن مهاجمة الدولة الإفريقية الوحيدة التى احتفظت بمسيحيتها (٢)٠

ولم يستمر الوضع هكذا، ففى سنة ١٨٤٠ انسحب محمد على من بلاد العرب ومن سواكن ومصوع بعد التسوية المعروفة بين محمد على والدولة العثمانية، وعادت بذلك الإدارة فى سواكن ومصوع إلى وضعها السابق،

---

(١) أومتصرف الجيش ، أو شيخ الحرم المكى وحاكم الحبش، أو متصرف «والى» جدة والملحقات٠

(٢) الوثائق الخاصة البريطانية FO.78/96 Henty Salt to Joseph Planta نقلا عن د٠ السيد رجب حراز – إريتريا الحديثة – القاهرة ١٩٧٤، ص ٣٦ ٠

واسترجع نائب البر ما كان له من النفوذ والاستقلال الذاتى ، وانتهز الأحباش الفرصة لانتزاع حقوق السيادة على ساحل البحر الأحمر لأنفسهم. ولما كانت سواكن ومصوع أقرب الموانى إلى مديرية التاكة «كسلا» التى ضمها محمد على فى عام ١٨٤٠، فقد اقترح على الباب العالى إلحاق هذين الميناءين بمديرية التاكة، على أن يقوم والى مصر بإدارة جمركى سواكن ومصوع ٠ وإزاء تهديد الأحباش لهذين الميناءين ، وبالتالى تعود حقوق السيادة العثمانية على ساحل البحر الأحمر وعلى الحجاز أيضا. وقد وافق الباب العالى فى ١٢ سبتمبر ١٨٤٦ (١٩ رمضان ١٢٦٢ هـ) على إحالة إدارة الميناءين المذكورين إلى مصر بإيجار سنوى قدره ٥٠٠٠ كيس (٢٥،٠٠٠ جنيه) ٠ حقا لم تنتقل السيادة على هذه الجهات إلى مصر إنما أعطيت حق إدارة الجمرك ، لكن إدارة الجمرك فى مثل هذه الموانى كانت هى كل شىء تقريبا ، لأن المتحكم فى الجمرك يجمع فى يديه السلطة المادية والحربية التى تحكم الميناء والمنطقة المحيطة به ٠ وهكذا دخلت هذه المناطق فى حوزة الإدارة المصرية ٠ وكان ذلك كفيلا بوضع حد لتدخل الأجانب فى شئونها بعكس الوضع فى حالة كونها تحت يد نائب البر أو حتى تحت الإدارة العثمانية الصرفة، نظرا لأن الدولة العثمانية كانت قد شغلت بجبهات متعددة فى وسط أوربا ، وفيما يقابل البحر الأسود، أو فيما يقابل موضع تلاقيها مع الدولة الإيرانية فى أزربيجان ، فأهملت شئون السواحل العربية، وأتاحت الفرصة للدول الأوروبية الطامعة فى مد نفوذها على الجهات الساحلية ذات الموقع الممتاز ٠ فضلا عن أنها كانت تتعرض لهجمات الأحباش الذين كانوا كثيرا ما يهاجمون مصوع «وملحقاتها» ويحاولون قطع المياه عن حاميتها ٠

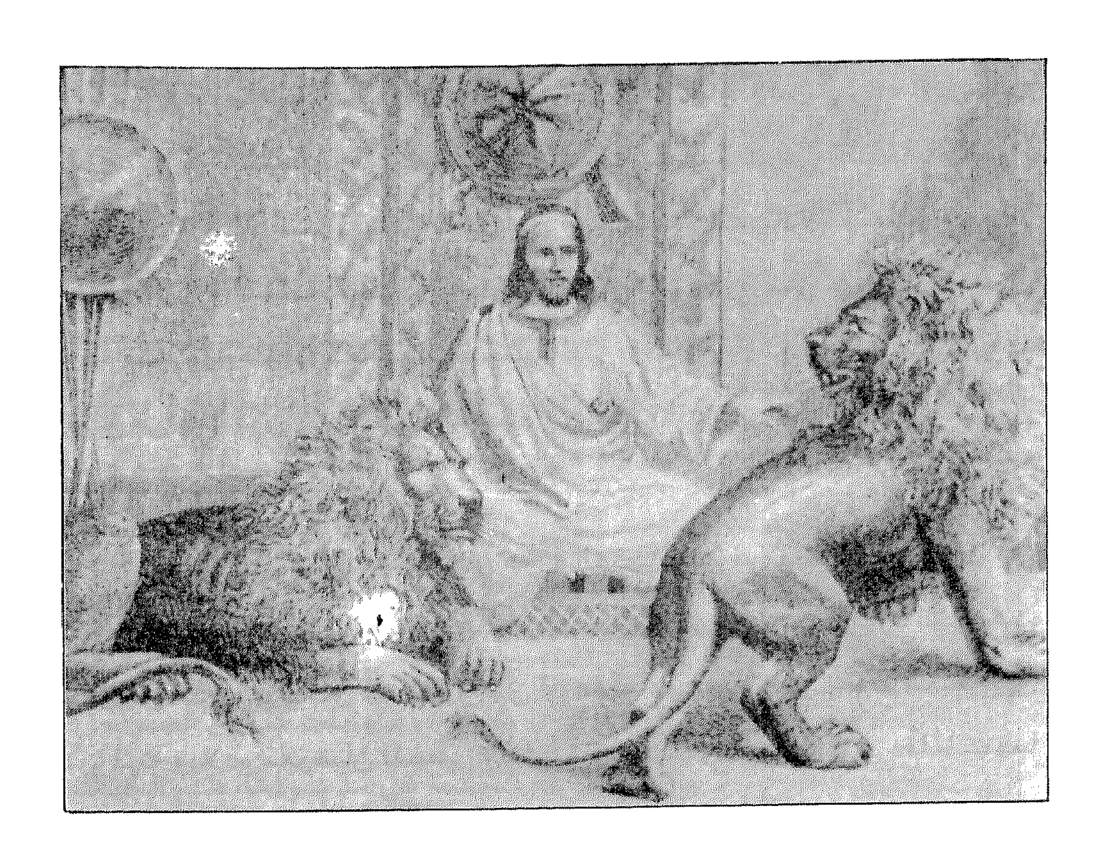
ونشط الطامعون فى هذه المناطق ، ولم تلبث بريطانيا والدول الأوروبية أن وضعت أقدامها على هذا الساحل، وعندما أغفلت أمر الدولة العثمانية صاحبة الشأن، وشرعت فى إغراء بعض شيوخ المناطق أو صغار أمرائها وسرعان ما تحالفوا مع بعضهم ، وحصلت منهم على صك بالتنازل عن بعض الأماكن التى فى حوزتهم وحذت فرنسا حذو بريطانيا، واستخدمت الدولتان فى ذلك التنافس الذى حل بين الحكام المحليين (١) .

وعندما تيقنت الدولة العثمانية من أن النشاط الفرنسى – البريطانى سوف يطيح بسيادتها فى تلك المناطق أرسلت بتعليمات إلى قائمقام مصوع (بورتو) Purto أفندى بشأن العمل من أجل تدعيم السيادة العثمانية فى تلك المناطق، وراح القائمقام المذكور يغرى الأهالى بالتوقيع على عرائض يعلنون فيها تبعيتهم للباب العالى، كما حثهم على رفع الراية العثمانية على الموانى ونجح فى ذلك دون مشقة فى ديسمبر من عام ١٨٦١ وأخذ الأهالى يعترفون بسيادة السلطان العثمانى .

ولقد كان هذا النشاط الذى أبرزه العثمانيون فى مطلع الستينيات من القرن التاسع عشر فى ساحل البحر الأحمر الغربى مبعث إثارة النجاشى تيدروس الذى أعرب عن سخطه وأعلن أن هدفه هو شن الحرب ضد العثمانيين لأن دينه وبلاده معرضان للخطر، ولذلك فإنه سيحارب حتى الموت دفاعا عنهما ، ولم تفلح المحاولات التى بذلها قائمقام مصوع للتفاهم مع تيدروس، وعلى

(١) محمد فؤاد شكرى : مصر والسيادة على السودان ، الوضع التاريخى للمسألة، القاهرة ، ١٩٤٦، ص ٢٨ – ٢٩ .

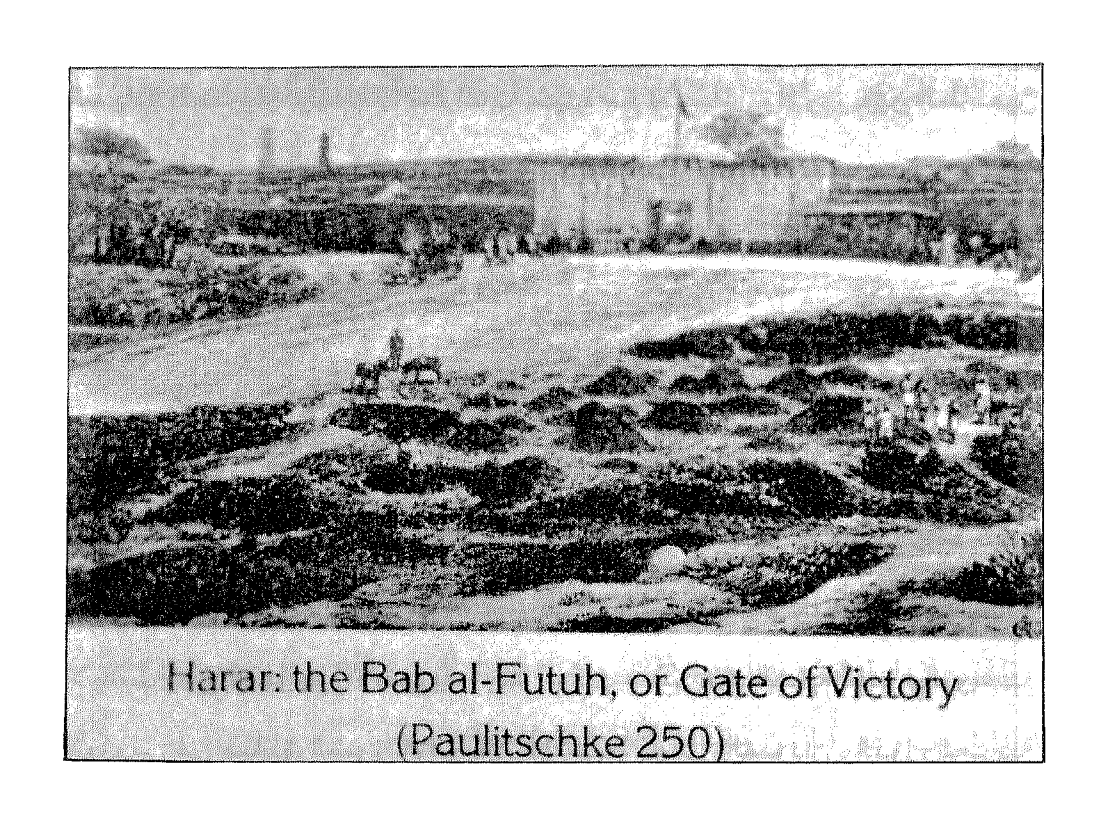
ذلك كانت العلاقات بين الأحباش الأقباط وبين العثمانيين المسلمين أكثر توترا من ذى قبل، وغدا إقليم مصوع والسمهر موضع تنازع مع المصريين حتى تولت الحكومة المصرية الإدارة فى ميناءى سواكن ومصوع لتبدأ من جديد مرحلة مهمة فى تاريخ تلك المنطقة الذى امتد نحو عشرين عاما من عام ١٨٦٥ وحتى عام ١٨٩٤ .



صورة لنجاشى الحبشى نيدروس


مصوع وما جاورها
والطرق المؤدية إليها وخطوط التلغرافات
التي تربطها بباقي السودان
مصوع

ولذا فإن اضطلاع مصر بإدارة هذين الميناءين كان بمثابة الحاجز المنيع ضد الطامعين فى البلاد الإسلامية أوروبيين كانوا أو أحباشا ٠ ولذلك كان الامتداد المصرى على سواحل البحر الأحمر الغربى فيما بين سواكن وحتى باب المندب ، ليس امتدادا استعماريا حتى يجنح البعض إلى الحديث عن الإمبراطورية المصرية أو الوجود المصرى، وهى مسميات لا تتفق مع الواقع الذى عاشه الامتداد المصرى الطبيعى فى تلك المناطق حيث إن هذا الامتداد كان فى أى وقت وبأى مقاييس عبئا اقتصاديا ، ولم يكن أبدا مصدرا من مصادر الدخل للخزينة المصرية، بل كان دائما عنصرا من أهم عناصر استنزاف هذه الخزينة خاصة فى عهد إسماعيل وخلفه توفيق ٠



Harar: the Bab al-Futuh, or Gate of Victory
(Paulitschke 250)

هرر باب الفتح فى أيام الحكم المصرى

ومن أهم الأعمال التى قامت بها مصر حل الخلافات القبلية والعرقية لدى أبناء شعب هذه المنطقة ، كما قامت ببعض المشروعات الحضارية فى كل من زيلع ومصوع وتاجوره وهرر وبربرا وغيرها من المناطق التى كانت تتبع السيادة المصرية٠ وخاضت صراعات عديدة مع الأحباش والأوروبيين الطامعين فى السيطرة على هذه الطرق التجارية المهمة على البحر الأحمر ، كما عمدت إلى تخليص تلك المناطق من أى وجود أجنبى ليكون لها مطلق التصرف فى إدارتها ٠

لذا فإننا نجد أنها تدفع مبلغ ٥٨٣٤ جنيها لإحدى الشركات الفرنسية التى كانت تضع يدها على أراضى (عد – رحيتا) بهدف تخليصها ٠ وأخذت مصر تقف أمام تدخل الأجانب بالسواحل الإفريقية المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن ، بل إنها كانت تلفت نظر الباب العالى نفسه إلى نشاط العملاء الأجانب على السواحل الأسيوية ، وقد أدركت مصر منذ البداية أطماع التوسع الأوروبى فى مناطق الشرق الإفريقى بالنسبة لمصر والسودان والدول العربية والإسلامية المحيطة بهذه المنطقة ٠ وكان اهتمام مصر فى عهد الخديوى إسماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩م) ، وكانت سواكن ، مصوع ، وموانى بربرا ، زيلع، تحت الإدارة العثمانية ٠ ونظرا لهذه الأهمية طلبت مصر من الدولة العثمانية ضم ميناءى سواكن ومصوع إلى إدارتها لتحميهما من الأطماع الأوروبيـة ٠

ونجحت مصر فى ذلك فصدر فرمان فى ذى الحجة ١٢٩١ هـ (مايو

١٨٦٥م) بضم الميناءين لمصر ، وكانت إنجلترا قد استولت على ميناء عدن المهم المطل على البحر الأحمر فى عام ١٨٣٩م ، ومنذ ذلك التاريخ تضاعف نشاط إنجلترا فى الشاطىء الإفريقى المقابل لعدن، فأخذوا يبلغون الشيوخ ببعض القبائل فى بربرا وغيرها من الموانى المهمة فى البحر الأحمر فى منطقة القرن الإفريقى، ولذا أسرعت مصر فى عام ١٢٨٧ هـ بإنشاء ما يسمى (محافظة سواحل البحر الأحمر) وأصدرت الحكومة المصرية أوامر مشددة لمحافظة سواحل البحر الأحمر لمداومة المرور على نقاط مهمة والاتصال بمشايخ القبائل العفرية لتسجيل أسماء هذه القبائل بدفاتر الحكومة لإثبات تبعيتها للحكومة المصرية ·

وبناء على هذا الأمر أرسل فى عام ١٢٩٠ هـ - ١٨٧٤م أحد رجال البحرية المصرية إلى بربرا لبحث أوضاعها واحتياجاتها، وذلك لإرسال جنود وموظفين لإدارة شئونها بعد ذلك، وقد اهتمت الإدارة المصرية للميناء بنقل المياه للشرب وغيرها من مطالب الحياة الرئيسية ·

وقد كان العمران والاطمئنان والأمن والرخاء الاقتصادى كلها تسير فى أعتاب الإدارة المصرية فى كل الجهات التى خضعت فى الساحل الإفريقى الشرقى لمنطقة القرن الإفريقى · وعينت مصر عبدالقادر حلمى حاكما على سواحل إفريقيا الشرقية · وكونت أسطولا مصريا فى أوائل نوفمبر ١٨٦٧م بقيادة جمال بك عقد لوائه على (المدرعة الإبراهيمية) · ومنذ ذلك الوقت ، أخذت مصر فى الاتصال بأبناء شعوب تلك المنطقة محاولة التقريب بينهم وبين

إخوانهم فى مصر ، وقد أنشأت مصر الإدارة الإفريقية وضمت فيها زيلع وبربرا . ولقد كانت هذه الموانى خاضعة للحكم العثمانى .كما أصدر الباب العالى فرمانا بإحالة ميناء زيلع إلى الإدارة المصرى ، وتسلمت الإدارة المصرية الميناء وبدأت عملية تعزيز زيلع والعمل بالأعمال الإنشائية فيها . تلك الأعمال التى سجلها لهم التاريخ والتى خلقت من هذا الميناء موقعا حديثا وجعلته يذخر بالحضارة الحديثة بشكل لم يره من قبل . ومدت مدينة بربرا بمشروع مياه روبار ، ثم شرعت الإدارة المصرية فى إرسال المهمات والأنابيب إلى مصلحة مياه بربرا ، تلك الإدارة الجديدة التى أنشئت للإشراف على هذه العملية وجاء معها الخبراء المصريون لإتمام هذا المشروع . وقد سعد الأهالى بهذه الأعمال الجليلة التى قامت بها مصر فى بربرا فى الصومال وفى منطقة القرن الإفريقى ، عندما علموا أن مصر تقصد من وراء ذلك الإصلاح توحيد أراضى العفر وأوسا والوصول إلى هرر من أجل حمايتهم وإسعادهم وتوحيد صفوفهم . كما عينت مصر رضوان باشا مأمورا على هذه الجهات ثم عهدت إلى متزنجر بك، محافظ شرق السودان وسواحل البحر الأحمر وأسندت إليه مهمة اكتشاف الطرق والمواقع القريبة من زيلع ، والوقوف على أحوالها واقتراح ما يلزم من التسهيلات ، كما عهدت إلى محمد رءوف باشا بمهمة تأمين الأهالى والقبائل العفرية والصومالية وتأليف قلوبهم وتسهيل الطرق منها إلى هرر (١) .

---

(١) شوقى عطالله الجمل « دكتور » : الوثائق التاريخية لسياسة مصر للبحر الأحمر، مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٨٦٣ – ١٨٧٩ .

ومن زيلع خرجت حملة مصرية بقيادة محمد رءوف باشا لفتح سلطنة هرر وقد دخلت الحامية المصرية هرر العاصمة فى ٢٢ رمضان ١٢٩٢هـ (١١ أكتوبر ١٨٧٥م) وقد شكلت الحكومة المصرية حكمدارية عرفت باسم حكمدارية هرر وملحقاتها حتى زيلع وبربرا ، ودخلت فى هذا الإطار جميع السلطنات العفرية الواقعة تحت إدارتها ٠ وكان محمد رءوف باشا قد عين أبوبكر شحيم أمير زيلع السابق فى وظيفة وكيل المحافظ فاستبسل أبوبكر شحيم فى إظهار ولائه للحكومة المصرية حيث كان قد أرسل ابنه إبراهيم مع منزنجر باشا فى مهمة إلى الحبشة ، وكلف ابنه موسى بمساعدته فى أشغال الحكومة فى تاجوره، وعين ابنه برهان معاونا مع رءوف باشا فى هرر ، وكلف ابنه محمد بمساعدته فى إدارة شئون زيلع نفسها ٠ وكان لهذه المواقف من أبوبكر شحيم تقديرها الحق من مصر حيث كافأته مصر بتقليده منصب محافظ زيلع فى ١١ نوفمبر من نفس السنة وذلك حين أصدرت أمرها لتنظيم هذه الجهات تحت إدارة رءوف باشا الذى أصبح حاكما عاما (حكمدار) لهرر وملحقاتها ٠

كما صدر مرسوم فى ١١ إبريل عام ١٨٧٦م بفصل بربرا وزيلع عن حكومة عموم هرر ووضعها تحت إدارة رضوان باشا مع إبقاء أبوبكر شحيم باشا محافظا لزيلع ثم عادت مصر وأرسلت عبدالقادر حلمى باشا، مأمور ضبط مصر ، إلى كل من زيلع وتاجوره للمساهمة فى أعمال الإنشاء والتعمير اللازمة٠ وصدرت إليه الأوامر التفصيلية عن هذه المهمة فى ٢٣ ديسمبر

١٨٧٥م ، واهتمت مصر فى هذا العهد بكل من الملح والنطرون وأنشأت مصلحتين لإدارة شئونهما ٠ فأوصت نظارة الزراعة والتجارة بالبحث عن الطرق اللازمة لترويج تجارة الملح فى الخارج للحصول على النطرون النظيف بأقل تكلفة ممكنة ٠ وأوصت بزيادة إنتاج الملاحات المستعملة واستغلال الملاحات غير المستعملة واستكشاف ملاحات جديدة ، وحصر جميع الملاحات ومراكز استخراج النطرون، وتعيين الموظفين اللازمين لذلك ٠

وكانت هذه التوصيات تهم زيلع ، نظرا لوجود أربع ملاحات بالقرب منها ، أهمها (الملاحة الحلوة) ووجود أكبر ملاحات بالقرن الإفريقى، المسمى ببحيرة العسل بالقرب من تاجورةه (١) ٠

ولقد ساعدت هذه المشروعات كلهاعلى تقدم الحياة فى زيلع ودخول الحضارة والمدنية الحديثة والإدارة المنظمة إلى هذه الأرجاء ٠ فاستتب الأمن وبنيت المدارس والمساجد وشعر سكان هذه البلاد أنهم أصبحوا مواطنين فى دولة قوية تدافع عنهم وتوحد بينهم ٠

وبدخول رءوف باشا إلى هرر قدم إليه من مدينة هرر وفد برئاسة ابن السلطان ومعه القاضى عبدالله بن عبدالرحمن قاضى مدينة هرر والحاج يوسف من أعيان البلدة والسيد/ أحمد نقيب الأشراف ومحمد عبدالقادر

---

(١) جلال يحيى « دكتور » : مرجع سابق ، عام ١٨٨١ ، ص ١٠٣ ٠

ترجمان ديوان الأمير جاءوا يحملون تحيات الشعب والسلطان، ومعهم خطاب يعلنون فيه طاعتهم وولاءهم وترحيبهم بقدوم إخوانهم المصريين بهذه المنطقة٠ وهكذا نرى أن سلطات هرر المحلية رحبت بالاتحاد مع مصر وأعطت ولاء الطاعة والتبعية ورفع العلم المصرى فى كافة أرجاء هرر ٠ وكانت مدينة هرر تبلغ مساحتها فى تلك الفترة ٤٨٠ ألف م٢ وكان يحيط بها سور من جميع الجهات يتراوح ارتفاعه بين ٣ – ٤ أمتار مبنى من الحجارة الصخرية من الجبال المجاورة ٠ وكان به ٢٤ برجا و ٥ أبواب سماها المصريون باسم باب المحاكم – باب الفتوح – باب النصر – باب الرحمة – باب السلام ، وأما بيوت جميع سكان المدينة فهى مسقفة بالأخشاب ، وكان أهلها متمسكين بالشريعة الإسلامية على المذهب الشافعى كما كان أكثرهم يتكلمون اللغة العربية ويفضلون الفلاحة والتجارة ٠

وكانت مدينة هرر نقطة تتوسط طريق القوافل ، مما جعل منها مركزا تجاريا فى القرن الإفريقى ، وكانت تمر بها معظم التجارة الآتية من الحبشة إلى زيلع وبربرا وتاجوره وجميع مناطق العفر ، وكان حاكمها فى تلك الفترة السلطان محمد عبدالشكور ، وهكذا أصبحت إدارة هرر تحت الإدارة المصرية٠

كما أن الحكومة المصرية بعد أن بسطت نفوذها فى هرر عمدت إلى التفرغ لمصالحة القبائل المتنازعة حتى يوصد الباب أمام عملاء الأجانب الذين كانوا يحاولون الإفادة من هذا التنازع ، وقامت بتوزيع الأرزاق ليس على الحكام

المحليين فحسب بل على العلماء والفقراء أيضا، كما وزعت الرايات المصرية على تلك القبائل التى استقبلتها كما لو كانت رمزا للإسلام ومظهرا لالتئامهم تحت السيادة المصرية (١) .

---

(١) رجب حراز « دكتور » : إفريقيا الشرقية والاستعمار الأوربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٨٩ – ١٩٠ .





منظران لفتاتان من هرر

وغدت السواحل المصرية بفضل تلك الإجراءات فى مأمن من التدخل الأجنبى ، وقد بذلت بريطانيا بعض المساعى لدى الحكومتين العثمانية والمصرية لكى يسمحا بمرور قوات الحملة البريطانية الموجهة ضد الحبشة عبر الأراضى العثمانية المصرية ، فوافق الباب العالى كما وافق إسماعيل على مرور هذه القوات عبر الأراضى الخاضعة للسيطرة المصرية ٠ ومع أن الحكومة المصرية أمدت الحملة بكل مساعدة ممكنة ، فإن هذا الاتجاه الودى لم يمنع حكومة القاهرة من اتخاذ بعض الإجراءات الوقائية لحماية المصالح المصرية فى تلك المناطق، فأرسلت تعزيزات عسكرية إلى سواكن ومصوع ٠ وعينت فى نوفمبر ١٨٦٧ إسماعيل عبدالقادر باشا محافظا على سواحل إفريقيا الشرقية٠

ومما لاشك فيه أن مصر على الرغم من أنها لم تجن مغنما مباشرا من الحملة البريطانية، فإن هذه الحملة هيأت لمصر ظروفا استطاعت أن تؤكد من خلالها أمام أعين بريطانيا حقوق سيادتها على الساحل الإفريقى للبحر الأحمر حتى باب المندب٠ وتدعيما لتلك السيادة كونت أسطولا مصريا فى أوائل نوفمبر ١٨٦٧ بقيادة محمد جمالى بك ، ومنذ أوائل عام ١٨٧٠ صدرت الأوامر إلى جمالى بالإبحار بالأسطول المصرى إلى شواطئ ذلك الساحل، مما أزعج السلطات البريطانية فى عدن، فقامت بنشاط مضاد للمصريين، وبادر محمد شريف باشا ناظر الخارجية فى أوائل يونيو ١٨٧٠م بإرسال مذكرة إلى الكولونيل ستانتون Stanton قنصل بريطانيا العام فى القاهرة، أكد فيها سيادة مصر على كل ساحل البحر الأحمر الإفريقى ، مؤكدا أن هذه الأراضى هى أراضى عثمانية آلت إلى مصر بمقتضى فرمان سلطانى ، كما أن مصر

لا تزال تدفع جزية سنوية مقابل ذلك ، فلا يسع الحكومة المصرية أن تترك الحقوق الثابتة التي لها على هذه البلاد (١) ٠

وفي ربيع الأول ١٢٨٧ هـ (أغسطس ١٨٧٠م) فُصِلت محافظات مصوع وسواكن وبربره وغيرها من الأقاليم السودانية المطلة على البحر الأحمر، ومديرية التاكة، عن حكمدارية السودان، وشكل منها جميعا محافظة عرفت بـ « محافظة سواحل البحر الأحمر » كما ذكرنا ، وعين أحمد ممتاز محافظا لها باسم «مدير عموم شرقي السودان، ومحافظ سواحل البحر الأحمر» (٢) ، وشرع أحمد ممتاز يتنقل بين مدن الساحل من مصوع إلى مضيق باب المندب ٠وتلك المنطقة لا تنزل بها قبائل الدناكل (العفرية)، وتعرف الآن بمديرية دنكاليا وهي إحدى مديريات إريتريا٠ ونرى أن التقرير الذي كتبه ممتاز باشا في ٢٤ محرم ١٢٨٨ هـ (٢٦مارس ١٨٧١م) (٣) يعد من أهم التقارير عن هذه المناطق وإمكان إفادة الدولة الإسلامية الإفريقية من هذه الأدلة، وكان أهم ما جاء في هذا التقرير أنه ذكر أن المشاجرات كانت ما تزال قائمة بين بعض أهالي تلك المناطق، وكان جمال بك قد عقد الصلح معه ، على أن يقوموا بدفع دية من قتلوه، ولكن الأهالي التمسوا من الحكومة أن تدفع لهم هذه الدية، فلم يتراجع ممتاز باشا في ذلك ودفع الدية المطلوبة، كما صرف لهم

---

(١) محمد فؤاد شكري « دكتور » : مصدر سابق ، ص ٤٩٠

(٢) شوقي عطالله الجمل «دكتور» : مصدر سابق، وثيقة رقم ٣٠، ص ١٠٣٠

(٣) شوقي عطالله الجمل «دككتور» : وثيقة رقم ٤١ (٢٤ محرم ١٢٨٢ هـ – ٢٦ مارس ١٨٧١م) ، ص ١١١ – ١١٦ ٠

بعض الإعانات لوضع حد لهذه المشكلات وقد رحّب الأهالى بالعلم المصرى ورفعوه وكوّنوا حرسا خاصا من بينهم للمحافظة عليه نظير أجر سنوى٠ واستطرد ممتاز باشا فى تقريره وذكر أنه نزل أرض رحيتا فى الثامن من ذى الحجة ١٢٨٧ هـ وتقابل مع حاكمها المحلي الشيخ برهان محمد فصرف له متأخر مستحقاته، ورتب بعض العساكر من الأهالى لخفارة البيرق وحفظ الحدود ، وصرف لهم مرتباتهم لثلاثة أشهر مقدما ، كما أعطى للشيخ المذكور صندوق بارود للاستعانة به فى رد العدوان على منطقته ثم توجه بعد ذلك إلى رأس عصب، ثم بيلول ومنها إلى ميناء زولا، وقد لفت النظر إلى أهمية هذا الميناء، حتى وصل إلى مصوع ، وتطرق إلى ذكر العمران الذى أخذ يعم فيها ، وأن الأهالى والتجار أخذوا يبنون بيوتهم بالأحجار ويبيضونها با" جير بعد أن كانت بالقش الذى كثيرا ما تسببت عنه الحرائق، واقترح منح الأراضى فيها بدون مقابل لكل من يطلب زيادة العمران ٠

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الرحلة التفقدية والتى قام بها ممتاز باشا، كان لها أثر طيب فى نفوس الآهلين بتلك المناطق ٠ وتشير إحدى الوثائق (١) إلى أن زعماء وحكام الجهات المحيطة بـ « بيلول » « وهى إحدى المدن الرئيسية فى مديرية دنكاليا » اتصلوا بالسلطات المصرية وأكدوا أنهم من المسلمين ، وأعربوا عن ارتياحهم لاتساع ملك الدولة العليا، وعن استعدادهم للخضوع للإدارة المنظمة الحديثة التى جاء المصريون بها ، واستعدادهم للمساهمة فيها

---

(١) مكاتبة رقم ٢٦ فى ٢٥ رجب ١٢٨٧ ، انظر ما جاء بصددها فى الوثائق التاريخية لسياسة مصر ، وثيقة ٣٨ ، ص ١٠٨ ٠

بكل إمكانياتهم ٠

ويدل ذلك على مدى ما بذله المصريون فى تلك المناطق من جهد حضارى ومالى مما كان له أثره الواضح فى عمرانها واستتباب الأمن فيها ٠ لقد اعتبرت الإدارة المصرية أن هذه المناطق تمثل عمقا طبيعيا وحضاريا لمصر الأم ، ولذلك فقد بذلت لها الكثير ، فضلا عن أن المصريين – كعادتهم – سلكوا مسلكا طيبا فى تلك المناطق ، وقد شهد بذلك سعادة غالبية الأهالى وإسراعهم فى الانضواء تحت مظلة هذا الحكم رغبة فى تمتعهم بما كان يتمتع به غيرهم فى تلك المناطق – من أمن ورخاء ٠٠وإن كان قبول بعض ذوى النفوس الضعيفة منهم للعروض التى قدمتها الدول الأوروبية عن طريق عملائها والتى صحبتها منح مالية مغرية، قد أدى إلى استغلال الخلافات التى كانت تنشب بين الأهالى بعضهم بعضا، وأخذوا يعملون على توسيع الفجوة فيما بينهم خصوصا وأن العصبيات القبلية كانت على أشدها ، وإن خمدت حينا فإنها كانت تشتعل فى أحيان كثيرة ، وكانت الحكومة المصرية تبذل قصارى جهدها فى توحيد الكلمة في تلك المناطق ، وعملت على تدعيم إدارتها فيها ، فعمدت إلى إلغاء حكمدارية السودان ومحافظة عموم سواحل البحر الأحمر وتقسيم تلك المناطق إلى محافظات مستقلة لتصبح قبضة الإدارة فيها قوية ٠

وأوصى منزنجر باشا فى الثانى عشر من ديسمبر ١٨٧٢م بإقامة نقط عسكرية فى الجهات الساحلية حتى باب المندب ، وذلك وفقا لنشاط عملاء الدول الأجنبية الذين جاءوا يسعون إلى الصيد فى الماء العكر ، وتطلّب الأمر اختيار نقط مراقبة يمارس منها رجال الأمن مهمتهم ، والمحافظة على السلم

بين الأهالى على طول هذه السواحل· ولم تعارض الحكومة المصرية فى ذلك بل أصدرت أمرها فى يوليو ١٨٧٣م باختيار رضوان بك سوارى وابور الصاعقة بالاضطلاع بهذه المهمة، كما أصدرت الحكومة أمرا بتعيين مهندس من ضباط أركان الحرب للأمانة الدائمة بمحافظة مصوع، والقيام بالأشغال العامة ·

وعملت مصر على تحسين الأسواق فى تلك الجهات فأنشأت الطرق وشجعت الأهالى على المجيء بمتاجرهم إليها، وكانت التجارة حرة من كل قيد، كما اهتمت بصحة الآهلين بتلك النواحى (١) · ومما يدل على مبلغ ما وصلت إليه حالة هذه الجهات فى ظل الإدارة المصرية من الاستقرار والأمن والازدهار الاقتصادى أن عدة قبائل عربية قد بدأت فى الزحف من رافع وينبع إلى تلك الجهات بقصد الاستيطان والزراعة ورعى المواشى (٢) ·

النفوذ الاستعمارى الأوروبى ونشاط عملائهم فى هذه المنطقة ورد فعل الحكومة المصرية : ١٨٧٠م - ١٨٧١م

فى مستهل هذه الدراسة تحدثنا عن الأهمية الاستراتيجية لتلك المناطق التى عرفت فيما بعد باسم إريتريا ، وكيف أن عملاء الأجانب تربصوا بها النوائب · وأخذت تتوالى على تلك المناطق بدون رغبتهم فى شراء أراض أو

(١) انظر المصدر السابق ، وثائق أرقام ٤٧-٤٩-٥٠-٥١- من ص ١٢٤ إلى ص ١٢٨·

(٢) المصدر السابق ، وثيقة رقم ٥٥ ، ص ١٣٣ ·

فتح متاجر أو القيام بنشاط صناعى أو خلافه ، وبعد أن كانوا يتبعون طرقا غير مشروعة بالشراء مثلا ممن لا شأن لهم بالأراضى، كصيادى السمك ، أو من أحد المشايخ ٠ وقد أخذ الشراء وامتلاك الأجانب للأراضى طريقا رسميا صرحت به الحكومة - أسوة بما هو متبع فى مدن القطر المصرى - دون مراعاة لظروف تلك الأقاليم النائية المعرضة لحيل الأجانب وأطماعهم ٠ ولما تكاثر عدد الأجانب فى تلك الجهات استدعى الأمر تعيين قناصل خاصة للدول البحرية والتجارية منها ، وبدأ هؤلاء القناصل يزجون بأنفسهم فى الأحوال الداخلية والخارجية لهذه الأقاليم ٠

ومشكلة عصب أعطتنا صورة واضحة لبعض الوسائل والأساليب التى اتبعتها إحدى الدول الأجنبية وهى إيطاليا لوضع يدها على المناطق المهمة فى شرق إفريقيا على وجه الخصوص ٠ وترجع نواة النفوذ الإيطالى فى تلك المناطق إلى النشاط التنصيرى فى هذه الجهات ، ومن أشهر المنصرين الذين لعبوا دورا بارزا فى هذا المجال القس جوزيف سابيتو Guisephe Sapetto حيث استطاع هذا القس أن يتصل بشيخ قبيلة رحيتا «برهان بن محمد» وبغيره من زعماء الدناكل فى نوفمبر ١٨٦٩م ووفق فى أن يشترى ويستأجر باسم شركة روباتينو الإيطالية للملاحة Ruppattino Steams Company جهات واسعةمن خليج عصب ورفع عليها العلم الإيطالى فى ١٣ مارس ١٨٧٠م [1]٠

ولماعلم الشيخ أبوبكر إبراهيم شحيم حاكم زيلع بأمر تلك الصفقة

---

(١) محمد عثمان ابو بكر : مصدر سابق ، ص ٣٩٧٠

أوعز إلى الشيخ برهان بالتوجه إلى عصب للاحتجاج على تلك الصفقة وليبلغ النصرانى سابيتو بأن الأراضى التى اشتراها خاضعة للسلطان العثمانى ، وليس لأحد سلطة عليها ، أو حق التصرف فيها ٠

وكان وكيل المحافظة علاءالدين باشا قد أغضبه نزول الإيطاليين بعصب فأرسل فى إبريل ١٨٧٠م – دون علم الحكومة المصرية – إحدى السفن الحربية تقل فصائل من الجند لاتخاذ اللازم ٠ ونزل القائد ومعه بعض الجنود وأخذوا فى البحث عن مشايخ الدناكل الذين تعاقدوا مع سابيتو ، ثم اقتحم الكوخ الخشبى الذى كان الأخير قد أقامه هناك بوصفه مكتبا لشركة روباتينو وأنزل العلم الإيطالى ورفع العلم المصرى وترك فى المكان بعض الجنود للحراسة ٠٠ وعلى ذلك تكون السلطات المحلية المصرية قد أخذت بزمام المبادرة وتصرفت بإيجابية فى حين أن الحكومة المصرية اكتفت بتقديم الاحتجاجات٠ ففى السابع والعشرين من مايو ١٨٧٠م أبلغ شريف باشا ناظر الخارجية دى مارتينو De Martino القنصل الإيطالى العام فى القاهرة أن الوالى كلفه بالاحتجاج على التعدى الواضح على سلامة الأراضى المصرية ٠

وشفع شريف باشا هذا الاحتجاج بأخر مكتوب سلمه فى أول يونيه إلى دى مارتينو، أكد فيه أن الأراضى التى احتلتها شركة روباتينو الإيطالية تابعة للحكومة المصرية، ومن ثم فإن هذا البيع باطل، وذكر أن الحكومة المصرية لا تمانع فى منح الشركات الملاحية التى تبحر سفنها إلى الشرق الأقصى حق استخدام الأراضى التى ترى أنها فى حاجة إليها ، وإنما يكون هذا بصفة تأجير ، وبمقتضى الشروط التى تضعها الحكومة المصرية نفسها وتلتزم بها هذه الشركات ٠

لكن الحكومة الإيطالية قد أغفلت الوضع القانونى لمسألة عصب ، وكتب وزير خارجيتها فى ٢٦ يونيو إلى قنصله فى القاهرة أن على الحكومة المصرية أن تبصرنا بالحق الذى يمكنها بمقتضاه أن تعارض امتلاكا وافق عليه الذين يحتلون الأرض فعلا فى تلك البقاع التى يتمتع فيها الأهالى الوطنيون باستقلال تام ، ثم أضاف متسائلا : إن بائع أومالك الأرض يضمن ما يبيع للمشترى أو المستأجر فهل مصر قادرة على إعطاء هذه الضمانة لشركة روباتينو ؟ وهل فى مقدورها أن تتكفل بالعمل على مراعاتها ؟ كما احتجت إيطاليا على ما قام به محافظ مصوع ضد مكاتب الشركة الإيطالية ٠

ومع أن شريف باشا والخديو إسماعيل قد نفيا علمهما بما قام به محافظ مصوع، فإن الخديو الذى كان فى ذلك الوقت بالآستانة قد استنكر احتلال إيطاليا لساحل خليج عصب وأعلن عدم شرعية الاستيلاء على أراض خاضعة للسيادة العثمانية (١) ٠

وظلت مصر ترفض تحمل مسئولية الحوادث التى قد تنجم عن استخدام سلطتها على أراضيها وتحت ظل علمها ، وأبلغت مصر إيطاليا أنها تنتظر منها ردا بشأن عصب ، وأظهرت تحفظها واحتجت رسميا على أى اعتداء يقع على أراضيها ، وأعلنت احتفاظها بكل حرية للعمل، وبكل ما لديها من وسائل قوة لإجبار الآخرين على الاعتراف بحقوقها وخصوصا بعدما حاولوا تناسيها ٠

---

(١) السيد رجب حراز « دكتور » : إريتريا الحديثة ، ص ٨٦ – ٨٧ ٠

وظلت الأمور عند هذا الحد لمدة عشر سنوات تقريبا منذ نهاية عام ١٨٧١م وحتى بداية عام ١٨٨٢م حيث سكت بعدها كل من الطرفين عن إثارة موضوع عصب، وواصلت مصر سياستها فى هذه المناطق من تعيين شيوخ النواحى على طول الساحل ودفع رواتبهم ، وإرسال سفنها الحربية لزيارة تلك المناطـق ·

تجدد النشاط الإيطالى فى مصوع وملحقاتها (١٨٨٠ - ١٨٨٥)

أتاحت الظروف الاستثنائية التى اجتازتها مصر فى أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات الفرصة أمام الأطماع الإيطالية لمتابعة نشاطها الاستعمارى فى ساحل البحر الأحمر الغربى ، ومما لاشك فيه أن تقرب منليك عاهل شوا من إيطاليا من جهة ، وازدياد النفوذ الأجنبى فى شئون مصر وتقييد سلطة الخديو إسماعيل وعزله فى النهاية (يونيو ١٨٧٩) من جهة أخرى قد شجع إيطاليا على تجديد نشاطها فى تلك المناطق ·

وما لبث أن عاد مرة أخرى الداعى الإيطالى القس سابيتو إلى ساحل خليج عصب موفدا من قبل شركة روباتينو ليجدد ما انقطع منذ عشر سنوات تقريبا، ولشراء المزيد من الأراضى بحجة استخدامها للأغراض التجارية· ونجح سابيتو فى إبرام بضع اتفاقيات جديدة كان أولها بتاريخ ٣ ديسمبر ١٨٧٩ مع الشيخ برهان سلطان رحيتا ، حصلت الشركة المذكورة بموجبه على جزر أم البقر ومجموعة الجزر المسماه درماكيا Darmakia ثم نشط سابيتو فى عقد الاتفاقيات خلال عام ١٨٨٠ ·

وقدّم على رضا باشا محافظ سواحل البحر الأحمر احتجاجا شديدا على التصرفات التى قام بها القس الإيطالى ٠

اقترح القنصل البريطانى بالقاهرة السير إدوارد مالت ، بناء على تعليمات حكومته ، أن ترسل مصر سفينة ترفع الراية العثمانية على خليج عصب،لكن الحكومة المصرية لم تأخذ بهذا الاقتراح وآثر ناظر الخارجية فهمى باشا أن تصدر الحكومة المصرية احتجاجا رسميا على نزول الإيطاليين فى عصب ٠

ولكن إيطاليا مضت قدما فى طريقها، وخرجت بعثة إيطالية من عصب لاجتياز بلاد الدناكل والبحث عن طريق تجارى يربط عصب بهضبة الحبشة، وارتكبت هذه البعثة من أعمال العنف ما أثار الأهالى الذين أعدوا كمينا فى الخامس والعشرين من مايو ١٨٨١ قضوا فيه على أفراد البعثة الإيطالية، وعرفت تلك الحادثة بمذبحة « بيلول » ، وبالطبع احتجت الحكومة الإيطالية وانتهزت الحكومة المصرية تلك الحادثة وقدمت فى السادس من يوليو ١٨٨١ إلى إيطاليا مذكرة احتجاج ضد شركة روباتينو التى استولت على عصب متجاهلة حقوق السيادة المصرية على تلك المناطق بموجب الفرمانات السلطانية التى أصدرها الباب العالى ٠

ومنذ صيف عام ١٨٨١ رأت وزارة الأحرار البريطانية برئاسة جلادستون أنه من الأفضل ترك الإيطاليين وعدم التعرض لنشاطهم، وذلك حتى لا تتاح الفرصة أمام عدوتهم اللدودة فرنسا لكى تسيطر على الساحل الإفريقى٠لكن الحكومة المصرية ظلت متمسكة بحقوق سيادتها، ومن ثم ناشدت إيطاليا حكومة بريطانيا أن تتدخل للتوصل إلى اتفاقية مع الحكومة

المصرية بشأن عصب ، وأبدت استعدادها لقبول أية شروط فيما عدا إجلاء عصب وقدمت مسودة تلك الإتفاقية فى التاسع من أكتوبر ١٨٨١ (١) . ولكن فى ديسمبر من نفس العام أعلنت الحكومة المصرية على لسان ناظر خارجيتها أن الخديو رفض الاتفاقية وأنه لا يمانع من عقد اتفاقية مماثلة مع شركة روباتينو يمنحها بموجبها أراضى عصب وبعض الامتيازات التجارية، . ويحتفظ لنفسه بالسيادة على منطقة عصب .

وحاولت بريطانيا الضغط على الحكومة المصرية لقبول الاتفاقية التى عرضتها إيطاليا ، ونشط إدوارد ماليت قنصلها فى القاهرة ، وأخذ يشرح لدوائر الخارجية المصرية كيف أنه ليس لمصر القدرة على زحزحة الإيطاليين عن عصب ، ولذلك فإنه من المستحسن تنظيم هذا الاحتلال باتفاقية رسمية (٢) .

وجرت محادثات طويلة بين مصر والباب العالى حول مشكلة عصب، وأرسل الأخير يلوم حكومة مصر على سكوتها هذه المدة الطويلة محاولا أن يلقى التبعة عليها ، ويعرض عليها إبداء رأى من إثنين :

١ - أن تعمل الحكومة المصرية على المحافظة على المنطقة المذكورة باعتبارها من أملاك الدولة العثمانية التى لا يمكن التفريط فيها بحال من الأحوال ،

---

(١) نفس المصدر Ibid. 3366 Confed. McDonall, Oct. 1881 .

(٢) السيد رجب حراز « دكتور » : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٩ .

مع الاهتمام بألا يُسمح للإيطاليين بتوسيع حدود الأراضى التى بين أيديهم ٠

٢ - أو يعقد اتفاق بين الدول الثلاث على ألا يتخذ الإيطاليون المنطقة المذكورة قاعدة حربية ولا يتوسعون فيها وفقا لاقتراح الحكومة البريطانية ٠

وأبدى الخديو توفيق رأيه بقبول الصورة الأولى، وذكر أنه ليس من حق المشايخ بيع شيء من أملاك الحكومة ٠ فتصرفات الحكومة الإيطالية عارية عن الصفة الشرعية لاسيما أنها تدخلت فى المسألة لمساندة الشركة الإيطالية، ونقلت المسألة من نطاق الخصوصية المتعلقة بشركة إلى دائرة السيلسة - وأول نتيجة ترتبت على هذا هى إقامة نفوذ أجنبى فى البحر الأحمر ، الذى عرف بأنه بحر عثمانى منذ مدة طويلة ٠

وإبان شهر فبراير ١٨٨٢ اجتمع مجلس الوزراء العثمانى بالآستانة لبحث مسألة عصب ، وأصدر قرارا خطيرا مفاده أن اتفاقية عصب المقترحة يجب أن تقبل من جانب مصر ،وإن كان الباب العالى لا يستطيع أن يفرضها على الخديو فرضا ٠

وقد حافظت مصر على موقفها بالرغم من ظروفها الدقيقة فى ذلك الوقت ٠ وقد اجتمع مجلس النظار فى ٢٥ مارس ١٨٨٢ وحضره الخديو ، وناقش المسألة ، ورفض المجلس الموافقة على مشروع الاتفاقية الإيطالية، وكرر استعداده للتفاوض مع شركة روباتينو أو أى شركة أخرى لها أغراض تجارية٠ وأعلن محمود باشا سامى البارودى رئيس المجلس أنه ليس من سلطة مصر عقد مثل هذه الاتفاقية،حيث تنص الفرمانات على سلامة أراضى الدولة

وضرورة المحافظة عليها . وحتى إذا ما قبلت الحكومة مثل هذه الاتفاقية فإن مجلس النواب سيرفضها .

وأما إيطاليا فقد أعلنت أنها في غير حاجة لموافقة مصر على إنشاء مستعمرتها في البحر الأحمر ، وأنها مصممة على الاحتفاظ بالموقف الذى اكتسبته وبحقوقها التى لا يمكن الطعن فيها ، وأنها غير مرتبطة بالتعهدات التى كانت قد عرضتها من قبل ، وأنها ستحافظ على حقوقها المشروعة !!!

ومما لاشك فيه أن وقوع مصر في قبضة الاحتلال البريطاني منذ دخول القوات البريطانية في القاهرة في ١٥ من سبتمبر ١٨٨٢ قد أتاح لإيطاليا الفرصة في دعم مركزها ليس في منطقة عصب فحسب بل في احتلال المزيد من الأراضى في هذه المناطق .

وغنى عن القول أن سنوات ١٨٨٢ – ١٨٨٥ لم تشهد فقط احتلال بريطانيا لمصر، بل كذلك شهدت احتلالها لأجزاء من ساحل البحر الأحمر الغربى حتى سواكن جنوبا .

ولذا فإن الحكومة المصرية كانت قد أبدت في مطلع ١٨٨٣ استعدادها للاعتراف بالممتلكات الإيطالية في عصب شريطة عدم توسيع رقعتها ، باعتبار أن ذلك يتعارض مع حقوق الخديو المعترف بها ، ويؤدى إلى إثارة منازعات لا نهاية لها ، ويشجع دولا أخرى على الدخول في ارتباطات مشابهة مع صغار المشايخ في ساحل الصومال .

وفي هذا الوقت اشتدت الثورة المهدية في السودان ، وجرت الاستعدادات لإخلاء الساحل شمال عصب .

وفى أواخر ١٨٨٤ أبرق الكولونيل تشمبرسيد حاكم سواكن إلى القاهرة بأنه عزم على أن يسحب القوات المصرية النظامية من بيلول بالقرب من عصب ، وكذلك من إرافلى « إحدى مدن مديرية إكلى قوزاى » بدعوى أنها تكلف نفقات كثيرة رغم قلة أهمية هذين المكانين ، وتساءل هل يسلم بيلول وإرافلى للمشايخ المحليين ؟ فكانت إجابة نوبار باشا – رئيس مجلس النظار وقتذاك – أن الحكومة المصرية تفضل تسليم هاتين المنطقتين إلى المشايخ المحليين وليس للأحباش ، ولكنه قد أعرب عن رغبته فى عدم الانسحاب من أى منهما قبل الاتصال بالباب العالى ٠ وقد كانت خطوات الحكومة الإيطالية أسرع، حيث تمكنت الحامية الإيطالية من احتلال ميناء بيلول فى ٢٥ يناير ١٨٨٥ ٠ وأبرق الخديو توفيق فى اليوم نفسه إلى الصدر الأعظم بأن الحكومة المصرية لا تستطيع أن تعزز حاميتها هناك أو تتخذ أية وسائل لمنع احتلال الإيطاليين لبيلول وأن سفنا إيطالية أخرى لا تعرف وجهتها تعبر قناة السويس ٠

وتقاعست الدولة العثمانية ولم تلق بالا لهذا الموضوع ٠ وانتهزت الحكومة الإيطالية تلك الفرصة خاصة وأنها وجدت تشجيعا من بريطانيا٠ وصح عزم إيطاليا على احتلال مصوع زاعمة أنها خطوة ملحة لتوطيد وتأمين الملاحة فى البحر الأحمر ، وأن الراية العثمانية ستترك مرفوعة على مصوع٠

وتذرعت إيطاليا بمقتل الرحالة الإيطالى جوستافو بيانكى J.Bianchi على أيدى أفراد من الدناكل ، هذا بالإضافة إلى أن موقف رئيس النظام نوبار باشا قد شجعهم على احتلال مصوع، فحين وصلت المذكرة الإيطالية فى أول فبراير ١٨٨٥ التى توضح مدى استعداد حكومته لضمان الرعايا الإيطاليين

على سواحل البحر، كان رده أن حكومته قد لفتت نظر الباب العالى إلى حالة الفوضى والاضطراب التى تسود الإقليم (١) ٠

وهكذا تعاون رئيس النظار الأرمنى مع الأجانب على وضع الدولة فى موقف لا تحسد عليه ، حيث وضعها أمام الأمر الواقع وحرمها من عناصر الدفاع عن حقوقها الإقليمية ٠

فأسرع الصدر الأعظم بالكتابة إلى الخديو، ووصلت الأوامر فى الثالث من فبراير ١٨٨٥ محذرة إياه بالموافقة ولو ضمنا على احتلال الإيطاليين لمصوع أو سحب الحامية المصرية الموجودة بها ، لكن نوبار باشا قد اهتم بذلك الجزء الشكلى من الأوامر دون أن يحاول تطبيق روح هذه الأوامر ٠ ومضت إيطاليا فى احتلالها مصوع وجردت الحامية المصرية من أسلحتها وطردتها، واضطر الخديو توفيق إلى إبلاغ الباب العالى بهذا الأمر ورفض الاعتراف بأى تهاون مع الإيطاليين فى احتلالهم لمصوع ٠٠ وراح السفير العثمانى فى بريطانيا يحتج على نزول القوات الإيطالية فى مصوع مهددا بعزم الباب العالى على استخدام القوة المسلحة لطرد الإيطاليين ليس من مصوع فحسب بل من ساحل البحر الأحمر الغربى برمته ، مما قد يؤدى إلى نشوب الحرب بين تركيا وإيطاليا ٠ ونصحت الحكومة البريطانية السفير العثمانى بأن يسوى الخلافات بالطرق الودية ٠ وساد الهياج فى تركيا وسرت الشائعات بأن الحكومة قد أصدرت أوامرها لثلاث بواخر بالاستعداد للتوجه إلى البحر الأحمر لإرغام إيطاليا على الجلاء عن المناطق التى احتلتها ٠ لكن الباب العالى استمر فى

---

(١) محمد عثمان أبو بكر ، مرجع سابق ٠

تقديم احتجاجاته حتى بعد أن بدأت إيطاليا فى أوائل مارس ١٨٨٥ الزحف على المواقع المصرية فى مصوع ، وأرغمت الحامية المصرية على مغادرتها فى أوائل ديسمبر ١٨٨٥ · وبذلك تقلص الحكم المصرى فى تلك المناطق الاستراتيجية المهمة من منطقة القرن الإفريقى ، واقتسمت الدول الإستعمارية فيما بينها السلطة والنفوذ فى هذه الجهات · وأخذ توسع الحبش مكانه فى هذه المناطق بعد أن ضعفت السلاطين الإسلامية التى كانت قد قامت فى تلك البلاد فوضعت فرنسا يدها على جيبوتى والمناطق المجاورة لها وكونت ما يعرف بالصومال الفرنسى (جيبوتى) حاليا · بينما مدت إيطاليا نفوذها من منطقة عصب ومصوع وكونت مستعمراتها فى إريتريا وكان نصيب بريطانيا يتمثل فى المناطق المهمة المواجهة لعدن ، فكونت ما يسمى بالصومال البريطانى (شمال الصومال) حاليا ، واتفقت مع إيطاليا على الحدود بينها وبين الإقليم الجنوبى الذى كون الصومال الإيطالى سابقا · وظلت هذه الأقاليم الإفريقية تناضل حتى استطاعت أن تنال استقلالها وأصبحت دول القرن الإفريقى دولا بعد أن كانت إمارات وسلاطين منفصلة بعضها عن بعض، وكونت دولا ذات سيادة تعرف اليوم باسم دول القرن الإفريقى، وتوزع العفريون والصوماليون الجالا « أرموا » فى هذه الدول :

إريتريا – الصومال – جيبوتى – إثيوبيا – ونجد كما أوضحنا أن العفريين يتواجدون فى الحدود الدولية الثلاثة ·

الفصـــل الثامـــن

دور المملكة العربيـــة السعوديـــة
فى منطقـة القرن الإفريقـي والعفر

دور المملكــة العربيــة السعوديــة
في منطقة القرن الإفريقي والعفر

==

يبــقى دور المملـكة بقــيــادة خــادم الحــرمين الشــريفين – بإســهــامــاته الملموسة– وما تبذله من جهد يبقى على كل الأصعدة – فى العـالم الإسلامى والإفـريقى وخـاصة فى منطـقة القـرن الإفـريقى والصـومال – طى الكـتمـان فى إطار الدوائر الخاصة للدولة ٠ هذا الجـهد يمثل ترجمة استراتيجية بعيدة المدى تتـحـرك نحـو الأهداف بدقة ووعى ولا تتـعاكـس مع التـيارات الدولـية فـتـضـيع الجهود عبثا ، حيث تتقدم هذه الجـهود فى صمت إزاء الهدف المنشود تماما كما حدث فى أفـغانسـتـان وإريتريا والعفـر فى إثيوبيا ، فـهذا الدعم هو الذى أدى فى النهـايــــة إلى انتـصـار المجاهدين فى هذه البـلاد وحـصـولهم عـلى اسـتـقـلالهم الوطنى ٠

وفى نفـس الوقت تمد المملـكة يد العــون لضــحــايا العـدوان فـى كل من البـوسنه والهـرسك والشـيـشـان لدعم المسلمين والوقـوف مـعـهم فى مـحـنتـهم وجهـادهـم من أجل الحق والعـدل، فمـوقـف المملكة لا يباريه أحـد فهى دومـا على اسـتعداد تام لنجدة المسلمين فى كل مكان لرفع الظلم والمعاناة عنهم ٠

أهمية البحر الاحمر وجزيرة العرب والقرن الإفريقي وعلاقات المملكة في التاريخ القديم والحديث :

إن العلاقة بين شعوب هذه المنطقة والجـزيرة العربية وعلى رأسها المملكة العـربية السـعـودية قديمة قـدم التاريخ ، منذ فـجـر الإسلام وقـبله ، فـفـى فـجـر الإســلام نمت هذه العـلاقة وتأصلت كما أوضـحنا فى الفصول السـابقة من هذا

الكتاب عقائديا واقتصاديا [١] ٠

فالخليج العربى ، والجزيرة العربية ،والقرن الإفريقى، يشكلون جزءا مهما من منطقة البحر الأحمر يسيطر على مضيق باب المندب الذى يشكل بدوره المدخل الجنوبى للبحر٠ وقد اتسم البحر الأحمر دائما بأهمية حاسمة عند العرب قديما وحديثا بحكم كونه خطا تجاريا ٠ ومن المعلوم أن عرب اليمن منذ العصور القديمة – وهم سكان جنوب غربى شبه الجزيرة العربية – قد فرضوا سيطرتهم على خطوط القوافل التجارية فى منطقة البحر الأحمر والمحيط الهندى واحتكروا الملاحة بين الهند وشبه الجزيرة العربية [٢] ٠

كما أبحر الفراعنة فى مياه البحر الأحمر قاصدين جنوب الجزيرة العربية وبلاد « البنت » أو « العفر » (المناطق الساحلية المحيطة بباب المندب إريتريا والصومال وبلاد العفر) باحثين عن البخور لمعابدهم وعن مواد أخرى مثل اللبان والمر والصمغ العربى والعاج والأخشاب العطرية وغيرها ٠

ومع ظهور الإسلام فى القرن السابع الميلادى ، وما أعقبه من فتوحات عربية، استعاد البحر الأحمرمكانته التى وصلت أوجها عندما أصبحت المنطقة العربية مركز طرق التجارة فى العالم ، بعد أن انتقل مركز الأهمية فى الجزيرة العربية شمالا إلى الحجاز وأصبح البحر الأحمر أفضل طريق بحرى يصل بين الشرق والغرب [٣] ٠

---

(١) محمد عثمان أبو بكر : مرجع سابق ، ص ٦٠٧٠

(٢) الأمين عبدالكريم : مرجع سابق ، ص ٤٤ ٠

(٣) ابو أحمد الإثيوبى : مرجع سابق ٠

أما العلاقة بين شعوب منطقة القرن الإفريقى والجزيرة العربية فقد أوضحنا فى كثير من المواقع فى فصول هذا الكتاب العلاقات التاريخية التى ربطت بين العفر وسكان الجزيرة قبل الإسلام وبعد ظهور الإسلام ، فهناك العديد من الشواهد التى تؤكد وجود اتصالات بحرية فى مرحلة ما قبل الإسلام بين عرب الحجاز وأهل منطقة القرن الإفريقى والحبشة ٠ ومن المعروف أن الإسلام لم يواجه أى مقاومة على الساحل الإفريقى للبحر الأحمر بفضل أصالة الجذور العربية هناك ،نتيجة موجات الهجرات العربية التى توالت عبر التاريخ القديم والحديث كما أوضحنا فى الفصل الخاص بكيفية انتشار الإسلام فى هذه المنطقة (١) ٠

الدور السعودي في هذه المناطق

ومن هنا نستطيع أن نقول إن العلاقة بين شعوب منطقة القرن الإفريقى والعرب بصفة عامة والمملكة العربية السعودية بصفة خاصة عريقة ولها جذور متأصلة عبر التاريخ ، وقد توطدت هذه العلاقة بعد انتشار الإسلام فى ربوع هذه المنطقة ،كما أن الصلات أصبحت مستمرة إلى يومنا هذا ٠ وينظر شعوب هذه المنطقة للمملكة العربية السعودية على أنها الشقيق الأكبر والمعين المخلص والملبى لندائهم المستمر وقت الشدة ، فلم تبخل المملكة فى مؤازرة هذه الشعوب ومد يد العون والمساعدة لها فى مجالات مختلفة منها المجالات العلمية والثقافية، حيث تمتلئ مدارسها وجامعاتها ومعاهدها بأبناء هذه المنطقة ٠

وخير دليل على ذلك احتضان المملكة العربية السعودية للعفريين بقيادة

(١) محمد عثمان أبو بكر : مرجع سابق ٠

السلطان علـى مرح الـذى قـدمت له الـعون المادى والمعنوى فى سـبـيل اسـتـرداد حـقـهم المسلـوب ومـقـاومـة نظام منجسـتـو الـشـيـوعـى الذى اسـتـبـاح أرضـهـم وعـرضـهـم • فـقـد وجـد السلطان علـى مـرح منذ ١٧ عـامـا الملاذ الآمـن والوفـاء الحنون من المملكة الـعربيـة حتى انتـصـر وعـاد إلى بلاده للـمـشاركة فى الحكم وصنع القرار •

وفى إريتريا فإن العلاقة الأخوية والعرقـية والعقيدة وصلات النسب التى تربط بين إريـتـريا والمملكة الـعـربية السـعـودية قـوية وقـديمة قـدم الـتـاريخ • وانطلاقـا من تلك الأسـبـاب المخـتلفـة ، بالإضافـة إلى الأسـبـاب الاسـتـراتيـجـيـة والسـيـاسـيـة، بقـيـت المملكة الـعـربية السعـودية تدعم الـثـورة الإريتـرية منذ عـام ١٩٦١ بمـخـتلف فـصـائلها، هـذا بجانب الجـهـود الجبارة التى بذلتها المملكة تحت رعاية سـمـو الأمـيـر ترك الـفـيـصـل فى سبيل وحـدة الـفـصـائل الإريتـرية من أجل توحيـد الكلمة والبندقية ، وارتبط الـدعم السعـودى للثورة الإريـتـرية منذ الفاتح من سـبـتـمـبـر ١٩٦١ بعـدة عـوامل تاريخـيـة واسـتـراتيـجـيـة تهم الأمـن الـعـربى والسـعـودى والمصالح المشـتـركة بين الشـعـبين ، ومن هـنا ينبع الدعم السـعـودى المستـمـر للثورة الإريتـرية •وبعد اسـتـقـلال إريتريا اهـتـمت السـعـودية بالمساهـمة فى عملية التنمية والبناء بدعم هـذه الدولة الفتية •

الصومـــال:

أما سـيـاسة المملكة فى مـسـاندة الصـومـال فقد انطلقت من حـقـيقـة واحدة من بين جـمـلة حقـائق مـتـعـددة ، هـى كـون الصـومـال دولة عـضـوا فى الجـامـعـة العربية فـقد قدمت المملكة عام ١٩٧٨ (٣٠٠) مليون دولارا دعـمـا للـصـومال فى مـجـهـودات الحـرب ضــد إثيوبيـا •وخلال عـامـى ١٩٧٧–١٩٧٨ تلقت الصـومـال

مساعدات عربية وسعودية اقتصادية ومعونات عسكرية محدودة وبخاصة فى حربها مع إثيوبيا ٠

وعلى الصعيد الدبلوماسى شجعت السعودية مبادرة تسليم الأسلحة الغربية إلى الصومال كما زودتها مصر بجسر جوى من المواد الطبية التى تمولها السعودية ٠ وقد لعبت السعودية دورا فى تحسين العلاقة بين كينيا والصومال فى سبيل تخفيف التوتر فى العلاقات بين الصومال وكينيا ، وأثمرت هذه الجهود عن اتفاق عقد فى الرياض برعاية سمو الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية فى سبيل حل المشكلات السياسية الصومالية الكينية فى عام ١٩٧٩٠ كما وافقت المملكة العربية السعودية على إمداد كينيا بالنفط ، واستحسنت إمداد كينيا بالمعونات الاقتصادية ٠ وكان الهدف من ذلك كله تحسين العلاقات العربية الكينية لكى تدعم السياسات العربية لا فى القرن الإفريقى فقط بل فى منطقة البحر الأحمر بأسرها ، إذ إن ذلك قد يؤدى إلى تقليص علاقات كينيا مع إسرائيل ، فتصبح مصدر قوة يمكن التعويل عليه فى مواجهة التحالف الشيوعى الذى كان يضم الاتحاد السوفيتى وكوبا وإثيوبيا فى منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقى ٠

جيبوتـــي :

حصلت جيبوتى على استقلالها فى ٢٤ يونيو سنة ١٩٧٧ ، وقد اختار البرلمان حسن جوليد رئيسا لجمهورية جيبوتى ، واتخذت اللغة العربية لغة رسمية لها ، وأصبحت عضوا فى الجامعة العربية، العضو رقم ٢٢ والدولة الإفريقية رقم ٤٩ ٠ ولأن جيبوتى أرض صحراوية تفتقر إلى الصناعة المعدنية والزراعية فهى تعتمد أساسا من الناحية الاقتصادية على مينائها وعلى خط

السكة الحديد الواصل بين أديس أبابا وجيبوتى، والذى كان يمر عليه جزء كبير من تجارة إثيوبيا الخارجية ٠

وكما أوضحنا فإن سكان جيبوتى أغلبهم من العفر والعيس ٠ وبجانب هذا تعتمد جيبوتى على المساعدات الفرنسية والعربية للتنمية الشاملة ٠ وقد قدمت الدول العربية المنتجة للبترول وعلى رأسها المملكة العربية السعودية أكثر من ٦٠ مليون دولارا أمريكيا معونة لجيبوتى عندما استقلت، لتنافس المعونة المقدمة من الدول الأخرى (١) ٠

وظلت المملكة العربية السعودية لا تبخل بالأموال لتنمية جيبوتى منذ استقلالها حتى يومنا هذا ، كما ورد على لسان رئيسها الرئيس حسن جوليد فى مقابلة صحفية ٠

ونسأل المولى عز وجل أن يكلل جهود خادم الحرمين الشريفين والمملكة فيما تبذله من جهد وما تقدمه من دعم للأمة العربية والإسلامية ، وفى وقوفها المستمر إلى جانب الأشقاء من المسلمين فى بلاد القرن الإفريقى والعفر لمساعدتهم على شق طريق المستقبل فى بلادهم ٠ فإن المملكة تتحمل مسئولية كبرى تجاه المسلمين كلهم ، فهى بحق قبلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وهى دولة الإسلام التى لا يعرف لها منطلقا إلا كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، وبهذا تبقى المملكة رائدة المسلمين والعرب فى كل مكان وتحظى باحترام وتقدير الجميع ٠

---

(١) تقرير عن دور المملكة فى منطقة القرن الإفريقى : غير منشور ٠

ومن الطبيعى أن تكون منطقة القرن الإفريقى فى مقدمة اهتمامات حكومة خادم الحرمين الشريفين فى الوقت الذى تقاعس فيه كثير من البلدان العربية والإفريقية عن دعم إخوانهم فى هذه البلاد التى كان أهلها يناضلون فى سبيل حريتهم وعقيدتهم ومقاومة طغيان الحكام ٠ وقد كان موقف المملكة مشرفا وعظيما فى تقديم الدعم المادى والمعنوى والإعلامى لهذه المنطقة وإبان فترة التحرير لم تدخر المملكة جهدا فى تنشيط الدبلوماسية السعودية للدفاع عن حقوق المسلمين فى كل من القرن الإفريقى وأفغانستان والبوسنة والشيشان وتبنى قضايا هذه الشعوب فى المحافل الدولية والمنظمات الإقليمية وأهمها منظمة المؤتمر الإسلامى ٠

وهذه المواقف للمملكة يسجلها التاريخ على مدى الأجيال القادمة ويشهد بها المجتمع الإسلامى كله، فهى مواقف مضيئة ومشرفة للعروبة وللإسلام وللمملكة العربية السعودية فى ظل رائد نهضتها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز الذى يتمتع بالفطنة والخبرة والالتزام دوما بشئون قضايا المسلمين فى كل مكان ٠

وما تقوم به الآن حكومة خادم الحرمين الشريفين من جهود دبلوماسية مضنية فى سبيل وحدة الصومال ، من أجل أن ينعم الصوماليون بالأمن والأمان والاستقرار فى بلادهم فى كنف دولة واحدة ،خير شاهد على ذلك ٠

الفصـــل التاســـع

====

مظاهــر الحضارة فــى بلاد العفــر

====

المحتويــات :

١ – نظام القيادة والسلطة والحكم.

٢ – أهم المدن التى تقع فى بلاد العفر.

١ - نظام القيادة والسلطة والحكم :

إن لدى العفر نظاما سياسيا تقليديا مهما قائما على الأفكار المشتركة التى توحد الشعب على مستوياته المتعددة وفى مناطقه المختلفة . إن الفكرة العامة التى يقوم عليها المجتمع العفرى توصف بـ عفر - لى Afar Le وهى نتيجة حتمية لسلوك المجتمع ككل . كما أن المبدأ السائد لنظام السياسة العفرية التقليدية هو: مادا (Madaa) (القانون العفرى) ، ودينتو Dinto «نظام سياسى للتعايش السلمى المشترك » . ويقرر هيلاند أن النظام السياسى العفرى عبارة عن نسب وإقليم دون التزامن أو التماكن اللازمين (١) . ويشير (ريدو) إلى نوعين من القوانين العفرية التقليدية بوراعيلى ماداMadaa ولكنه يصف واحدا منهما فقط (٢) .

فالقواعد القانونية مادا Madaa قد تطورت بالتطبيق العملى عند مناقشة بعض الحالات الخاصة .

لذلك فهى قد تختلف من سلطنة إلى أخرى أو من قبيلة إلى أخرى . وهذا أيضا ينطبق على الـ دينتو Dinto وهى فكرة تساند المقبول والمعترف به من النظام الثقافى والسياسى (٣) . إن شرعية وقيمة النظام لا خلاف عليهما ، والقاعدة التقليدية التى ينظر إليها الشعب العفرى هى الصالح العام للقبيلة . أما هؤلاء الذين لا يتبعون القواعد الاجتماعية للقبيلة ، فيمكن أن

---

(١) هيلاند : مرجع سابق ، ١٩٨٠، ص ١١٨.

(٢) ريدو : مرجع سابق ، ١٩٧٣.

(٣) عبدالله عمر آدم : مرجع سابق ، ص ٤٢ .

يحكم عليهم ببعض الغرامات بمعرفة مجلس القبيلة (مارو Maro) .

ويقول شيد يقيل « إن أوضاع القيادة السياسية للعفر تختلف تبعا للانتماء القبلى والسياسى والمحلى» [١] .

أما المهمون جدا فيعرفون باسم أمويتا Amoyta كما فى أوسا وأماكن أخرى ، أو داردار Dardar « مثلما فى تاجوراه ورحيتا » ويسمونهم فى شمال العفر ريدانتو Redanto ، بينما فى الجنوب يعرفون باسم مومين Momin أو ماكاباناتو [٢] .

وفى إيجاز فإن النظام القبلى والنظام السياسى يختلفان فى المركزية ، حيث يعمل الأول من مركز رئيسى «محدد» مؤسس من شبكة أعمال مكونة من أشخاص ذى وضع اجتماعى واحد ، بينما يعمل الآخر بطريقة أكثر «حركة» بدون هيئات سلطوية محددة أو إدارات معينة لمساندة النظام [٣] .

فهناك فروق عديدة فى كيفية ممارسة الإثنين من حيث القدرة والسلطة، أما القواعد الرئيسية للنظامين مثل السلاطين، فلهم منطقة نفوذ

---

(١) شيد يقيل : مصدر سابق ، عام ١٩٦٦ ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٢) توضيح إن الاختلاف الأساسى بين أمويتا Amayuta وريدانتو Redanto وماكابانتو Makabantu من ناحية وبين داردار Dardar ومومين Momin من ناحية أخرى هو أن الحالة الأولى تنطبق على قبيلة واحدة فقط « حيث لعائلة واحدة حق وراثة السلطة» بينما فى الحالة الأخرى يحق لعائلتين من قبيلة واحدة تبادل السلطة .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٣ .

محددة فى تقسيم جغرافى ثابت ، وتعتمد دخولهم الاقتصادية إما على الضرائب أو على زراعة الأرض ٠

وعلى العكس من ذلك يتعايش الـ ماكابان Makaban بطريقة بسيطة ، فمنطقة نفوذهم تعتمد على العلاقة الطيبة بين العشائر والعائلات والأقارب الذين يرون بعضهم باستمرار ، ويتقاسمون نفس الاهتمامات الاقتصادية والسياسية ٠ فى نوع من التعاون التلقائى ضد القبائل الأخرى ٠ وللماكابان سلطات قبلية مهمة (١)٠

القيادة المركزية / أمويتا / داردار Amayata - Dardar :

تمثل هاتين القيادتين أعلى المستويات بين العفر (٢) ٠فبينما فى الحالة الأولى يحق للإبن أن يتولى السلطنة ، فإن السلطنة فى الثانية تكون متبادلة بين السلالات العائلية المختلفة ٠ فعلى سبيل المثال ، يتم اختيار داردار Dar-dar تاجوراه بالتبادل بين أفراد عائلتين من قبيلى أد الى : البورهانتو والدينيتى ٠ عند وفاة داردار Dardar ، فإن الشخص البانويتا Banoyta (نائب الداردار) يصبح داردارا ويصبح أكبر أبنائه « نائب الداردارا بانيوتا » (٣) ٠

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٤٣ ٠

(٢) كلمة « أمويتا » Amoyta تعنى « رأس أو لورد » كلمة « داردار Dardar » تعنى محدد أو « معم » وهاتان القيادتان متماثلتان فى الكيان ، ولكنهما مختلفتان من حيث الإجراءات ٠

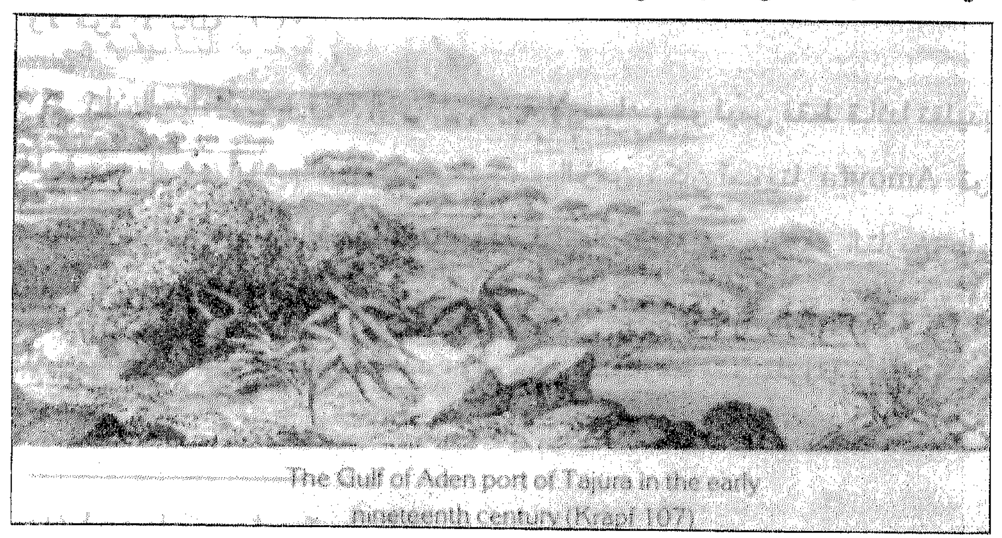
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٤ ٠

والقـوة الثـالـثة فى السـلطة فى نسـب الداردار، بـعـد البـانويتـا ، هـى الـ مـجليـس Maglis وهـو مـجلس مكون من ممـثلين قـبليين أرسـتـقـراطيين (أوكال Okal) [١] .

إن لقب داردار يسـتـعمـل فـقط فى سلطنتى تاجوره ورحـيتـا ، بيـنمـا يسـتـعمل لقـب أمـويتـا لأى سلطان من العـفريين ٠ وسـوف نمعـن النظر فى سلطنة أوسا لتحديد حالة السلطات المركزية والثابتة ٠

أمويتــا أوســا :

كما أوضـحنا سابقا تمتد جذور سلطنة أوسا فى ولاية عدل ، فـقد ظهرت السلطنة بوصـفـها أعظم شكـل للحكم فى المنطقـة بعد أفـول سلطنة عـدل سنة ١٥٧٧م٠فقد كـان أول سلطان أوسا عفرى هـو مـحمد « كدافـو » . وكـان آخرهـم هـو السلطان الحالى على مرح حنفرى ٠


The Gulf of Aden port of Tajura in the early nineteenth century (Krapf 107)

تاجورا فى العصور الوسطى

---

(١) طومسون أودلف : عام ١٩٦٨٠

وقد تم تسجيل وثيقة تتويج السلطان على مرح ووقع عليها مجموعة من أبرز القبليين والقادة الدينيين وأفراد قبيلة ايدا حس (القبيلة الحاكمة فى سلطنة أوسا)

وثيقة التتويج كما يلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، حقا ، إن هؤلاء الذين يأخذون على أنفسهم عهدا صادقا ليفعلوا هذا مؤمنين بالله ، فإن يد الله فوق أيديهم ·· مولانا العزيز المؤمن بالله ، السلطان على مرح · نحن شعب أوسا المتعلم دينيا ، الموقعين أدناه ، قد اخترنا جلالتكم قائدا وسلطانا لهذا البلد، أوسا ، للحكم طبقا للشريعة الإسلامية ، ولحماية مصالح الشعب والوطن · نحن مخلصون لله ولكم ·· تحت قيادتكم نضحى بحياتنا وثرواتنا لحماية ديننا وبلدنا ، ولن ينتهك أى منا قسمه · والله الشاهد علينا ، وهو أعظم الشاهدين » ولا حول ولا قوة إلا بالله (١)·

إن السلطان هو قمة القوة المركزية لأوسا· وهو ليس فقط قائدا تقليديا للعفر ، بل هو أبوهم الروحى· وعلى مر الزمن ، كان أمويتا Amoyta قوة مطلقة للحكم ، حيث القيادة فريدة والقرار نهائى (٢) · وعلى مر التاريخ على أى حال، لم يكن الـ أمويتا طاغيا أو مستبدا · لقد كان يحكم بمجموعة من المستشارين غير محدودة العدد ، ولم يكن اختيارهم يتم بطريقة ثابتة تعتمد

---

(١) أحمد على – ميرا حـ ٢ ، ص ٣ ·

(٢) ثيذيجر : مرجع سابق ، ١٩٥٩ ، ص ٢٧ – ٢٨ ·

على الانتخاب أو التعيين· وكانت هذه المجموعة تشمل عددا من أقربائه ، ومن كبار السن وبعض الشيوخ والقادة الدينيين (١) ·

وقد لعب الشيوخ – اعتمادا على سلطتهم الدينية والعلمية وكبر سنهم، وباعتبارهم متخصصين فى القوانين العرفية – دورا مهما فى السيطرة على الشعب · وقد اعطت الديانة لحكم السلطان القوة والشرعية وجعلته المعلم الروحى للشعب · ويعمل هؤلاء الرجال بوصفهم ممثلين للأمويتا Amoyta· وهم يحكمون فى القضايا التى يعرضها الرؤساء · ومن ضمن أعمالهم أن يبلغوا الـ أمويتا عن القضايا التى سوف ينظرونها · وهم يصحبون الـ أمويتا Amoyta ، أينما ذهب · وهم المؤتمنون على الأسرار الملكية ، إلى جانب الحاشية الشخصية الـ أمويتا Amoyta ·

القيادة غير المركزية : « مومين ماكابانتو Momin Makabanto »

إن أحسن مثل للقيادة غير المركزية والمتحركة للسلطة العفرية التقليدية هى الرئاسة فى أواسط وادى أواشى · وهناك اختلاف مهم فى القيادة غير المركزية بين الـ مومين والـ ماكابانتو (٢) تختص بمنطقة با أدو العفرية ، حيث يتوارث الابن الأكبر لعائلة الشيخ يوسوفتو هذا المنصب ·

ويمتلك الـ مومين Momin لوحة لأحد الأسلاف تسمى أيرين – إنايتا Ayrin - Imayta ماكابانتو Makabantu وهى اختصار لـ « ماكو

---

(١) عبدالله عمر أدم : مرجع سابق ، ص ٤٥ ·

(٢) الـ مومين والـ ماكابانتو : وهى مشتقة من الكلمة العربية «مؤمن» وتعنى «الوفى» أو «المكرى» ·

أبانتو Makko - Abantu [١] ويتولى الابن الأكبر تقليديا هذا المركز ، ما لم تشوه سمعته أو يتضح أنه لا تتوافر فيه الشروط • وهذا المركز يجب أن يتولاه من هو تام النمو جسما وعقلا فإن لم يتوافر هذا الشرط ، تولى هذا المركز رجل ناضج من القبيلة عند وفاة الـ ماكابانتو •

وإذا لم يكن للماكابانتو ابن فإن ابن عمه أو شخص قريب من العائلة يرث هذا المركز • فانتقال مركز الـ ماكابانتو Makabantu من العائلة أمر نادر جدا (بل قد لا يحدث بالمرة) ، ولكن يمكن إنهاء ولاية صاحب المركز إذا اتضح للقبيلة سوء سلوكه •

إن الماكابان يقومون عادة بدور الوسيط إذا ما نشأت المنازعات • أما دورهم فى الوساطة فيبقى من اختصاص مجلس القبيلة •

ويقول كوسينز عن دور الماكابان : « إن الماكابانتو يمكنه أن يصدر الأوامر، ولكن ليس على الشعب بالضرورة إطاعته والخضوع له، ولكنهم يفعلون ذلك فقط إذا ناسبهم الأمر، أو كمظهر من مظاهر الاحترام • وله فى الواقع سلطة بسيطة فى فرض أوامره ، تعتمد على شخصيته وقوة عائلته وقبيلته التى يستند عليها [٢]•

ويقول تريمينجهام : « إن سلطة الماكابانتو ضعيفة طالما أن القرارات المهمة يتخذها مجلس القبيلة المسمى مارو Maro • لذلك فإن الماكابان عادة

---

(١) ماكو – آبانتو : تعنى إجمالا ، صانع القرار أو معطى الأفكار •

(٢) كوسينز : مرجع سابق ، ١٩٧٣ ، ص ١٨ •

ليست لهم قوة أو سلطة سائدة بالمقارنة بالسلطان وليس لهم الإذن بالتصديق على العمليات الاقتصادية فى النظام التقليدى ، ولا تعكس مراكزهم ثرواتهم من الماشية ، وهم أيضا لا يملكون الإعتبار أو القوة التى تجذب الزبائن للتباحث فى مثل هذه الثروات (١) ٠

المنازعـــات والتقاضــــى :

يبدو أن النزاع فى المجتمع العفرى ينبعث من القضايا الخاصة بالتنظيم واستعمال العشب ومصادر المياه أو التبادل السليم للزيجات ٠ فهذه الأمور قد تؤدى إلى جرائم القتل (بيئيلو Biilu) وإلى صراعات خطيرة بين القبائل ما لم تُحسم بالأخذ بالثأر (هانى hanee) فورا ، أو الصلح بين المتخاصمين (آما amaa) من خلال عملية تعويض بأسرع ما يمكن (٢) ٠

وتبعا لقانون يوريا عالى العرفى للعفر ، فإن الفكرة الأساسية للجريمة تتصل بثلاثة أعضاء بالجسم ، فإن ارتكاب الجرائم يتم إما بالأيدى أو باللسان أو بالأعضاء التناسلية (٣) ٠

إن معيار قياس الجرائم يتوقف إما على اعتراف المجرم بعمله السىء وتجاوبه إيجابيا (أبيتو abeitto) ، وهذا بدوره ينقسم إلى قسمين وفقا لكون الفعل عمدا مقصودا (جورهى gorhi) ، أو عفويا أو غير مقصود

---

(١) تريمينجهام : مرجع سابق ، ١٩٦٥ ، ص ١٧٥٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٩ ٠

(٣) ريدو : مرجع سابق ، ١٩٧٣ ، ص ٢ ٠

(جارهى garhi) ولكل من هذه الحالات مجموعة من الغرامات والعقوبات يحكم بها طبقا لقاعدة تقليدية • وفى بعض الحالات الأخرى ، يرفض المجرم الاعتراف بجريمته (١) •

وعلى أى حال فإن المنهج الذى يتبعه العفر فى فض صراعاتهم يختلف من منطقة إلى أخرى ، تبعا لمكان وقوع الجريمة ، وهل للسلطان نفوذ فى ذلك المكان أم لا ؟• كما هل كانت الجريمة عن عمد أم بدون قصد؟ •

المـــارو Maro :

جميع المسائل التى تنشئ الخلافات (مابلو Mablo) بين القبائل العفرية ، تجمع فى اجتماع مهم يسمى مارو Maro ، والمارو هو جمعية عامة من جميع الأطراف المعنية ، وأى شخص له قضية خطيرة يمكنه طلب عقد هذا الاجتماع • وفى أغلب الأحيان تتكون المحاكمة من الماكابان Makaban ، كبار السن، المختصمين ، والجمهور • وعندما تنعقد المحكمة يجلس الحاضرون فى شبه دائرة (مارو Maro) ، فيما عدا المتخاصمين الذين يجلسان فى الجهة المقابلة•

والـ مارو Maro هو منتدى عام للمناقشة الحرة ، حيث من حق جميع الأفراد أن يعبروا عن رأيهم، بصرف النظر عن ماهية القضية •

وفى الـ مارو Maro جميع الأصوات متساوية ، مع أن كبار السن والـ

---

(١) جيليلواى Geleway : نفس المرجع السابق ، ص ٢ – ٣ •

ماكابانية Makabanship لهم ميزة مهمة فى هذا الشأن [(١)] ·

جميع الرجال لهم الحق فى المشاركة فى المناقشة ، واتخاذ القرار ، وعادة لا تشارك النساء ما لم تكن الحالة خاصة بامرأة · والسمة الواضحة فى المارو هى الانفتاح ، مع وجه اختلاف يتمثل فى الـ جارى Garay وهو « اجتماع سرى يقتصر على عدد من الناس » ·

وعند انعقاد الاجتماع ، يعلن أكر الماس بانتوسنا أن الاجتماع قد فتح، ويطلب من المتخاصمين عرض قضيتهم على المجمع مع إعطاء الأولوية للمدعى (هايسيت Hayssit) · والمدافع عنه (إدى – هايسيت) له ضامن أو متحدث بالنيابة (آف – تالا Af - Taala) يمكنه أن يوضح بعض النقاط الغامضة أثناء المداولة [(٢)] ·

ومن المهم أن يقدم المتخاصمان قضيتهم فى نفس الإطار بوضوح وبأسلوب سلمى ، وإلى جانب هذا يجب حضور الأطراف المعنية وقبولهم للقرار ·

وفى هذا المجال تضرب الأمثال لتوضيح الجدال ، وغير مسموح لأحد بمقاطعة المتكلم · ويتم الجدل بـ جوؤها Guuma أى بوضوح · وبعد أن يقدم المتخاصمان قضيتهم ، تطلب شهادة الشهود (وادو Wadu) بعد

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٥١ ·

(٢) نفس المرجع السابق ، ١٩٩٣ ، ص ٥١ ·

عرض القضية ، ويطلب من أحد الحاضرين تلخيص نقاط الاتهام بطريقة حيادية دون تحيز لأحد الأطراف · ويسمى هذا « جبا أو Gabbau » «ملخص» ، مما يعطى هيئة المحكمة ومن حضر متأخرا فرصة الاستماع إلى القضية مرة أخرى · وبعد انتهاء هذه العملية ، من حق الـ مارو أن يصدر حكمه بالعقوبة التى يراها (١) ·

ويتم الوصول إلى اتفاقات من خلال إطار العمل ، والاقتراحات التى قدمت أثناء الاجتماع، وعادة ما تكون فى شكل تسوية تقبلها المجموعات المتخاصمة · وتشمل هذه التسوية التعويض بعدد من الحيوانات « غالبا أبقار أو صغار الماعز » و فى هذه الإيام تستعمل النقود فى بعض المناطق ·

بعد النطق بالحكم ، تستعمل قواعد الـ مادا لتنفيذ العقوبة · وهناك تدرج فى العقوبة تبعا للجريمة أو المخالفة · كما أن فرصة التصالح تكون ضئيلة فى حالات القتل، ولابد من الأخذ بالثأر (٢) ·

ويقول ريدوار إن هناك طريقتين للحكم فى حالة القتل : فإذا كان القاتل من القبيلة « يمكنه أن يترك المنطقة فورا ، ويستغيث بقبائل أخرى لتتوسط فى مساعدته وفى إحلال السلام مع القبيلة المعنية · وإن لم يساعدوه فإنهم يتركون القبيلة التى منها المقتول تأخذ بالثأر من القاتل ، ولكنهم يستعدون للدفاع عن أنفسهم إذا تجاوزت هذه القبيلة قاعدة الأخذ بالثأر (٣) ·

---

(١) ريدو : مرجع سابق ، ١٩٧٣ ، ص ٥ – ٦ ·

(٢) نفس المصدر السابق ، ١٩٩٣ ، ص ٥٢ ·

(٣) نفس المرجع السابق ، ١٩٧٣ ، ص ٧ ·

وفى الحالة السابقة ، وهى الحالة المعتادة ، فإن القبيلة تعترف بالقتل وتقر بدفع التعويض المناسب فى الحالة الأخيرة، لأن انتقام القبيلة قد يتجاوز الحدود ويضر بالجماعتين ٠

فالأخذ بالثأر من القاتل يتمثل فى قتل القاتل أو أحد أقاربه المقربين بأسرع ما يمكن فى النمو ، مما يهدد السلام والاستقرار فى المنطقة المعنية ٠

أهم المدن فى منطقة العفر :

وهى تقع ضمن الحدود الدولية للدول الثلاث إريتريا وإثيوبيا وجيبوتى وهى ست مدن معظم سكانها من العفريين :

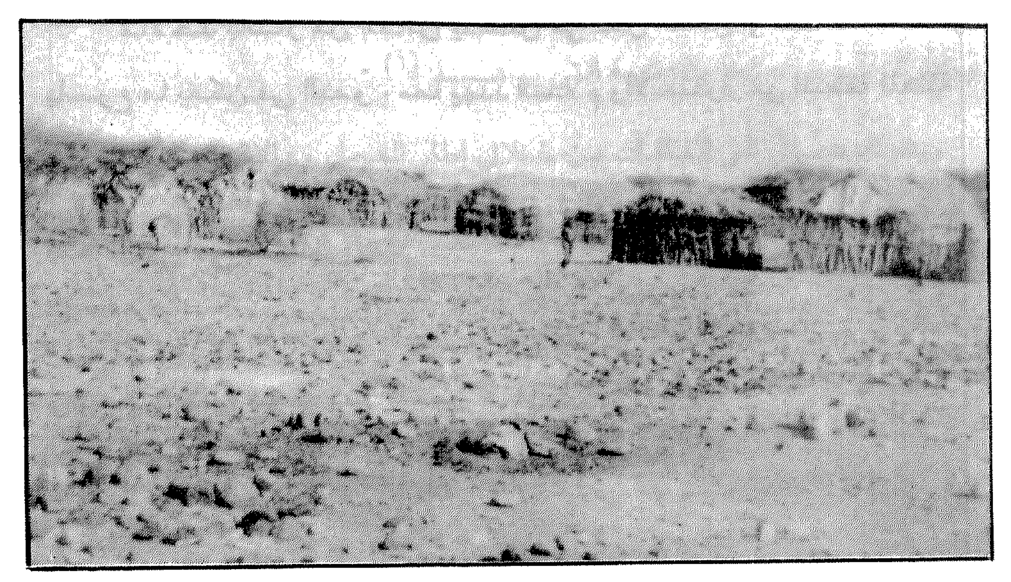
١ - مدينة عصب (١) :

تقع هذه المدينة بدولة إريتريا ، وهى عاصمة إقليم دنكاليا ، وتعتبر الميناء الثانى الرئيسى لإريتريا ٠ وتقع على خط طول ٤٢ شرقا، وخط عرض ١٣ شمالا ، ولا يفصلها عن ساحل شبه الجزيرة العربية سوى ٣٨ ميلا بحريا٠ وقد تأسست هذه المدينة فى بداية القرن الثامن عشر، وتطورت بوصول الإيطاليين الذين اتخذوها فى البداية ليس بوصفها ميناء لتموين سفنهم فى المنطقة فقط بل أيضا بوصفها نقطة انطلاق لاستعمارهم الإمبريالى فى المنطقة٠ فمن خلالها توغلوا إلى عموم إريتريا فى عام ١٨٦٩م ٠ والحركة التجارية فى عصب نشطة وتشكل منفذا أساسيا

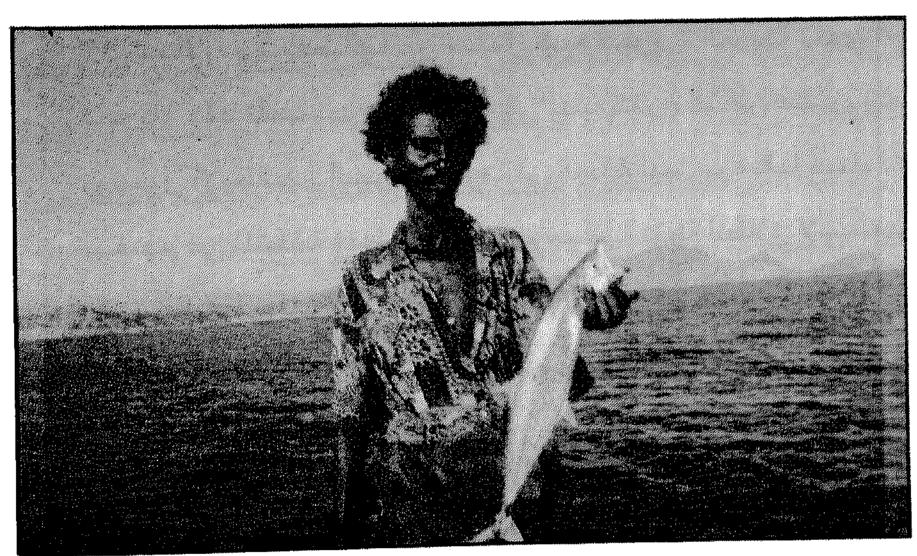
---

(١) محمد عثمان أبو بكر : تاريخ إريتريا المعاصر أرضا وشعبا ، القاهرة ١٩٩٣ ٠

لتصدير وتوريد البضائع من وإلى إثيوبيا ، وتوجد بها أضخم مصفاة للنفط تمد إريتريا وإثيوبيا باحتياجاتهم النفطية ٠ وفى عصب عدد من الملاحات يستخرج منها الملح ٠



تجمع عفرى



صياد من العفر



قطف الدوم



سفينة تجارية صغيرة فى جيبوتى

٢ - **مدينـــة أسعيــتا** Assaita :

وهى مدينة حديثة العهد ، تتوسط المنطقة الزراعية غرب مصب نهر أواش، كما كانت منذ تأسيسها عاصمة لسلطنة أوسا بزعامة السلطان على مرح منذ ستة قرون ، وقد اختيرت هذه المنطقة حاليا لتكون عاصمة للحكومة الإقليمية العفرية فى إثيوبيا ٠ وبدأت تزدهر وتشهد تطورا ملحوظا فى شتى مرافق الحياة العامة بعد أن أصبحت المقر الرئيسى لحكومة الإقليم العفرى، حيث بدأت تحظى بالاهتمام من قبل الحكومة المركزية فى أديس أبابا والحكومة الإقليمية على السواء ٠

٣ - **مدينـــة باتـــى** :

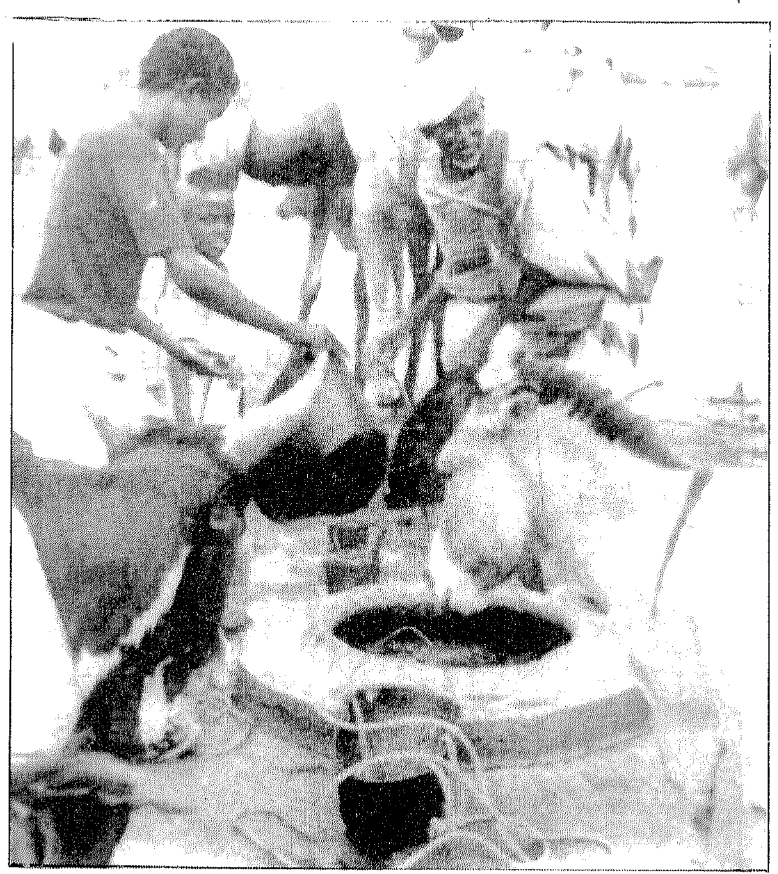
وهى تقع على الحافة السفلى للهضبة الإثيوبية الشرقية ، وكانت مدينة تجارية تسوق فيها المنتجات التى يأتى بها تجار العفر من الأراضى المنخفضة عبر البحر، وأهم هذه المنتجات الملح، الحرير ، الذهب، العاج، وغيرها٠ والتى كانت يتم مقايضتها بالسلع المنتجة فى الهضبة الإثيوبية؛ مثل العسل والحبوب وبعض القطنيات (١) ٠

---

(١) عوض داود محمد : مرجع سابق ، ص ٧ ٠

مدينـــة تاجـــورة :

تقع مدينة تاجورة على الخليج الذى يحمل اسمها وهى أقدم مدينة عفرية - بعد اندثار رحيتا ومعدر - ،وكانت هذه المدينة مزدهرة قبل وصول النفوذ التركى إلى منطقة القرن الإفريقى، وشاء لها أن تلعب دورا مهما فى المنطقة أثناء الاحتلال التركى ٠ وهى مدينة تجارية كانت ولازالت تعتمد على هذا النشاط ، وكانت عاصمة لإحدى السلطنات العفرية العريقة والتى مازالت تحمل اسمها حتى الآن ،وتعتبر مدينة تاجوره اليوم المدينة الثانية من حيث السكان والتجارة فى جمهورية جيبوتى ٠



الإمداد بالماء

٥ – مدينـــة أواش :

وهى تقع فى أعالى نهر أواش ، وتعتبر أحدث مدينة عفرية، وتعود أهميتها إلى الزراعة الواسعة التى تمارس حولها ،ولكونها تقع فى ملتقى الطرق التى تربط العاصمة الإثيوبية أديس أبابا بالبحر الأحمر عبر جيبوتى وعصب ٠

٦ – مدينـــة أبنة – « أو حيو » :

وهى مدينة عفرية قديمة وقّع فيها الفرنسيون أول معاهدة للصداقةوالتعاون مع السلاطين وشيوخ القبائل العفرية ،وهى أيضا كانت العاصمة الأولى لجمهوية جيبوتى قبل نقلها إلى مدينة جيبوتى بعد إنشائها فى عام ١٨٨٧م ٠ وهذه المدينة تعرضت للإهمال الكامل من جانب سلطات الاحتلال الفرنسى سابقا وهى تتمتع بموقع استراتيجى على مداخل خليج إجوراه ٠

الفصل العاشر

====

النظام الاجتماعى فى العفر

====

المحتويات :

١ – التركيبة السياسية والاجتماعية للعفر ٠

٢ – العادات والتقاليد ٠

٣ – وصف الملامح العفرية ٠

٤ – تقاليد العفر فى تنصيب السلطان ٠

٥ – النظام الوضعى للعفر والدستور (مدعه) ٠

٦ – السلطان ونفوذه ٠

٧ – مصطلح (فيهما) أى المساواة والتكامل ٠

٨ – اللغة العفرية ٠

٩ – المنازل العفرية ٠

١٠ – الفن العفرى ٠

١ - التركيبة السياسية والاجتماعية للعفر :

وكما أوضحنا فى المقدمة فإن التركيبة السياسية الاجتماعية ترتكز على توليفة من عناصر إقليمية وعناصر الرابطة القبلية · ورئيس القبيلة هو شيخ البلد (أو ريدنتو بلغة العفر) ، وهو مدير الشئون الاجتماعية لأهله ، وضمان السلام ،وقاضى ومحكم المنازعات بين أهله وبين الجماعات الخارجية · ويتيح الريدنتو لنفسه فرصة مساعدة المستشارين له فى اتخاذ القرار ويسمون (مكابون) ، كما يساعده المسنون أيضا الذين يتمتعون بسلطة خاصة نتيجة لخبرتهم وحكمتهم· وهناك روابط بين القبائل فى كل وحدة إقليمية بحكم المصاهرة والتسلسل الأبوى ، حيث يعترف بقيادة قبيلة معينة لكل وحدة إقليمية بحكم ادعائها بأن وجودها فى المنطقة يسبق وجود الآخرين ·

وهذه الحقيقة تسند (إلى القبيلة الأصلية) بعض حقوق أولها ملكية الآبار وكأنها حقيقة موضوعية · وبالرغم من أن كل قبيلة تسكن فى منطقة محددة يمكنها إمداد نفسها بالمياه من الآبار الموجودة ، فإن القبيلة الأصلية فقط هى التى يمكنها حفر الآبار ، وبالتالى فهى المالكة لها ·

وأينما وُجدت القبيلة الحاكمة فإنها تدعى لنفسها الحقوق فى النخيل ونخيل البلح فى الواحات ، كما أنها تنظم استغلاله بواسطة الأشخاص الآخرين ·

إن ندرة الموارد المتاحة ، ومن ثم الأهمية الحيوية للمحافظة عليها، تبدو وكأنها قد وضعت نظاما للقواعد الاجتماعية التى تحمى الحقوق بين مختلف الناس لاستغلال الموارد من ناحية ، كما تبدو من ناحية أخرى أنها تجند نظاما

اجتماعيا طبيعيا يقصد به الدفاع وإدارة السلع الشحيحة الموجودة فى المنطقة (١) ٠

وإلى جانب الروابط التى حكمت عن طريق المصاهرة فإن كل الجماعات المقيمة فى منطقة إقليمية تتمثل فى مجلس يسمى مبلو ٠

ومن التقاليد العفرية قديما فى غياب الجفاف أن يعتبر المرء نفسه ثريا عندما يمتلك ٣٠ جملا (٦ ذكور والباقى من الإناث) وقطيعا يصل إلى ١٠٠ وحدة ٠

ويعد شعب العفر واحدا من أوسع المجموعات العرقية التى تسكن القرن الإفريقى، حيث يحدهم من الشمال التجاروا ، ومن الغرب الأمهرين ، ومن الجنوب الغربى والجنوبى الأورومو ، ومن الجنوب الشرقى الصومال ٠

ويستعمل العفر أسماء قبائلهم وعشائرهم فيما بينهم ، أما بالنسبة للأغراب (غير العفريين) ، فهم يعرفون أنفسهم بغير اختلاف بالعفر (Afara) ٠ ويشترك الشعب كما هو معروف فى التراث الثقافى الواحد، واللغة الشعبية الواحدة وتجمعهم الديانة الواحدة (٢) ٠

ويلعب نظام النسب هذا المتمركز حول القبيلة (جيدو – Kedo) دورا ملموسا فى النظام الاجتماعى العفرى ٠ حيث يتكون العفر من قبائل وعشائر تتكون بالتالى من أنساب وعائلات تمتد معالمها إلى الخط الذكرى للأجـــــداد ٠

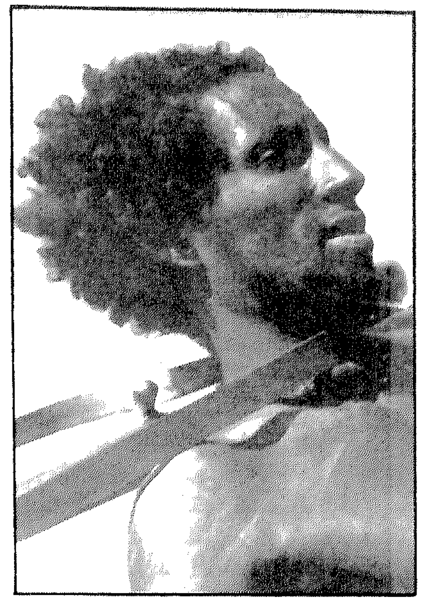
---

(١) ليدا برتى : برنامج صندوق الإسكان والتعمير الإيطالى فى إريتريا ٠

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٥ ٠



شباب من العفر



شخصية عفرية

وفى نظام الاتصال التقليدى للعفر ، تلعب القبائل دورا حيويا فى الحركة واتخاذ القرار · إن القبيلة وحدة سياسية واجتماعية فى التعاون والإنجاز· ورجال القبيلة يضطلعون بواجب لا مفر منه ، وهو مساعدة وحماية بعضهم بعضا فى أوقات الشدة والطوارئ من أى نوع · والامتياز الذى يحظى به عضو القبيلة المنسّب يمكن التغاضى عنه بالنسبة للشخص الذى لا يخضع باستمرار للأحكام الاجتماعية للقبيلة ، فإذا رفعت عنه العضوية يسمى هابينا Habeyna – أى الرجل المنفصل عن قبيلته ، ولا يمكن لأى أحد أن يمنع حق عضوية القبيلة عن قاصر أو سيدة أو مخبول ·

إن هذا المنع يمكن أن يكون جزئيا ، وفى هذه الحالة تمنع القبيلة ملكية الشخص ، وقد يكون كاملا فى حالة الإدانة فتمنع عنه الملكية والعضوية (١).

وفى حالة منع العضوية عنه ، فإن قبيلته الأصلية غير مسئولة عما يحدث منه أو عن جرائمه تجاه الآخرين (٢) • فى بعض الحالات تسمح القبائل العفرية بقبول الأفراد أو الجماعات غير العفرية أعضاء فى القبيلة ، وفى كلتا الحالتين - الرفض أو السماح بالعضوية - يجب أن يوافق بإعلان رسمى يسمى كوكتا Kulta •

إن العلاقات بين العفر يمكن تحديدها إما فى القبيلة الواحدة ، وإما بالإجماع بين القبائل •

ففى نطاق القبيلة الواحدة يعمل الجميع بوصفهم أبناء، أو بناتا ، أو أبناء عمومة (٣) • بصرف النظر عن مولدهم فى القبيلة على مسافات جغرافية بعيدة •

أما العلاقات خارج القبيلة فلها سمة الإجماع : فجميع القبائل الأم تصير أبينو Abino • ولا يسمح بالزواج إلا من القبيلة الأم • والأشخاص المنتمون إلى القبيلة الأم ينادون بعضهم بعضا نانجالتا Nangalta • ويعتبر

---

(١) عبدالله عمر آدم : مرجع سابق ، ص ٢٩ •

(٢) ريدو ، ١٩٧٣، ص ٦ •

(٣) آمية - دايلو Ammith - Daylo .

الزواج بينهم انفراديا مقدسا ، وعلاقاتهم دائما تحت حكمة « لا تغضبوا من بعضكم إبدا » (١) • وهناك علاقة قبائلية أخرى ، غير معروفة للأغراب ، ولكنها محترمة جدا ومنتشرة بين الشعب العفرى حيث يمكن أن تكون قبيلة ما أفبيها Afbeeha لقبيلة أخرى وهى علاقة مبنية على الامتناع المتبادل عن أذى أحدهم للآخر بالقول أوبالفعل •

العادات والتقاليد :

إن النظام الاجتماعى فى العفر عموما يتفق نصا وروحا مع النظام الإسلامى، حيث لا تمييز بين أبناء العفر، ولا توجد بينهم طبقات ، فهم متساوون فى الحقوق والواجبات، ولا فرق بين فقير وغنى وبين الحاكم والمحكوم • فأبسط شاب من أسرة فقيرة فى إمكانه أن يطلب بنت السلطان أو بنت الغنى ويتزوجها دون اعتراض ، طالما أن هناك اتفاقا وقبولا بين الطرفين• ولا توجد فوارق بين العفريين وخاصة فى العصر الحديث ، عكس جيرانهم من الصوماليين واليمنيين والتيغراى والساهو ، فقد يختلفون معهم فى بعض الأمور• والجدير بالذكر أن فوارق الطبقات قد اختفت بين الشعب الإريترى منذ بداية الثورة ، والعفر أينما وجدوا يشعرون بانتمائهم للأسرة العفرية دون مراعاة لفوارق الحدود ، على الرغم من أنهم يتواجون فى كيانات مختلفة ودول لها حدودها الدولية والسيادية• ويحس العفر بأنهم جميعا أنساب وأصهار ، فالقبيلة الواحدة منهم تجد جزءا منها فى أقصى الجنوب فى

(١) عبدالله عمر آدم : مرجع سابق ، ص ٢٩ •

الأواش بإثيوبيا ، وجزءا منها فى أقصى الشمال بمنطقة إريتريا وجيبوتى، وجميعهم تربطهم القومية العفرية ذات العادات والتقاليد المشتركة بالرغم من اختلاف قبائلهم (١) ٠

وهنا يجب أن نشير إلى نقطة أساسية ومهمة لابد من الإشارة إليها وهى أن اعتقاد أن العفر قبيلة واحدة نتيجة لهذا الترابط والتعاضد والانسجام بينهم اعتقاد غير صحيح ولا يستند إلى الحقيقة ، فهم ليسوا من قبيلة واحدة ولا من أصل واحد ولا تلتقى قبائلهم فى نسب واحد ، ولكن نظرا للتزاوج والتصاهر مع بعضهم بعضا نستطيع أن نقول إنهم تجمع قومى وطنى تربطهم المصالح المشتركة والآمال والأمانى الواحدة ، وقد بينا هذا الموضوع فى الأصول التى تنتمى إليها كل قبيلة خلال سردنا السابق للتركيبة السكانية للعفر ٠ حيث تربطهم كما بيّنا قومية واحدة ذات أهداف ومصالح مشتركة ولغة واحدة ، وقد انسجم هذا الترابط والتجانس باعتناقهم الدين الإسلامى جميعا، وباهتمامهم بالثقافة العربية الإسلامية وقربهم من الجزيرة العربية وبحكم أصولهم التاريخية المرتبطة بتاريخ المنطقة قبل الإسلام وبعد الإسلام ، لهذا كله فإنهم يعتبرون اللغة العربية لغة الثقافة والدين ، ونجد هذا الإحساس بالانتماء إلى العرب واللغة العربية فى كل عفرى أينما وجد ٠

والعفرى أينما ذهب فى بلاد العفر الواسعة لا يشعر بالغربة أو بأنه بعيد عن أهله ، لأن من طبيعة العفر أنهم يحبون الغريب ويكرمون الضيف

---

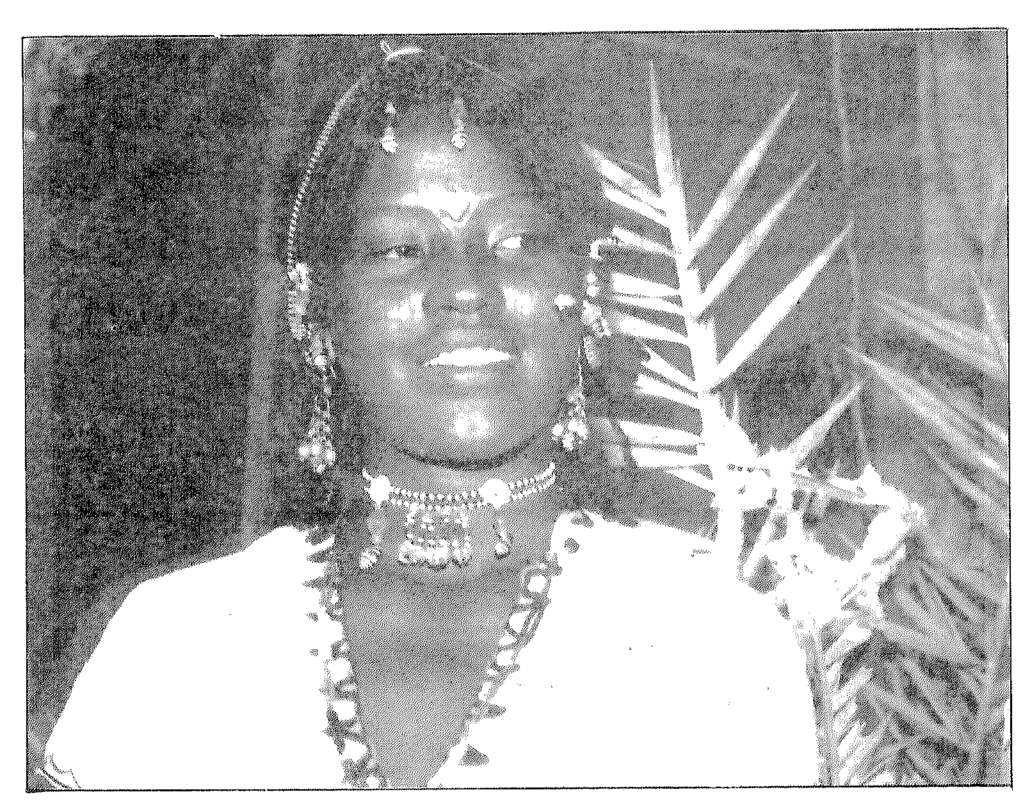
(١) إسماعيل محمد العلوى : مرجع سابق ٠

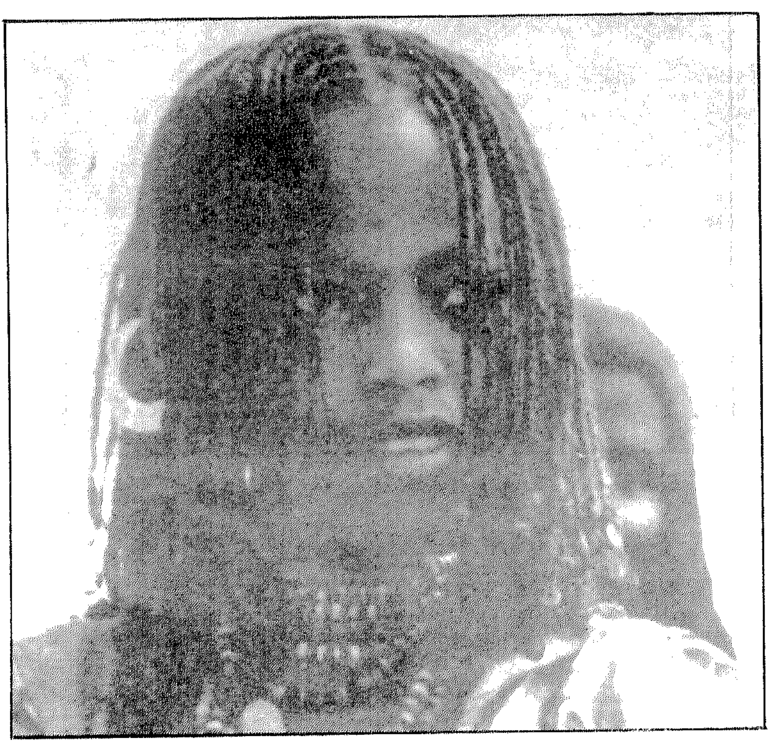
وهذه الروح متأصلة فيهم كما هى متأصلة فى العربى البدوى ، فقد اكتسبوها من خلال أصالتهم ومن خلال انتمائهم للعروبة والإسلام· ويعتبر العفرى أينما حل فى بلاد العفر واحد من الأسرة · ومن عاداتهم الجديرة بالاحترام والتقدير أن العفرى يجير من استجار به حتى ولو كان من أعدائه، والقبيلة ملزمة بإجارة من أجاره أحد أفرادها ، ذلك لأن الفرد يستمد قوته من قوة قبيلته· ومن التقاليد الحميدة التى عرف بها العفر بصفة عامة والبدو منهم بصفة خاصة التعاون فيما بينهم ، وفى حالة تعرض أحدهم لأذى يهبون جميعا لمأزرته ومساعدته فى شتى مجالات الحياة مهما كان الأمر ، وفى حالة فقدان المال يجمعون له أكثر مما فقده · ومن عادات العفر أيضا إذا توفى شخص وترك زوجة أو أكثر يتزوجها أخو المتوفى أو رجل آخر من رجالات الأسرة، ويمنع زواجها من أى رجل خارج الإسرة إلا فى حالة تنازل أسرة المتوفى لسبب ما ، وفى هذه الحالة يمكنها أن تتزوج من أى رجل يطلبها إذا وافقت عليه هى ·

وصف الملامح العفرية :(١)

العفرى فى الغالب يمتاز بنحافة الجسم وقصر القامة لكنه غليظ العضلات ذا بشرة سوداء ضاربة إلى الاحمرار وأنف دقيقة وشفة رقيقة وشعر مجعد وكثيف · ومن سجاياهم الزهد وشظف العيش والصبر على المكاره، فهم يمتازون بالقوة البدنية ويكرهون العمل اليدوى ويميلون بفطرتهم إلى

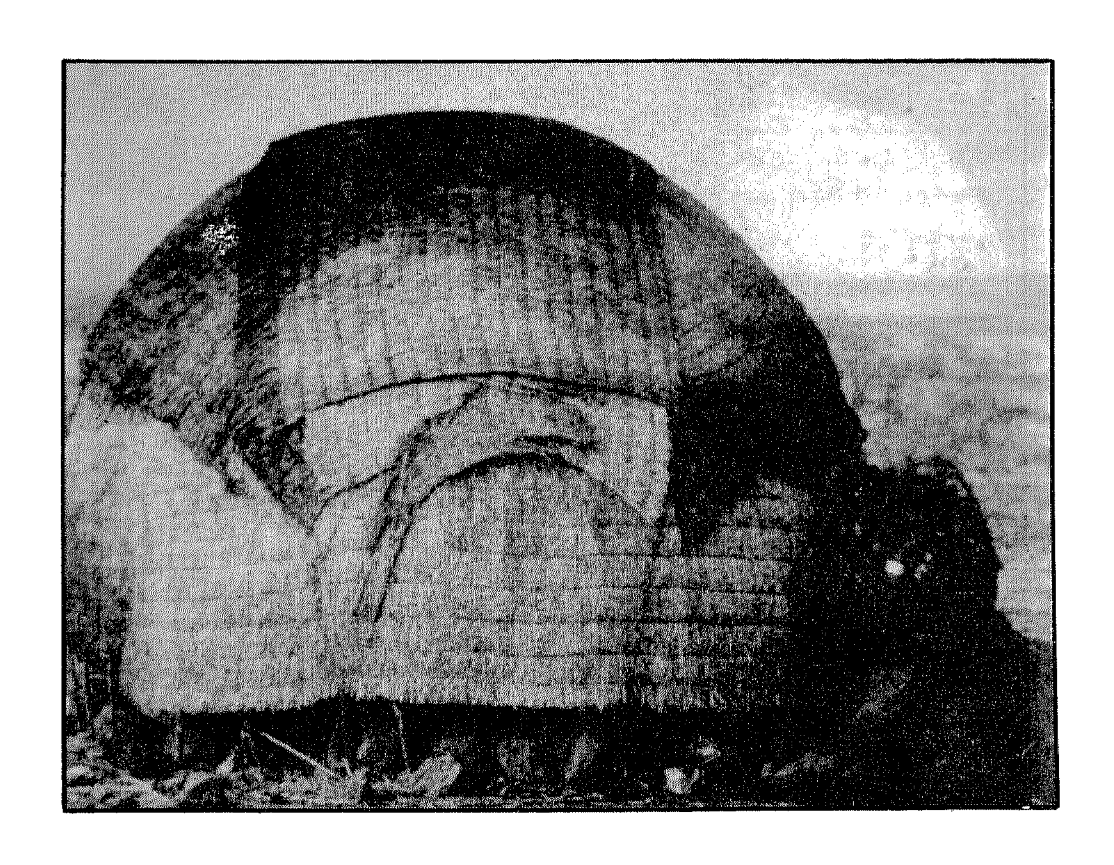
(١) نفس المرجع السابق ·





صورتان
لفتاتان
عفريتان

القتال والغزو· وهم أيضا صيادون ماهرون ، كما يحترفون رعى المواشى من الجمال والأغنام فيحتلون المراعى متنقلين من مكان لآخر فى طلب الكلأ· وقد اخْتصوا أنفسهم بالمنطقة الواقعة فى جنوب خط السكة الحديدية الممتد بين جيبوتى وديرداوا وما يليها حتى الصومال ·



خيمة عفرية

وهم قبائل رحل منقسمة فيما بينها إلى بطون وأفخاذ تخضع لرؤساء يتوارثون السلطة فيها أبا عن جد · والنساء العفريات جميلات الملامح رشيقات القدود · وزينة الرجل العفرى أسلحته وهى الرمح وخنجر وترس صغيرة جميلة الشكل · وزينة المرأة حلق من الفضة فى أذنيها وأساور فى يدها· والعفرى شجاع باسل يستعمل سلاحه بمهارة وقل ما يخطئ الهدف ، وهو يخرج منفردا لاصطياد الأسود والنمور فى الخلاء وليس معه من السلاح سوى رمحه وخنجره · وفى الريف يعلق فى عنقه سبحة ذات حبات كبيرة ويدهن رأسه بالزبدة ممزوجة بالتراب الناعم بدلا من الروائح العطرية · والعفرى شديد التمسك بقوميته حريص على حريته الشخصية وهذا ما يجعله قليل الثقة بالأجانب الأوروبيين وهذا ينطبق خصوصا على أهل الريف، أما أهل المدن فأكثر استعدادا لقبول الحضارة العصرية · كما أن تقاطيع وجوههم على حد قول أحد علماء الأجناس البشرية سامية متناسقة ورشيقة ، وهم يشبهون كثيرا سكان جنوب الجزيرة العربية والفراعنة القدماء · ويشيد العفر قبورا أنيقة لموتاهم – ورثوها عن الفراعنة – تتألف من ركن مرتفع على شكل دائرى مصنوع من صفائح حجرية قد يصل ارتفاعه إلى قدمين ونصف متر ، ويحاط عادة بسور ارتفاعه نصف متر فيه مداخل ، وقد يقام للشخص الذى توفى خارج القرية ، بشرط أن يكون رجلا· فأما قبور القتلى الذين لم يؤخذ بثأرهم فتتميز عن سائر القبور ، ويظهر هذا التمييز بصفة خاصة عند قبيلة داهميلا، وذلك ببناء الركن بحجارة بيضاء أو سوداء للتمييز بين من أخذ بثأرهم ومن لم يؤخذ بثأرهم بعد ·

ومن ضمن العادات الموروثة للعفر تقديم اسم العائلة على اسم الفرد

– مثل الأوروبيين – خلافا لجيرانهم ٠ وقد حدث ذلك نتيجة لاختلاطهم فى العصور القديمة مع اليونانيين الذين احتلوا سواحل البحر الأحمر، وقد دخل معهم العفر فى حروب طاحنة ومقاومة شعبية طويلة مما أكسبهم هذه العادات الموروثة من الغرب ٠

تقاليد العفر في تنصيب السلطان :

إن تقاليد تنصيب السلاطين على السلطنة عند العفر تشبه إلى حدكبير تقاليد تنصيب الملوك القدماء الأوروبيين والفرس ٠ وكان الفرس قد احتلوا شواطئ بلاد العفر مرتين قبل الإسلام كما هو معروف تاريخيا، ومن ضمن الآثار التى بقيت من الفرس فى المنطقة الآبار الكثيرة التى حفرها الجيش الفارسى فى جزيرة دهلك حيث كانوا يشتهرون بحفر الآبار الموجودة حتى الآن، وهى أبار جافة عددها ٣٦٥ بئرا، وكانت تمتلئ بمياه الأمطار شتاء ،وكان الجيش الفارسى يستخدم منها بئرا واحدا على مدار السنة ٠ وقد أخذت البحرية الإريترية حاليا فى ترميم هذه الآبار التاريخية للاستفادة منها وللمحافظة عليها بوصفها معلما من معالم التاريخ ٠

النظام الوضعي للعفر أو الدستور (مدعه) : (١)

كلمة (مدعه) توازى الدستور الوضعى للعفر باللغة العفرية، ولقد أسس الدستور العفرى لأول مرة بيد الأمير سيرال حمدو سيرات ١١٠٠م وقد استشار العلماء عند وضعه لذلك الدستور، كما أن القانون منبثق فى معظمه

---

(١) إسماعيل محمد علوى : مرجع سابق « بحث غير منشور » ٠

من الشريعة الإسلامية ومتوافق معها • وقد جدده السلطان بر على ٤٠٠م ، ولذلك سمى باسم (بر على مدعه) بمعنى دستور برعلى نسبة إلى مجدده • والدستور العفرى من أقدم الدساتير الوضعية قديما وحديثا فى المنطقة • ويعرف رئيس القبيلة أو السلطان عند العفر باسم (درور) ويندرج تحت لوائه رؤساء القبائل الفرعية، ومناصبهم وراثية، وفى بعض الأوقات تجرى انتخابات ديمقراطية • ويكتنف بعض الغموض سلطة رؤساء القبائل ، فكل القرارات المهمة تتخذ فيما يعرف بـ (الكلام) وهو المؤتمر العام للقبيلة، وأما قوانينهم الجزائية فهى فى غاية البساطة مثل : قتل أحد الذكور يعاقب عليه بقتل ذكر من العائلة أو القبيلة التى ينتمى إليها القاتل وإذا تمكن القاتل من الهرب ينفذ الحكم بإعدام أحد أقاربه على أن يدفع القاتل إلى عائلة القتيل بعد انتهاء كل شىء مبلغا من المال تحدده القبيلة •

وهكذا يقوم بين القبائل نوع من الحسابات لها موعد لأدائها أى حدّ زمنى متفق عليه ، غير أن شيوخ القبائل المتنازعة اعتادوا أن يلتقوا كل عشر سنين ، أو كل اثنتى عشر سنة للقيام بجردة حسابية •

ويقدم ج •ريدو (١٩٧٣م) نوعين من القانون العفرى العرفى ، جمعهما من شاطىء البحر الأحمر والمنطقة العفرية خلف الساحلية ، وقد قام بتجميع هذه القوانين أساسا المرحوم : ياسين ماحامودو « عفرى وطنى شهير وسياسى من إريتريا » وبعد ذلك صنف بمعرفة ريدو عام ١٩٧٣ (١) •

---

(١) ج • أ – ريدو : القانون العرفى العفرى ، سنة ١٩٧٣•



الزعيم الوطنى العفرى ياسين محمود

ياسين ماحامودو هو أحد رموز الوحدة الوطنية العفرية ، وأحد القادة البارزين فى المجتمع العفرى · جمّع القانون العرفى العفرى وأنتج أغانى شعبية لحث الشعب العفرى على الوحدة · إن نداءه بالوحدة وحرية الإرادة وتقرير المصير كان من الخطوط الرئيسية فى الحركة الوطنية العفرية خلال عشرات السنين الأخيرة ·

السلطان ونفوذه :

يجسد السلطان أعلى سلطة فى السلطنة ، ويجب أن تتوفر لديه بحكم هذا المنصب بعض الشروط الأساسية وهى :

١ - أن تكون والدته من بنات إقليم السلطان ·

٢ - أن ينتمى إلى قبيلة كبيرة ذات بأس ونفوذ وقوة ·

٣ - أن يكون قد بلغ سن الرشد ·

٤ - أن يتمتع بالحكمة والاتزان ·

٥ - أن يكون فى حالة صحية ممتازة ، بالإضافة إلى تمتعه بحيوية ونشاط فائق ·

ويفسر العفريون الشرط الأخير بقولهم : إن مراسيم اختيار سلطان جديد تكلف السلطنة عددا لا يحصى من المواشى والمواد الغذائية · كما أن (الحداد على السلطان الفقيد) يدوم طويلا مما يخلف فراغا كبيرا فى السلطة لدى السلطنة ، علما بأن كل سلطان له نائب يعرف باسم (بنيت) ويحل أحد أفراد أسرته محله فى حالة غيابه المؤقت أو الدائم ·

فى الحياة العملية لا يحق للسلطان ، على الرغم من كل ما يملك من السلطة بأى وجه من الوجوه أن يتدخل فى الشئون اليومية للناس ، بل بالعكس فإن القانون السارى لدى العفر يحض المواطنين على حل مشاكلهم بالتراضى فيما بينهم ، وفى حالة تعذر الوصول إلى حل يرضى الطرفين المتنازعين ترفع القضية إلى السلطان للفصل فى القضية باعتباره أعلى سلطة

فى السلطنة· والسلطان لا يجامل فى العد ل وقد تكون العقوبة على الجانى قاسية وصارمة مقارنة بالأحكام التى تُتَخذ عادة فى مثل هذا النوع من القضايا عندما تحل من دون تدخل السلطان ، وربما لهذا السبب لا يرفع إلى السلطان سوى عدد قليل جدا من ملفات المشاكل ذات الطابع المعقد · لهذا يحاول الجميع بشتى الطرق حل الخلافات فيما بينهم دون الاحتكام إلى السلطان حتى لا يوقع أحكاما قاسية عليهم · وبما أن مسئولية حماية السلطنة وسكانها تقع على عاتق السلطان، فإن نفوذه الحقيقى يبرز فى اتخاذ قرار الحرب وفى إبرامه معاهدة السلام ليس إلا (١) ·

إن أسلوب نظام الحياة عند العفر يسمح بمشاركة الجميع ويقطع الطريق على سيطرة قبيلة ما على بقية القبائل، ولكن تختلف الآية عندما يتعلق الأمر بالسلطان ·

مصطلح (فيهما) أي المساواة والتكامل :

هو مصطلح معروف لدى العفر والمقصود منه المساواة، والمقصود بالمساواة هنا ليس سيادة العدالة فى محيط القبيلة الواحدة فحسب – والمحكوم بقانون السيد والمسود – وإنما بين مجموعة من القبائل تقطن إقليما واحدا ، وتعيش تحت كنف السلطان والسلطنة فى العفر · ويوجد على رأس كل (فيهما) أيا أب الفيهما وهذا الأب أو الرئيس لا يحق له أبدا أن يتولى منصب (المكانيب) أى رئاسة القبيلة ، وذلك للحيلولة دون تداخل شئون القبيلة

---

(١) محمد على عيسى : الأزمة السياسية فى جيبوتى منذ عام ١٩٧٣، ص ٨ – ٠٩

الداخلية مع جملة قضايا القبائل المنضوية تحت لواء (الفيهما) ٠ وتجدر الإشارة هنا إلى وجود أكثر من (فيهما) فى إطار السلطنة الواحدة ٠ كما أن (الفيهما) لا تخضع لقانون صارم واحد سواء كان ذلك فى إطار سلطنة واحدة أو بين السلطنات جميعا ٠ ويرى الباحثون فى المسائل العفرية أن نظام (الفيهما) قضى على الشعور القبلى لدى العفر – والذى يلاحظ عند القبائل العيساوية والصومالية والعربية فى جيبوتى – مما أكسبهم طابعا اجتماعيا جديدا أكثر مرونة ٠ ومع الوقت أضحى العفرى أكثر تمسكا بـ (الفيهما) حتى فى القضايا المتعلقة بمسألة الحياة أو الموت ، وهى إشارة منهم إلى مدى تأثر النظام الإنسانى العفرى بقرارات (الفيهما) ٠ ويسرد المثقفون العفريون هذه النادرة شبه الأسطورية : (إن عفريا أصابه مرض عضال فلم يكف عن إلحاحه على (الفيهما) للدعاء له حتى يشفى من دائه وعلى الرغم من أن دعاء (الفيهما) لم تنفع بشىء فإن الرجل سبب بإلحاحه وجع رأس له ، فقد خطرت فكرة جهنمية لأحد أفراد (الفيهما) ترمى إلى التخلص من المريض نهائيا حتى يرتاح من ألمه ويريح الآخرين من شكواه الدائمة ، ووافق عليها الجميع حيث طلبت (الفيهما) منه أن يتناول لحم الحرباء دواء لدائه ٠ والمعروف لدى العرف أن لحم الحرباء لا يعدو أن يكون سما قاتلا، فتوكل الرجل على (الفيهما) وأكل لحم الحرباء قائلا : (أدرك جيدا أن لحم الحرباء سم، ولكننى أدرك أيضا أن قرار غالبية أعضاء الفيهما دواء لكل الأمراض، ثم توارى عن الوجود) ٠ والمعروف أن قرار حكماء ومشايخ (الفيهما) أو (الفيهمات) لا يلزم فقط الأناس العاديين بل ينسحب أيضا على السلطان وعلى رئيس أب (الفيهما) فى حالة حصول خلل فى ممارسة القواعد الأخلاقية والاجتماعية المتعارف عليها بين

الجميع (١)٠

اللغـة العفريـة :

وهى اللهجة التى يتحدث بها العفريون إينما وجدوا ، من السهل الشرقى فى إريتريا حتى الهضبة الحبشية ونهر أواش وجيبوتى ، كل هذه التجمعات تربطهم هذه اللغة ، وهى تتشابه مع لهجة الساهو والصومال والقالا ، وتكاد تكون توأما لها من حيث المفردات والألفاظ مع فارق صغير فى اللكنة ٠ وهى أيضا لغة كوشية حامية، ففى بعض مفرداتها نجد كلمات سامية بحكم اتصال العفر بالجزيرة العربية عبر الساحل على مدى العصور المختلفة، كما تأثرت لغة العفر باللغة العربية من ناحية الألفاظ فى العصر الحديث ٠ وبقدر ما هى مجهولة على الصعيد الإقليمى والدولى والقارى بقدر ما هى ثرية فى مفرداتها وإن كانت زئبقية حتى فى بيئتها حيث يستعصى الإمساك بزمامها حتى على أبنائها عندما يحاولون التحدث مع لغة أخرى سواء كانت كوشية أو سامية أو لاتينية ، فعلى سبيل المثال :

يطلق مصطلح « وداى » على أناس ولدوا فى سنة واحدة و « يودا » على مواليد الفصل الواحد من السنة و « عدو » على مواليد الشهر الواحد و «فود» على الذين ولدوا فى الأسبوع نفسه إلى غير ذلك ٠

وتعد اللغة العفرية من حيث المفردات والألفاظ أم اللغات الثلاث – الكوشية الأصل – الأورومو والصومال والساهو وتسمى هذه اللهجات

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ١٠ ٠

كلها فى مصطلح اللغات الكوشية بلغة العفر ٠

فاللغة العفرية ترجع إلى اللغة القديمة التى كان يتحدث بها أجدادهم من السكان الأصليين فى المنطقة منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، وإن كانت الشواهد تقول بأنها لغة سامية كوشيه إلى حد ما ، وأنها كانت أقرب إلى لغة معينة باليمن وهى اللغة السامية كذلك ، وعموما فإن لغة العفر الحديثة إذا ما قورنت باللغة العربية فإننا نجد أن أكثر ألفاظها بل الغالبية العظمى من هذه الألفاظ التى تعبر عن غنى وثراء اللغة هى ألفاظ عربية صرفة أو مشتقة منها (١)٠

ولقد زاد من هذه الألفاظ فى لغة العفر دخولهم فى الإسلام، ولذا أصبحت لغة العفر تضم الألفاظ العربية الدينية والتجارية ، وقد كتب العفر لغتهم بالحروف العربية وهى حروف الكتابة المستخدمة حتى يومنا هذا (٢)٠

أنواع المنازل العفرية :

الأنواع الرئيسية لمساكن أهل عفر أربعة : هى الخيمة الكروية المغطاة بالحصير المجدول أو فى بعض الأحيان بفروع الأشجار، والكوخ المستطيل المغطى بفروع الأشجار، والمنزل المصنوع من الألواح الخشبية ، وأخيرا المنزل المبنى من الأحجار ٠ وأثناء الهجرات لمسافات طويلة فإن الأسرة بكاملها تتحرك متتبعة قطيعها ، وفى هذه الحالة فإنهم يفضلون الأكواخ المغطاة بالحصير

---

(١) عوض داود محمد : مرجع سابق ، ص ٩ ٠

(٢) أحمد يوسف القرعى : مرجع سابق ٠

مأوى لهم فى الليل لأنها أسهل فى تركيبها وفى فكها ٠ وعندما يكون العمل محصورا فى مسافات قصيرة فى المنطقة التى استقرت بها العائلة، فإن الرجال وحدهم هم الذين يخرجون مع الحيوانات بينما تبقى الزوجات والأولاد الصغار فى تجمع من الأكواخ،٠ ويستبدل الحصير المجدول بفروع الأكاسيا الخشبية، كما يستبدل فى حالات أخرى بألياف تسمى (ماركا) لوضعها فوق الهيكل الخشبى ٠

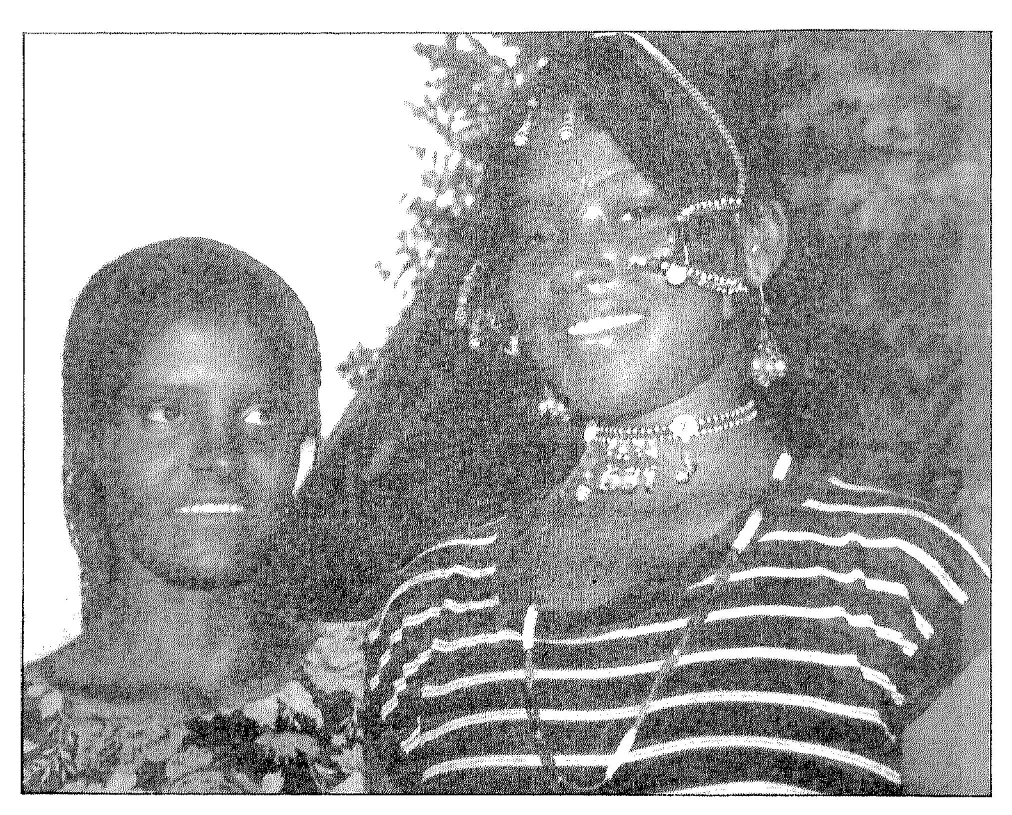
وفى المستوطنات الدائمة يتكون الحوش من أربعة أكواخ ، والكبير فيها حوالى ٧×٤ مترا مفروشا بالأسِرة الخشبية ، ويستخدمه الوالدين والأطفال الصغار ، وينام الضيوف فى الكوخ المجاور ، ويستخدم الثالث والرابع على التوالى لطهى الطعام وللأغراض الصحية ٠ وفى التجمعات الصغيرة عادة يستخدم سور دائرى لمأوى الحيوانات٠ كما أنهم يستخدمون الأجولة المستخدمة فى تخزين الدقيق غطاء لهم فى الأكواخ الدائرية والمستطيلة٠

وفى المراكز الساحلية مثل ثيو ، بيلول ، ودى ، فهناك منازل مستطيلة مبنية من الألواح الخشبية التى تأتى من اليمن ، وفى ثيو نجد أن الجدران الخارجية تطلى بألوان زاهية ، بينما تضاف فى ودى مواضع مزخرفة بمختلف الألوان ٠

وتوجد فى أفامبو القرى المجاورة مثل إبى ، أرالو ، وآراب منازل صخرية مستطيلة الشكل وفى بعض الأحيان يكون لها سقف من الزنك (١) ٠

---

(١) السير أ ٠ بيرتى : مرجع سابق ٠



فتاتان عفريتان



مقاتلان من العفر

إن بناء الأكواخ داخل المجمع لا يتم حسب الرغبة ، بل هناك تقليد معين ومكان مخصص لذلك . ولا تنطبق هذه القاعدة إذا كان المجمع من عائلة واحدة Inki - arita ، أو إذا كانت الأسرة قد استقرت مع عائلات أخرى لا تتبع نظام Daala التقليدى (١) .

ويحتوى كل Rasu على Gaanta مجموعة سكانية تشتمل على المنازل وما حولها من الأراضى . وتتكون من Burari (المنزل وما حوله من أرض) ، وتتجمع الـ burari فى مجموعات مختلفة من التجمعات تسمى Daalooli ، كل منها له بوابته الخاصة . فى كل Daala (مفرد Daalooli) كل كوخ له سمته الخاصة ويسمى Dladaar (٢).

إحتفالات الزواج :

إن الزواج صورة أخرى من صور الروابط التى تصل بين القبائل ولا يزال الزواج بين العفر يعد ربطا للقبيلتين ببعضهما أكثر من كونه ربطا للزوجين .

إن الفشل فى الحصول على تصديق عرفى لهذا الاتحاد ليس مقبولا من إحدى العائلتين .

وعن وضع النساء فى المجتمع العفرى ، يقول ساقارد : « فى الحقيقة ، يجل العفر نساؤهم كثيرا ؛ ونادرا ما يزوجونهن لغير العفريين ،

---

(١) ك . ف . ساقاردولويس ١٩٥٥ .

(٢) عبدالله عمر آدم : مرجع سابق ، ص ٢٣ .



فتاة عفرية



لعبة الميلايوى



رقصة سجلو من أشهر الرقصات التقليدية التى تؤديها الفتيات فى مدينة تاجورا

ولا يزوجونهن بتاتا لغير المسلمين · وإنهم لا يضربونهن أبدا ، وأحيانا يتصارعون ، ويدفعون الكثير ، من أجلهن » [(١)]· إنه فخر للنساء أن يكون تواصل العلاقات بين القبائل مرتبط بهن ، والذى يعتمد على روابط أبناء العمومة (أبوك – أبسوما abuk - absuma) [(٢)] ، فزواج أبناء العمومة أمر مرفوض حيث تتبادل المجموعات أو القبائل المتقاربة النساء بطريق غير مباشر بالتزام اعتيادى متبادل « ساڤارد ١٩٦٦ » ·

وأما ثروة العروس ، فهى رمزية أساسا مثل لباس رأس ، حربة ، خنجر ، ملاءة بيضاء وبعض المؤن . وإذا رفض شخص الزواج من أبسومة أو اتخذ غير أبسوما ، كان عليه دفع تعويض لكسر العادة [(٣)] · وعند بلوغ سن الزواج، وهو يتراوح عادة بين ١٤ – ٢٠ سنة يتم العمل المعتاد الذى يتمثل فى التحضير للاحتفال فى الناحيتين بواسطة أهل العروس (ابنا ibna) وأهل العريس (أروس arus) وإعداد كوخ الـ إذ – أرى (ad - ari) [(٤)] · وعادة يتم الـ جناووة – أرو ginnah - araw (تسليم العروس إلى زوجها) فى المساء وإذا حملت العروس من بيتها ، فلا يسمح لها باللحاق بزوجها حتى تلد ويصل عمر وليدها إلى سنة ·

---

(١) ساڤارد : عام ١٩٧٠، ص ٢٤٧ ·

(٢) عبدالله عمر آدم : مصدر سابق ، ص ٣٢ ·
أما علاقة الـ أبوك – أمبسوما Xbuk - Absuma ، فهى مبنية أساسا على علاقة الدم ·

(٣) اكوسينز : مرجع سابق ، ١٩٧٣ ، ص ١٦·

(٤) كوخ الـ أد – أرى ad - ari : تعنى البيت الأبيض الذى يبنى خصيصا للزوجين الجديدين، ويجب أن يبنى ويزود ببعض الأدوات المهداة هدية للزوجين ·

وإذا أهمل الزوج زوجته باستمرار أو أساء معاملتها ، وفشل أهله فى إنهائه عن هذا ، فهى تتركه نهائيا وتذهب إلى عائلتها · ومن حق الرجال والنساء أن يتزوجوا مرة أخرى بعد طلاقهم ·

وفى حالة الطلاق ، إذا كان الأطفال لا يزالون صغارا يمكنهم الذهاب مع أمهم على أن يعولهم أبوهم ، وإذا كانوا كبارا فهم يذهبون إلى حضانة أبيهم·

وإذا مات الزوج ، ترتدى الأرملة ملابس الحداد (أجال agal) لمدة ثلاثة أشهر وعشرة أيام متصلة ، ولا يسمح لها بالاغتسال خلال هذه الفترة إلا أيام الجمعة · ولا يسمح لها بغسل شعرها أو التزين بأدوات الزينة طوال فترة الحداد (روك rooka) ·وعند انتهاء فترة الحداد يتم عمل احتفال حيث يتم غسل الأرملة (جوبنا gubna) ومسحها بالزيت بواسطة أقرب أقرباء المتوفى ويتم هذا تماما فى ذات الوقت واليوم أو الليلة التى توفى فيها زوجها · بعدئذ تخلع الزوجة ملابس الحداد، ويحق لها الزواج فى أى وقت بعد ذلك (١) ·

ويحق للعفر تعدد الزوجات « حسب الشرع » فيحق للرجل أن يجمع بين أربع زوجات فى نفس الوقت (هاجو haggo)، أما الرجال المتزوجون من أخوات فيعرفون باسم هانو hanno · وعند موت الزوجة يمكن للرجل أن يتزوج من أختها أو أحد أقاربها المقربين · وبالعكس ، عند موت الزوج ، يمكن للزوجة أن تتزوج أخا زوجها المتوفى ·

---

(١) عبدالله عمر آدم : مرجع سابق ، ص ٣٣ ·

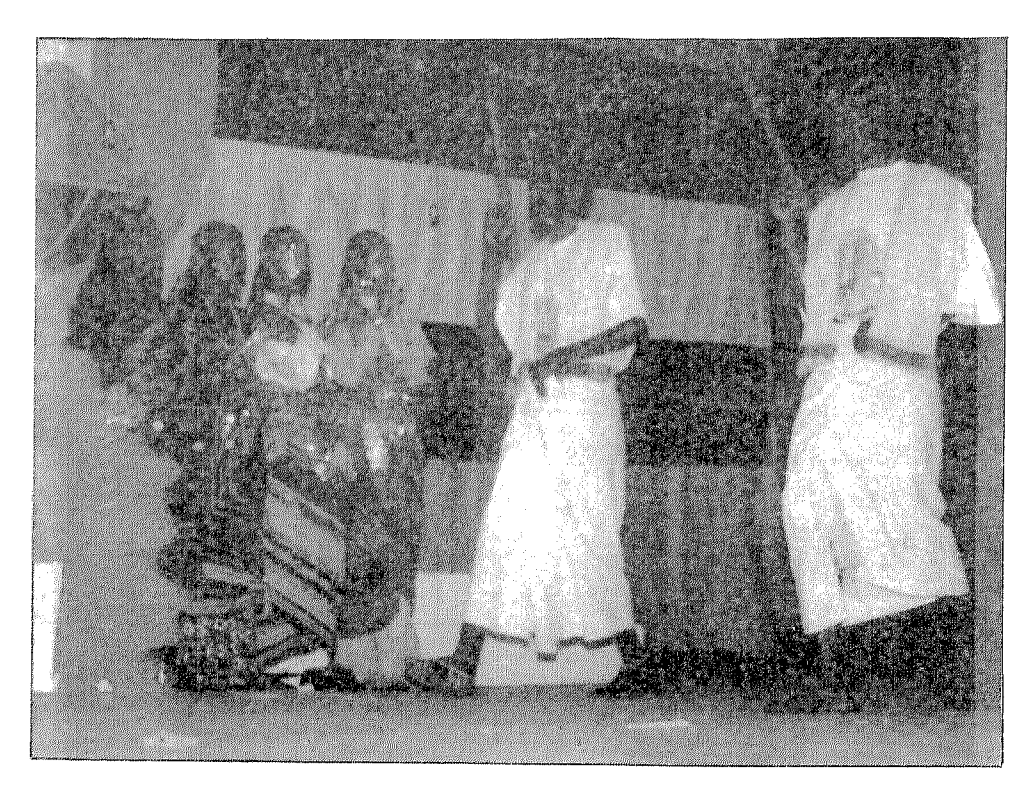
الفــــن العفـرى :

الشـعب العـفـرى يحب الطرب والرقص كـبقـية شـعوب منطـقـة القـرن الإفريقى، فـهذه الخـاصية تمتـاز بها إفـريقيا بـوجه عام وإريتـريا والحبـشة على وجه الخصوص ٠ ومن أهم الألعاب التى يشتهر بها العفر :

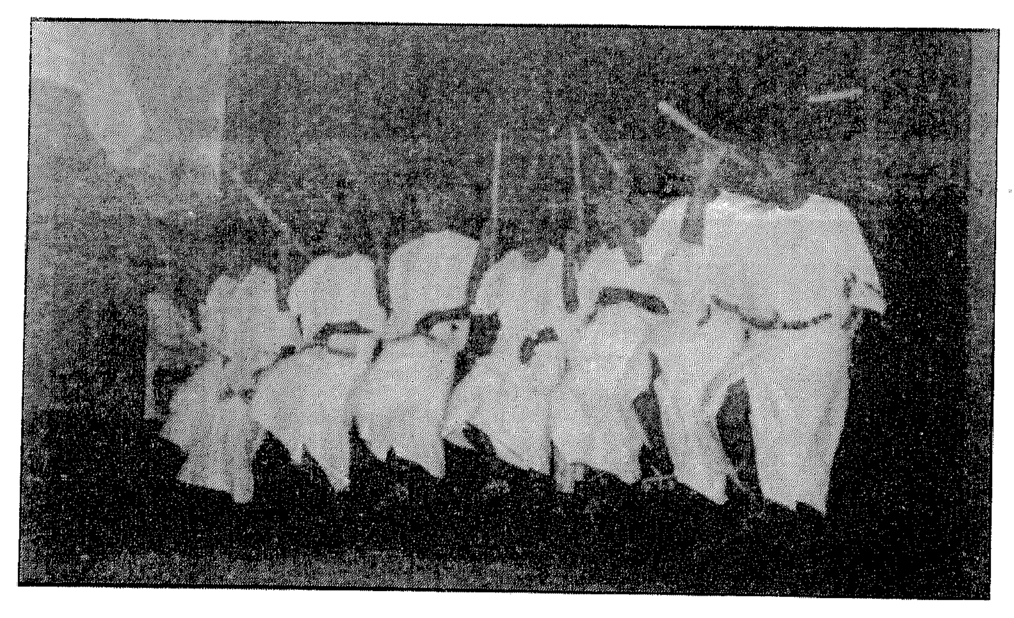
١ – سـرح : وهـو من أشـهـر أنواع الفن الفـلكلورى الشـعبى ، فـأينمـا وجـد العفرى يلعبه ويمارسه الفتيات والرجال على حد سواء ، فـهو فن شـعبى أصيل يمتاز به العفر ٠

٢ – كيكـــى : وهـذه الرقـصة يمتاز بها العـفر وهى شـبيـهة بالرقـصة اليـمنية، وهـى فن مشترك بين الـرجال والنساء، ويحتمل أن يكونوا قد اكتسبوهـا من أجدادهـم اليمنيين القدماء ٠

٣ – لالـــى : (مـركدى) وهـى شـبـيهـة برقصة الحرب، حيث تقـتصر على الرجال فـقط، ويشاركـهم فى هذه اللعبة الساهو التـجرى ٠ وهـى رقـصة جميلة تمتاز بالخشونة الرجولة ، ومن أجل هذا سـميت برقصة الحـرب ٠



رقصة ملايوى العفرية

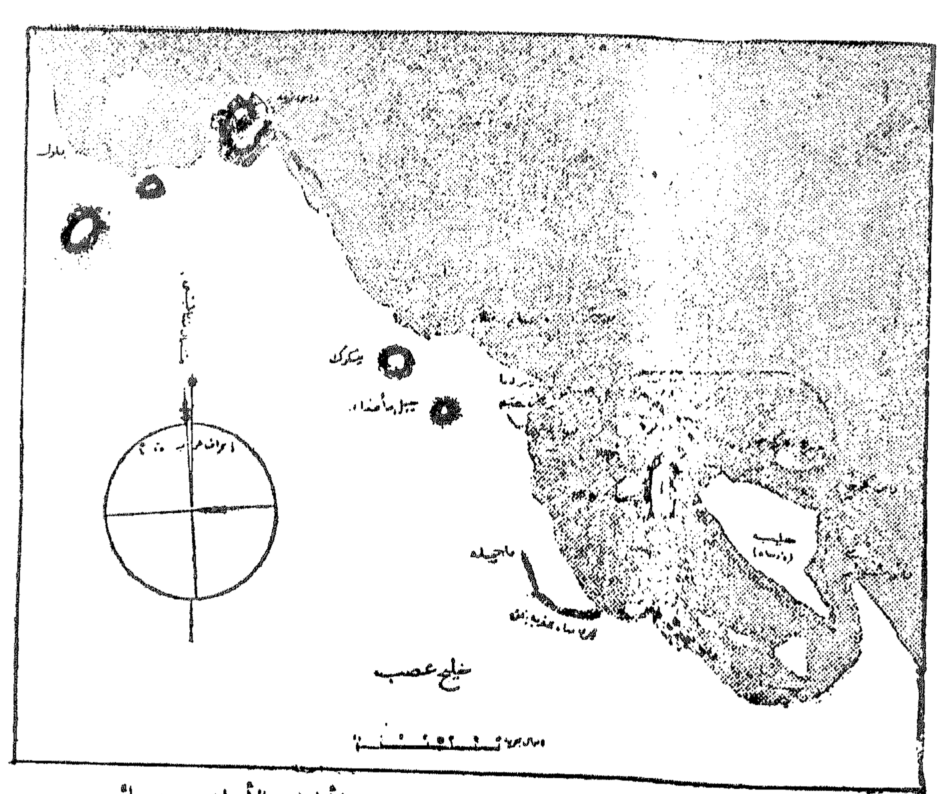


رقصة عفرية

فتاة عفرية من تاجورا



رقصة لالى العفرية



عصب — وبيلول والمناطق المجاورة التى تعرضت لأطماع الأجانب ودسائسهم
رسم هيئة أركان حرب الجيش المصرى (الأصل بالمحفوظات التاريخية) .

الفصل الحادي عشر

=====

التركيبة السكانية العفرية في عموم بلاد القرن الإفريقي في العصور الحديثة منذ بداية القرن التاسع عشر

====

المحتويات :

١ – النشاط الاقتصادى للعفر ٠

٢ – العفر فى إريتريا ٠

٣ – العفر فى إثيوبيا ٠

٤ – العفر فى جيبوتى ٠

النشـاط الاقتصادي للعفر :

إن النظرة العامة التى كانت سائدة عن العفر باعتبارهم مجتمعا من البدويين والرعاة أصبحت لا قيمة لها ٠ فقد تغير اليوم اقتصادهم وطريقة حياتهم الأخرى ، فأصبحت ملكية الأرض بين العفر على المشاع وأصبحت ملكية الأرض تقتصر على حق الانتقاع بالزراعة فقط ، وأيضا فى جريان الماء ، كما أصبحت حدود إقليم القبيلة متغيرة [١] ٠ وهؤلاء الذين يقومون بزراعة الأرض ، يفعلون ذلك بفضل كونهم أعضاء فى القبيلة أو فى الأنساب التى لها حقوق المشاركة للقبائل ٠ فلا يمكن للأفراد شراء أو بيع الأرض ٠ ولم يهدد الحقوق التقليدية للعفر أى شيء سوى خطورة امتلاك الأفراد للأرض المتمثلة فى القرى التجارية بوادى أواشى [٢] ٠

ومجمل القول : إن منطقة عفر كما هو معروف منطقة شبه صحراوية ٠ وأن الأنهار الدائمة الجريان فيها محدودة جدا وإن كانت هذه المنطقة تتميز بالموقع الاستراتيجى فهى ليست فقط ملتقى الثقافات العديدة ، بل تعتبر أيضا ملتقى القارات والطرق الموصلة بينها منذ أقدم العصور ٠ وعلى هذا نستطيع أن نحدد النشاط الاقتصادى الذى يمارسه الشعب العفرى ، فى ثلاث مجالات رئيسية [٣] : ١ – النشاط الزراعى ، ٢ – النشاط الرعوى ، ٣ – النشاط البحرى (صيد الأسماك) ٠ وسوف نتحدث بالتفصيل عن كل نشاط فى معرض حديثنا ٠

---

(١) كوسينر : مرجع سابق ، ١٩٧٣ ، ص ٣٨ – ٣٩ ٠

(٢) عبدالله عمر : مرجع سابق ، ص ٣٤ ٠

(٣) عوض داود محمد : مرجع سابق ، ص ٥ ٠

١ - الزراعـــة :

إلى جانب المناطق المجاورة لسهل المنطقة المرتفعة ومنطقة بدا - حيث يمارس العفر بعض أنواع الزراعة - فقد ارتبط العفر بالنشاطات الزراعية الحديثة فى وادى أواشى خلال عشرات السنين الماضية · ويعتبر وادى أواشى من أخصب المناطق فى إثيوبيا · والحقيقة أن تساوى مناطق الوادى فى صلاحيته للرى والزراعة والرعى كان دائما مصدر خلاف بين الدولة والعفريين· ويتجمع النشاط الاقتصادى فى منطقتين: فى الداخل فى منطقة أوسا وفى الجنوب فى منطقة دنكاليا بإريتريا ·

أ - القاعدة الاقتصادية فى أوسا :

لقد اتاح الموقع الجغرافى لأوسا اقتصادا مستقرا بالنسبة للسلطنة ، حيث يتم تحصيل الرسوم على القوافل المتنقلة بين السهل الإثيوبى والبحر الأحمر· وتمتلك السلطنة أيضا قدرا هائلا وفريدا من الحيوانات التى تسمى ديرامو deramo وأكالى akali ، والتى تنتقل ملكيتها من سلطان إلى آخر عبر التاريخ ،وتتيح هذه الثروة الحيوانية للسلطان قدرا له شأنه من القوة ·

وهذا الكم من الحيوانات يكفى منطقة أوسا بكاملها · وكان السلطان يوزع هذه الماشية على القبائل والعائلات المختلفة التى تقبل وتساند حكمه· وتعتنى بهذه الماشية · أما من لا يخلص فى ولائه للسلطان فهو يفقد امتيازاته كما يفقد احترام السلطان فى المنطقة · ولم تعتبر ملكية الأرض الموزعة على القبائل ملكية خاصة · فقد كانت الأرض متاحة للأنساب التى تقوم برعاية مواشيها · وفى الستينيات انتهى نظام المشاع فى الأرض وحلت محله الملكية

الخاصة والقرى التجارية · وقد زاد دخول القرى التجارية فى وادى أواشى من قدرة السلطان التقليدية وتعزيزها فى المنطقة · فقد خصص السلطان الأرض للرؤساء المحليين الخاصين به الـ مالاك Malaks وللأفراد الآخرين ذوى النفوذ الموالين للسلطان ، مما ساعد على النمو السياسى والاقتصادى للسلطنة ·

ب – النشاط الاقتصادى فى إقليم دنكاليا :

ينقسم إقليم دنكاليا إلى نظامين رئيسيين (الداخلى والخارجى) يمثلان التقسيم العام للأنشطة الاقتصادية · فبينما يتكامل صيد السمك مع تربية الماشية على الساحل بداية من بيلول فى اتجاه الجنوب ، ومع تجارة المشروب الكحولى دوما وتجارة التمور ، فإن النشاط الاقتصادى الوحيد فى الأرض البعيدة عن البحر هو تربية الماشية · وباستبعاد بعض الاستثناءات فإن الزراعة غير موجودة وغريبة تماما عن ثقافة العفر ، وإن كان هناك – حديثا – بعض التطورات التى حدثت فى الزراعة فى إقليم دنكاليا ·

والتجارة فى منطقة دنكاليا تتجه بوجه عام إلى اليمن · ويعد التبادل التجارى مع الأسواق الإريترية أمرا نادرا بسبب عدم ملاءمتها وبسبب محدودية أنواع البضائع الموجودة فى هذه الأسواق · ويمكن القول بأن القطب الاقتصادى الجاذب والبديل لسواحل ما وراء البحار إلى الشمال من إثيوبيا هو مصوع ، بينما يتمثل القطب الاقتصادى جنوب إثيوبيا فى عصب ·

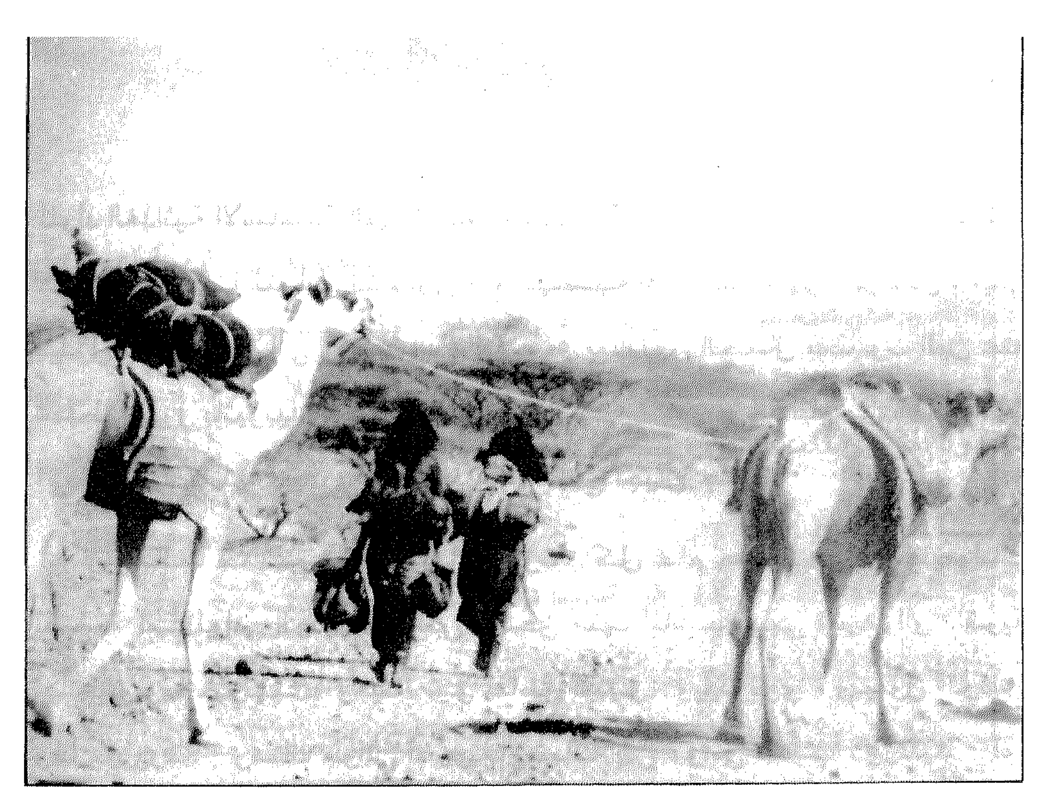
أما الذرة الرفيعة والذرة الشامية والخضروات الخضراء فهى الطعام الأساسى للدناكل ، حيث يتم شراؤها من الأسواق الإريترية نظر لندرتها· أما

المواد الغذائية الأساسية التى تحفظ بسهولة أكثر وكذلك الملابس فإنها تجلب من اليمن ٠ أما التبادل التجارى مع الهضبة الإثيوبية فهو أمر نادر ، ففى بيلول فقط يشار إلى أن بعض أهالى عفر يبادلون الجمال بحبوب البن عند سلطنة بيرو بإثيوبيا والحيوانات التى يبيعونها تكون بوجه عام من الذكور لأن الإناث لها مكانتها حيث يعتمد عليها فى إنتاج أجيال جديدة ٠

وغالبا ما تتم هذه التجارة مرتين كل عام حسب عدد الحيوانات المتاحة٠أما الموانى الرئيسية التى تشحن منها الماشية فهى قدرهرا و « قرية جلعالو وما حولهما » وميناء ثيو لمناطق أفنيو ، وبيلويوى ، وبيلول «لودس وما يجاورها» ٠ وهناك موانى أخرى بالإضافة إلى موانى عصب ، ورحيتا ٠ أما عن أسعار السلع، فيباع الزبد (من الماعز أو البقر) والعسل فى الأسواق اليمنية بحوالى ٤٠ – ٥٠ بر للكيلو على التوالى ٠وبجانب تجارة الماعز فإن ساحل دنكاليا يتبادل مع اليمن تجارة الأسماك من مختلف النوعيات والأحجام فهى تباع طازجة بعد حفظها فى المبردات ٠ وبالنسبة لأسماك القرش فإنها تباع مجففة بعد فصل الزعانف والذيل حيث تباع منفصلة ٠ وفى ثيو يستخدم الصيادون على الأقل ١٥ هورى (قارب دنكلى) و ٣ نسمبوكسات، وكل قارب يقوم برحلتين كل شهر إلى الموانى اليمنية مثل الحديدة ، وكوفة ، وميدى ، ويصل إلى الأسواق اليمنية بعد أسبوعين من الصيد فى أعالى البحار مع التوقف للتموين فى العديد من الجزر الموجودة بين الساحلين (١) ٠

---

(١) ليدا برتى : مصدر سابق ، ١٣ ٠





صورتان تمثلان أن الرعى نشاط حيوى للمرأة

صيد السمك :

تنتشر مزاولة صيد الأسماك بين العفريين فى القرى الواقعة على طول الساحل ضمن دائرة نصف قطرها ١٥ كيلومترا فى الأرض البعيدة عن البحر، حيث يكرسون أنفسهم لهذا النشاط باستخدام السمبوكسات الكبيرة أو الدونييج ، وغالبا ما يستخدمون اليورى – وهى قوارب متعددة الأحجام – تستطيع أن تحمل طاقما من ٢ – ٧ أفراد٠ وبوجه عام فإن اليورى مجهز بمحركين كل محرك ٧٥ حصانا ، ووحدة تجميد وشباك للصيد، وهو يتكلف فى المتوسط ١٥٠٠٠ ألف بر أى ما يعادل ٧٥٠٠ ألف ريال سعودى ٠ وكل من السيبوك واليورى يستخدم فى الصيد والنقل ، وطاقم اليورى يتكون من ٤ أفراد ، ويستطيع نقل حوالى ١٠٠ شخص ٠وتكلفة العبور على سبيل المثال من ثيو إلى الحديدة فى اليمن حوالى ٣٠٠ بر ، وإذا كان القارب ذا أبعاد أكبر فإن التكلفة قد تتضاعف ٠

ومن الناحية المالية فإن صيد أسماك القرش يعتبر أكثر جدوى ٠أما سمك الدراج فيستهلك لحمه الخام وتصدر الزعانف وزعنفة الذيل بعد تجفيفها من اليمن إلى الصين ٠ ويقسم أهل عفر أسماك القرش إلى المراتب التالية :

(١) أبو سيف (٢) هالكة (٣) سويدا (٤) أبو كاته (٥) موجران (٦) كادرا (٧) هيومات ٠

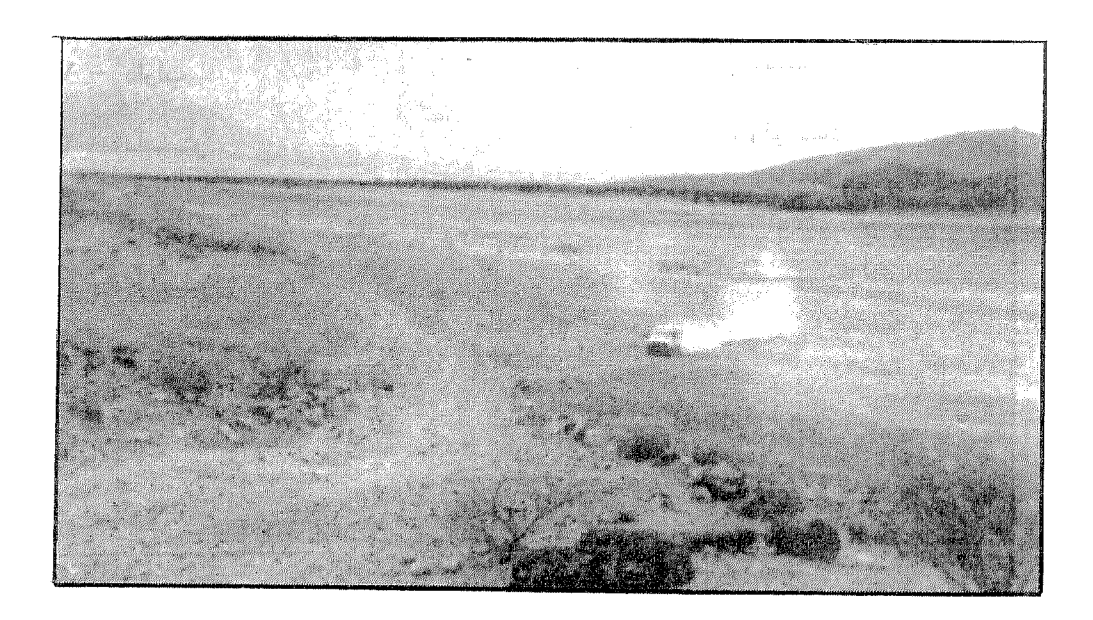
وكما أسلفنا القول فإن سمكة أبوسيف (أبومنشار) هى الأثمن والأكثر جدوى، وهى لا تصاد أكثر من ٣ – ٤ مرات سنويا٠ والأسماك المعروفة الأخرى تتنوع من الدنتكس (سيكوهور) والموليت (أرابى)

والسردين (بالان) والماكريل والسرويل والابينبنيلوس (كشور) والتونا، والدلفين ، وثعابين البحر والمارينا، والأخطبوط ، والكابوريا ، والسبيط ، وجراد البحر ، الذى يتواجد بوفرة فى خليج عصب · أما السلاحف فيتم أسرها فى فترة وضع البيض ·ولحمها فى الحقيقة له تقدير خاص · أما أحسن فترة لصيد الأسماك فهى تمتد من سبتمبر إلى مارس ·

وتستخدم الحراب لصيد الأسماك الكبيرة ، فمن المعروف أن أهل عفر يستغلون البيئة البحرية المتوفرة التى يقدمها البحر الأحمر لهم · ولا يقتصر استغلالهم لها على لحم الأسماك ، فإن كبد سمك القرش (ميترو) يجفف تحت الشمس ثم يطهى بعد ذلك ويستخرج منه زيت يستخدم فى الإضاءة وجعل السنبوك غير قابل لنفاذ الماء · والزيت المستخرج من كبد أبوسيف يعتبر مسكن للعلل الرئوية ويباع الكيلو منه بحوالى ٤٠ برا حبشيا · وتستخدم النساء زيت الليهيو الذى يستخرج من السمك المسمى سمك الأظافر (ظفر) ومن غشاء مختلف أنواع الفقاريات ويباع للنساء بسعر ٧٠ برا حبشيا (١) ·



الماء مصدر حيوى للإنسان والحيوان



رحلة صيد بالسيارة

استخراج الدوما :

إن الواحات الخضراء من أشجار النخيل تتخلل الأراضى الصحراوية فى مناطق بيلول وعصب ورحيتا ٠ وهى تنمو بوجه عام قرب ممرات المياه أو المناطق المغمورة بالمياه أو قرب مياه الينابيع ٠ وتعتبر واحات جهارى الواسعة أهم واحة اقتصاديا ومحليا٠ وهى على بعد ٢٠ كم من الوادى على الطريق إلى بيلول ٠ وهى ملك لقبيلة كارا ٠وكل واحة – كما هو الحال بالنسبة للآبار وبحكم القانون العرفى – تنتمى إلى القبيلة التى استوطنت هذه المنطقة أولا ٠

والمناطق الأخرى يستغل فيها النخيل لإنتاج الدوم ،وهو مشروب كحولى أبيض ٠

اسم القبيلة	القبيلة المالكة
١ – داراب	إريكا
٢ – دابو	موليت
٣ – بيلول	آدورمو
٤ – بيلول	عفارا

---

(١) نفس المرجع السابق ٠

ويبلغ عدد الذين يشغلون بالنخيل فى واحة جهارى ١٠٠ شخص ، وقد ينتمون إلى قبائل أخرى غير قبيلة كارا · ولكى يحصلوا على إذن لاستغلال الواحة من القبيلة الأخرى فلا بد أن يُظهروا أنهم قادرون على أداء عملية الاستخراج بطريقة بارعة · فلاستخراج الدوما يشق أعلى جزع النخلة لمدة لاتزيد عن ١٥ أو ٢٠ يوما فى العام ، وفى موضع الشق تربط أوعية مخروطية مصنعة من خوص النخيل المجدول · وتشق النخلة كل عام فى ارتفاعات مختلفة تبدأ من القاعدة وتنتهى عند نقطة القمة الطرفية · وينتج كل نبات من واحد إلى واحد ونصف لترا من الدوما فى المتوسط يوميا ، وتحفظ الدوما نفسها لحوالى ١٢ ساعة من استخراجها ، حيث تتم عملية التخمر بسرعة لإمكان شربها بعد ذلك ·

وبوجه عام فالشخص الذى له حق الملكية بالوراثة فى منطقة ما بالواحة يشق حوالى ٣٠ نخلة فى العام · وفى الواقع فإن الرقم يتغير حسب استهلاكه اليومى وحسب قدرته التجارية· وبالرغم من القيود الشديدة مؤخرا من الدولة لعدم تشجيع الاستهلاك فإن الدوما لها تقدير كبير عند كل من الرجال والنساء· كما توجد مجموعات من نخيل البلح فى نفس الواحات لها حماية أكثر نظرا لندرتها ·

الحــرف اليدويـــة :

ومن خوص النخيل تنسج النساء الحصير (ديبورا) الذى يستخدم فى صناعة السور الخارجى ويستخدم كغطاء ، كما تنتج سجادا مستديرا يستخدم فى الصلوات اليومية · ومن نفس المادة تصنع الأوعية لجمع الدوما والحبال (أكوثا) اللازمة لتأمين دعمات المساكن وأحمال الجمال ·

وتصنع النساء آنية اللبن (آينى) من خوص النخيل أيضا ، كما تصنع من جلد الماعز المدبوغ أوعية تستخدم فى نقل الماء تسمى هاريب (أوسار) ۰ وأما ما يختص بالحرف اليدوية للرجال فيبدو أنها تقتصر على إنتاج الأسرة الخشبية (أوليتا) وعلى تشكيل المجوهرات المعدنية للنساء فى جنوب بيلول ۰

استخــــراج الملـــح :

فيما يختص بنشاط استخراج الملح ، فقد أجريت دراسة استطلاعية فى أرسيل وهى قرية فى منطقة راحيتا ولم يكن الحصول على معلومات حديثة عن الملاحات المذكورة سابقا وهى ملاحات أسبو فى شبه جزيرة بورى ومرس ابيهارد بالقرب من ثيو وأعسال وأجرفيو فى المنطقة الإثيوبية ۰ فهناك فى الوقت الحاضر ثلاث شركات خاصة تستخرج سنويا ١٣٢٠ مترا ۰ وبالإضافة إلى أوسيل فهناك فى جنوب دنكاليا ملاحات عصب وبيلول (١) ۰

والسبب فى تجارة الملح هو افتقار تربة السهل الإثيوبى إلى الملح ، وهو لازم للحيوانات الداجنة الجديدة ، فإذا لم تعط الماشية قوالب الملح، فيجب سيرها مسافات بعيدة عدة مرات فى السنة لتسقى من الجداول المالحة (٢)۰

إن مصادر الملح العفرية لا تنفد، فبالإضافة إلى الملح المستخرج من البحر الأحمر هناك احتياطى هائل على شواطئ بحيرة أسال بمسافة ١٨ كيلومترا

---

(١) ليدا برتى : مرجع سابق ، فبراير ١٩٩٤. ص ١٤ – ١٦۰

(٢) عبدالله عمر آدم ، مرجع سابق ، ١٩٩٣، ص ٣٥.

طولا و١٠ كيلومترات عرضا، وبعمق مترين ٠ وينمو هذا الاحتياطى بمعدل ٦ مليون طن فى السنة ٠ أما موارد الملح فى منطقة أزرال فلا يمكن تقديرها نظرا لارتباط باطن الأرض بالبحر الأحمر ٠

وتنقسم العمالة فى حقول الملح إلى مجموعتين فوكولومارا Fokkolomara (وهم الذين يستخرجون الملح من الأراضى الملحية، داجادا dagada) ، وهاداليمارا hadalimara (وهم الذين يقطعونه إلى بلوكات صغيرة بالمقاسات المطلوبة) ويستخدم الفوكولومارا fokkolomara جارى – جودما garri - godma (مجرفة خاصة) للحفر وفاينا fayena لنقل بلوكات الملح من الأرض (١) ٠ ويسمى بلوك الملح الذى تم تشطيبه حسب المقاس جانفور ganfur ، وبلوكينى اللالتو allaltu ، وتسمى الأربع بلوكات من الجانفور هانجالا hangala (٢) ، كما تسمى أصغر قطعة أنكارابى، وهى تستخدم للاستهلاك النزلى ، بينما تنتج الأصناف الأخرى للأغراض التجارية ٠

ويقول أبير : « لعبت الثروة الملحية فى الماضى دورا مهما فى الاقتصاد، فقد استعمل الملح فى المقايضة الاقتصادية بمعنى تبادل البضائع والخدمات ٠ وقد تم تداول هذه الثروة الملحية حتى منطقتى كافا وسيدامو فى جنوب إثيوبيا ٠وترتبط زيادة سعر الملح بمدى بُعد الطالب له عن الأرض العفرية (٣)

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٣٥ ٠

(٢) يمكن للجمل أن يحمل حتى ٩ هانجالا hangalas ٠ والهانجالا يساوى أربعة جانفور ganfur والجانفور يزن حوالى ٦ كيلوجرام٠

فملح منطقة أزرال كان يرسل إلى المناطق الشمالية بينما ملح بحيرة عسال كان يمد الجزء الجنوبى حتى إثيوبيا ٠

ومع ظهور العملة الجديدة فى المنطقة انخفضت تدريجيا الثروة الملحية بوصفها وسيلة من وسائل الاستبدال والمقايضة ، وإن كان إنتاج الملح قد استمر للاستخدام التجارى والاستهلاك المحلى ٠

تربية الحيوانات الداجنة :

إن تربية الماشية سائدة فى المنطقة خلف الساحلية بالأرض العفرية ٠ وهى تعتمد على الحيوانات آكلة العشب، كالجمال ، والماشية وغيرها ، بنسب مختلفة ، حتى يمكن للعائلات أن تعتمد على ألبانها فى المعيشة ٠

إن هدف العفر الأول من تربية الماشية هو البقاء (١) باستثناء منطقة أوسا حيث توجد حيوانات لا حصر لها (٢) وتتوارث الأجيال هذه الماشية ، وهى تعتبر من أملاك السلطنة التى ورثها سلطان أوسا كما أوضحنا آنفا ٠

ويقول ساقارد عن العلاقة بين العفر ومواشيهم : « إنه لمن الصعب أن نتفهم العفر جيدا بدون أن نتفهم مراعيهم : إن الماشية وغيرها من الحيوانات الأليفة تسهل الحياة فى الصحراء ٠ إن هناك علاقة قوية بين الإنسان والحيوان

---

(١) هيلاند : ، مرجع سابق ، ص ١٩٨٠ ؛ جيرى ماريام ، ١٩٨٧٠

(٢) الحيوانات فى أوسا تسمى ديرامو Deramo (قطيع من الماشية)، واكالى Akali (قطيع من الجمال) ٠

فى هذه المناطق القاحلة حيث يعتمد كل منهما على الآخر فى البقاء (١) ·

وتعد الجمال هى الأكثر أهمية بالمقارنة بالحيوانات الأخرى، فالناقة تدر قدرا كبيرا من اللبن، لذا فهى تلعب دورا أساسيا فى معيشة العائلة · وتستعمل الجمال والحمير أحيانا بوصفها حيوانات حاملة (ميرا Meerra) ·

وتذبح الجمال فى حفلات اللحم (دازيجا) التى يأكل خلالها الناس اللحم فقط ، دون سواه من المواد الغذائية لمدة أسبوع أو أكثر (٢)· وتأتى الماشية فى المقام التالى للجمال من حيث كونها مصدرا للثروة الحيوانية لدى العفر ، مثل النوق والأبقار التى يحتفظون بها لإمداد العائلة بالغذاء ، بينما تباع الثيران للحصول على أنواع أخرى من المستلزمات (٣) ·

ولا يمكن للماشية أن تعيش طويلا بدون الماء ، على خلاف الجمال ، ولكن المنتجات المختلفة التى يمكن الحصول عليها من البقر (اللبن ، الزبد ، السمن) تجعل ملكيتها فى كثير من الأحيان أمرا حيويا · وتستخدم جلودها فى صناعة الأحذية ومراتب النوم · وعادة لا تفى الخراف والماعز باحتياجات الأسرة دون الاعتماد على غيرها من الماشية · وتستخدم الماشية فى الاستخدام

---

(١) ساڤارد : مرجع سابق ، ١٩٧٠ ، ص ٢١٧

(٢) إن ذبح الحيوانات فى هذه الحالة لا يعتبر مخالفة ، ويمكن أن يتم ذلك بموافقة أو بدون موافقة مالكيه، وهو عمل يمكن أن يعوض عادة فى صورة دفع مبلغ من المال أو قدر من الماشية ·

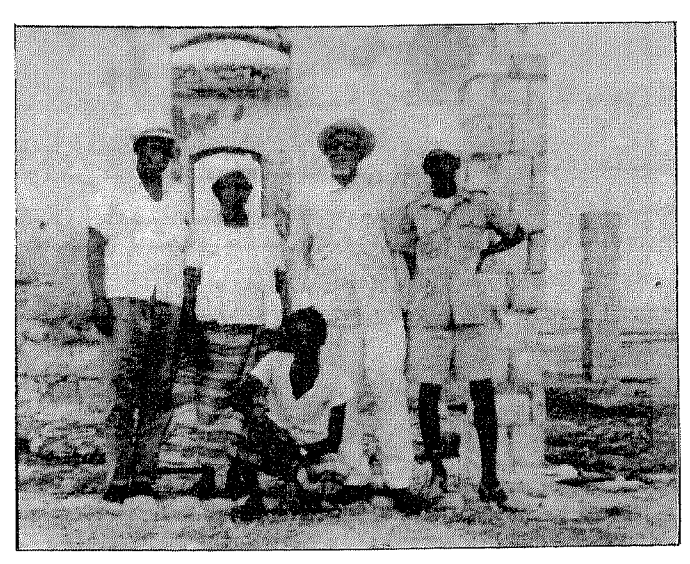
(٣) عبدالله عمر آدم : مصدر سابق ، ص ٣٨ ·

العادى من حيث أكل اللحوم ، إلى جانب استعمال جلودها قربا للماء أو لحفظ الحبوب ، كما أنها تستخدم فى المقايضة بالسلع الأخرى المطلوبة ٠

لذلك يستبقى العفر الماشية التى تساعدهم على المعيشة فقط ، ويبيعون ذكور الحيوانات والمنتجات الحيوانية فى الأسواق للحصول على المواد التى يحتاجها المنزل ٠ وتجدر الإشارة إلى أن متطلبات الغذاء قد تغيرت داخليا بعد الجفاف واتصال العفر بالطرق«الحديثة » للحياة وبمن حولهم ، وإلى أن حيوانات كل قبيلة أو سلالة تحمل علامة أو وشما مميزا ، كما أن لكل حيوان اسما خاصا به (١) ٠



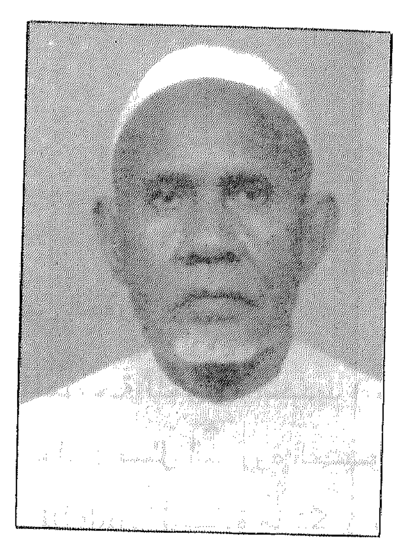
الشيخ سراج محمد كامل
من الزعماء الوطنين
الأحرار



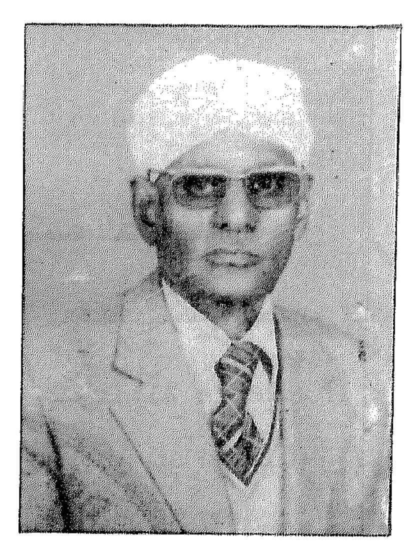
الشيخ سراج محمد كامل فى دهلك مع ابنه طه سراج الجالس فى الصورة

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٣٨ ٠



الحاج نور إسماعيل محمد
من الشخصيات الوطنية
العفرية البارزة لأرتريا



الشيخ موسى قمص
من الزعماء الوطنيين العفريين
فى أرتريا



المناضل محمد أبو بكر (لومبا) من الكوادر العفرية الوطنية المثقفة ومعه المؤلف محمد عثمان أبو بكر
أثناء لقاءهما فى أديس أبابا لدراسة الأوضاع العفرية التاريخية

ملكية الحيوانات :

هناك خمسة مصادر لملكية الحيوانات بين العفر :

١ - **هوندبتا** Hondebta : الحيوانات الممنوحة للمولود الجديد (سواء كان ولدا أم بنتا) إن توالد هذه الحيوانات يمثل الثروة الحيوانية المستقبلية للطفل، والـ هوندبتا Hondebta عادة ما تكون واحدا أو اثنين من الحيوانات وغالبا ما تكون بقرة ٠

٢ - الـ **موجارايـنا** Mogarayna : حيوان يعطى للطفل من الذى تسمى باسمه (موجا Moggaa) ٠

٣ - الـ **إترويتا** Itroyta : الحيوان الذى يعطى للطفل عند طهوره ٠ وهذا هو الفرق الأول فى الملكية بين الولد والبنت ، وإن كان لكليهما نفس الحق فى نصيب الميراث ٠

٤ - **هاراى** harau : هدايا الزواج من الحيوانات ، وعادة ما يمنح الأولاد حيوانات أكثر وقت الزواج ، بينما تمنح البنات الأدوات المنزليةعند الزواج٠ كما يمكن للولد أو البنت أخذ أى عدد من الماشية التى يمتلكانها، ولكن عادة ما تفضل المرأة إبقاء حيواناتها مع عائلتها حتى إذا ساءت الأحوال الاقتصادية أمكنها الاستعانة بهذه الحيوانات بوصفها مصدرا للمساعدة ٠

٥ - **ناجرا** nagra : نصيب الأبناء من الميراث، حيث يحصل البكر على

وخلاصة القول : إن تربية الماشية ليست ذات قيمة اقتصادية فى جيبوتى وإثيوبيا ، مما جعل أرض العفر هى المورد الرئيسى للماشية والأغنام والماعز والمنتجات الحيوانية لهذين البلدين ، بل يزود العفر جيرانهم عبر البحر الأحمر بالماشية ومنتجاتها ، حيث تدر جلود الحيوانات عائدا ملحوظا لتحسين أحوال الرعى والرعاة العفريين ٠

الطرق والمواصلات :

إن أولوية تنظيم شبكة الطرق فى إقليم دنكاليا فى إريتريا تبدو مطلبا جوهريا ضروريا ذا أولوية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية٠ فإن غياب الطرق يحد من التجارة ، كما يحد أكثر من إنشاء مبانى الخدمات الأولية (مثل المدارس والمراكز الصحية) ٠



المقاتلين العفريين فى أرتريا

أكبر عدد ، ويحصل آخر وليد على أقل عدد (١) ٠

حقيقة فإن هناك طريقا وحيدا يربط مصوع بعصب يبلغ ٦٣١ كم منها ٥٥٠ كم (من الإفلى فصاعدا) ٠ وفى بعض المسارات فإن الطريق لا يواجه البحر ، بالرغم من أنه يتبع الخط الساحلى (الطريق الذى يؤدى إلى أبرور ١٠ كم جنوب جلعالو – ما يحيط بثيو / ٥ كم على الطريق بين بيلول وعصب) وعند ثيو فإن الطريق غير الممهد يترك الطريق القديم والذى لم يكن بعيدا عن الشريط الساحلى، ويتوغل فى الأرض البعيدة عن البحر لمسافة ٣٦١ كم ٠ والسبب فى وجود هذا الطريق الجديد الأطول والأكثر تعرجا وصعوبة فى بعض الأوقات ، يكمن فى أن الطريق الساحلى جنبو ثيو لم يتم تطهيره من الألغام ٠ وفى الطريق الجديد الذى يتسلل إلى داخل البلاد (٣٠ كم جنوب ثيو و ٧١ كم تربط أجرولى وبيلوبوى) تظهر صعوبات أكثر تتمثل فى الرمال الموجودة على الطريق ، وفى ضرورة عبور أخاديد تنبثق منها صخور كبيرة ٠ كما أن بعض صعوبات هذا الطريق ترجع إلى الوهاد المنحدرة على المنحدرات الصخرية فى الجزء الشمالى فيما بين جوراى ومرسى فاطمة ٠ أما ما بين أفيمبو وعصب فإن الطريق ليس صعبا ، وذلك بسبب أعمال الإصلاحات الحديثة فى قطاع الطريق فى المنطقة الممتدة من وادى عصب (٢)٠

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٣٩ وهى بالتحديد خمسة مصادر كما يلى : – الهونديتا ، الموجاراينا ، الإتروبيتا . هاراى ، ناجرا ٠

(٢) المصدر مشروع إنعاش وتأهيل لإريتريا برنامج صندوق السكان والتعمير ، ملاحظات اجتماعية اقتصادية عن إقليم دنكاليا ٠

ليدا بيراى : خبيرة الإنسانيات الاجتماعية – أسمرة – إريتريا ٠

١ - العفر فى إريتريا :

ويعرف هذا المكان جغرافيا بإقليم الساحل الجنوبى ، حيث يمتد السهل الجنوبى والجنوبى الغربى من الإقليم الغربى داخل إثيوبيا حتى حدود جيبوتى، حيث تشكل دنكاليا البوابة التى من خلالها جاء المهاجرون العرب الأوائل إلى عموم إريتريا كما لاحظنا فى دراستنا للتكوين التاريخى للشعب العفرى (١) ٠

ولقد ذكرنا أن دنكاليا لها النصيب الأكبر من هذه النزوحات المتتالية من الجزيرة العربية والتى كانت تفرغ فى إطارها فائض سكانها فى الساحل الشمالى لإفريقيا ، والتى شهدت على الدوام توزيعا عنصريا وجغرافيا مميزا ، كما شهدت نزول العرب الساميين أو القحطانيين شمالى زولا ومصوع ،ومنها توغلوا إلى عمق الهضبة الإريترية وإقليم تيجراى ٠ كما شهدت العرب الوشيين والعدنانيين والهلالية القدامى والحضارم الذين هاجروا إلى الساحل الدنكالى واستقروا فيه ٠ ولم يطرأ على مرّ الدهر ما يعكر استمرار هذا المد العربى البطىء - كما ذكرنا فى السابق - باتجاه السواحل الشرقية للقارة الإفريقية ٠ ولم تنج دنكاليا نفسها ولا الهضبة الإريترية الواقعة بين حوض عنسبة والأواشى من هذه الظاهرة ٠

ولقد أوضحنا أن العرب ذا البشرة الخالصة الذين هاجروا إلى الصومال ودنكاليا والذين تنتمى إليهم العناصر الكوشية أو العدنانية ، قد فقدوا لون

(١) محمد عثمان أبو بكر : تاريخ إريتريا المعاصر أرضا وشعبا ، القاهرة ١٩٩٣، ص ٣٥٤٠

بشرتهم ولكنهم بقوا محتفظين باسم (عدو مرا) فى حين أن سائر العرب الساميين أو القحطانيين الذين نزلوا شمال دنكالى مع تقاليدهم السبئية وأسطورتهم السليمانية قد فقدوا لون بشرتهم هم أيضا ولكنهم اكتسبوا اسما جديدا حيث أصبح يطلق عليهم «عسامرا»، بعد أن امتزجوا مع السكان الأصليين من أبناء البلاد ومدوهم بالدم الجديد فى دنكاليا وبألوان بشرة جديدة وكأنهم فى بلاد عربية جديدة ٠ وعندئذ كما كانوا فى مسقط رأسهم القديم حيث عادت إليهم علاقات العداوة والصراع القبلى، وإن دفعتهم وطأة البيئة إلى الانصهار مع سكان البلاد الأصليين ٠ هكذا يبدو التكوين التاريخى للشعب (العفرى) الذى يشكل واحدا من المجموعات الكوشية الحامية٠

ونستخلص من هذه المقدمة ما يلى :

١ – عسامرا : وتضم قبيلة دمهيتا بفروعها المختلفة وتقطن شبه جزيرة بورى وعد ومرسى فاطمة وبردولى وعكيلو فى الشمال ومنطقة بيرونى فى الجنوب ٠ وتضم أيضا قبائل المد و أعبتو فى العسى ، وترو وبير فى سهل روبرم ، وفى عدى العالا فى الدجا ولهرتو فى أدى أخيش ولنصال وكعفارة فى تيلول٠

١ – الدفنيك مارا ، وهم يعيشون فى الوديان العالية بين القوار وجبال أويورا ، وجبال الحمار والشرشر ويشكل الكيليلو أهم فروعهم ٠٠

٢ – مجموعة صومالى بكا وعد ، ومدر ، وبورى ٠

٣ – دناكل الجالا : وفيهم طبقة داموهيتا سائرة فى سيريبا ، وعالا وعلى دافينا ٠

٢ – عـدو مـرا : وتـضـم كل القـبـائل التـى كـانت مـوجـودة فى المنطـقـة قـبل سـيطرة عـسامـرا ، ومن قـبـائل عدو مـارا من كـان يتـمـتع بالحكم الذاتى وهـم: بلعو سوه ، عدو حامـد ، قدعيتو ، بديتوميلا، العـيتوميلا، دناكل الهـواكل، وداهـمـيـلا فى أرعتـا ، وودو وبرهـنتو بدعـولى ، ودناكل بيلول، عـبيس مـيلامرعـيبـا٠ وإلى جنب ذلك توجـد القـبائل ذات الأصل العـربى وهـى الأكثـر حداثة : عد على فى رحيـتا وتاجورة وكيلومـا٠ وتتوزع على الدهامنـتـو والديمنـيلى والبـورهـانتـو وأنكـالا فى عـصب وبـورى وبيلـول وحضـارم سـادوية وموريم وكوباء ودونابورى والبـيدل ٠ وقبائل الشـيخا الآخـر والأشـراف والمعنديتـا ٠ وهـذه هـى مـجـمـوعـة القـبـائل الكبـيـرة والصغيرة التى تتفرع منها القبائل العفرية الأساسية فى إريتريا وإثيوبيا وجـيبوتـى، والتـى سـيأتى تـفصـيل ذكـرها فـيمـا بعـد ٠ ويقطن الدناكل (العـفر) كـمـا أوضـحنا فى الشـريط الجـنوبى من السـهل السـاحلى المطل على البـحـر من شـبه جـزيرة بورب إلى جنوب مصـوع بقليل شمـالا إلى بوغاز بـاب المندب جنوبا بالإضافـة إلى الرقعـة الصـحـراوية الواسـعـة حـول هـذا الشـريط فى إثيـوبيا وجيبوتى ٠ وكـانو ينقسـمون إلى دنكال الشمـال والجنوب وينقـسـم كل منهـم بدوره إلى عدد كـبيـر من القبـائل والعشـائر وكان بعض زعماء قبائلهم يتخذون لأنفسهم لقب السلطان (١) ٠

والعفـريون يشـكلـون الجـماعـة النموذجيـة لأبناء السـهل، وهـم ينتـمـون كـغيـرهـم من سـكان الأقـاليم الإريتـرية إلى مـجـمـوعة الشـعـوب الحـاميـة

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٣٥٥ ٠

السامية ٠ والتنظيم القبلى عندهم يشكل إطارا سياسيا أكثر منه عرقيا مما أتاح لهم أن تضم صفوفهم خليطا كبيرا من المجموعات العفرية الأخرى ٠ وقد شكلت وحدتهم اللغة العفرية والدين الإسلامى حيث إنهم جميعا يعتنقون الديانة الإسلامية ٠ أما العامل الآخر فهو الخوف الذى عمر قرنين من الزمن شهدا اعتداءات الإثيوبيين المتكررة عليهم ، حتى أصبح الخوف عنصرا مهما جدا فى توحيد هذه المجموعة المختلفة الأصول وتقوية الروابط العفرية فيما بينهم ٠ وكما بينا فى المقدمة تنقسم الجماعات العفرية إلى طبقتين اجتماعيتين، وهما طبقة عسامرا وهى الطبقة الحاكمة وكان يطلق على أعضائها اسم الرجال الحمر، أما الطبقة الأخرى فتسمى عدو مرا أى الرجال البيض ٠ وتشير الروايات المحلية إلى أن جماعة الطبقة الحاكمة (عسامرا) هم الذين وفدوا إلى المنطقة حيث كانت تسكنها قبلهم جماعة الطبقة الأخرى (عدو مرا) لكنهم قد فرضوا سلطتهم عليهم ٠ ومهما يكن من الأمر فإن التقسيمات العرقية والاجتماعية والقبلية المتمازجة هنا تختلف عن قبائل أخرى فى الأقاليم الإريترية، بحيث إننا نجد الفرع القبلى فى دمهيتا يضم فى صفوفه عناصر من الطبقة الحاكمةوتوابعهم على السواء دون تمييز٠ أما فرع داهميلا فلا يضم سوى العامة غير المرتبطين بالطبقة الحاكمة مما يجعلهم فى الواقع أسياد أنفسهم، حيث كانوا يتمتعون باستقلالية كاملة ٠ وهنا نلاحظ أن ضم القبيلة إلى أخرى فى العفر ليس من خلال الأساس العرقى ولكن من خلال الانتماء للتجمعات، ويعد هذا فى حد ذاته تطورا لم نلاحظه فى بقية القبائل الإريترية الأخرى ٠ وكانت الطبقة

الحاكمة عند العفريين تمارس سلطتين سياسية واقتصادية معا، وتفرض التقاليد أن ينتمى زعماء القبيلة وفروعها وتجمعاتها العائلية إلى طبقة عسامرا، وترتبط هذه التقاليد ذاتها بملكية الأرض لما تعطيه من امتيازات اقتصادية معينة (١) .

والعفر متجانسون ثقافيا مع غيرهم من الحاميين الشرقيين . وبعد أن استوضحنا أصول هذه القبائل والتجمعات السكانية لإقليم دنكاليا، يجدر بنا هنا أن نشير إلى التجمعات المهمة فى هذا الإقليم وغيره. حيث تنقل الروايات المحلية أن جدهم ينتمى إلى القرشى العباسى بن عبدالمطلب الهاشمى القرشى .

١ - داموهيتا : ينتمى داموهيتا إلى عسامرا ويعود أصلهم إلى القريشى حيث هاجر جدهم إلى الساحل الإريترى ولقب بـ (حرا الماحس) (٢) . أما اسم القبيلة فقد اكتسب نسبه إلى دماهو الواقعة قرب التاجوراه ، وهى أول منطقة فى اليابسة وطأها جدهم. وكانت سلطة دموهيتا تمتد إلى كافة مجموعات عدو مرا التى كانت تقيم فى الأماكن التى انتشرت فيها . وهم يتوزعون على طول الساحل بين بلدة عدو شبه جزيرة بورى، ويستغلون مراعى سفوح أرعتا. أما مراكز استقرارهم التى كانوا يمارسون منها سلطانهم على أتباعهم من عدو مرا فهى تتمثل فى بلدة معدر وحاريتا على الطرف الشرقى من شبه جزيرة بورى وفوق مرسى جيد ودلنج ودلامى وغوريتا (٣) .

---

(١) محمد عثمان أبو بكر : مرجع سابق ، ص .

(٢) حرا الماحس : تعنى بالعفرية الرجل الذى تحت الشجرة .

(٣) محمد عثمان أبو بكر : مرجع سابق ، ص ٣٥٤ .

أما عدو مرا التابعون لداموهيتا فلهم مراكز سكنية ثابتة أهمها مدينة طيعو على المرسى الذى يحمل اسمها هذا بالإضافة إلى قرى أخرى عديدة · وكثير منهم يعيشون متنقلين بين مراعى بورى وسفوح أرعته الشرقية ، وسهل بده وراغلى وساحل بحولى وأقغيله وغيرها من المناطق· وتشكل عد الواقعة على المرسى الذى يحمل اسمها ، مركزا سكنيا مهما للداموهيتا وهى تقع ضمن المنطقة التابعة لعصب إداريا ·

ويمارس الداموهيتا وأتباعهم الزراعة فى منطقة بده الزراعية فى حين أن العديد من سكان قرى بورى الساحلية وعد يمارسون الصيد وسائر النشاطات البحرية · ولهذا تقوم فوارق حضارية عديدة بين أبناء الساحل وأبناء المناطق الداخلية (١) ·

وامتداد الساحل الذى توزع عليه داموهيتا أدى إلى قيام تجمعات سكنية فى المراعى المفضلة انقسمت إلى مشيختين، هما مشيخة عد ومشيخة بورى والتى كانت موزعة بين خمسة زعماء ·

ولد موهيتا أبناء عمومة فى كل من جيبوتى وسلطنة أوسا وإقليم تيجراى الإثيوبى فى سلطنة بيرو وجميعهم ينحدرون من حرا الماحس جدهم الأكبر ، وإليهم ينتسب السلطان على مرح السلطان الحالى لعفر إثيوبيا ، ومن أشهر زعماء داموهيتا فى القرن العشرين السلطان يس حيشمه الذى تصدى للاستعمار الإيطالى لسنوات عديدة ثم السلطان

---

(١) الكافاليير دانته أو دورينتسى : موظف فنّ المستعمرة، المستعمرة الإريترية ، مفوضية مصوع ، سنة ١٩١٠·

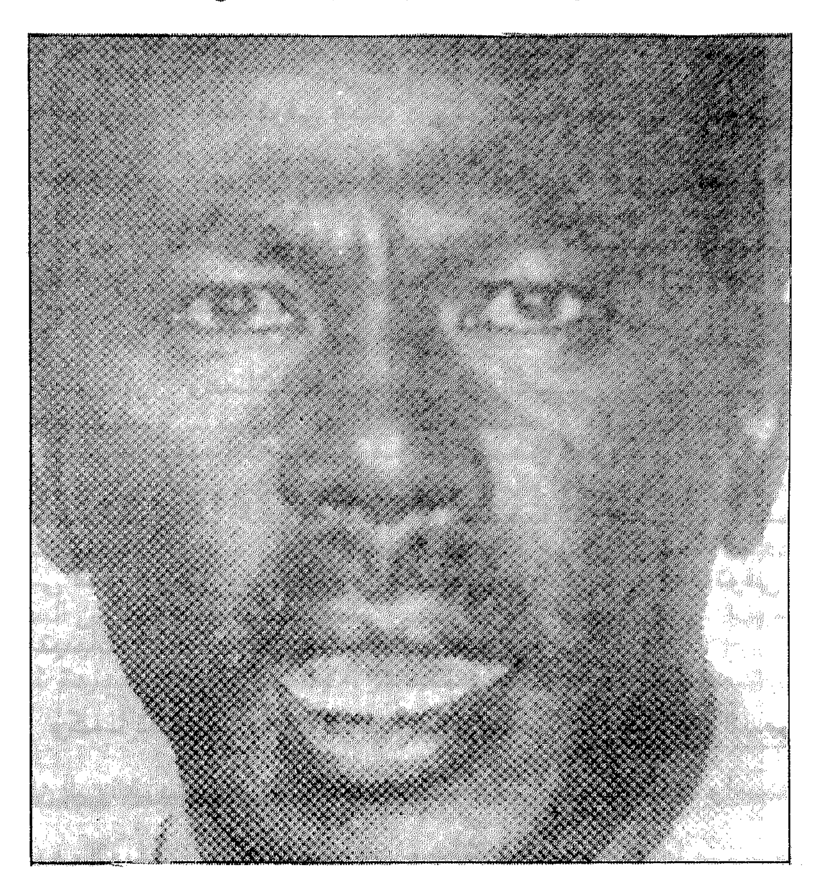
محمد أحو ابن عمه الذى تولى السلطة بعد استشهاد السلطان السابق، وواصل سياسة سلفه فى التصدى للغزو الإيطالى ، كما أوضحنا سابقا· ومن رجالاتهم أيضا الزعيم الثائر على عطبان كولى حمد الذى قاوم الإيطاليين فى منطقة بورى واعتقله الإيطاليون فى سجن نخره بجزر دهلك ، وتمكن من كسر بوابة السجن الحديدية ولجأ إلى الحدود الإثيوبية وبدأ فى حشد قوة لمهاجمة الإيطاليين ، لكنه مات فى ظروف غامضة وقد لقب بـ (على نخرة يقدلى) أى محطم سجن نخرة · وأيضا ظهر من نفس الأسرة زعيم آخر يدعى باشاى عثمان بورى وهو الآخر قاوم الإيطاليين ولجأ إلى سلطنة أوسا عند أبناء عمومته فى عهد سلطان يايبو ، وقد توفى هناك · ومن شخصياتهم التاريخية الشيخ محمد عمبس الذى كان مرجعا فى الأنساب والقوانين العرفية لكل أبناء العفر، وكان يقضى فى القضايا الاجتماعية المتعثرة التى تعجز عنها المحاكم ،وكان حكمه نهائيا ·

ومن أبرز زعمائهم التاريخيين فى العصر الحديث الشيخ كفليرى قعص ،ومن بعده ابنه الشيخ موسى قعص الذى كان من الشخصيات الوطنية البارزة فى الحركة الوطنية· وأيضا شوم على عبدالله من فرع عسى محمد وكان يعتبر آخر الشخصيات التاريخية وقد توفى فى أواخر الستينيات ·

وكما تقول الروايات المحلية فإن جدهم قد جاء من اليمن، ويعود أصله إلى القريشى، وبالتحديد إلى عباس بن عبدالمطلب واسمه عمر بن يوسف العباسى ، والذى قدم إلى منطقة العفر بإريتريا من منطقة رحيتا



بعض القيادات العسكرية العفرية فى الداخل

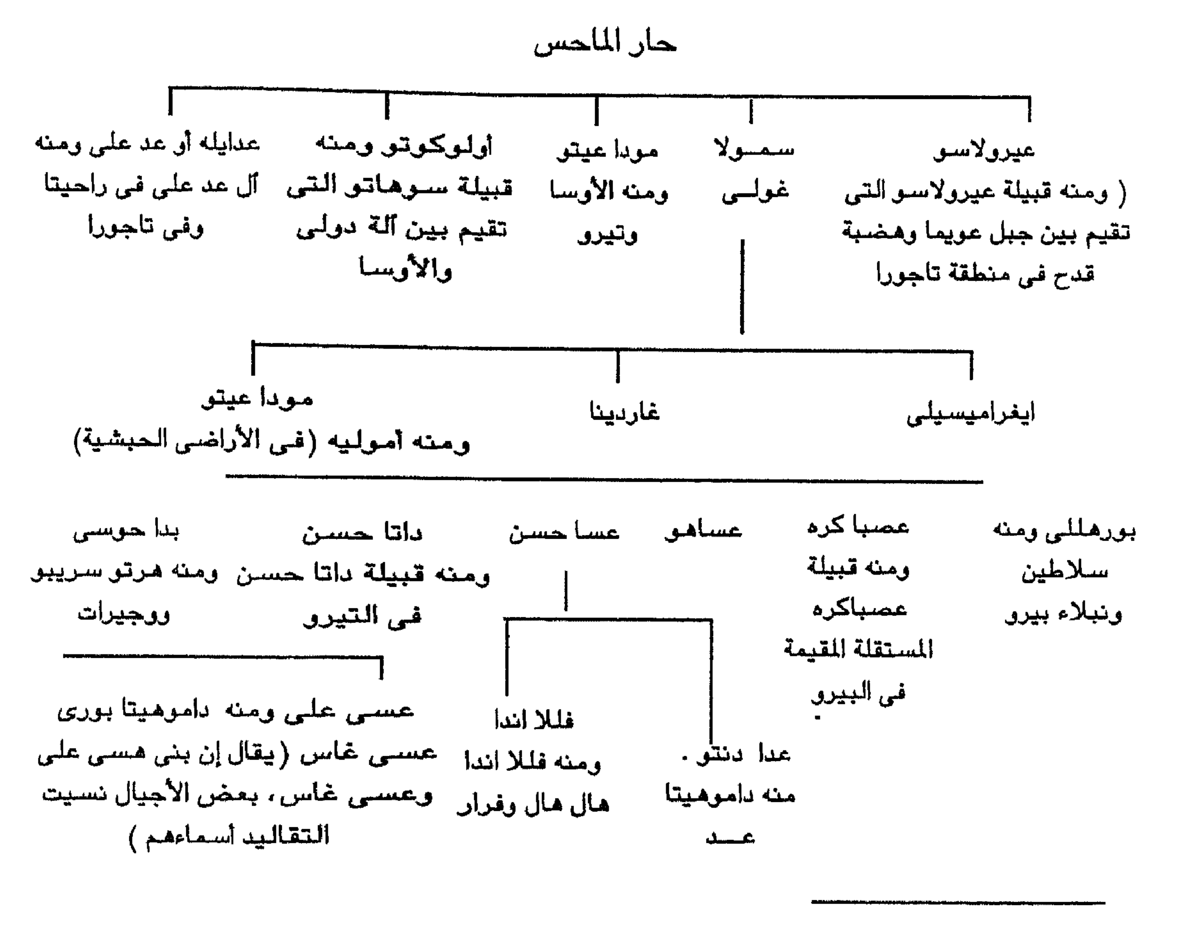


منجستو

عبر باب المندب فى جنوب البحر الأحمر ، وقد كان ضيفا على سلطان العفر ، وقد انتمى إلى قبيلة أنكالا واستمر فى رحيتا • وفيما بعد شكل أحفاده المملكة العفرية الثالثة ، كما هو واضح فى المقدمة (١) •

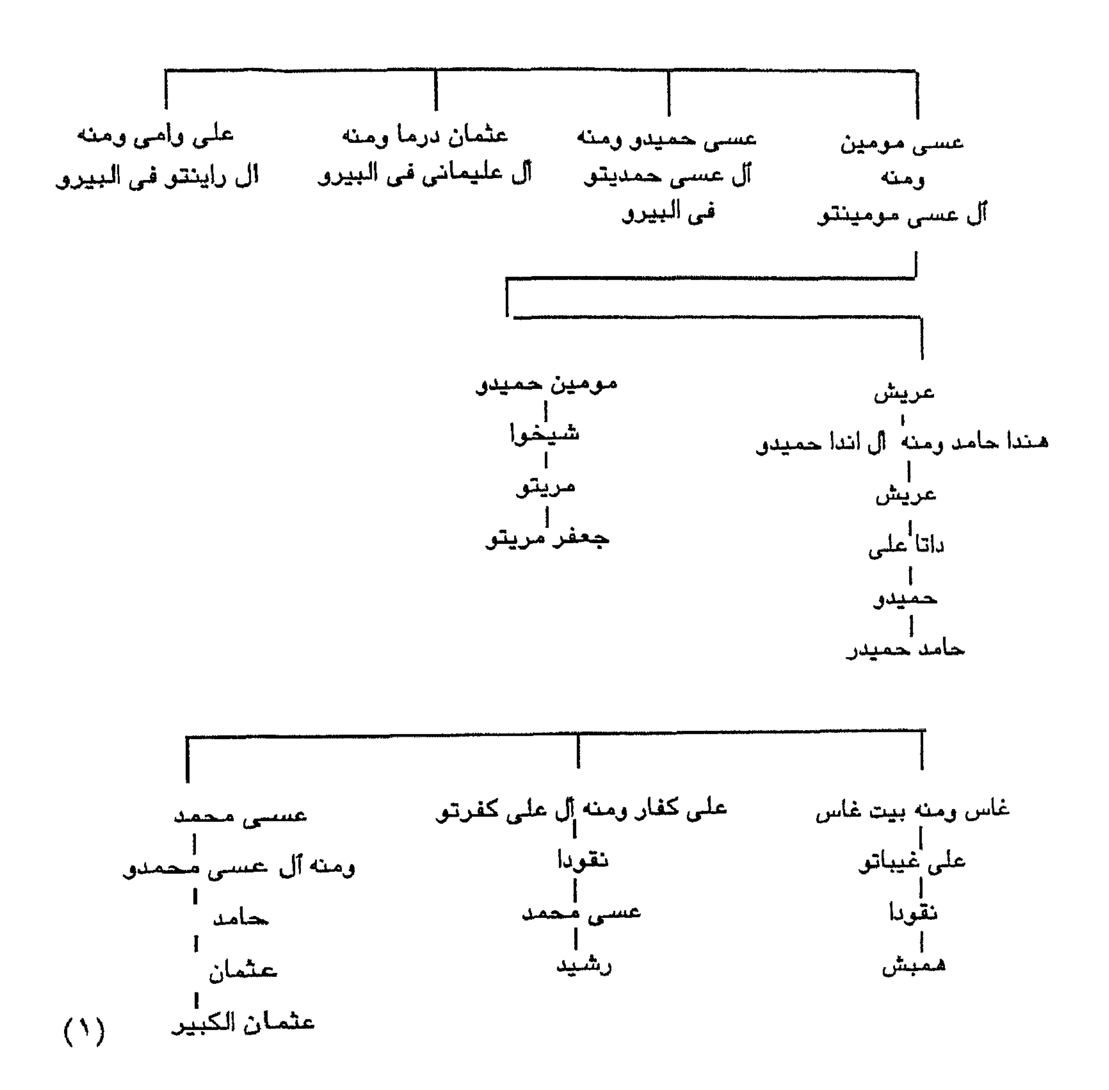
رسم بيانى بنسب الداموهيتا

(الداموهيتا ، نسبة لدماهو ، الواقعة قرب تاجورا ، حيث يقال إن المهاجر العربى اليمانى وطج (اليابسة)



---

(١) انظر الرسم البيانى بنيسب الداموهيتا •



(١) الكافا ليبره دانته أودوريتسى : مرجع سابق ، ص ٢٣١-٢٣٢.

٢ – داهيميلا : وهم يتواجدون فى الجزء الغربى من بحيرات عصب المالحة وفى منطقة بدا ، ويشكلون مجموعة قوية مترابطة وينتمون إلى شعوب عدو مارا المستقلة، وتعود أصولهم التاريخية إلى الجزيرة العربية· وتقول الرواية أن أصل الداهيميلا يعود إلى شخص يدعى داهيلوم ، ومنه اشتق اسم القبيلة داهيميلا بمعنى جمعة داهيلوم وهم من عرب اليمن العدنانيين، وقد انتقلوا من اليمن إلى مابيلا فى الأراضى التى يتواجد بها اليوم أبناء عمومتهم بدويتاميلا فى جيبوتى · ويقال إن ذريته انتقلت فيما بعد من مابيل إلى أرعته (١) ·

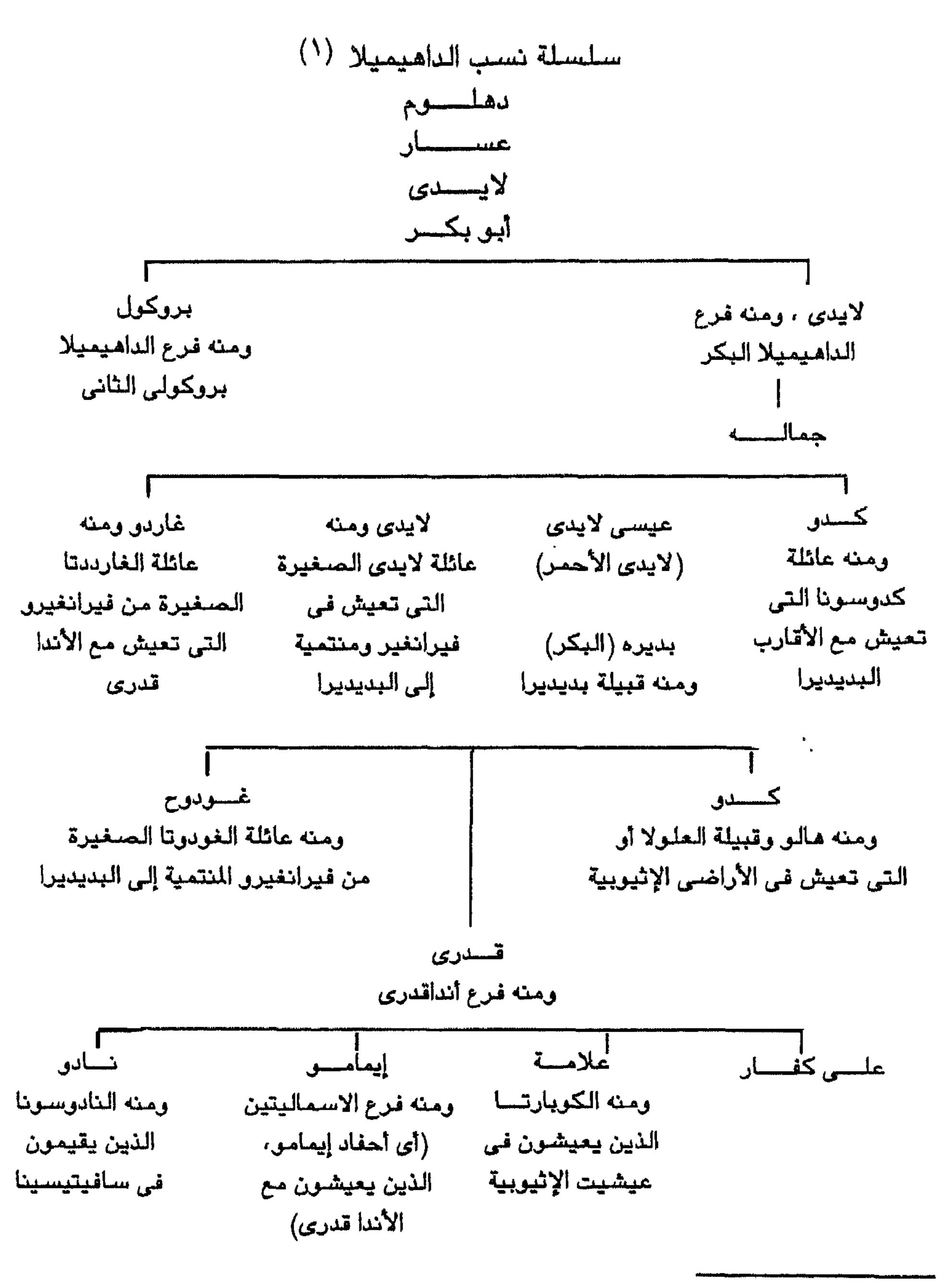
ويمارس أبناء الداهيميلا نشاط الرعى واستخراج الملح من ملاحة عساعيلا، ويملك القليلون منهم الأبقار، بينما تكثر الإبل والماعز فى مراعيهم القليلة العشب· وتكثر قبيلة داهيميلا من الارتحال وسط مناطقهم، ولكنهم لا يبرحونها أبدا· وهم– شأن سائر العفريين – لايملكون الإبل إلا من أجل حليب النوق· أما الجمال التى يستعملونها للتناسل فيأكلون لحمها ويبيعونها ولا يستغلونها أبدا للنقل (٢) · ومن أشهر زعمائهم دجيات حمودة الذى كان ناظرا لعموم داهيميلا وهو من فرع لعقد (عند خضرى) ومن رجالاتهم البارزين فى العهد الحديث السيد ياسين حموده المنحدر من فرع بدى ويرا (٣) ·

---

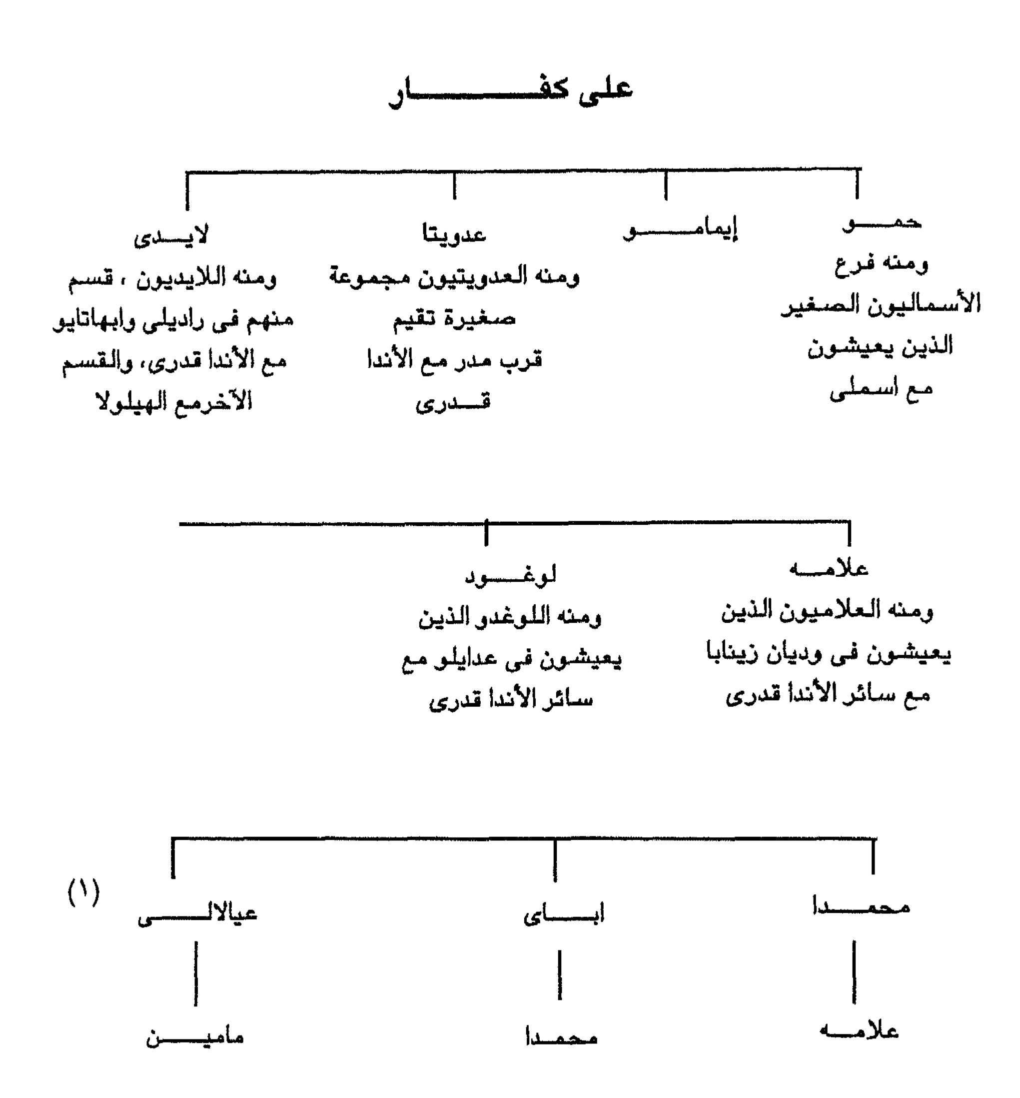
(١) محمد عثمان أبو بكر : مرجع سابق ، ص ٣٥٩ – ٣٦٠ ·

(٢) الكافا لييره دانته أودوريتسى : مرجع سابق ، ص ٢٣٩ ·

(٣) انظر جدول بيانى فى الصفحة التالية عن سلسلة نسب الداهيميلا ·



(١) الداهيميلا : يعيد التقليد أصل الداهيميلا إلى شخص يدعى داهيلوم «ومن هنا جاءت داهيلوم ميلا، وداهيميلا ، أى جماعة داهيلوم»وهم من عرب اليمن أى من العدنانيين· وقد انتقل، حسب التقاليد الدانكالية من اليمن إلى مابيلا، إلى الأرض التى يتواجد فيها اليوم البادويتاميلا· ويقال إن ذريته ، فيما بعد انتقلت من مابيلا إلى عراطة·



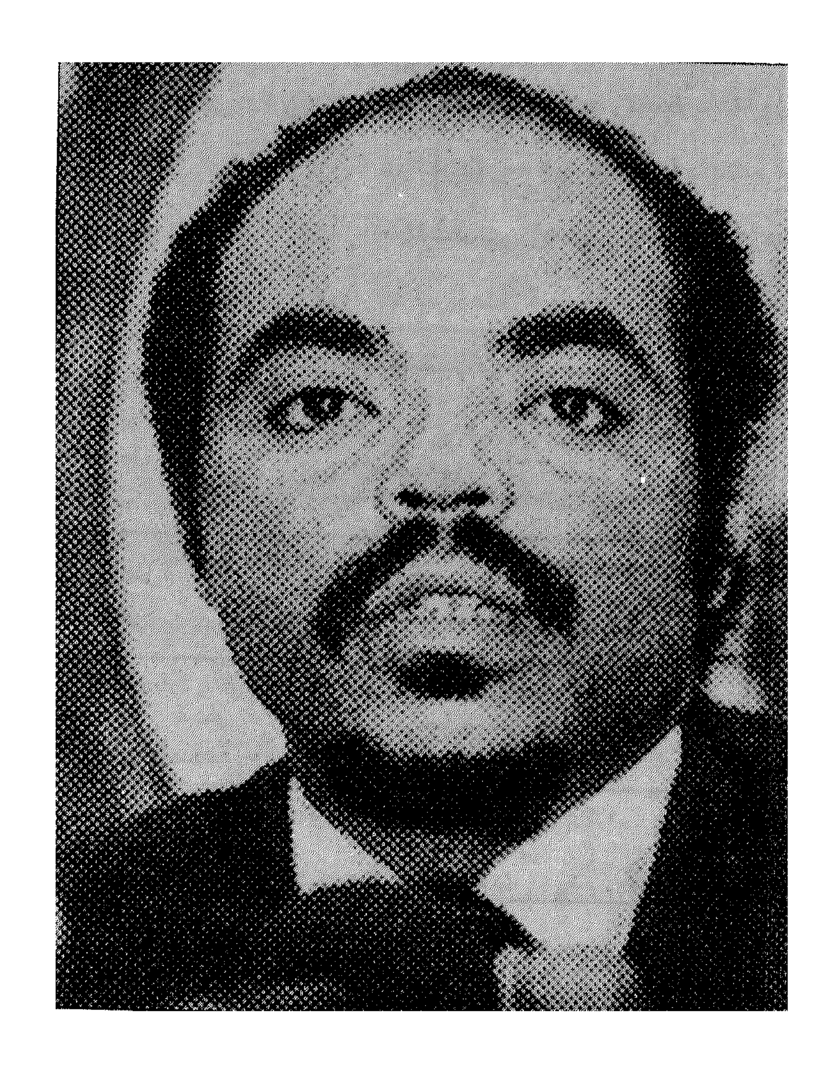
(١) نفس المرجع السابق ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

٣ – الأنكــــالا : قـبـيلة الأنكالا هى قـبـيلة عربية الأصل تنحدر من سلالة حفيد جعفر الطيار، وهى من أقدم القبائل العربية التى استوطنت دنكاليا· وكانت تتوزع سلالتها بين عصب وبيلول ودسيت وتقيم بعض فروعها عند سفوح جبال بورى على شاطئ البحر الأحمر حيث يمارس رجالها أعمال الصيد البحرى وبقية النشاطات البحرية · وجزء من القبيلة يقطن جزيرة دهلك · وتتميز قبيلة أنكالا بمصاهرتها لقبائل التيجرى فى إقليم سمهر · وقد حفظوا من زمن بعيد استقلالهم الذاتى ولم يخضعوا لنفوذ قبيلة أخرى · وتعتبر مكعنيلى فى خليج إرافلى من مقراتهم الرئيسية بالإضافة إلى مدينة عصب (١)· ومن أشهر رجالاتهم السيد محمد عمر أكيتو الذى عرف بمواقفه الوطنية فى البرلمان الإريترى ضد المخططات الإثيوبية الهادف إلى ضم إريتريا إلى إثيوبيا · وكذلك الشيخ سراج محمد كامل الذى كان من زعماء الحركة الوطنية الإريترية المنادين باستقلال إريتريا كما كان حاكما لجزر دهلك· ومنهم أيضا محمد هلال الذى كان ناظرا لقبيلة أنكالا فى مكعنيلى بشبه جزيرة بورى (١) ·

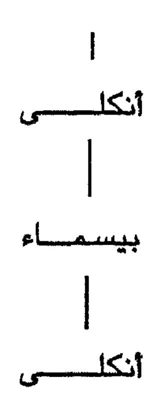
---

(١) محمد عثمان أبو بكر : مرجع سابق . ص ٣٦٠ ·

(٢) انظر : الجدول البيانى عن سلالات أنكالا ·



رئيس أثيوبيا (ملس زيناوى)



غـــــدار

عصا محمد مصطفى	إيمـــاس	أندا ساحـــم
سيدى كامل مصطفى	أندا غدار	سيدى حومد
غـدار محمد	ساحـــم	بيـــلاوى
غـــدار	مصطفـــى	بيـــلال
محمد	شيخ جابـــر	سيحـــم
محمد	سيحـــم	بيـــلال (١)

(١) الكافا لبيرة دانته أودوريتسى : مرجع سابق ، ص ٢٦١ ·

٤ - **بلعسوه :**

وتقيم بلعسوة فى الأراضى الواقعة بين حوض سيل حارينا عند السفح الغربى لشبه جزيرة بورى . وقبيلة بلعسوة تنحدر من أصل عربى ولذلك تدخل فى إطار عدومارا . وعن قدوم هذه القبيلة تشير الرواية الشائعة بين العفر عن انتمائها العربى ، حيث إن أبناء هذه القبيلة قد جاءوا من اليمن إلى جنوب دنكاليا ثم انتقلوا إلى شمالها .أما اسمهم الذى يعنى مجموعة سوة المتمردة فيرجع إلى كون القبيلة المهاجرة قد توقفت فترة فى سهل « سوة » جنوب غربى عد قبل أن تستقر حيث تتواجد الآن. ولم يعد اليوم فى قرية سوة تلك سوى مجموعة من حضارم عسا حجى وبعض من دامهويتا المستغلين. وتنقسم قبيلة بلعسوة إلى قسمين وهما دتاودو وعساودو . ويشكل دتاودو الفرع البكر والفريق الأكثر عددا حيث يتوزع على فرعين هما : بلالتو والعداميسو. ويقال إن الزعيم المؤسس لبلعسوة هو شخص يدعى عيرانو جاء من اليمن إلى دنكاليا الجنوبية ومنها إلى بورى برفقة الشيخ أدم الذى تتفرع منه قبيلة الدونة وإيرونابا. أما عساودو ويطلق عليهم اسم حاليتا فيتواجدن فى سموتى على ضفاف نهر راغلى حيث يعيشون مع قبائل حزو (١) .

ومن أشهر زعمائهم شوم بلال عبدالله الذى قاوم الإيطاليين ، وقد تمكنوا من أسره بعد عدة معارك ألحق فيها بهم أضرارا كبيرة ، وقد

---

(١) محمد عثمان أبو بكر : مرجع سابق ، ص ٣٦١، ٣٦٢.

١ - عمر باسا البكر والملقب بـ (دتا حجى) أى الحاج الأسود ·

٢ - عمر باسا الثانى ويلقب بـ (عسا حجى) أى الحاج الأحمر ·

٣ - دتا على باسا وهو الإبن الثالث ويعنى على الأسود ·

ويسكن فرعى دتا حجى وعسا حجى فى المنطقة الواقعة بين هضبة بيرو ومبرا ومناطق سدو حاعيلا وأفمبو وغيرها· أما أبناء دتا على فقد ارتحلوا إلى دقعى بإقليم تيجراى وجميعهم يمارسون حياة الرعى ومن أشهر زعمائهم السابقين الشيخ على ناخوده (١) ·

٧ - دونـــــا :

قبيلة عربية الأصل قدم جدها الكبير من الحديدة باليمن وكان اسمه الشيخ أدم، ولها فرعان، وهما فرع الشيخ حازم وفرع الشيخ إسماعيل ، توزعا بين مصوع وإمبيرمى فى دوسيت وعايلت ، وخضعا للعائلات التى كانت تسيطر محليا فى هذه النواحى وهم بلو وعد شيخ والدناكل· أما الفرع الوسيط المعروف بفرع إبراهيم دوتا فقد تعايش طويلا مع بلعسوة· وارتحل معهم عندما انتقلوا من سوة إلى أرعته، ولدى وصول بلعسوة إلى بورى كان الدونا قد أصبحوا مجموعة كبيرة العدد فاستقروا بمنطقة ويمو الجبلية ومارسوا حياة الرعى وأصبحوا مساويين لبلعسوة وبيلالتو فى العدد · ومع ارتفاع عددهم تمكنت قبيلة دونا من

(١) الكافاليبره دانته أودوريتسى : مرجع سابق ، ص ٢٤٧ ·

وضعوه فى سجن نخرة بجزيرة دهلك وتم اغتياله هناك غدرا ، وقيل مات مسموما ، وأصبح شوم داود على أول زعيم لفرع عداميسو ٠

٥ - **حاليتا** : وهى من قبيلة بلعسوة فرع عسادو وهى تقيم بمنطقة سموتى وتنتقل بين سهلى بدا وسموتى، وقد انفصلت نهائيا عن الفرع البكر لبلعسوة وشكلت قبيلة حاليتا بزعامة الشيخ محمد راغى، حيث تمارس هذه القبيلة رعى الأبقار والأبل كسائر قبائل بلعسوة ٠

وتكونت هذه القبيلة من فرع عسا حميدو - بلوسوة (١) ،وهى تقيم متنقلة بين سهلى بدا ، وساموتى، وقد عجزت عن المحافظة على روابطها وتبعيتها للفرع البكر لتناقض المصالح واختلاف أماكن التواجد ٠ وعند موت الشيوم بلال حميدو ، زعيم بلو سوة بلال، تشكلت قبيلة الحاليتا بزعامة الشيخ محمد راغى زمن من إيطاليا، وتمارس هذه القبيلة رعى البقر والإبل وذلك شأن جميع البلعسوا ٠

٦ - **قبيلة الحضارم (حضرمو)** :

وينحدر الحضارم كما يوحى اسمهم من منطقة حضرموت باليمن ويعتقد أنهم ينتمون إلى آخر القبائل العربية التى استقرت فى منطقة عفر ٠ وتقول الروايات المحلية أن الزعيم المؤسس لسلالة الحضارم شخص يدعى باسم حامد، استقر مع السكان الأصليين وأنجب ثلاثة أبناء هم :

---

(١) الكافلييره دانته أودوريتسى : مرجع سابق ، ص ٢٥٥ ٠

تحقيق استقلالها عن بلعسوة في عام ١٩٠٧م ، وأصبح لهم زعامتهم الخاصة (١) · ومن أبرز زعمائهم الشيخ عبدالله أحمد الذى تولى زعامة القبيلة لأول مرة· ومن شخصياتهم الوطنية فى العصر الحديث الشيخ حسن محمد أحمد الذى كان عضوا بارزا فى الرابطة الإسلامية كما كان عضوا فى الأمانة العامة لقوات التحرير الشعبية· وتتواجد أفراد هذه القبيلة بكثرة فى جزيرة دسيت (٢) ·

٨ – **الهواكل :**

وهم ينتمون إلى عدو مرا ،وهم من مجموعات مختلفة من القبائل الدنكلية حيث استقروا فى جزيرة هواكل واكتسبوا اسمها– وهى تقع فى جنوب شرقى شبه جزيرة بورى– وهم مجموعات من الصيادين كانوا تابعين لسلطة قبيلة داموهيتا وحصلوا على حكمهم الذاتى فى عهد الحكم الإيطالى ·

* **الجديعتو :**

يتواجدون فى (بعادا) (Baada) الواقعة فى أقصى الجنوب الغربى لسهل الدناكل، ويوجد عدد قليل منهم داخل الأراضى الإثيوبية فى جبولتا (Gubolita) ·

---

(١) محمد عثمان أبوبكر : مرجع سابق ، ص ٣٦٣ ·

٩ - قبيلة البيدال :

يرجع أصل هذه القبيلة إلى أصول عربية، حيث ينحدرون من سلالة الزبير بن العوام وينتمون إلى ذرية (فقيه محمد) وهو جدهم الكبير ، حيث استقر - فى بداية قدومه من اليمن - فى دنكاليا وتزوج من بنت أحد زعماء الدناكل وأنجب منها ابنه الأكبر وسماه عليًا ، وأنجب ابنه على إبراهيم، ومن إبراهيم تفرعت قبيلة البيدال أو البديل ٠ وتقول الرواية : عندما قرر فقيه محمد ترك المنطقة والرحيل لمنطقة أخرى لمواصلة رسالته الدينية تجمع حوله كبار أهل المنطقة قائلين له لن تتركنا أيها الشيخ الجليل ٠ قال لهم: تركت لكم ابنى بديلا عنى ٠ ومن هنا أطلق الدناكل اسم بيدل على هذه القبيلة٠ وتحظى قبيلة بيدال باحترام وتقدير من جانب سائر القبائل الدنكلية، أما من الناحية الاجتماعية والسياسية فينطبق عليهم ما ينطبق على قبائل الدناكل فى المنطقة وكان لهم زعامتهم المستقلة ٠ وبجانب إريتريا تنتشر هذه القبيلة فى جميع المناطق التى يتواجد فيها العفر سواء فى إقليم تيجراى أو سلطنة أوسا ٠ ومن أشهر زعمائهم الشيخ حسين وى عيسى الذى كان ناظرا للقبيلة [١]٠

١٠- قبيلة صومالى الدنكلية (عدو صالح) :

هى مجموعة من أصل صومالى تعيش فى جزيرة باكا فى خليج هواكل ٠ وقد بقى الصوماليون زمنا طويلا منذ وصولهم إلى موطنهم

---

(١) محمد عثمان أبو بكر : مرجع سابق ، ص ٣٦٤ ٠

الحالى محافظين على روابطهم مع زعامة الفرع الأصلى فى موطنهم الأول من مجرتين بالصومال، ولكن هذه الروابط وهنت بعد أن انصهروا وتزاوجوا مع أبناء الدناكل ، مما أدى إلى اندماجهم فى أمة الدناكل التى أصبح لهم فيها مرتبة الفرع القبلى المتمتع بالحكم الذاتى وكانت لهم زعاماتهم ومشيختهم المستقلة كبقية القبائل الدنكلية. ومن زعمائهم الشيخ أحمد صالح الذى كان زعيما للقبيلة إبان الحكم الإيطالى .

١١ - الشيخة :

قبائل بيت شيخه وأفرادها من الصالحين، حيث ينتسبون إلى قريش، وهم موضع إجلال من قبل قبائل عفر التى تقدم لهم هبات فى المواسم . وهم مجاميع متفرقة، وكثير منهم يعود أصلهم إلى سلالات عربية. وقد كانوا من الدعاة والقائمين بنشر الدين الإسلامى فى المنطقة ، لهذا تطلق هذه القبيلة على نفسها اسم قبيلة الشيوخ ، لكنهم غير مؤثرين سياسيا حيث يعيشون مبعثرين بين سائر فروع الدناكل، وقد ارتبطت بعض فروعهم بدويتى بورى. وهناك قبائل عديدة كانت تشكل فى الماضى جزءا من التجمعات الكبيرة لكنها أصبحت الآن تشكل تجمعات مستقلة، ونذكر منها قبيلة قديمتو وقننتو وأوليتو ومسقدع واسحكر ونفرتو وإيرونابا وكثيرون غيرهم (١).

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٣٦٥.

* **قبيلـــة معدنيتــا** : وهى قبيلة عربية من قريش تنتمى إلى فقيه محمد ابن آدم، وهم من آل الزبير، ويتقاسمون المشيخة مع قبيلة البيدال، باعتبارهم أبناء العمومة، وتربطهم صلة الدم والنسب والقرابة مع عموم آل الزبير من ذرية فقيه محمد فى إريتريا · ويتوجدون فى شمال أوسا وجنوب إريتريا وفى زم خمسةوفى سلطنة بيرو أو جروفو وفى بورى ·وأينما تتواجد قبيلة الداموهيتا تتواجد قبيلة معدنيتا وخاصة فى أوساط قبائل حريشوا الموجودة فى تيجراى · وهم يتزاوجون من قبائل الداموهيتا، كما أنهم مشايخ لهم، ويحظون بالاحترام والتقدير من جميع قبائل العفر فى هذه المناطق · ومن مشاهيرهم السيد فتوراري بيو حمدو الذى كان الوزير الأول فى سلطنة أوسا، والشيخ حسين وى عسى الذى كان شيخ مشايخ معنديتا فى منطقة دودوم. ومشهود لهم بالتقدير والاحترام فى أوساط العفريين ، وقد تصاهروا مع قبائل الداموهيتا ·

* **قبيلـــة أبونــا** : اسم هذه القبيلة مأخوذ من كلمة أبونا ، وجدهم الأكبر قدم من مرتفعات تيجراى ، وقد انصهروا مع الدناكل فى المنخفضات العفرية فى إريتريا · وهذه القبيلة تتكون من عدة قبائل مختلفة وتجمعات أسر متنوعة، وفى فترة حق تقرير المصير دخلت قبائل عدة من القبائل العربية العفرية التى تنتمى إلى الأشراف واندمجت معها ·

قبائل الأشراف في دنكاليـا

١ - **بيت سيد مكنون** : وهم من أشراف القبائل العربية، قدموا عبر اليمن من إريتريا إلى الساحل الدنكلى منذ مئات السنين ، وتصاهروا مع القبائل العفرية وخاصة الداموهيتا ، وهم يحظون بالتقدير والاحترام مثل قبائل الشيخة التى تنتمى إلى قريش فى مكة ٠ ولهم تأثيرهم الحضارى فى المنطقة ٠ ومن أشهر زعمائهم الشيخ سيد مكنون المشهود له بالورع والتقوى فى المنطقة ٠

٢ - **بيت سيد إبراهيم خليل** : وهم من القبائل العربية، وينتمون إلى قبيلة عرقبة المنتشرة فى إثيوبيا ، وقد نزحوا إلى إريتريا من ولو من جبل موقا وضواحى حنبو ٠ وتقول الروايات المحلية أن جدهم الأكبر الشيخ عرقبة جاء من سوريا وينتمى إلى أشراف الشام بسوريا (سنبو عرب قبه) أى الرجل العربى الذى جاء من سوريا ٠ ويحظون بالتقدير والاحترام فى أوساط القبائل العفرية ومشهود لهم بالورع والتقوى والثقافة الإسلامية وأصول الدين وقد تصاهروا مع قبائل الداموهيتا ٠

٣ - **بيت سيدى علوى عبدالرحمن** : وهم من قبائل الأشراف العربية، وجدهم الأكبر جاء من سوريا، وقد انصهروا مع قبائل عفر فى دنكاليا وتصاهروا معهم وخاصة قبيلة الداموهيتا، وكان لهم كل التقدير والاحترام، وذلك كقبائل الأشراف فى وسط العفريين ٠ وفى الآونة الأخيرة اندمجوا مع قبيلة أبونا وأصبحت لهم الزعامة الروحية المطلقة فى دانكاليا ٠

ومن أبرز زعمائهم الشيخ عثمان علوى جد الأسرة العلوية ٠ وكذلك الشيخ محمد العلوى، وابنه الشيخ ياسين محمد العلوى الذى اشتهر بالورع والتقوى والتفقه فى أصول الدين الإسلامى ، وكثير من التلاميذ الذين اكتسبوا العلم والمعرفة فى أصول الدين من تلاميذه٠ وقد ظل معتكفا مدة أربعين عاما فى بيته فى ضواحى مصوع فى عداقة ٠

ومن زعمائهم الوطنيين المشهورين الذين لعبوا دورا كبيرا إبان الحركة الوطنية وحق تقرير المصير السيد/ عبدالله عبدالرحمن الذى كان عضوا فى البرلمان الإريترى فى دورته الأولى من عام ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦م ، وقد عرف بمواقفه الوطنية وبوعيه السياسى المبكر ، وكان يعد من الشباب الأحرار الذين يمثلون كتلة وطنية معارضة لسياسة إثيوبيا التوسعية داخل البرلمان٠ ولقد ظل فى معارضة النظام الإثيوبى، وانضم للعمل الوطنى فى الخارج من خلال عضويته فى تنظيم قوات التحرير الشعبية والتنظيم الموحد ٠ وعاد إلى إريتريا مؤخرا بعد التحرير للمشاركة فى الاستفتاء العام وإعلان استقلال إريتريا فى مايو عام ١٩٩٣م ثم وافته المنية فى أوائل عام ١٩٩٥م فى جدة ٠

الوضع العفري فى إريتريا بعد الاستقلال

====

يشكل العفريون جزءا من سكان إريتريا البالغ عددهم ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة، وتربطهم بإريتريا وحدة الأرض والانتماء والمصير المشترك مع الشعب الإريترى كافة ٠ ولم يحدث فى تاريخ العفر منذ العصور القديمة والحديثة أن تم تحديد موضع خاص للعفر منفصل عن بقية الأراضى الإريترية التى كانت ترزح تحت الحكم التركى والمصرى وتحت الاستعمار البريطانى والإيطالى باستثناء فترة الاحتلال الإثيوبى التى ظهرت فيها بعض مجموعات عفرية قليلة فى إثيوبيا ٠ وبتحريض من السلطات الإثيوبية ولعوامل نفسية ولمطامع ذاتية ضيقة فى الوصول إلى السلطة ظهرت هذه المجموعات التى تطالب من وقت لآخر بدمج عفر إريتريا مع عفر إثيوبيا وجيبوتى لخلق كيان عفرى موحدفى إطار إثيوبيا الكبرى، لكن هذه الأصوات لم يكتب لها النجاح لأنها لا تمثل إلا عددا ضئيلا من أبناء عفر فى إريتريا ٠ والشعب العفرى فى دنكاليا بجميع قبائله وفئاته لعب دورا تاريخيا مشهودا فى إفشال هذا المخطط وعلى رأسهم الزعيم الوطنى موسى قعص –وجميع قبائل عفر من ورائه – حيث تصدى لهذا المخطط الإجرامى الذى كان يستهدف تقسيم إريتريا كما حدث سابقا إبان فترة حق تقرير المصير فى المديرية الغربية والذى أفشله الشعب الإريترى جميعا ، وكان هذا المشروع يهدف إلى اقتطاع الجزء الغربى من إريتريا وضمه إلى السودان حيث كانت تقف وراء هذا المشروع بريطانيا ، لكن إرادة الشعب الإريترى كانت أقوى من كل هذه المؤامرات التى كانت

تحاك ضده والتى كانت تهدف إلى تفتيت كيانه المميز ووحدته الوطنية القوية المتماسكة .

وهكذا نستطيع أن نقول : إن الشعب الإريترى بجميع طوائفه ، أبناء المرتفعات والمنخفضات ، وغربه ووسطه وجنوبه وشرقه ، وقف حجر عثرة أمام كل هذه المخططات التى كانت تهدف إلى تجزئته .

ومن المعروف أن الشعب العفرى له الدور الكبير والأساسى فى احتضان الثورة الإريترية منذ انفجارها عام ١٩٦١م فى جميع أراضيها مع بقية أبناء الشعب الإريترى الذى احتضن الثورة منذ بدايتها الأولى .

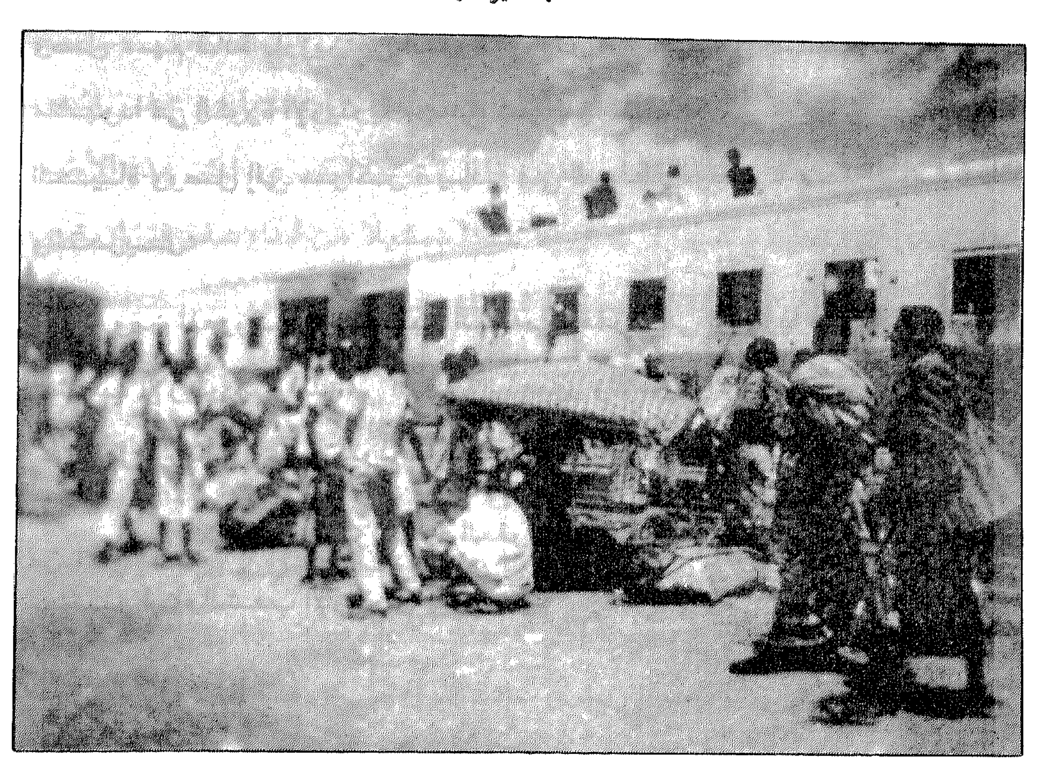
وهكذا انخرط فى صفوفها جميع أبناء عفر بمختلف قبائلهم ، وكان قد وصل منهم قادة بارزين فى الثورة الإريترية ، منهم من استشهد وأبلى بلاء مشهودا فى الثورة الإريترية بجميع فصائلها المختلفة ، ومنهم من ظل على قيد الحياة ووصل إلى مراكز قيادية فى السلطة الوطنية بعد الاستقلال والتحرير .

ومن المعروف أن مستقبل الشعب العفرى فى إريتريا مرتبط بمستقبل الشعب الإريترى ، وذلك فى البناء والتعمير والآمال والأمانى والوحدة الوطنية ، من أجل أن تسود فى إريتريا الرفاهية والحرية والديمقراطية والعدالة .

ومن هنا فإن مصير هؤلاء العفر – الذين يتواجدون فى إريتريا – مرتبط بمصير أبناء الشعب الإريترى بأسره .



مسجد دير داوا



محطة سكة دير داوا فى جيبوتى

العفـــر فـى إثيوبيـــا

من المعـروف تاريخـيـا أن إثيـوبيا بوضـعـهـا الحـالى ، أنشـأها الإمـبـراطور منيليك الثـانى ، من خلال سـياسـة الاسـتيـلاء والدمج التى انتهـجهـا، حيث قـام بضـم الأعراق والجماعات من الدول القريبة وخاصة الإمارات السبع الإسلامية ٠ وقـد كان الـعـفـر ضـمـن هؤلاء الذين واجهـوا هذا المصـيـر ٠ والـحـقيقة أنه لـيـست هـناك وثائق تصـف كيـفية اندماج العـفـر فى الإمبراطورية الإثيـوبية ، لكن بحكم السـياسـة التوسـعـية التى انتـهـجـهـا أباطرة إثيـوبيـا ضد هذه الشـعـوب كـمـا أكـد التـاريخ تمكن منيليك من إخـضـاع شـعـوب تلك المنطـقة بالقـوة والقهـر وخاصـة بلاد العـفـر ٠ وفى عـهـد حكم هـيـلى سـلاسى ومنجـسـتـو اسـتـمـر النظام فى سياسـته التوسـعـية التى ورثها عن أسلافه لإخـضـاع هـذه الشعوب مـسـتـخدمين فى ذلك سـيـاسـة فـرق تسـد ، مـعـتـمـدين على تـفريق العـفـر فى إدارات وأقـاليم مـختلفة حتى يصبح العفر أقلية فى كل من الوحدات الإدارية التى توزعوا فيها ٠

ولـقـد فطن العـفـر من جـانبـهـم إلى أن هـذا التـقـسـيم المـفروض عليـهـم يعـد مـحاولة اعتداء متعمدة من السلطة المركزية لتفتيت وحدتهم الثقافية والسياسية والاجـتـماعيـة، مما شـجـع على حدوث مـصادمات بين العـفـر والنظم الحاكـمـة فى إثوبيبا (١)٠

ويقـول « بوندسـتـام » : « إن سـلاطين العـفـر وخاصـة سـلاطين أوسـاء كـانوا

---

(١) عبدالله عمر آدم : مرجع سابق ، ص ٦٥ ٠

أكثر تكيفا مع الهيكل العدوانى الإثيوبى، حيث إن هذه السلطنةكانت مؤسسة من قبل على هيكل مماثل » (١)٠ على أى حال أخذ العفر جانب المقاومة فى سبيل وحدتهم وحقهم فى تقرير المصير ولو فى إطار الحكم الذاتى فى إثيوبيا وقد ترتبت على هذه السياسة مواجهات مسلحة بين المدنيين العفر والجيش الإثيوبى أدت إلى قتل وتشريد مئات المدنيين وإبادة أعداد كبيرة من الماشية ٠

وفى نفس الوقت ناضل العفر سياسيا وعسكريا لإجبار الحكومة المركزية لإثيوبيا على ضمان حق العفر فى الحرية والإرادة وتقرير المصير على الأقل فى وحدة مستقلة ضمن الإدارة المركزية فى إثيوبيا ٠

وكانت حجتهم فى ذلك أن « الاتحاد العفرى » يعنى تخصيص إقليم منفصل عن إثيوبيا مما يتيح توزيعا عادلا وأحسن للقوى والثروة فى مختلف المناطق من البلاد (٢)٠

الصــراع فى وادى أواشــى :

تشير الحالة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع العفرى إلى ارتباط الأطماع الإثيوبية باستغلال المصادر العفرية ، ويتضح هذا جليا من السياسة الإثيوبية تجاه الأرض فى وادى أواشى، حيث يصف هاربسون حالة العفر العامة بما يلى :

« إن اشتراك العفر فى الإمبراطورية الإثيوبية خلال القرنين ١٩ ، ٢٠ حط من مستوى معيشتهم بالمقارنة بالشعوب الأخرى الخاضعة لنظم الأباطرة،

---

(١) بوندستام : مرجع سابق ، ص ٦٥ ٠

(٢) ك ٠ ف ٠ شحيم : مرجع سابق ، ١٩٨٥ ، ص ٣٤٦ ٠

أكثر مما كانوا يعيشون فيه قبل تأسيس الإمبراطورية ٠٠ (١) . ويقول فلود: «إن الحكم الإثيوبى ، بأعماله الإجرامية من حرق وقتل وتعذيب فى وادى أواشى ، كان يهمه أن يبقى العفر ومجموعات عيسى خارج الوادى بأى ثمن ، لذا جهزتهم لمثل هذه الغاية » (٢) ٠

ولقد ادعت الحكومة المركزية فى أديس أبابا أن أية أرض لا يملكها الأفراد هى ملك للدولة ٠ وقد سهل هذا القرار الذى سانده تمويل الرأسماليين ، عملية مصادرة الأرض العفرية ٠ وفى هذا الصدد يقول س ٠ جورج : « إن العادات القبلية التى سادت لمئات السنين فى الملكية العامة لأراضى الرعى ، ذهبت أدراج الرياح بجرة قلم من وزير ؛ هـ ٠ ف ٠ أ H.V.A (منظمة هولندية لشئون الزراعة) حيث خول لهم احتلال آلاف الهكتارات ، مما اضطر العفر إلى البحث عن مناطق رعى جديدة، ولم يبق لهم شىء سوى الأرض البعيدة عن النهر والتى تسقيها مياه الأمطار » (٣) ٠

وقد عانى الرعاة العفريون من نقصان الأرض الزراعية نتيجة للتطور الزراعى فى المنطقة ٠ فقد أجبروا على ترك مواطنهم التقليدية (وسط وأسفل الوادى) حيث كانوا يستعملونها فى الزراعة لقرون طويلة من الزمن ٠ وقد كان الفيضان الذى يحدث دائما فى فصل المطر يساعد عادة على إنبات العشب الكافى لفترة وجيزة من فصل الجفاف ٠ وقد مثّل فقدان وادى النهر تهديدا حقيقيا لحياة العفر ٠ وبالتالى– بدلا من أن يعود عليهم التطوير بالنفع–

(١) هاريسون : مرجع سابق ، ١٩٧٧ ، ص ١ ٠

(٢) فلود : مرجع سابق . ١٩٧٦ ، ص ٧ ٠

(٣) س ٠ جورج : مرجع سابق ، ١٩٧٦ ، ص ٢٤٢ ٠

أصبحوا ضحايا لما يسمى بالتطوير ولأنشطة سلطات وادى أواشى ، ولم يمنحوا أى بديل يساعدهم على المعيشة · وقد تم طرد البدو من مناطقهم على التوالى بصورة جبرية · كما تم إحراق المخيمات العفرية فى منطقة أمية – بارا ، وتم هدم المنازل بالبلدوزرات لتطهير المنطقة وإعدادها للقرى الزراعية (١) ·

نظام الحكم العسكري الإثيوبي ووادي آواشي :

وفيما بين عامى ١٩٧٤ – ١٩٩١ فإن النظام الاشتراكى لم يجلب أى تحسن فى الصراع الذى نكب به وادى أواشى · وكانت سياسة إصلاح الأراضى التى أعلنت عام ١٩٧٥ والتى تنص على أن : « الأرض للزراع » لم تترك مساحة كبيرة لشعب العفر الذى لم يكن يمارس الزراعة ·ونتيجة لذلك فقد تحولت ملكية الأرض من الرأسماليين إلى الدولة (٢) ·

على كل حال أدت هذه الأعمال إلى المواجهة المسلحة بين شعب عفر والمليشيات المسلحة الإثيوبية وإلى زيادة التوتر بين الجانبين ، مما ساعد على لجوء العديد من شعب عفر إلى المناطق الأخرى تاركين أراضيهم ·

وعند ما تولى النظام العسكرى السلطة عام ١٩٧٤ فإن هذا النظام قام بسياسة «إحراق الأرض» ، كما قام بأبشع المذابح فى تاريخ شعب عفر ، حيث هجر سلطان أوسا البلاد عام ١٩٧٦ · وقد أدت هذه المشاكل من حروب وأمراض وجفاف إلى هجرة الكثيرين إلى جيبوتى بوصفهم لاجئين · ووفقا لتقرير كريست (٣) فقد وصل إلى جيبوتى حوالى ٤٠،٠٠٠ لاجئا منذ عام ١٩٧٧ ، وقد

(١) عبدالله عمر آدم : مرجع سابق ، ص ٨٦ ·

(٢) إن تحول ملكية الأرض من الإقطاعيين والرأسماليين إلى الدولة لم يعن حقيقة أى شىء بالنسبة لشعب عفر ·

(٣) كريست: تقرير عن اللاجئين فى جيبوتى ·

استضافهم أقاربهم اللاجئون الإريتريون والإثيوبيون فى جيبوتى· وقد أدى نزوح لاجئى شعب عفر الإثيوبيين وعيسى الصوماليين إلى مشاكل محلية وإقليمية بالنسبة إلى جيبوتى ·

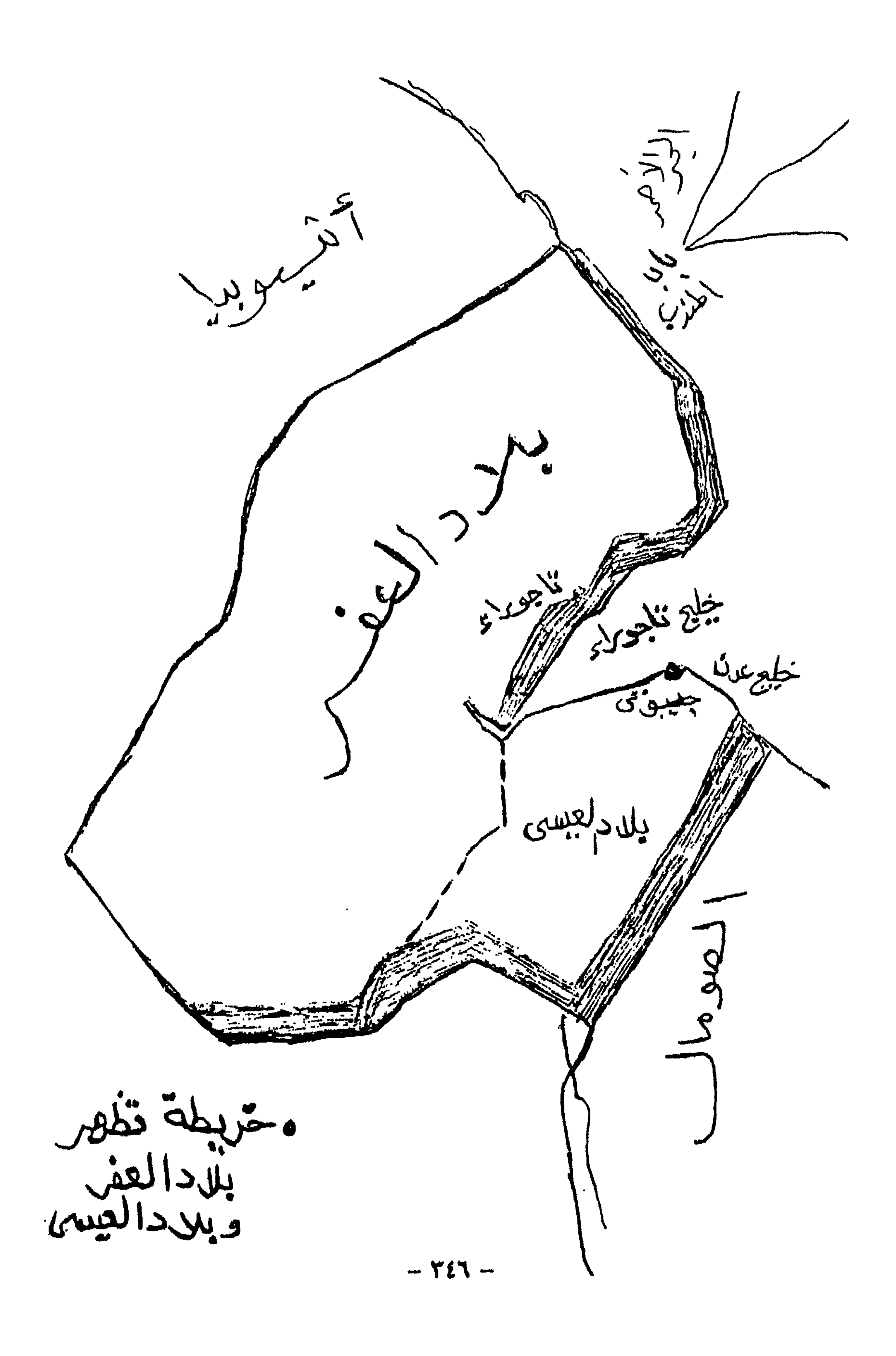
تكوين جبهة تحرير عفر :

ومنذ هذه اللحظة بدأ شباب عفر فى التجمع من جميع الأنحاء ،وتم إرسالهم فى صيف عام ١٩٧٤ إلى الصومال لأخذ تدريبات عسكرية مكثفة · وبعد الانتهاء من التدريب عادوا إلى أرض عفر وانضموا إلى قوات المقاومة الوطنية العفرية التى أسسها السلطان على مرح فى الداخل · وبهذا بدأت جبهة تحرير عفر فى عام ١٩٧٥ كفاحها المسلح للحصول على حق تقرير المصير لشعب عفر · وقد كان السلطان على مرح أثناء معارضته للحكومة المركزية يقول : إن شعب العفر لا يقاتل من أجل حق جديد ولكن لاستعادة حق فقده · ولذلك فإن شعب عفر ليس انفصاليا ولكنهم يحاربون من أجل تحرير منطقتهم من قوة مغتصبة ألا وهى إثيوبيا » (١) وقد قامت المقاومة بقطع طريق عصب – أديس أبابا وسببت إزعاجا لكل نشاطات النظام على ذلك الطريق ·

وفى أول عملية لجبهة تحرير عفر تم قطع جسر دوبى الاستراتيجى (على الطريق الرئيسى إلى عصب) واستمر إطلاق النار لمدة ثلاث ساعات · وفى هذا الصدد يقول السلطان على مرح فى مقابلة أجراها مع جريدة الاتحاد فى أثناء زيارته لأبو ظبى بدولة الإمارات العربية المتحدة فى عام ١٩٧٩ حيث

---

(١) من أقوال السلطان على مرح : سلطان سلطنة أوسا الذى أعلن الجهاد المقدس فى سبيل استقلال بلاده ·



• خريطة تظهر
بلاد العفر
وبلاد العيسى

أدلى بهذا التصريح قائلا : « إن خطتهم هى مواصلة حرب التحرير ضد الاحتلال الإثيوبى حتى يتحرر آخر منبر من أراضيهم ويعترف العدو بحقوق الشعب العفرى وحقه فى تقرير المصير» (١) .

واليكم نص حديث السلطان على مرح لجريدة الاتحاد:



السلطان على مرح
زعيم جبهة التحرير العفرية

يزور البلاد حاليا السلطان على مرح حنفرى، زعيم جبهة التحرير العفرية لإطلاع كبار المسئولين والجهات المعنية فى الدولة، على آخر تطورات قضية السلطنة العفرية بصفة خاصة ، والوضع فى القرن الإفريقى بصورة عامة، وذلك فى إطار جولة للسلطان على مرح فى دول المنطقة بدأت بالصومال ، فالسعودية، للتمهيد لإعداد خطة استراتيجية للمرحلة القادمة ، فى المجالات السياسية والعسكرية والإعلامية ، لتحرير سلطنة عفار المعروفة بالاصطلاح الجغرافى «بالمثلث العفرى» من

---

(١) عبدالمنعم عثمان : جريدة الاتحاد أبو ظبى ، عام ١٩٧٩ .

احتلال حكومة الحبشة ومواجهة حرب الإبادة التى تشنها الحكومة العسكرية فى أديس أبابا ضد شعب عفار المسلم ·

وقد أدلى سلطان عفار بحديث « للاتحاد » عن أهداف وتاريخ العفرية، وقصة الاحتلال الإثيوبى لأراضيها، والدعم والعون الذى يتلقونه من الدول العربية والإسلامية·

وأكد سلطان عفار أن خطتهم هى مواصلة حرب التحرير ضد الاحتلال الإثيوبى حتى يتحرر آخر شبر من أراضيهم المغتصبة · ويعترف العدو بحقوق الشعب العفرى وحقه فى تقرير مصيره· وقال : إنه فى سبيل ذلك وضح جليا أن عدونا لا يفهم إلا العنف الثورى والعمل العسكرى المسلح · ولا يعترف بأسلوب المفاوضات · ويدعمه فى ذلك ماديا وعسكريا الاتحاد السوفيتى ·

وقال : إن خطتنا للمرحلة القادمة تهدف كذلك إلى تعميق شرح قضية عفار لدى الدول العربية والإسلامية، وطرحها فى جميع المؤتمرات القادمة لكسب المزيد من الدعم المعنوى والعسكرى والمادى· وأوضح أن الشعب العفارى يبلغ تعداده ٣ مليون نسمة وهم مسلمون وعرب وأنهم يخوضون الآن حربا شرسة غير متكافئة ضد عدو يقف من ورائه الاتحاد السوفيتى · وأضاف أن دعم الثورة العفرية ، هو دعم للشعب المسلم داخل إثيوبيا ·

وأعلن سلطان عفار أن ثورتهم تعمل بالتنسيق والتعاون مع الثورة الإريترية حيث إن الثورتين تنطلقان من قاعدة واحدة ، ولهما عدو واحد مشترك ·

ودعا الدول العربية والإسلامية إلى تقديم المزيد من الدعم المادى

والعسكرى، ليفى بمتطلبات الكفاح الثورى المسلح الذى يخوضه الشعب فى عفار، وقال : إن هذا الدعم لا يفى بالمقارنة مع المساعدات الضخمة التى تتلقاها إثيوبيا من الاتحاد السوفيتى، لتحقيق الأطماع التوسعية لإثيوبيا للسيطرة على هذه المنطقة الاستراتيجية المهمة فى القارة الإفريقية ، والتى تطل على شبه الجزيرة العربية ٠

وعن بداية الثورة العفرية المسلحة ، يقول زعيم جبهة التحرير العفرية : منذ مطلع عام ١٩٧٥ أى بالتحديد فى ١٩٧٥/٦/٣ اجتاحت القوات الحبشية الغازية برا وجوا أراضى الشعب العفرى بما يشبه حرب الإبادة الجماعية ضد هذا الشعب الأعزل ، ولكن الشعب العفرى البطل بإمكانياته المحدودة واجه تلك الحملة الهمجية لاغتصاب حقوقه المشروعة بكل فداء واستبسال وتضحية وفجر ثورته المسلحة المباركة لتحرير كل شبر من أرضه معتمدا على إرادة أبنائه٠ ويمضى سلطان عفار إلى القول : إن لحكومة أديس أبابا أطماعا توسعية قديمة منذ عهد الإمبراطور هيلا سلاسى للسيطرة على الأراضى العفرية بتشجيع سكان المرتفعات من قبائل الأمهرة للاستيطان حول ضفاف نهر «أواشى» فى المنطقة العفرية ، والتى كان هيلا سلاسى يستعين لتخطيطها وتنفيذها بالخبراء الإسرائيليين المحترفين فى هذا المجال ، وكان أسلوب هيلا سلاسى يعتمد على انتهاج سياسة خبيثة ملؤها الدسائس والمؤامرات للوصول إلى أغراضه الدنيئة حتى لا يثير الرأى العام العالمى٠

ويضيف أنه بعد الإطاحة بهيلا سلاسى ، اعتمدت الحكومة العسكرية بعده نفس الخط الذى رسمه بمعاونة الإسرائيليين ، وانتهجت أسلوبا مغايرا فى طريقة تنفيذه، حيث كشفت عن نواياها وأطماعها باللجوء إلى استعمال

القوة العسكرية غير مبالية بكل القيم الإنسانية لإبادة الشعب العفرى الذى يأبى أن يتخلى عن شبر من أرضه وخيرات بلاده ٠

مقاومة أهداف العدو :

وقال إن أهداف عدونا تكمن وراء موقع السلطنة الاستراتيجى ، وأهميتها الاقتصادية وثرواتها الحيوانية ، وخصوبة أراضيها التى تقدر بمئات الألوف من الهيكتارات ، والتى تنتج جميع أنواع المحصولات الزراعية كالقطن والحبوب والفواكه والخضر ، وتروى هذه الأراضى بنهر هواش الشهير الذى يبدأ نزوحه من هضبة الحبشة ليمر عبر أكثر من ٦٠٠ كيلومترا من أراضى عفر حاملا الطمي والماء الوفير إلى السهول والمزارع المزدهرة ٠ وحول ما حققته الثورة العفرية منذ اندلاعها ضد قوات الاحتلال الإثيوبى ، يقول سلطان عفار أنها استطاعت أن تحرر معظم الريف العفرى بعد أن قدمت مقابل ذلك أرواح ودماء شبابها الذين ضربوا أروع الأمثال من التضحية والفداء٠ وأكد أن المعارك مستمرة مع قوات الاحتلال منذ مارس من عام ١٩٧٥ ، وقال إن أعباء الثورة قد زادت وذلك باتساع رقعة ميدان المعركة ، وأشار إلى حاجة الثورة الماسة للأسلحة اللازمة بصفة مستمرة، لمواجهة الأسلحة الحديثة التى تحصل عليها إثيوبيا ، وما يترتب على ذلك من تدفق آلاف اللاجئين إلى أراضى جمهورية جيبوتى ومناطق الحدود بعد أن دمرت قوات الاحتلال مدنهم وقراهم وقتلت الآلاف من المواشى وحرقت المحاصيل الزراعية ٠

وناشد زعيم جبهة التحرير العفارية الدول العربية والإسلامية وكذلك الدول الصديقة المحبة للسلام تقديم كل دعم ممكن فى جميع المجالات سواء

كان دعما سياسيا أو عسكريا أو ماديا أو إعلاميا . وقال إننا إذ نواجه هذا العدد الشرس الذى يتلقى الدعم السخى من دول المعسكر الشرقى ، نثق تمام الثقة بأن الضمائر الحية فى العالم العربى والإسلامى لن تتجاهل معاناة هذا الشعب وتضحياته وذلك إيمانا منها بوحدة الهدف والتطلع والمصير .

وجدير بالذكر أن منطقة العفر تحدها من جهة الشرق ، دولة جيبوتى، ومن جهة الغرب المناطق الإسلامية بأرض الحبشة ، وفى الجنوب منطقة هرر «الصومال الغربى » ويحدها من الشمال إريتريا وإقليم تقراى .

هذا وقد استمرت جبهة تحرير عفر فى كفاحها ضد نظام منجستو حتى سقوطه فى عام ١٩٩١ . وقد اشتركت الجبهة فى الميثاق القومى الذى وقع فى أول يوليو ١٩٩١ لتكوين الحكومة الانتقالية فى البلاد، وهذا الحديث يجرنا إلى الوضع العفرى بعد سقوط نظام منجستو هيلا ماريام فى عموم إثيوبيا .



اللاجئين العفريين فى جيبوتى

الوضع العفرى فى إثيوبيا

====

إن الوضع العفرى فى إثيوبيا بعد سقوط نظام منجستو هيلا مريام الدكتاتورى، ووصول الحزب الديمقراطى الثورى لشعوب إثيوبيا (E-P-R-D) إلى الحكم أدى إلى حدوث تحول إستراتيجى مهم فى منطقة القرن الإفريقى ٠ فلا شك فى أن هذه التغييرات الأخيرة التى حدثت فى منطقة القرن الإفريقى – وهى تحولات جذرية – قد أثرت تأثيرا مباشرا فى عفر إثيوبيا والذين كانوا يناضلون من أجل الحركات التحررية الثورية العفرية ٠ وقد انسجمت هذه الإيجابيات مع طموحات الشعب العفرى فى خلق كيان عفرى متميز يتمتع بالحكم الذاتى الفيدرالى فى إطار إثيوبيا ، كما انسجمت مع مبدأ المساواة والعدل ومبدأ حق تقرير المصير لشعوب إثيوبيا منذ وصولها إلى الحكم بل مع مبدأ حق تقرير المصير لكل القوميات ، وإقرار الحكم الذاتى المحلى لجميع القوميات الإثيوبية ٠ وتتمثل هذه الإيجابية فى تقرير الحكومة الإثيوبية إنشاء حكومة فيدرالية للعفر فى إثيوبيا ٠ فقد تحالفت جبهة التحرير العفرية بقيادة السلطان على مرح التى كانت تناضل ضد نظام هيلا سلاسى ونظام منجستو (١) مع حركات التحرر الإثيوبية بزعامة الجبهة الديمقراطية الثورية لشعب إثيوبيا،٠ واشتركت فى مؤتمر لندن الذى دعت إليه الولايات المتحدة الأمريكية للمصالحة بين القوى الإثيوبية المعارضة المختلفة وحكومة إثيوبيا برئاسة تسفاى الذى خلف منجستو هيلامريام فى مايو ١٩٩١م ٠ ثم تلى ذلك إعلان الولايات المتحدة الأمريكية على لسان مساعد وزير خارجيتها للشئون

---

(١) عوض داود محمد : مرجع سابق ، ص ٧٠ ٠

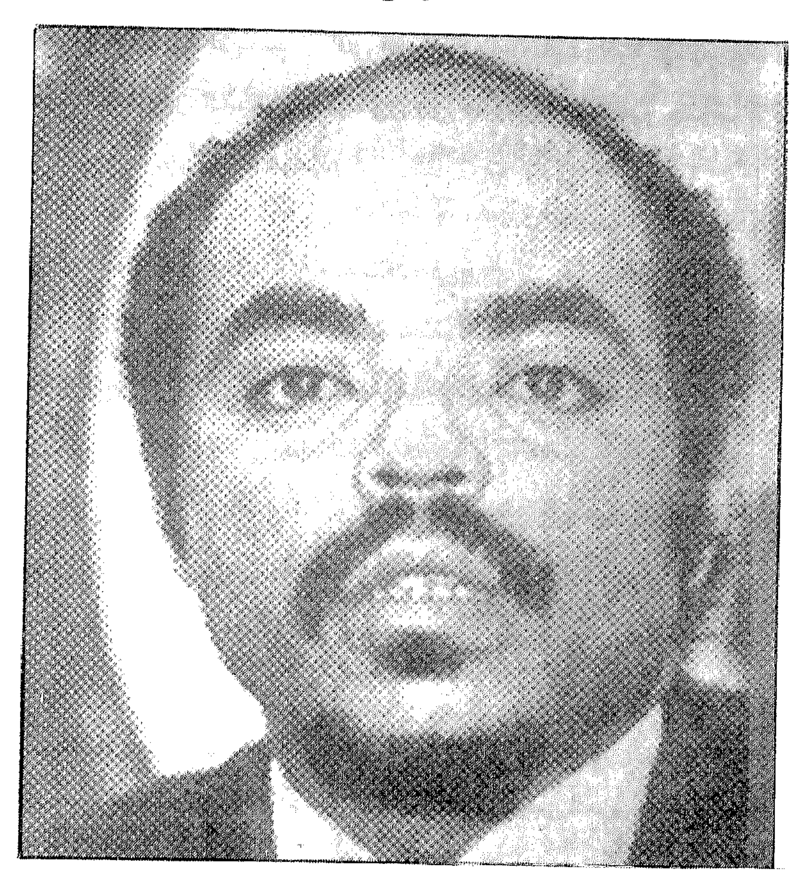
الإفريقية مستر جوهين تأييد دخول قوات الجبهة الديمقراطية الثورية لشعوب إثيوبيا · العاصمة أديس أبابا لحفظ النظام مما أدى إلى فشل هذا المؤتمر (١) ، ومكن جبهة التحرير العفرية بقيادة السلطان على مرح من بسط سيطرتها على جميع الأراضى العفرية فى إثيوبيا · ودعمت هذه الخطوة بالقرار الصادر من مؤتمر الجبهة الديمقراطية الثورية لشعوب إثيوبيا المنعقد فى يوليو ١٩٩١م بأديس أبابا، والذى أقر حقوق القوميات الإثيوبية المختلفة فى إنشاء حكومات فيدرالية لهم داخل إثيوبيا ·

وحضر هذا المؤتمر السلطان على مرح حنفرى ممثلا للعفر فى إثيوبيا · وهكذا أصبح للعفر فى إثيوبيا بموجب القانون والدستور الإثيوبى الجديد إقليما يتمتع بالحكم الذاتى المحلى فى إطار الدولة الفيدرالية الإثيوبية، وضم هذا الإقليم جميع العفريين الذين يتواجدون فى شمال أوسا فى جنوب إريتريا بعد أن ضم إليهم عفر تيجراى جميعهم ·

(١) مركز الدراسات الاستراتيجية للأهرام : التقرير الاستراتيجى العربى لعام ١٩٩١·



علي مرح



ملس زيناوي

إقليـم عفـر

ويشمل هذا الإقليم أربعة محافظات حسب التقسيم الإدارى :

١ – أوسا زوم واحد ٠

٢ – منطقة برحلى وضواحيها ٠

٣ – منطقة بعدّو فى الجنوب ٠

٤ – منطقة بيرو وتيرو وضواحيها ٠

وقد أصبحت أساعيتا عاصمة الإقليم ٠

أهم القبائل التي تسكن في إثيوبيا :

داموهيتا – موادايتو – كرو ٠ وهؤلاء يقيمون فى سلطنة أوسا وبيرو ، والمعندينا وعس حمدينو وعلى يمامى – ورابتو فى بيرو فى سلطنة بيرو وأوسا ، وكان زعيمهم فى عهد الإيطاليين السلطان محمد حيسمة الذى قاوم الإيطاليين فى بلاده ٠ ومن القبائل التى تسكن فى إثيوبيا أومنتو – نوتو توهدتو وكانوا يقيمون فى سريبا وفى سهول روروم ٠

قبيلة أكيتو تقيم فى أمونيا ٠ وفى سلطنة بيرو حضارم داتا حجى يقيمون فى ميرا ٠ وفى أفمبا – وحضاوم عسا حجى يقيمون فى سيدو حاعيلة٠ ومن القبائل المشهورة أيضا قبيلة حرونبا ، وهى قبيلة عربية الأصل اندمجت مع قبيلة بلعسوة ٠

ومن القبائل الكبيرة موديتو – داموهيتا – وعد على، وكلهم من حررماحث، ويقطنون فى إثيوبيا وإريتريا ٠ ومن القبائل الأخرى أيضا :

* قبيلـــة بلالتـــو :

وهـم ينتـمـون إلى بلالتـو وتربـطهم عـلاقـات نسب مع سـكان قـبـائل بلوتجرى ، ويتـواجدون فى إقليم تيـجراى وجيـبوتى · ومن القبـائل التى تقطن فى الجنوب فى إقليم عفر قبيلة الفنكرومـوديتو – قبيلة جدبو وقبيلة مادميك – ومسـاراتكفل وقبيلة صـوبا وقبيلة دبينكا وعسـما ويتـواجدون فى فتلى ·

ويتـفرع من هـذه القـبائل المذكـورة أعلاه مـا يقرب من مـائة قبـيلة · وهـذه القـبائل كـمـا ذكرنا من أصـول عـربية، وحـوالى ٩٠٪ منهم قـدموا مِنْ الجـزيرة العربيـــة ·

* مساحة إقليم عفـــر :

يشـكل العـفريون فى إقليم عفر فى إثيوبيا خُمْس مسـاحة إثيوبيا ، وأصبح لكل الـعـفريين فى إثيـوبيـا كـمـا أوضـحنا إقليم يسـمى (أكلـيل) يتمـتع بالـحكم الذاتـــى ·

عدد السكان العفريين في إثيوبيـــا :

عدد السـكان الـعفر فى إثيـوبيا – حـسب الإحصـاءات الرسـمـيـة التى كانت منذ الـحكم الـسـابق – ٢ مليـون ونصف مـواطنا· كـمـا تشـيـر الإحـصـاءات غيـر الرسـمـية وفـقا لروايات العفـر إلى أن عدد السـكان العـفر فى الإقـليم يقـدر بنحو ثلاثة مـلايين ونصـف مواطن ·

الديانـــة : الديانة العـفـرية هى الإسـلام ، فكلهم مـسلمون ومـتـأثرون بالثقافة العربية الإسلاميـــة ·

ويمثل سكان عفـر فى إثيـوبيا نـحو ٤ ٪ من سكان إثيوبيا ·

أهم الأحزاب الديمقراطية العفرية في إقليم عفر :

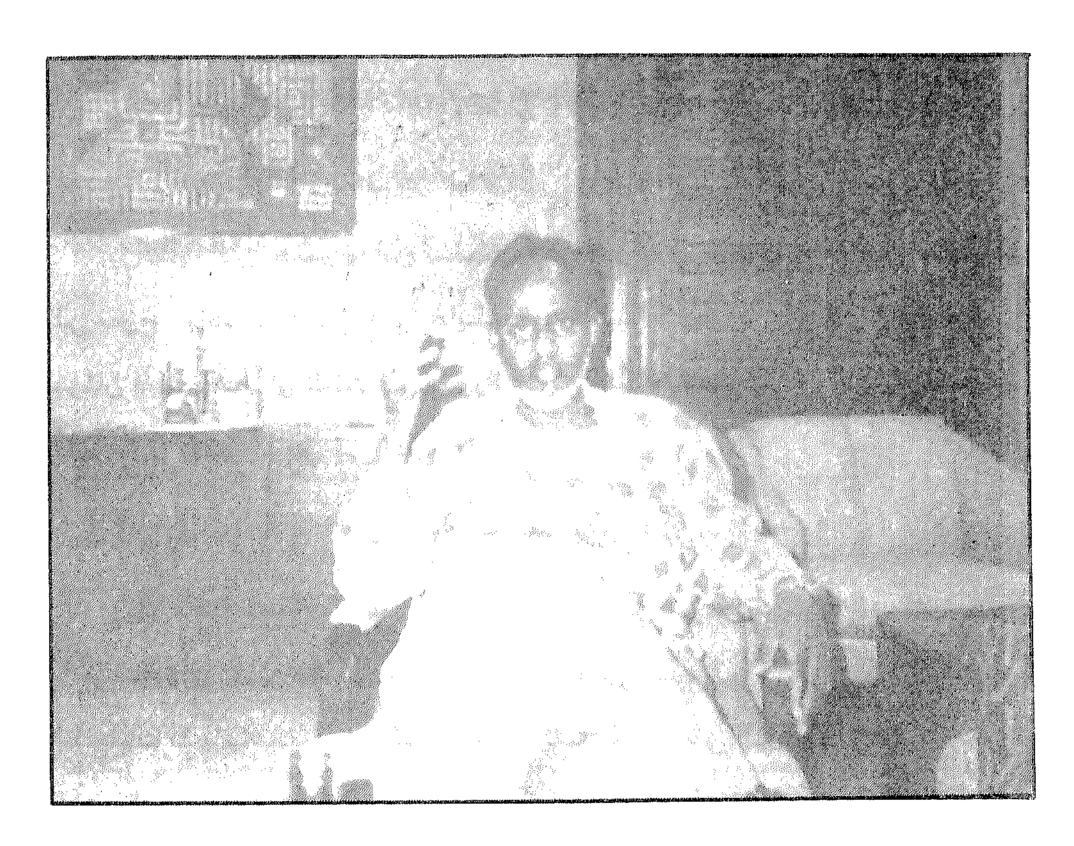
بعد إقرار إثيوبيا بأنها دولة ديمقراطية ذو تعددية سياسية ، قسمت البلاد إلى ١٤ إقليما يتمتع بالحكم الذاتى الفيدرالى ، على أن يشكل كل إقليم حكومة وطنية محلية تتم بالانتخاب الديمقراطى من الإقليم، وعلى ضوء هذا المفهوم تشكلت عدة أحزاب سياسية فى إقليم عفر وهى كالآتى :

١ – جبهة التحرير العفرية :

يرأسها الآن حنفرى ابن سلطان على مرح، وزعيمها الروحى السلطان على مرح ، وحصلت فى الانتخابات البرلمانية الأخيرة على ١٢ مقعدا فى البرلمان المحلى بعد أن كانت فى الدورة الأولى السابقة هى الفائز الأول ، كما أنها تعتبر أول حزب أسس فى إقليم عفر ٠

٢ – المنظمة الديمقراطية لشعب عفر :

ويتزعمها إسماعيل على سرّى، وقد حصل فى الانتخابات البرلمانية على ٢٣ مقعدا ، وهى تشكل حزب الأغلبية فى هذه الدورة والفائز الأول فى الانتخابات المحلية حيث حصلت المنظمة كما ذكرنا على ٢٣ مقعدا من مجموع المقاعد البالغ عددها ٤٨ مقعدا ٠ وفى إمكان المنطقة أن تشكل الحكومة المحلية وفق النظام الديمقراطى بمفردها، لكنها مراعاة للظروف العفرية وعملا بمبدأ المشاركة وحفاظا على الوحدة الوطنية، يعمل قادتها جاهدين على تشكيل حكومة وطنية تتمثل فيها جميع الأحزاب ٠



حنفري على مرح قائد الجبهة العفرية وابن السلطان

٣ – الحركة الوطنية الديمقراطية العفرية :

وهو أخر حزب أسسه مؤخرا الزعيم الوطنى المناضل أحمد محمد أحو وتشكل الحزب برئاسته ، وهو يحظى بتأييد العديد من الجماهير العفرية ٠ وقد حصل فى الانتخابات البرلمانية على مقعدين فقط ٠

٤ – الجبهة الوطنية لتحرير عفر :

ويرأس هذا الحزب إدريس خيار وقد حصل على عضوية البرلمان ممثلا بـ ١١ عضوا فى الانتخابات الأخيرة ٠

هذا وجدير بالذكر أن الحكومة الإقليمية كان يرأسها السيد حبيب على مرح حيث كان أول رئيس حكومة إقليمية فى إقليم عفر ٠

التشكيلة البرلمانية لإقليم عفر :

١ – يتكون البرلمان الإقليمى للعفر من ٤٨ عضوا ٠

٢ – ينتخب البرلمان من بين أعضائه ١٥ عضوا من المكتب السياسى يمثلون السلطة التنفيذية ٠

٣ – يختار المكتب السياسى ١٦ عضوا للحكومة المحلية لمجلس الوزراء الإقليمى، ويتم اختيارهم من جميع الأحزاب ، حيث يمثل فيهم كل حزب بنسب متفاوتة ٠

ويمثل الإقليم بعضوين فى البرلمان الفيدرالى لمجلس الشيوخ٠ وقد تم انتخاب السادة أحمد محمد أحو وإدريس خيار من البرلمان بوصفهما عضوين يمثلان الإقليم فى البرلمان القومى الفيدرالى (مجلس الشيوخ)٠

ملحوظة : يوجد فى إثيوبيا مجلسان للبرلمان :

١ - البرلمان المركزى والسلطة التشريعية للدولة :

ويتم اختيار أعضائه بالانتخابات الحرة المباشرة من جميع الأقاليم الأربعة عشر وبمشاركة جميع الأحزاب السياسية فى إثيوبيا ٠

٢ - البرلمان القومي الفيدرالى :

وهو بمثابة سلطة استشارية ، أى بمعنى المجلس الاستشارى أو مجلس الشيوخ ٠

وتمثل كل الأقاليم الإثيوبية كل حسب نسبته من تعداد السكان فى عموم إثيوبيا ،بحيث يمثل كل إقليم شخص واحد عن كل مليون ٠

ومن هنا كان من نصيب الإقليم عضوين فى البرلمان الفيدرالى ٠

وهكذا اكتملت الديمقراطية ومبدأ حق تقرير المصير للأقاليم فى عموم إثيوبيا وفق الدستور العام للدولة ٠ كما اكتملت الحكومة الفيدرالية المحلية فى إقليم عفر فى إثيوبيا واكتمل ترتيب أوضاعها بعد الانتهاء من انتخابات البرلمان فى عام ١٩٩٥م ، وبدأت تتطلع إلى التنمية وإعادة بناء الإقليم وإصلاح ما أفسدته حكومة منجستو وكان الله فى عونهم ٠

الوضـع العفري فـى جيبوتـى

====

قبل أن نتحدث فى هذا الموضوع لابد من التطرق إلى نبذة مختصرة عن جمهورية جيبوتى الشقيقة حتى نعطى فكرة عن هذه الدولة المجاورة لإريتريا وإثيوبيا ، فالعفر الجيبوتيون ارتبط مصيرهم بمصير إخوانهم الصوماليين العيساويين وآخرين مِنْ مَنْ يمثلون هذه الجمهورية ، ومن هذا المنطلق يجدر بنا أن نعطى نبذة تاريخية حول هذه الجمهورية ٠

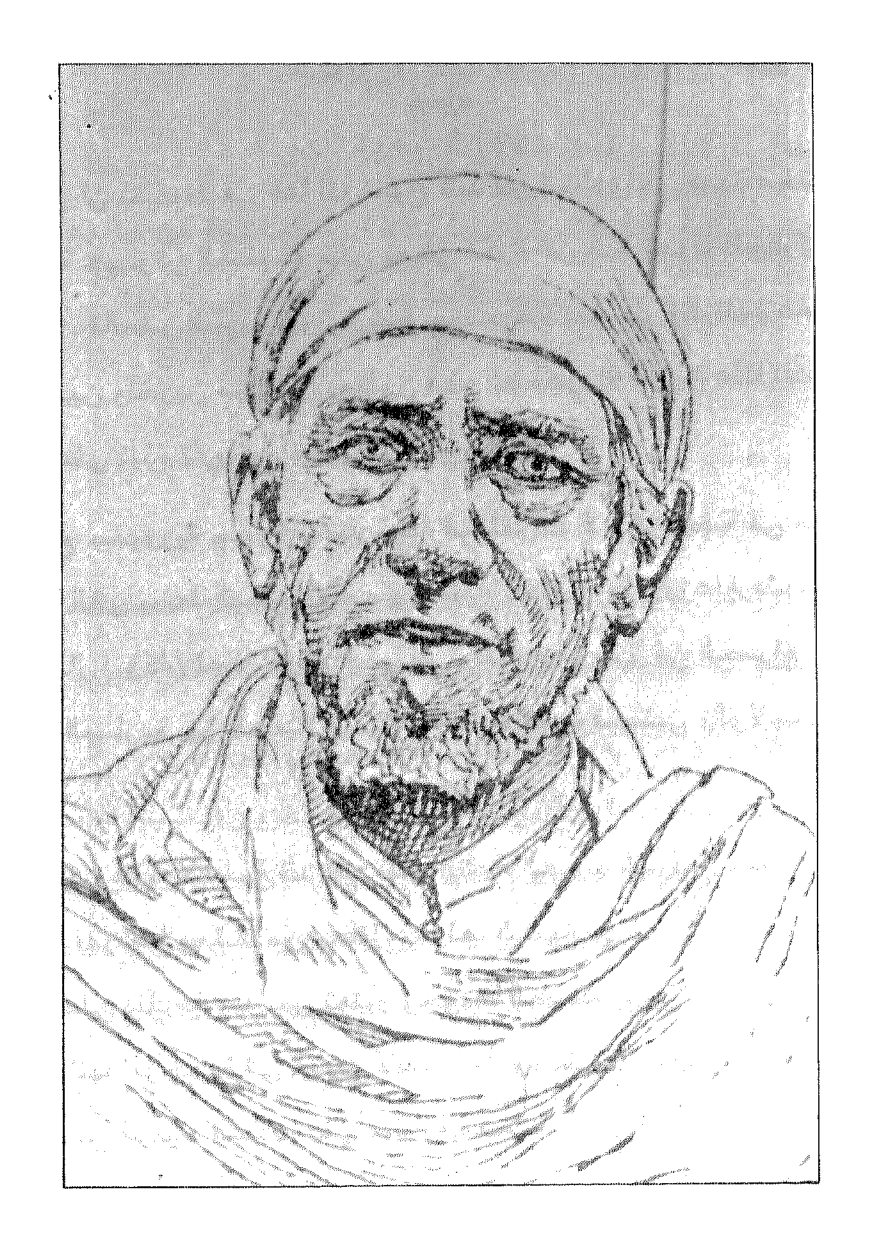
تقع جمهورية جيبوتى عند مشارف الممرات الاستراتيجية فى مواجهة باب المندب – الذى يربط البحر الأحمر بخليج عدن – وتجاورها إريتريا وإثيوبيا والصومال٠ وكان لهذا الموقع الحساس والمهم دور بارز فى الصراع الدولى أيام الحرب الباردة بين العملاقين: الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية (١)٠

ولكن هذه الأهمية قد قلت بعد انتهاء الحرب الباردة٠ وتعتبر جيبوتى بالنسبة لفرنسا معقلا من معاقل نفوذها السياسى فى جنوب البحر الأحمر، وعلاوة على ذلك فإن باريس تعتبر وجودها العسكرى فى جيبوتى همزة وصل بين وحداتها الموجودة فى البحر الأبيض المتوسط وسفنها الحربية وغواصاتها المتواجدة فى المحيط الهندى على مشارف مستعمراتها فيما وراء البحار (٢) ٠

---

(١) محمد على عيسى : مرجع سابق ، ص ١ ٠

(٢) انظر خريطة جيبوتى فى الصفحة التالية ، وهى مأخوذة من كتاب محمد على عيسى : الأزمة السياسية فى جيبوتى عام ١٩٧٧ ٠



الإمام محمد على ١٨٥٠ - ١٩١٨

المساحـــــــة :

تبلغ مساحة جمهورية جيبوتى نحو ٢٣٠٠٠٠ كم٢ ٠ وطول شواطئها يبلغ نحو ٢٧٠ كم ٠ وتحدها من الشمال والغرب إثيوبيا، وتحدها من الجنوب جمهورية الصومال، وتحدها من الشرق دولة إريتريا والبحر الأحمر ٠

السكـــان :

لا يزيد عدد سكان جيبوتى عن نصف مليون نسمة بما فيه عدد الأجانب الذين يبلغ تعدادهم حوالى ١٠٠ ألف نسمة أى ما يعادل ربع سكان البلاد ٠

أما التوزيع السكانى القومى فى جيبوتى بين الصوماليين والعفر والعرب فهو كالآتى :

١ – يبلغ عدد العفريين فيها ١٤٠ ألف نسمة ٠

٢ – يبلغ عدد العيسا حوالى ٩٠ ألف نسمة ٠

٣ – يبلغ عدد الصوماليين نحو ٨٠ ألف نسمة ٠

٤ – يبلغ عدد العرب نحو ٢٠ ألف نسمة ٠

٥ – يبلغ عدد الفرنسيين فى جيبوتى ١٤ ألف نسمة بين مدنيين وعسكريين ٠

٦ – يبلغ عدد أبناء الجاليات الغربية الأخرى ١٦ ألف نسمة من اليونانيين والإيطاليين والأرمنيين ٠

٧ – يصل عدد اللاجئين إلى حوالى ٤٠ ألف نسمة من جنسيات مختلفة من الاريتريين والإثيوبيين والصوماليين ٠

التركيبة القومية والقبلية في جيبوتي :

تضم جيبوتى بحدودها الجغرافية والسكانية الراهنة مجموعات مختلفة من القبائل - كما أوضحنا فى التوزيع السكانى - تتقاسم الحدود مع بقية امتداداتها القومية والقبلية، مع الصومال وإريتريا وإثيوبيا · ومن الملاحظ أن هذه القبائل لم تنصهر فى إطار حركة تاريخية وسياسية واقتصادية وثقافية واحدة مثل بقية الشعوب المجاورة لها،· بل نجد العكس تماما فى جيبوتى حيث حافظت كل مجموعة قومية أو قبلية بقوة على حدودها الداخلية الموروثة عن الآباء والأجداد فى أثناء معارك الدفاع عن الوجود ضد العدوان الخارجى تارة والداخلى تارة أخرى · كما أن كل مجموعة قومية عززت علاقاتها مع سائر أبناء قوميتها عبر الحدود مع الدولة المجاورة ·

القبائل العيساوية :

كانت القبائل العيساوية مثلا على اتصال دائم وعلاقات وثيقة مع العيساويين الموجودين فى المناطق المجاورة لميناء زيلع فى شمال الصومال وفى مدينة درداوا فى غرب إثيوبيا ·

القبائل العفرية :

كانت بدورها تشارك عفر إريتريا اللذين يقطنون جنوب البلاد على ساحل البحر الأحمر فى إقليم دنكاليا بإريتريا ، وأيضا تشارك عفر إثيوبيا الذين يعيشون فى إقليم تيجراى وولو وشوا فى شمال جيبوتى وغربها ·

---

(١) محمد على عيسى ، مرجع سابق ، ص ٤ ·

كما أن المجتمع الجيبوتي ينقسم إلى مجموعتين أساسيتين كما أوضحنا فى المقدمة ٠

وفى دراستنا هذه نحن لسنا بصدد الحديث عن جمهورية جيبوتى الحالية، لكننا تطرقنا فى الحديث لإعطاء فكرة موجزة عن التركيبة السكانية لجيبوتى حتى نصل فى النهاية إلى موضوعنا الرئيسى وهو المجتمع العفرى الذى يقطن فى جيبوتى ٠ وكان لابد من ذكر هذه المعلومات عند تقديم هذا البحث ٠

العفر فى جيبوتى :

يبلغ عدد سكان عفر فى جيبوتى ١٤٠ ألف نسمة، وهم يحتلون مساحة قدرها ٢٠ ألف كم٢ من مجمل مساحة جيبوتى البالغة ٢٣ ألف كم٢ ٠ وهم يعيشون فى مستوى كافة دول القرن الإفريقى فى إطار خمس سلطنات كما أوضحنا سابقا عند الحديث عن السلطنات العفرية فى عموم بلاد العفر (١) ٠

أهم السلطنات العفرية في جيبوتي :

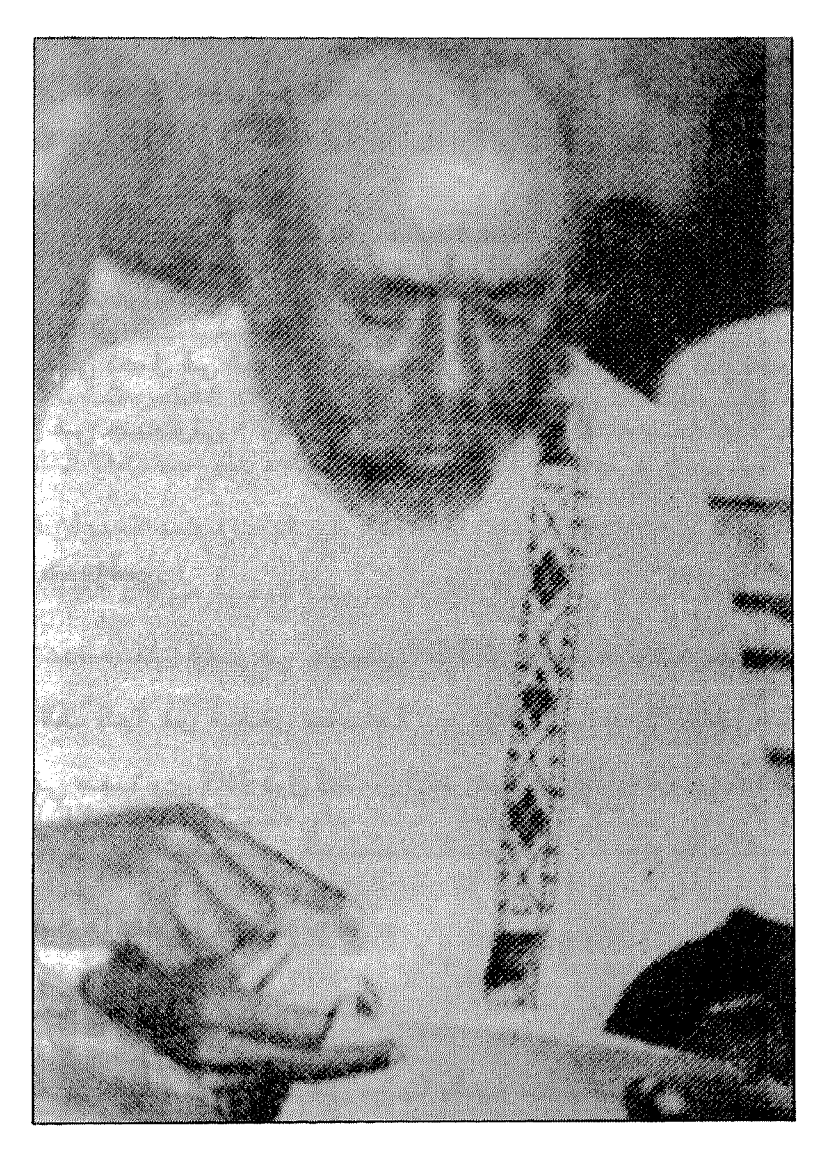
١ - سلطنة رحيتا :

توجد فى إطارها عدة قبائل منها باسوما ، كوتعيلى بورا ، ميلا، أوعليسيكا٠ وهذه السلطنة تقع فى أقصى شمال الشرق ٠

٢ - سلطنة تاجورة :

هذه السلطنة لها تاريخ عريق فى التجارة مع الجزيرة العربية حيث

(١) محمد على عيسى : نفس المرجع السابق ، ص ٥ ٠



السيد على عارف برهان أمام المحكمة

ربطت بين الجزيرة العربية وقارة إفريقيا، وهى تقع فى شمال جيبوتى وكانت مسرحا تجاريا بين الحبشة والمناطق العفرية فى التاريخ القديم ·

وأهم القبائل التى توجد فى إطارها عد على سيكا – عسوبا – سانغوغد– معدنيتا – ياعما – أفرودى – نعد على ·

٣ – سلطنة أوبك :

وهى سلطنة قديمة كان لها تأثير كبير منذ القدم، وتوجد فى إطارها عدة قبائل عفرية ·

٤ – سلطنة غو بعد :

هذه السلطنة كانت لها سلطة قوية فى مرحلة من مراحل التاريخ القديم ، فقد وقفت أمام المستعمر الغربى بقوة · وتقع هذه السلطنة فى الجنوب والجنوب الغربى من جيبوتى، وتوجد فى إطارها عدة قبائل منها : دبنية – عداداسو·

جيبوتى والأزمة السياسية بين عفر وعيسا :

كما أوضحنا فى السابق فإن المشاكل السياسية فى منطقة القرن الإفريقى كانت متأصلة منذ وجود هذه الشعوب فى المنطقة بما لها من جذور تاريخية وسياسية واجتماعية ، وعليه فإن الأزمة الحالية فى جيبوتى – التى نتجت عنها الحرب الأهلية والتى أريقت فيها الدماء بين الطرفين – لها جذور تاريخية تأصلت منذ التاريخ القديم فى المنطقة ، وقد اشتدت هذه الجذور بعد دخول الاستعمار الأوروبى ونبشه للحساسيات القبلية بعد أن بنى مدنا حضارية تتصارع فيها الاتجاهات والقبائل المختلفة حول الحياة اليومية والأمور

السياسية. وكما هو معروف فإن المستعمر الأوروبى يقوم بهذه الأساليب لتحقيق مصالحه الذاتية أولا وأخيرا . ومن هنا نستطيع أن نقول إن الصراع الدائر فى جمهورية جيبوتى بين قبائل عيسا وعفر صراع حضارى وتاريخى، وأحيانا قد يكون له صفة الصراع القبلى .

جذور الخلافات السياسية :

يرجع احتلال فرنسا لجيبوتى كما هو معروف إلى التنافس الاستعمارى بين فرنسا وبريطانيا فى منطقة القرن الإفريقى ، وكانت فرنسا قد أبرمت معاهدة فى باريس مع زعيم سلطان الساحل .

وعقب افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية عام ١٨٦٩م بادرت بعض الشركات الفرنسية بإقامة فروع لها فى أوبك ،وفى الجانب المقابل لجيبوتى، حيث كانت بريطانيا قد احتلت عدن عام ١٨٣٩م ، ثم احتلت جزيرة بريم التى تتحكم فى الحركة الملاحية فى البحر الأحمر عام ١٨٥٩م . وفى عام ١٨٨٤م -١٨٨٥م وقعت فرنسا معاهدتين جديدتين مع سلاطين عفر فى كل من تاجورة وغوبعد وأرسلت فرقة عسكرية من المشاة لحماية أوبك ثم عملت على توسيع رقعة المستعمرة عن طريق العديد من المعاهدات مع سلاطين المنطقة . كما أنشأت طريقا للقوافل يربط جيبوتى بأديس أبابا، ثم عمدت فرنسا لإحكام سيطرتها على المستعمرة بعد أن أدخلت بعض التعديلات على نظام إقليمها فيما وراء البحار (١) ، ومنها إنشاء مجلس للحكومة الإقليمية منتخب من قبل الجمعية الإقليمية ، وأصبح من حق إقليم عفر وعيسا أن يشارك فى الحياة

---

(١) رجب حراز « دكتور » : مرجع سابق .

السياسية الفرنسية، وأن يكون له ممثل فى مجلس النواب والشيوخ الفرنسى، وكذا فى المجلس الاقتصادى والاجتماعى. وتم إنشاء مجلس نواب إقليمى مكون من ٢٢ عضوا، كما أنشىء مجلس وزراء إقليمى منتخب من مجلس النواب بالقوائم الانتخابية ، وقد تراوح عدد الوزراء بين ٦ - ١٢ وزيرا ٠

أما السياسة الخارجية وشئون الدفاع والنقل والقروض والأحوال المدنية فإنها من اختصاص المندوب السامى الفرنسى ٠ كما قسمت الأقاليم إلى مناطق إدارية ، هى جيبوتى - دخيل على صبح - تاجورة - أوبك ٠

وكانت نتيجة هذه السياسة هى عزل الأقاليم عن رياح التحرر التى عمت جميع أرجاء إفريقيا فى الستينيات. وفى عام ١٩٦٠م والأعوام التالية استقل عدد كبير من الدول الإفريقية الناطقة بالفرنسية ، ولكن ظل إقليم عفر وعيسا خاضعا فى ظل السيادة الفرنسية ٠ وقد أجرت فرنسا عدة إجراءات منها تغيير اسم الإقليم إلى الإقليم الفرنسى لعفر وعيسا، وانتخب السيد على عارف برهان رئيسا لمجلس الوزراء الحكومى. وكانت فرنسا تهدف من هذا التعديل إلى إخفاء وجهها أمام التيارات التحررية التى كانت قد هبت فى المنطقة ، كما تهدف إلى التخفى وراء واجهة محلية والعمل من أجل تقسيم البلاد على أساس عرقى ٠ وقد أسفرت هذه المخططات عن نتائج عكسية فى السبعينيات ففى فبراير ١٩٧٢م ظهر حزب جديد إلى الوجود يمثل صفوف المعارضة فى وسط العفر وقد أسس هذا الحزب السيد/ أحمد دين حمزه تحت اسم (العصبا) لصالح المستقبل والنظام. وأصدر هذا الحزب نشرة تضمنت هجوما على سياسة على عارف وأعوانه فى الحكومة. ثم ما لبث هذا الحزب أن اندمج مع الحزب الصومالى العيسوى وأصبحا حزبا واحدا يضم القبائل العيساوية

الصومالية والعفرية، وكان هذا الحزب يسمى قبل الدمج التحالف العيسوى والصومالى، وكان يتزعمه السيد/ حسن جوليد رئيس الجمهورية الحالى· وأصبح اسم هذا الحزب الجديد الرابطة الشعبية الإفريقية للاستقلال، وكان مطلبه الأساسى الاستقلال التام عن فرنسا· ومن أبرز زعمائه كما أوضحنا من العيسويين والعفريين السيد/ حسن جوليد والسيد/ أحمد دين حمزه · وبعد نضال سلمى بين الحركات السياسية المتحالفة مع الاستعمار الفرنسى تم إجراء استفتاء شعبى عام لتقرير مصير الإقليم يوم ٨ مايو عام ١٩٧٧م ، واختار الشعب الاستقلال ، واستقلت جيبوتى فى ٢٧ يونيو عام ١٩٧٧م، وارتفع العلم الجيبوتى ونزل العلم الفرنسى بعد ١١٤عاما من الاستعمار · واستلم حسن حجوليد الذى ينتمى إلى قبائل العيسا الصومالية رئاسة الدولة ، وتسلم أحمد دين حمزة رئاسة الحكومة التى تنتمى إلى قبائل عفر حتى استقال بعد ستة أشهر من الحكم بعد الاستقلال متهما رفيقه فى النضال والحزب بأنه قد خان العهد والاتفاقيات التى كانت بين الحزبين (وقام بانقلاب قبلى لصالح قبيلته) التى ينتمى إليها الرئيس جوليد (١) ·

ومن هنا بدأت المشكلة العفرية فى جيبوتى ، فقد أحست المجموعة العفرية فى جيبوتى بأنها وقع عليها الظلم الاجتماعى ، وأنها قد حرمت من الحقوق الوطنية والسياسية والاجتماعية على الرغم من أنها تشكل الأغلبية فى الإقليم، وأن القومية العيسوية أصبحت تتمتع بامتيازات أكثر منها ·

وأخذ العفر اتجاها آخر فى المعارضة السلمية تطور بعد ذلك إلى المقاومة

---

(١) مجلة السياسة الدولية : مستقبل جيبوتى بين إثيوبيا والصومال ·

المسلحة · وشكل العفريون جبهة معارضة اسمها (جبهة إعادة الوحدة والديمقراطية المعارضة للحكومة) وذلك – كما أوضحنا – لحث الشعب العفرى على القيام بعمل شئ لتغيير هذه الأوضاع المتردية مهما كلفه ذلك من تحديات· ولا نريد هنا أن نخوض فى الأوضاع التى تشكو منها القومية العفرية فى جيبوتى لأنها كثيرة ومتشعبة ·

ومن خلال قراءتى للوثائق والبيانات والإحصائيات التى نشرتها الجبهة المعارضة أقرر أنها كثيرة، وأنها تتحدث كلها عن المخالفات والتجاوزات التى لا حصر لها والتى وقعت عليهم من جانب الحكومة على حد قولهم ، ونحن هنا لسنا فى صدد الدخول فى التفاصيل حول هذه المشكلة لأنها قد تجرنا إلى خارج المقصد والموضوع الرئيسى للبحث، وهو موضوع العفر فى منطقة عموم القرن الإفريقى وليس فى جيبوتى فقط ، فهذا شأن داخلى يخص الجانبين العفرى والعيساوى لكى يعيشا فى أمان واستقرار فى ظل دولتهم الفتية بالمساواة والعدل · ونتمنى أن تحل هذه المشاكل وتنتهى فى أقرب فرصة ممكنة دون الإخلال بالتوازن بين القوميتين الرئيسيتين فى الدولة ؛ لأن أصعب شيء على الإنسان هو أن يحس بالظلم والغبن فى وطنه وفوق أرضه· ومن الخطأ جدا استئثار عنصر قومى واحد بالسلطة والثروة والقرار، فهذا الأمر قد يشكل خطرا دائما ويؤدى إلى عدم الاستقرار وعدم استتباب الأمن فى البلاد، كما يؤدى إلى ظهور معارضة قوية للنظام تعوق حركة التنمية والاستقرار·

ومن خلال قراءتنا للأحداث وتتبعنا لأحوال العفر فى جيبوتى نقرر أن إحساسهم بالظلم والتهميش دفعهم إلى حمل السلاح والمقاومة الشعبية لتغيير الواقع الموجود بالقوة · فقد أخذت الأوضاع تتفاقم بشدة فى جيبوتى عندما

ألقى النظام القبض على عدد كبير من الشخصيات العفرية المعروفة وعلى عدد من ضباط العفر فى الجيش وعلى رأسهم السيد/ على عارف برهان رئيس الوزراء إبان الحكم الفرنسى، وذلك بتهمة تدبير الإنقلاب ضد النظام فى شهر يناير عام ١٩٩١م، وقد أفرج عنه فيما بعد ٠ونتيجة لهذه التطورات الداخلية وحدت الحركات العفرية نفسها مع (أرود العسكرية العفرية) التى تأسست فى ديسمبر عام ١٩٩٠م والتى كانت تعتمد على أسلوب الكر والفر لاستنزاف طاقات ومعنويات القوات النظامية الجيبوتية ٠ وأفرز هذا التحالف إنشاء جبهة معارضة سياسية مسلحة تحت اسم (جبهة إعادة الوحدة والديمقراطية) (F.R.U.D.) برئاسة أحمد دين حمزة ، وقد اشتدت المعارك الطاحنة بين القوات النظامية الحكومية والمعارضة بشدة فى نوفمبر عام ١٩٩١م ، مما أدى فى النهاية إلى تبادل الاتهامات بين الطرفين (١) ٠

الجانب الحكومى :

كانت الحكومة ترى أن الأحداث الجارية التى شهدتها البلاد غزو مسلح قامت به قوات مسلحة من شعب العفر المقيمة فى إريتريا وإثيوبيا، متهمة إياها بعمل هذه المجموعات من أجل إنشاء دولة عفر الكبرى فى أجزاء كل من جيبوتى وإثيوبيا وإريتريا ٠ وقد طلبت الحكومة من فرنسا التدخل العسكرى الفورى تطبيقا لاتفاقيات الدفاع المبرمة بين البلدين بعد الاستقلال فى يونيو عام ١٩٧٧م، وكان الجانب الفرنسى يرى أن ما يحدث هو أمر داخلى للبلاد

---

(١) أحمد حسن دخلى « دكتور » : كابوس السيناريو الصومالى فوق سماء جيبوتى، جريدة الحياة الدولية فى ست حلقات ، ابتداء من ١٩٩٢/١/١٧٠

لاتنص الاتفاقية المذكورة على التدخل فيه (١) ٠

إتهامات المعارضة :

وترى المعارضة العفرية أن ما تردده السلطات الجيبوتية فى هذا الشأن أمر ليس له أى أساس من الصحة وبعيد عن الواقعية، بل هو ذريعة من الحكومة للتهرب من الإصلاح السياسى الذى طالبت به المعارضة ، وللإبقاء على سيطرة قبيلة عيسا على أجهزة الحكم ٠ وقد شددت المعارضة على أنها تعمل من أجل الوحدة والديمقراطية فى جيبوتى ٠

ومضت المعارضة فى اتهامها للحكومة بأن الجيش النظامى ارتكب مجزرة ضد المواطنين العزل فى أرحبة التى يسكنها العفر فى إحدى ضواحى عاصمة جيبوتى وذلك فى يوم الأربعاء ١٨/١٢/١٩٩١م ٠ وزاد الطين بلة ما أدت إليه هذه الأزمة من تفاقم الوضع السياسى فى جيبوتى، فقد استقال ١٤ نائبا عفريا من البرلمان الجيبوتى بزعامة محمد أحمد (شيخو)، وتلاهم بعد ذلك بشهور قليلة استقالة جامع عيلايى الذى ينتمى إلى قبيلة عيسا، واستقالة غيرهم من السياسيين احتجاجا على هذه الأوضاع المتردية فى البلاد ٠

كما حاولت فرنسا أن تقوم بالوساطة ، فسلمت ملف الوساطة إلى وزيرها آلان فيفيان الذى قدم تقريرا إلى الحكومة الفرنسية ذكر فيه (أن هناك ظلما واضطهادا تمارسه الحكومة الجيبوتية فى حق قوميات أخرى ،ورأى أنه يجب إعادة التوازن والتوزيع العادل للسلطة بين القوميات مع منحها ضمانات

---

(١) رغدة الصلح : مقال ، جريدة الحياة ، ٢٤/٥/١٩٩٣٠

دستورية، ودعا إلى ضـرورة تطويق الأزمة فى جيبوتى قبل أن تمتـد نيرانها إلى الدول المجاورة ويشتعل الحريق فى كل منطقة القرن الإفريقى) ٠

(هذا وقد اتهم الحكومة الجيبوتية أيضا بأنها تسعى إلى توريط باريس فى الأزمة) ٠

بالطبع أغضب هذا التقرير الحكومة الجيبوتية بشدة ٠ وفى يناير عام ١٩٩١م أعلنت الحكومة الجيبوتية أنها ستعيد النظر فى وجود القوات الفرنسية، مما أدى إلى تراجع الحكومة الفرنسيةالتى اضطرت إلى سحب ملف الوساطة من ألان فيفيان ،وسلمته إلى مدير الشئون الإفريقية ومدغشقر فى وزارة الخارجية الفرنسية (بول ديجو) الذى اتخذ موقفا مناقضا لموقف ألان فيفيان، حيث نقل إلى المعارضة مطالب الحكومة الجيبوتية ولم ينقل المقترحات الفرنسية للسلام، ولذلك لم يكتب لهذه الوساطة النجاح٠ ويقول أحمد دين حمزه الذى أنتخب رئيسا للجبهة المعارضة بدلا من عدويتا فى تصريح له فى جريدة الشرق الأوسط معلقا عن الوساطة الفرنسية : (إن الوساطة الفرنسية فشلت لأنها لم تكن مبادرة سلام حقيقية ولا وساطة حقيقية، فلفرنسا مصالح حيوية فى جيبوتى تريد حمايتها والمحافظة عليها ، وضمان بقاء وجود هذه المصالح بما فيها القاعدة العسكرية يحتاج إلى قطاع شرعى، وهذه الشرعية الآن فى يد جوليد ٠ولذلك كانت فرنسا مصرة على عدم إغضاب حكومة جلويد) (١) ٠

---

(١) أحمد دين حمزه : جيبوتى بين الحكومة والمعارضة ، فى مقابلة مع جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٥٣٠٦ ٠

ومن الملاحظ أن هذه الوساطة أعطت للنظام الجيبوتى فرصة ذهبية لتطوير جيشه بأحدث الأسلحة التى اشتراها من الصين وروسيا وتشيكوسلوفاكيا ، كما أعطاها فرصة زيادة عدد قواتها ٠

أما على صعيد الحكومة فقد أعلنت عزمها على القيام ببعض الإصلاحات فى البلاد ، كما أصدرت دستورا للبلاد جرى الاستفتاء عليه فى سبتمبر عام ١٩٩٢م، وأجريت إنتخابات برلمانية فى ديسمبر عام ١٩٩٢م ، ثم إنتخابات رئاسية فى مايو عام ١٩٩٣م ٠ وبعد هذه الإجراءات قامت صراعات حادة بين الحكومة والمعارضة بسبب إصدارها دستورا يعطى لرئيس الجمهورية الصلاحية المطلقة من جانب واحد من غير إشراك المعارضة الجيبوتية، وقد اعتبرت المعارضة هذا الدستور غير مقبول لديها إطلاقا ، لكن الحكومة استطاعت استقطاب بعض المعارضين واختراق المعارضة عن طريق إقناع معارضين هما ربلى عوالى وجامع علابى بقبول الدستور ، وسمحت لهما بإنشاء حزبيهما ٠ كما استطاعت الحكومة استقطاب بعض الأفراد من قيادات المعارضة العفرية مؤخرا وأسندت إليهم بعض المواقع القيادية فى حين استمرت المعارضة العفرية بما فيها المعارضة المسلحة فى رفضها للدستور ، ونتيجة لذلك قاطعت الاستفتاء على الدستور ، وقاطعت الانتخابات الرئاسية٠ وفى أثناء هذه الفترة فشلت كل الوساطات التى قامت بها الجمهورية اليمنية وإثيوبيا ودولة إريتريا ومصر بسبب رفض الحكومة لها باعتبار القضية من الشئون الداخلية لجيبوتى ٠

موقف المعارضة :

بعد أن تقلص نشاطهم فى الآونة الأخيرة لعوامل داخلية وخارجية من

ناحية، وبعد انشقاق بعض العناصر القيادية التى أعلنت انضمامها للحكومة، وبعد اختراق الحكومة لها، ما زالت المعارضة تمثل القوة الحقيقية العفرية الحقيقية التى تطالب بالحقوق والمساواة فى جيبوتى ، وقد كان موقف المعارضة يتلخص فى عدة شروط جديدة لحل الأزمة فى جيبوتى ، وهى تتلخص فى الآتى (١) :

أ - إلغاء الدستور الجديد الذى قررت الحكومة اعتماده من جانب واحد ٠

ب - حل المجلس التشريعى (البرلمان) ٠

حـ - إلغاء القوانين التى وضعت لإنشاء الأحزاب والتشريعات الخاصة بها٠

وهكذا لم يكتب النجاح لجميع الوساطات التى قامت بها فرنسا والدول الصديقة المذكورة أعلاه لحل هذه الأزمة نتيجة لتعنت الجانبين ، ولهذا ما زالت الأزمة قابعة فى مكانها ٠

وكل ما نرجوه أن تهدأ النفوس فى الجانبين وترتفع إلى مستوى المسئولية ، وأن يضعا فى الاعتبار أن مصلحة الشعب الجيبوتى الشقيق فوق المصالح الحزبية والقبلية، لأن إراقة الدماء واستنزاف الطاقات تجلب الضرر للطرفين ٠

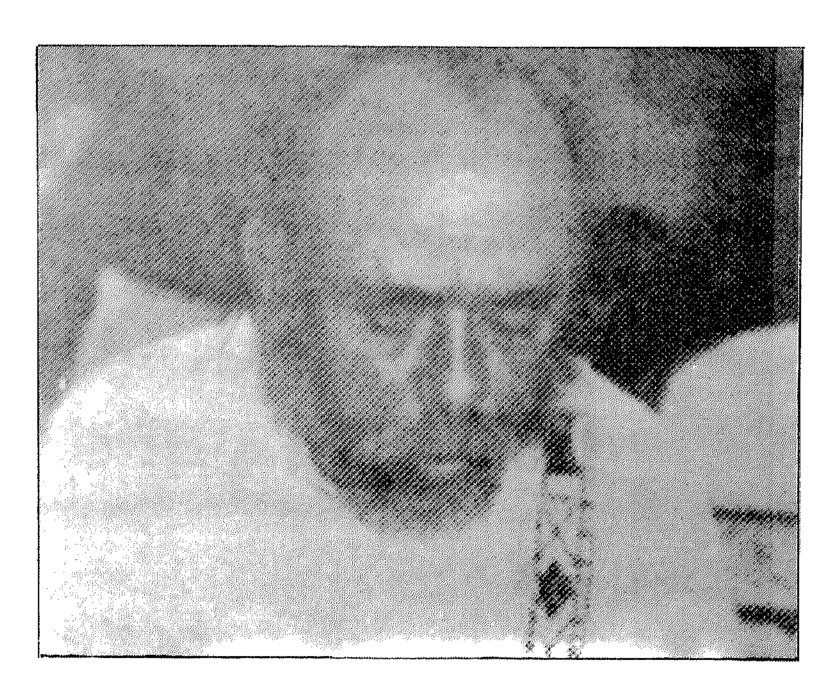
وأتمنى أن يعم الأمن والاستقرار والسلام والعدل والمساواة بين أبناء الشعب الجيبوتى الشقيق ٠

---

(١) أحمد دين حمزه : عن أوضاع عفر فى جيبوتى ، جريدة الحياة الدولية فى ٢٥ مارس ١٩٩٣٠

أهــم الشـخصيــات الوطنيــة العفريــة فى جيبوتــى

====



السيد / على عارف برهان فى المحكمة



بعض رفاق على عارف في المحكمة

السيدعلي عارف برهان :

وهو من الزعامات العفرية الوطنية من قبيلة حسوبا «العفرية» وكان رئيسا لحكومة الوصاية الفرنسية قبل الاستقلال حيث إن جده حكم ضمن الحكام والسلاطين الأتراك فى شرق إفريقيا أيام السلطنة العثمانية وهو من الذين حكموا جيبوتى ٠ وكانت علاقته قوية مع فرنسا ، وهو يعد من الزعامات الوطنية التاريخية العفرية فى جيبوتى والتى كان لها بصماتها فى فجر التاريخ الحديث على العفر ٠ وبعد استقلال جيبوتى وتكوين حكومة تحالف وطنى عفرى عيساوى اعتزل على عارف برهان العمل السياسى وهاجر فترة إلى فرنسا ثم عاد من هناك بعد أن التقى بالرئيس جوليد وأبدى له رغبته فى الاستقرار داخل وطنه ، وبعدها برز على عارف برهان بوصفه رجل أعمال انهمك فى نشاطاته فى قطاع المقاولات وزاد ثراء على ثرائه القديم بوصفه حاكما تحت الوصاية الفرنسية وأحد أبناء سلاطين العفر فى إثيوبيا وجيبوتى ٠ وقد اتهم مؤخرا من قبل السلطات الجيبوتية بمحاولة انقلاب وقدم للمحاكمة ومعه ٤٩ متهما للمحاكمة فى التاسع من يناير سنة ١٩٩١ المنصرم، وبعد أن أمضى فترة زمنية فى السجن أخلى سبيله وهو الآن يمارس نشاطه التجارى ويعد من الشخصيات المعارضة لحكم جوليد فى الداخل [1] ٠

---

(١) سيد أحمد خليفه : الشرق الأوسط تعيش أجواء شتاء جيبوتى الحادة ، جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٥/١/١٩٩٢، العدد ٤٧٩٦٠

عبدالله كامل :

عفرى ينتمى إلى مجموعة كونفلى - يورا ، ولد عام ١٩٤١ فى مدينة آبوك عاصمة سلطنة رحيتا ، ويعتبر أحد السياسيين الجيبوتيين القليلين الذين نالوا دبلوم العلوم السياسية من فرنسا ، وقد تقلد كامل عدة مناصب مهمة قبل أن يشغل مركز الأمين العام فى حكومة على عارف برهان قبل استقلال البلاد بين عامى ١٩٧٤ - ١٩٧٦ ، ثم اسندت إليه رئاسة مجلس الحكومة بين ١٩٧٦ - ١٩٧٧ ، وبعد استقلال جيبوتى أصبح عبدالله كامل وزيرا للخارجية فى حكومة أحمد دين أحمد قبل أن يتولى رئاسة الحكومة فى ديسمبر ١٩٧٧ حتى يوليو ١٩٧٨ تاريخ إقالته من جانب رئيس الدولة حسن جوليد ٠ وقد ساهم فى عام ١٩٨١ فى إنشاء الحزب الشعبى «الديمقراطى» مما أدى به إلى السجن لمدة أربعة أشهر ٠

ويعتبر عبدالله كامل اليوم أحد أقطاب المعارضة الجيبوتية (١)

---

(١) أحمد حسن دخلى : كابوس السيناريو الصومالى يخيم فوق سماء جيبوتى (٧ من ٧) ، جريدة الحياة ٢٥ يناير سنة ١٩٩٢ ، عدد ١٠٥٧٩ ٠

محمد عدويتا يوسف : ٤٩ سنة

عفرى كونفيلى بورا ولد سنة ١٩٤٧ فى مدينة أبوك فى إقليم رحيتا ولعب دورا بارزا فى تأسيس « الحركة الشعبية لتحرير جيبوتى » فى عام ١٩٧٥ وكان نائب أمينها العام ، وقد تولى رئاستها عقب الاستقلال بعد تفاقم الأزمات الداخلية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ٠

أنشأ يوسف فى عام ١٩٧٩ « الجبهة الديمقراطية لتحرير جيبوتى » وفى ٢٠ يناير سنة ١٩٩٠ توحدت « الجبهة الديمقراطية لتحرير جيبوتى » مع «الحركة الوطنية الجيبوتية لإقامة الديمقراطية » التى كان يرأسها أدن روبيلى عواليه ، فى إطار « اتحاد الحركات الديمقراطية الجيبوتية » وأصبح رئيسها مناصفة مع عواليه (١) ٠

---

(١) أحمد حسن دخلى : مرجع سابق ، جريدة الحياة بتاريخ ١٩٩٢/١/٢٥، لندن ٠



السيد أحمد دين أحمد زعيم المعارضة العفرية الجيبوتية

أحمد دين أحمد : « ٦٦ سنة »

ولد أحمد دين فى مدينة أبوك فى سلطنة رحيتا عام ١٩٣٠، عمل فى مستشفى جيبوتى المركزى بعد ما أنهى سنوات الدراسة الأولى · ولم يهتم بالسياسية إلا عندما بلغ ٢٥ ربيعا ، إذ رشح نفسه وقتذاك لانتخابات الجمعية الوطنية التى خسرها · ولكن سرعان ما عاد بنفوذ واسع إلى الحياة السياسية الجيبوتية فى ١٩٥٩/٥/١٦ حينما اسندت إليه الجمعية الوطنية نفسها منصب نائب رئيس مجلس الحكومة الجيبوتية ، وهكذا حل دين محل غوليد الذى أنتخب آنذاك نائبا عن الجمعية الوطنية الفرنسية قبل أن يستقيل فى

١٩٦٠/٦/٨ عندما رفض أعضاء مجلس الحكومة وبغالبية ساحقة طلبه فى تقليص عدد الموظفين الفرنسيين ونفوذهم فى الدوائر الحكومية الجيبوتية (١)٠

وفى ديسمبر عام ١٩٦٣ أصبح دين وزيرا للإنتاج فى حكومة على عارف برهان ، ثم أقاله رئيس الحكومة، بعد ١١ شهرا فقط بحجة أن الوزير الشاب له طموحات سياسية كبيرة ٠

وقرر أحمد دين أنذاك ألا يقف موقف المتفرج فى مسرح الأحداث السياسية الجارية فى جيبوتى فبادر فى عام ١٩٦٥ مع عدة شخصيات سياسية بإنشاء حركة سياسية عفرية معارضة هى « الاتحاد الديمقراطى العفرى» الذى كان يطالب وقتذاك بحكم ذاتى موسع لجيبوتى فى إطار المظلة الفرنسية ٠

وعاد دين مرة ثانية إلى حكومة على عارف برهان فى إبريل سنة ١٩٦٧ حيث عين وزيرا للشئون الداخلية ٠ وبقى فى هذا المنصب لمدة ثلاث سنوات، قبل أن تندلع معركة سياسية ساخنة بينه وبين رئيس الوزراء على عارف برهان الذى اتهمه دين بتقديم تنازلات غير معقولة وغير مقبولة للإدارة الفرنسية أدت فى نهاية المطاف إلى اقالته للمرة الثانية٠

وهكذا عاد أحمد دين من جديد إلى صفوف المعارضة بإقامته « اتحاد

---

(١) أحمد حسن دخلى : نفس المصدر السابق ٠

المعارضة العفرية » وبدأ يقترب تدريجيا من توجه القائد العيساوى حسن قوليد الذى كان يتزعم « الاتحاد الشعبى الإفريقى » وعليه وفى نهاية المطاف توصل الزعيمان العيساوى والعفرى إلى قناعة سياسية مشتركة مع مرور الأيام ، والتى ترجمت على الصعيد العملى بوحدة حركتيهما السياسية فى عام ١٩٧٢ وأسسا معا « الرابطة الشعبية الإفريقية » التى تولى حسن قوليد قيادتها وأصبح أحمد دين نائبه ٠ ومنذ ذلك التاريخ بدأ نجم أحمد دين يتألق ، ليس فى إطار القاعدة العفرية أو فى المحيط الجيبوتى فحسب ، وإنما على الصعيد الإفريقى والعربى والفرنسى ، إلى أن استقلت جيبوتى وأصبح أول رئيس للوزراء فى جيبوتى فى ١٥ يوليو سنة ١٩٧٧ ٠ ولكنه قدم استقالته بعد خمسة أشهر فقط فى ١٧ ديسمبر عام ١٩٧٧ ومعه أربعة وزراء عفريين آخرين احتجاجا على قيام رئيس الدولة حسن قوليد بانقلاب قبلى داخل نظام الحكم فى البلاد على حد تصريحه آنذاك ٠

وقد شرع منذ ذلك الوقت فى مقارعة نظم قوليد داخل الجمعية الوطنية ولم تعضده المعارضة من داخل البرلمان ولذا استقال فى ٧ أغسطس ١٩٨١ من الحزب الحاكم «التجمع الشعبى للتقدم» وشكل فى ١٥ أغسطس عام ١٩٨١ «الحزب الشعبى الجيبوتى» والذى كان يمثل أول حركة معارضة سياسية منظمة فى البلاد منذ استقلالها ٠ ولكن السلطات الحكومية حلت هذا الحزب واعتقلت زعيمه أحمد دين وزجت به فى السجن فى ٧ سبتمبر ١٩٨١٠ وبعد خروجه من السجن فى ٣ يناير وحتى الآن يتزعم المعارضة الجيبوتية والمقاومة الوطنية العفرية المسلحة (١)٠

---

(١) أحمد حسن دخلى : مرجع سابق، جريدة الحياة ١٩٩٢/١/٢٥٠



الحـــاج محمد كامـــل محمد

الحاج محمد كامل محمد :

عفــرى ولد فى أبوخ عام ١٩١٧ وهـو من الزعماء الوطنيين الأحرار فى جيبوتى وكان من أنشط السياسيين الذين لعبوا دورا كبيرا فى الحركة الوطنية فى جيبوتى ومن القيادات العفرية القديمة ٠

ولقـد تقلد عـدة مناصب سيـاسـيـة فى البلاد فـقـد كان عـضـو المجلس التمـثيلى عـام ١٩٤٦ ، كمـا كان مـسـتـشار الاتحاد الفـرنسى « مـجلس نـيابى » ،وعضـو مـجلس الشيوخ الفرنسى إبان الاسـتـعمار الفـرنسى الجـيبوتى ،وأصبح وزير الحكومـة المحلية للإقليم ٠ وفى عـام ١٩٧٦ - ١٩٨٨ أصبح نائبـا لرئيس الحكومة المحلية ثم وزيرا للتعليم ، ويعـد الحاج محـمد كـامل من الشـخصـيات الوطنية البارزة فى جيبوتى ٠

الخاتمـــــة

===

يحتـوى هـذا الكتاب كمـا ذكرنا فى المقدمة علـى معلومات أساسـية عن الشـعب العفرى الذى يعتبر من أقدم الشـعوب الحامية التى استقرت فى منطقة القرن الإفريقى · وقد تعمدت أن أبرز فيه الحقائق التاريخية عن هـذه الأمة (١) التـــى لـعبـت يومـا من الأيــــام دورا بارزا فى حـياة شـعـوب منطـقـة القـرن الإفريقـى فى شـتـى المراحـل التاريخية لهذه المنطقة ، كما يتجلى واضـحـا فى دراستنا هـذه ·

والشـعب العفرى هـو شـعب شـبـه رحّال يعـيش فـى إثيـوبيـا وإريتـريا وجيبوتى ، ويشـغل مثلثا كبيرا يقـع بين سـهول هـضبة الحبشـة المرتفعة وبين البـحر الأحمر· ولقد كافح كثيرا فى سبيل أن يحصـل على حرية الإرادة وتقـرير المصير فى كل من إثيوبيا وجيبوتى ·

إن دراسة أحـوال الأمة العفرية تظهـر العنف وعدم الاسـتقـرار من جراء هـذه التطلعات حتى لا تنفى من ذاكرة التاريخ (٢) ·

إن أمـة عفـر هـى ضـحـية للظلم الدولى ، الذى يهـدف دائمـا إلى تدمـير

---

(١) أمة العفر : إن شعب العفر يملك كل مـا يعزى إلى الثقـافة والجغـرافيا والخـصـائص القومـية التى تسمح بأن يطلق عليه أمة ·

(2) Abdallah A. Dou . The Afar : A Nation on Trail , P. 116.

الشخصية القومية للشعب العفرى، كما أن سياسة الظلم والقهر التى مورست ضده خلال القرون القديمة والحديثة لم ولن تثنيه عن تطلعه إلى الهوية القومية ، التى تمثل جوهر تطلعه إلى تقرير المصير ٠ والهوية القومية تشتمل على الإدراك الواعى، ليس من أجل تفردهم عن الآخرين فحسب ، بل من أجل توصيل سماتهم المتميزة فى الثقافة واللغة وحكم أنفسهم وطريقة حياتهم التى استمرت عقودا طويلة فى مواجهة القهر السياسى والغزو الثقافى والحرمان الاقتصادى وحق حرية الإرادة وتقرير المصير والديمقراطية فى إثيوبيا وفى جيبوتى (١) ٠

ويتضمن الوعى القومى لشعب عفر شعورا قويا بأنهم ينتمون لبعضهم بعضا – وهذه حقيقة تاريخية –ويشتركون فى المشاكل العامة ٠ وقد قوى هذا الشعور بسبب السياسة الإثيوبية الى كانت تقوم على حرمانهم من التنمية الاجتماعية والاقتصادية ٠ ولذلك فإن بحثهم عن تقرير المصير يمثل دافعا سياسيا كبيرا يهدف إلى تأكيد سيطرتهم على شعبهم ومواردهم القومية ويحقق قوميتهم المستقبلية ٠

إن مطالبة شعب عفر بتقرير المصير تستند أساسا إلى تجانس أمتهم جغرافيا وثقافيا ٠ فأمة العفر بمساحتها البالغة ٢٥٠٠٠ كم٢ تكون وحدة جغرافية محددة بوضوح يقويها التجانس الثقافى، ويدخل ضمنها المؤسسات الاجتماعية والثقافية والسياسية٠ وهذه الأمة بتعدادها الذى يبلغ حوالى ٣ر٥ مليون نسمة تتكلم لغة واحدة، تمثل قناة الاتصال الوحيدة بين الشعب ، كما

---

(1) Ibid.

أن الخصوصية الجغرافية والثقافية لشعب عفر تتمتع بخلفية تاريخية عميقة، فلم يحكمها أى أجنبى قبل الفترة المعروفة باسم « اكشف إلى إفريقيا » ٠ ومن خلال تتبعنا لدراسة تاريخ هذا الشعب كما أوضحنا فى الكتاب، فقد كان لديهم تاريخ سياسى طويل من الحكم الذاتى كبقية شعوب العالم قبل الاستعمار الأوروبى وقد كان لهم سلاطين أقوياء أمثال أدال وأنكالا فى القرنين ١٤-١٥م٠

وكما كان لمساهمة شعب عفر الفضل فى الإسراع بالوعى القومى، فقد كان لكفاح سلاطين عفر فى مواجهة القوى الاستعمارية الأثر فى أن الشعب أصبح على وعى بالمشاكل العامة وتهديدات القوى الخارجية، وكيفية الدفاع عن منطقتهم إزاء هذا التهديد٠ وقد لعب طموح قادة عفر مثل سلطان حيشاما السلطان حنفرى ، والسلطان على مرح ، والشيخ يسن محمودة ، دورا مهما أدى إلى الوحدة القومية لهذا الشعب ٠ كما أن السخط الشعبى قد ساهم بصورة تصاعدية منذ الخمسينيات فى إيقاظ الوعى السياسى لدى الشعب ،بالرغم من أنه كان بلا منظمات سياسية أو برامج سياسية واضحة ٠ وقد بدأت أول النزاعات عندما حاولت سلطات أديس أبابا إحكام سيطرتها على حكم سلطنة أوسا فى الأربعينيات وقد هزمت هذه السلطنة فى عام ١٩٧٤م على يد حكم منجستو العسكرى مما أدى إلى إيقاظ الوعى الشعبى ٠

وقد بدأ الوعى الشعبى فى الاستيقاظ بوصفه نتيجة طبيعية للسياسة الزراعيـــة الطائشة التى كانت تنكر على شعب عفر حقه فى أرضه، ولم تمده ببديل لمعيشته ٠ وقد خلق ذلك بالطبع رد فعل قوى لدى شعب عفر تجاه نوايا الدولة الإثيوبية العدوانية فى تلك الفترة ٠

وفى خلال العشرين عاما الماضية، كانت هناك تغييرات واسعة فى مجتمع عفر الذى طور نفسه وتخلى عن أساليبه القديمة ، وأصبحت القومية التى كان يقودها القادة التقليديون فى الماضى تقاد اليوم بواسطة شباب من الريف ومن النخبة المثقفة الواعية ، والذين قدموا مفهوما حديثا للمنظمة السياسية ، وطرقا وأشكالا حديثة للكفاح السياسى ٠ حيث ناضلت هذه النخبة من أجل وحدة الأراضى العفرية داخل إثيوبيا ومن أجل الحصول على الحكم الذاتى وحق تقرير المصير والديمقراطية فى جيبوتى ٠

إن أمة العفر ظلت ضحية للظلم الاستعمارى الذى كان يهدف دائما إلى إنكار وجود شعب العفر، وتدمير شخصيته القومية ٠ فقد حاولت سياسة الظلم والقهر التخلص من المقاومة المحلية، وحرمان العفر من التنمية الاقتصادية ، واستغلال مواردهم الوطنية ٠ وعبر التاريخ ، فإن الحكومات التى تولت السلطة فى أديس أبابا ، كانت دائما فى صراع مع شعب عفر ، منذ عهد منليك وهيلا سلاسى حتى عهد منجستو هيلاماريام ، حيث اتفقوا جميعا فى ممارسة الظلم والقهر والتفرقة ضد هذا الشعب ، وإهمال أرض عفر ، وعدم الاهتمام بالاقتصاد والتعليم والصحة ٠ وبينما كانت الحكومة الإثيوبية مستمرة فى الاستغلال السافر للأرض العفرية، فإنها كانت تنكر على الشعب العفرى حقه فى تملك الأرض فى وادى آواشى، ولم تقدم أية مساعدة اقتصادية أو فنية لتحسين ظروفه المعيشية فى مختلف المجالات ٠

وقد كان لسياسة النظام الإثيوبى – فى كلا العهدين – فى استنزاف موارد الأرض العفرية من أجل التنمية الاقتصادية أثر كبير فى تفشى الجوع فى المنطقة ٠ وقد كان ذلك مصحوبا بعمليات عسكرية تعسفية تجاه جماعات

الثوار، مما وضع شعب عفر فى مرمى النيران ٠ وقد أدى ذلك إلى ظهور الأزمات الكبرى للاجئين٠

وخلاصة القول : إن الشعب العفرى قد حصل على الحكم الذاتى وعلى وحدة جميع العفر أرضا وشعبا فى إطار الحكومة الفيدرالية الإثيوبية، لكنه لا يزال يساوره القلق من نوايا الحكومة الإثيوبية إذا ما قدر لها التغلب على المشكلات والصعوبات التى تواجهها الآن ، خشية أن تسحب منهم الامتيازات التى يتمتعون بها الآن (١)٠

إن المسألة العفرية على نحو ما درسناه تعتبر بركان القرن الإفريقى الثائر فى المرحلة القادمة، نتيجة للشكوك التى تساور الشعب العفرى لعدة اعتبارات أهمها أن الرواسب التاريخية الناتجة عن الحروب التى دارت بين العفر والقوميات الأخرى ، قد خلفت فى نفس العفرى إحساسا بعدم الثقة فى هذه القوميات وتوقعا دائما للتهديد من جانبها ، نظرا لتاريخ الممارسة العدوانية فى إثيوبيا منذ عهود قديمة ٠

إن المسألة العفرية حساسة لأنها تمس أمن ثلاث دول فى المنطقة ، كل منها تراقب بقلق تحركات العفر فى البلد الآخر ٠ ولذلك تمثل المسألة العفرية بؤرة الصراع فى المنطقة إذا لم تعالج هذه الدول المسألة العفرية بحكمة ،وتجد لها حلا أو تسوية مناسبة عادلة بفهم ووعى ، خصوصا على مستوى حكومتى إثيوبيا وجيبوتى ٠

---

(١) عوض داود محمد : مرجع سابق ، ص ٧٥ – ٧٦ ٠

وفيما اعتقد – باعتبارى أحد أبناء هذه المنطقة فى القرن الإفريقى– فإن الحل يمكن أن يكون سلميا وديمقراطيا ، وسوف يتحقق عن طريق التزام الحكومة الإثيوبية وحكومةجيبوتى بالتالى :

١ – استمرار الحكم الذاتى داخل إثيوبيا كما هو متحقق للعفر منذ عام ١٩٩٣ ، والمحافظة عليه لأنه مكسب ليس للعفر وحدهم بل لإثيوبيا أيضا حيث يضمن لها الاستقرار والأمن ٠

٢ – أما جيبوتى : فيتمثل حل أزمتها السياسية الحالية فى إيجاد التوازن بين العيسا والعفر ، وحصول كل من الطرفين على فرصة المشاركة فى السياسات القومية بحرية، وأن يكونا حراسا أمناء للديمقراطية والتوافق الوطنى فى البلاد ٠ إن إهمال أو استثناء أو تسلط جماعة عرقية على الأخرى ، سوف يخلق المشاكل للسياسات القومية التى قد تهدد بتدمير دولة جيبوتى نفسها ، وقد تتحول الصراعات الداخلية إلى أنشطة مخربة بتدخل خارجى مِنْ مَنْ يهمهم عدم الاستقرار فى المنطقة ٠

إن العفر يؤكدون دائما على حصولهم على حقهم فى تقرير المصير فى إثيوبيا والتمسك بحقوقهم القومية فى جيبوتى ٠ ويؤكد ذلك إعلان العفر فى مؤتمرهم القومى الأخير فى أيسعيتا – فى أول مؤتمر لهم بعد سقوط نظام منجستو هيلى مريام فى إثيوبيا – عن : « استعدادهم للقتال فى سبيل الحفاظ على وجودهم المستمر منذ قرون فى منطقة القرن الإفريقى٠ فالموقع الاستراتيجى للعفر على البحر الأحمر يساعد على تحويل المنطقة بأسرها إلى ساحة صراع دامية تؤثر على أمن وسلام الدولتين » ٠

ومهما يكن من أمر فإن المثلث العفرى مرهون بالتطورات التى ستحدث داخل دول المنطقة ،وأتمنى أن تنعم الأمة العفرية بالأمن والاستقرار فى مناطق تواجدها الآن ،وأن يسود الأمن والأمان والسلام منطقتنا فى القرن الإفريقى بعيدا عن الكوارث الطبيعية والصراعات المحلية ٠

وفى النهاية إنطلاقا مما ذكرته فى الفصلين الخامس والحادى عشر عن العلاقة والروابط التاريخية بين الشعب العفرى من جهة ومصر والسعودية بصفة خاصة وبقية الدول العربية فى المنطقة بصفة عامة من جهة أخرى على مر العصور ، فإن الدور المنتظر من هذه الدول لا يقل فى أهميته عن الدور الذى لعبته حتى الآن بل تزيد أهميته اليوم لأن هذه المنطقة – التى تعتبر العمق الاستراتيجى للجزء الجنوبى من الوطن العربى والتى كانت ولا زالت عامل ربط بين أجزاء المنطقة وعامل استقرارها– أصبحت محط اهتمام قوى إقليمية وعالمية متعددة ، لما لهذا المثلث من أهمية بوصفه رابطا وبوتقة لثقافات المنطقة، خصوصا بعد أن تغيرت معطيات كثيرة على المستوى الإقليمى والعالمى٠

ومن جهة أخرى فإن هذا الشعب المسلم، الذى دافع عن هويته الإسلامية منذ أقدم العصور وسد الطريق أمام كل متوغل دخيل إلى المنطقة ، يستطيع أن يحمل لواء الثقافة العربية – التى يعد هو نفسه جزءا منها وامتدادا لها – لتتسع رقعتها نحو الجنوب إذا ما حصل هذا الشعب على الاهتمام الذى يستحقه من إخوانه العرب دولا ومؤسسات ، لأن منطقة المثلث العفرى بالإضافة إلى أنها ملتقى ثقافات وحضارات منذ أقدم العصور ، فهى أيضا ملتقى طرق بين قارات العالم القديم (أوروبا ، إفريقيا ، أسيا) ، كما أن الموقع الذى يحتله الإقليم العفرى فى إثيوبيا له أهمية خاصة جدا حيث الطرق المؤدية

إلى المنافذ البحرية للبضائع من وإلى إثيوبيا وربما من وإلى الدول الداخلية فى شرق القارة فى المستقبل· إن الإقليم العفرى المتجانس بشريا ، والغنى بالموارد الطبيعية ، وأحد الأقاليم الخمسة التى تشكل الحكومة الفدرالية الإثيوبية ، يمكن أن يكون نموذجا حيا إيجابيا للتعاون العربى المثمر فى مجال التنمية، وخاصة تنمية الموارد البشرية التى يتجاوز تعدادها اليوم ثلاثة ملايين نسمة· وسوف يكون ثمرة هذا التعاون دون شك الرابط القوى بين أبناء منطقة القرن الإفريقى والعرب ، كما سيمثل الدعامة والركيزة الأساسية التى لابد منها لتأخذ الثقافة العربية فى هذه المنطقة مكانتها الطبيعية فى عصر تتنافس فيه الثقافات عبر الأقمار الصناعية وتكنولوجيا الاتصالات المتطورة الأخرى · إن إرساء هذه الركيزة سوف يخدم كل أبناء القرن الإفريقى الحريصين على نمو وازدهار هذه الثقافة ، والحريصين أيضا على انتشار الدين الإسلامى الحنيف المبنى على التسامح ، والحريصين على انتشار الوعى الدينى الصحيح السليم الخالى من كل تعصب وتطرف ·ولقد لمست خلال زيارتى الميدانية لجمع مادة هذا الكتاب والتى التقيت خلالها بالعديد من أبناء المنطقة ، أنهم على وعى تام بأهمية الدور العربى فى منطقتهم ، ولكنهم يرون أن هذا الدور فى الوقت الحاضر ليس بالمستوى المأمول ،وخاصة أن الأوضاع السياسية بدأت تستقر فى هذه المنطقة بعد اندحار النظام الشيوعى الدموى فى إثيوبيا بقيادة منجستو ، وأصبح الجزء الذى يقع فى إثيوبيا من المثلث العفرى يتمتع بحكومة إقليمية لها ميزانيتها وبرامجها التنموية الخاصة به فى كل المجالات مما يسهل بروز الدور العربى فيه ·

الوثائـق :

١ - الوثائق التاريخية عن كتاب إيطاليا فى إفريقيا ، المجموعة التاريخية، المجلد الأول ، إثيوبيا ، البحر الأحمر، وثائق عام ١٨٥١-١٨٨٢م، رقم الوثيقة ١٥ ، ص ٢٤ إلى ص ٢٥ ٠

٢ - الوثائق التاريخية لإيطاليا حول احتلال إريتريا ، المجلد الثانى من عام ١٨٨٣-١٨٨٥م، إعداد : لجنة تنظيم وثائق العمل الإيطالى فى إفريقيا ، وزارة الخارجية الإيطالية ، إشراف : كارلو جوليو ، ترجمة ونشر : البعثة الخارجية لجبهة التحرير الإريترية ، قوات التحرير الإريترية ٠

٣ - الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر (١٨٦٣ - ١٨٧٩م) ، الدكتور / شوقى عطا الله الجمل ، جمعها وحققها ورتبها وأعدها للنشر مع دراسة تحليلية ٠

الوثائـــق

الوثائق الإيطالية التي توضح الصراع الإيطالي لكسب السلاطين والمشايخ وملوك الحبشة ورؤسائها بما في ذلك الخداع، حيث قاموا بأخذ توقيعاتهم ، واستباحة جميع الأساليب في هذا السبيل معتمدين علي جهلهم ، كما قاموا أحيانا بأخذ بصماتهم علي معاهدات أعدها المستعمرون وفق مصالحهم دون نقاش ، مستغلين في ذلك بساطة المشايخ والسلاطين ٠

من سلطان راحيتا برهان إلي وزير الخارجية مانشيني

١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٠٠ الموافق ١٦ مارس (آذار) ١٨٨٣

تعلمون جلالتكم أننا وصلنا مع وكيلكم الكونت أنتونيللى إلى أوسا ، وقد حافظت جماعة الملك منليك على سلامتنا إلى أن وصلنا إلى السلطان محمد حنفرى وتمّ السفر فى ظروف مريحة، وقد استقبل الكونت أنتونيللى استقبالا حافلا· وإظهارا لما نكنه لكم من الصداقة، نرجو، أنا والسلطان محمد حنفرى، إيجاد تسوية للخلاف بيننا (١) ،حول حقوقى كسلطان على مار غبله· إذ إننى عندما اتفقت مع الدكتور سابيتو لم أكن أعنى القرية المذكورة ضمن اتفاق مبلغ الألفين، ويمكن أن أقسم على أننى لم أكن أعلم ماذا يساوى الألف، والآن أرجو إنصافى وإعادة مار غابله حفاظا على الصداقة بيننا · وإنى على ثقة من أن الحكومة الإيطالية لا ترمى إلى إلحاق الضرر بى ·

(رسالة وترجمة)

من أنتونيللي المبعوث إلي شوا، إلي وزير الخارجية مانتشيني

غامبو – كوما فى١٦/٣/١٨٨٣ إلى ٢٢/٤/١٨٨٣

انتهت المحادثات مع السلطان محمد حنفرى إلى تصريح المذكور صباح هذا اليوم فى اجتماع عام عقد لرؤساء الدناكل بأن الأبواب، اعتبارا من هذا التاريخ، ستفتح أمام التجارة والصناعة الإيطالية، وستقدم الحماية لهما ما بين

(١) أى بينى وبينكم، والكلام للسلطان برهان ·

عصب وأوسا· وأن مملكة شوا التى يتحمل مسئوليتها مع السلطان برهان ستعمل على إعفاء البضائع والتجارة الإيطالية من الضرائب والرسوم·

على ضوء هذا التصريح ، الذى جاء بناء على طلبى، أتشرف بأن أقترح على سيادتكم، سرعة إبرام اتفاقية الصداقة والتجارة، التى وافق عليها السلطان حنفرى، وتصديقها من قبل صاحب الجلالة الملك منليك بصيغته النهائية· ويطلب السلطانان حنفرى وبرهان من صاحب الجلالة ملك إيطاليا ما يلى :

أ – ألا تسمح حكومة صاحب الجلالة ملك إيطاليا للمصريين بامتلاك أى جزء من أراضى مملكة السلطان محمد حنفرى ·

ب – أن تأخذ حكومة صاحب الجلالة ملك إيطاليا ، بعين الاعتبار وضع السلطان برهان ، وأن تسمح له بممارسة سلطته على إقليم مار غابله·

إن اقتران المطلب الأخير بموافقتكم يحقق عدالة وتثبيتا لمطلب شرعى وينفى الشبهات·

إننى استميحكم عذرا إذ ألفت نظر سيادتكم إلى عدم أهمية مارغابله التى انتزعت فيها السلطة المحلية من أصحابها دون إيجاد سلطة أخرى · وفى حالة عدم العودة إلى الاتفاقات المنوه عنها ، أعتقد أنه لا يصعب على صاحب الجلالة، كما أنه لا يتناقض مع أحكام القانون فى مستعمرتنا ، التعهد إلى سلطان راحيتا بممارسة الحكم الداخلى فى مارغابله باسم صاحب الجلالة ملك إيطاليا ولو بصورة مؤقتة، وذلك من أجل ضمان حرية المواصلات والأمن بين عصب والبلدان المجاورة التى نأمل تطوير تجارتنا معها. كما أنه من الضرورى تحسين العلاقات مع الملك منليك فى الأقاليم الداخلية ومع السلطان محمد حنفرى فى

المنطقة الوسطى ومع السلطان برهان فى المنطقة الساحلية، حيث يعد الحارس والمنظم للقوافل المباشرة والقادمة من الداخل. هذا هو ما توصلت إليه من قناعة حول الوضع العام، ولتحقيق مشروعى بتوحيد هذه القوى لمصلحة عصب، أنتظر موافقة سيادتكم .

إن هذا البريد المكثف الذى أوافيكم به عن طريق عصب، أتوقع استلام جوابه من سيادتكم فى مملكة شوا. وغدا فى ١٧ مارس (آذار) سأترك للأسف مكان إقامتى هذا الذى أحسنت فيه معاملتى إلى شوا حنفرى مع عدد من المرشدين والحراس لضمان سلامة القافلة .

مرفقات :

مشروع الاتفاقية بين ملك إيطاليا وسلطان أوسا (١)

المادة (١)

السلام والصداقة يعمان العلاقات بين السلطات الإيطالية فى عصب والسلطان محمد بن السلطان حنفرى وأتباعهما.

المادة (٢)

يسمى كل من الطرفين ممثلا عنه لإنجاز الأعمال .

المادة (٣)

يضمن السلطان محمد حنفرى حماية الطرفين بين عصب وأوسا ومملكة شوا ، وحمايةجميع القوافل الإيطالية الآتية أو الذاهبة إلى البحر .

---

(١) مع بعض التعديلات الشكلية ظهر هذا المشروع فى الكتاب الأخير(الحبشة) الوثيقة رقم ٦٠، وقد ألحق هذا المشروع بتقرير انتونيللى فى أكتوبر ٢٢ أيار ١٨٨٣. والمكان المنوه عنه فى المادة ٥ أشير إليه أيضا فى الوثيقة الموقعة من منليك وكذلك فى الوثيقة الموقعة فى أوسا .

المادة (٤)

يعلن السلطان محمد حنفرى الاتفاق مع السلاطين الآخرين على إعفاء القوافل الإيطالية القادمة والذاهبة إلى عصب من الرسوم.

المادة (٥)

يسمح السلطان محمد حنفرى لحكومة صاحب الجلالة ملك إيطاليا باستعمال أرض فى منطقة أوسا ستقام فيها محطة للتجارة الإيطالية.

المادة (٦)

تحترم جميع الديانات .

المادة (٧)

يسافر رعايا صاحب الجلالة ملك إيطاليا عبر الأراضى التى يحكمها السلطان محمد حنفرى بكل حرية. وتقدم الهيئات القنصلية الإيطالية جميع المساعدات لرعايا السلطان محمد حنفرى.

المادة (٨)

تقوم السفن الحربية الإيطالية بحراسة شواطئ الدناكل .

المادة (٩)

تصدق هذه الاتفاقية من صاحب الجلالة ملك شوا ومن صاحب الجلالة ملك إيطاليا .

المادة (١٠)

يُعد صك هذه الاتفاقية من ثلاث نسخ باللغتين العربية والإيطالية بحيث يطابق النص العربى النص الإيطالى .

١٩٨٣/٣/٥

خاتم السلطان محمد بن السلطان حنفري

كاديلي غوبو (سنفيرا)

المرفق رقم ٢ (كتاب)

من وزير الخارجية مانتشيني

إلي السلطان أوسا محمد بن حنفري

روما فى ٢١ مايو (أيار) ١٨٨٣

إلى الذى يسطع نوره من خلال السلاطين الأقوياء، إلى البطل المغوار ، إلى الأسد الجبار، إلى الذى يلوح بلواء الإسلام، إلى الجرئ بين الجميع، إلى من يسوس السيف والقلم، السلطان ابن السلطان، محمد حنفرى ، حماك الله وخلد مجدك. بعد تقديم التحية والاحترام لشخصكم الكريم، تبين أن رسائلكم التى شرفتمونا بها، وتفضلتم فيها بإعلامنا عن استقبالكم للكونت أنتونيللى الذى تشرف بجلالتكم وما قدمتموه له من حماية ومؤن حتى وصوله شوا، قدمناها لجلالة ملك إيطاليا أوغستو.

وقد اطلع صاحب الجلالة بكل سرور على ما قدمتموه للإيطاليين وقبولكم لصداقتنا. إن الإيطاليين لا يريدون غير السلام وفتح الطريق التجارية بين عصب وشوا عبر أراضيكم ، وفى هذا منفعة متبادلة لكم ولنا. إننا نرجو أن تطلعوا على المنتجات الإيطالية، وإنا على ثقة من أنكم ستعجبون بها وتقايضونها بمنتجات بلدكم .

الهدايا المتواضعة التى قدمها الكونت أنتونيللى هى أقل ما يمكن تقديمه لجلالتكم التى تستحق هدايا أثمن وأرفع، وإن ما قدمناه ليس إلا عربونا متواضعا من صديق إلى صديق، وقد سررنا بتسلمكم إياها.

أما المعاهدة التى تفضلتم بالتوقيع عليها فإننا نوافق عليها ، ونوعز إلى الكونت أنتونيللى بالتوقيع عليها باسمنا بمجرد موافقة صديقنا وحليفنا المشترك الملك القوى منليك ٠

وإننا إذ نأمل أن تتعهدوا بتأمين الحماية للتجارة الإيطالية والأمور الأخرى التى أتت الاتفاقية على ذكرها، لنؤكد لكم أن سواحلكم لن يعكر صفوها أحد٠ وإن إيطاليا تمتلك كل ما يلزمها لتنفيذ وعدها، وكونوا على ثقة أنه لا المصريون ولا غيرهم يستطيعون إزعاجكم٠ نسأل الله أن يوفقكم ويديم الخير عليكم وأن يديم صداقتنا المخلصة ويباركها لما فيه خير البلدين ٠

روما فى ٢١ مايو (ايار) ١٨٨٣

صديقكم المخلص

وزير الخارجية الإيطالية

المرفق رقم ٣ رسالة

من وزير الخارجية مانشيني
إلي سلطان رحيتا برهان

روما فى ٢١ مايو (أيار) ١٨٨٣

إلى اللامع، إلى المظفر، إلى سليل الأمراء، السلطان ابن السلطان محمد برهان،

حفظه الله ٠٠

بعد التحية والرجاء بدوام صحتكم، وبعد أن أنجزتم تلك الأعباء التى

لاشك أنها أثقلت كاهلكم ، نبين أننا استلمنا رسالتكم وسررنا بمساعدتكم للكونت الذى أخبرنا بتقاريره المرسلة إلى وزارتنا عن نشاطكم وعن كل ما قدمتموه له من تسهيلات لإنجاح مهمته٠ وإننا نقدر جهودكم ونقر أواصر الصداقة التى تربطنا معكم لصفاء نياتكم التى وثقنا بها منذ البداية٠ كما أننا نشكر اهتمامكم ونسأل الله أن يديم الصفاء والمحبة بيننا وبينكم ٠

إن الحكومة الإيطالية لا تنسى أصدقاءها، وأنتم أحد أصدقائها ، وبإمكانكم الاعتماد علينا٠ أما مار غابله فتعلمون أن الشراء قد تم بعقد أصولى أبرمه الدكتور سابيتو معكم، وقد صدق صاحب الجلالة أوغستو ملك إيطاليا والمجلس النيابى على الاتفاقية، وبالتالى لم يعد ممكنا إلغاء هذه الاتفاقية التى تم تصديقها بقانون٠ لكننا ، وبمعونة الله، لن ندخر وسعا فى تقديم ما يسركم، ونأمل من الله أن يلهمنا الحلول التى تتفق مع مصالحكم ومصالحنا٠ وفى جميع الأحوال، كونوا على ثقة من أن الحكومة الإيطالية لا تريد إلحاق الضرر بكم وستعمل كل ما بوسعها من أجل خيركم، وبما يتفق مع العدل والمساواة وخصوصا إذا ما ثابرتم على تقديم الخدمات والتسهيلات لنا ٠

وإننا إذ ندعو الله أن يلهمنا السير على الصراط المستقيم، لكم منا الجواب بأنه يمكنكم الاعتماد علينا ٠

روما فى ٢١ مايو (ايار)

صديكم المخلص

وزير الخارجية الإيطالية

تقرير٢٥٢ :

من الحاكم المدني في عصب بستولاتسا

إلي وزير الخارجية مانتشيني

عصب فى ٢٥ يونيو (حزيران) ١٨٨٣ إلى ١٨ يوليو (تموز)

لاحقا لتقريرى المؤرخ فى ١٥ من الشهر الجارى رقم/٢٤٩/ يشرفنى أن أبين لسيادتكم أنه فى ١٩ الشهر الجارى وصل من رحيتا أحد أفراد الدناكل، وقد أعلمنى أن السيد بيرى هانتا بن أبوبكر باشا زيلع أبحر على متن مركب مع جماعة من (٢٠) جنديا مصريا ونزل فى أبوخ ورفع العلم المصرى على الأراضى المجاورة التى تدفع الرسوم إلى السلطان برهان.

وبعد أن قام المسئول المصرى بزيارة التجار الفرنسيين فى أبوخ اتجه نحو نارده على طول المنطقة الساحلية من أبوخ إلى رأس سنيان. وقد رفع علما مصريا آخر على أراضى سلطان رحيتا وهدد مقر إقامة محميتنا. وإزاء هذا الخبر الذى أثار شكوكى حول نوايا المصريين رجوت قائد البارجة كاريدى، الفارس ريزاسكا، أن يسرع بزيارة رحيتا التى كان ينوى زيارتها. وقد طلب منى مرافقته. وبالفعل أبحرنا فى ٢٠ من الشهر الجارى على متن البارجة كاريدى من عصب ، وبلغنا رحيتا فى العاشرة والنصف. فنزل الترجمان سعيد عويدان إلى اليابسة، وعاد بعد الظهر ليعلمنا أن الجماعة المصرية التى جاءت على متن المركب ، تتألف من السيد بيرى هانتا ومعه ستة عشر شخصا منهم ثلاثة عشر جنديا مسلحون وضابط. وقد رسى مركبهم فى غينيباد شمالى المنطقة التى رسونا فيها. وقد بلغنا أن بيرى هانتا قام صباح يوم وصول بارجتنا كاريدى، وقبل أن تصل البارجة، ومعه جماعة من بينهم أحد القضاة بزيارة السلطان برهان فى مقر إقامته الذى يبعد مسافة نصف ساعة

من الساحل· وحين رأى السلطان الجماعة المصرية، رفع فوق مسكنه العلم الإيطالى· وبعد أن قدم بيرى هانتا واجبات التحية والسلام للسلطان برهان، أظهر استياءه لوجود العلم الإيطالى الذى حل محل العلم المصرى، ثم حاول أن يأخذ من السلطان وعدا لمصلحة مصر وبأحقية سلطانها على المنطقة· وعندما لاحت فى الأفق بارجة حربية اعتقد أنها مصرية أو إنكليزية، زادت لهجته عنفا وتهديدا، ولكن عندما اقتربت السفينة وتبين أنها إيطالية، خفف من حدة لهجته وغير الموضوع ·

أرسل السلطان برهان بسبب مرضه أحد أولاده وأحد الوجهاء لتقديم التحية لى وللقبطان ودعوتنا إلى النزول إلى اليابسة· وفى المساء نزلنا إلى اليابسة أنا والفارس ريزاسكا وبعض الضباط وقمنا بزيارة السلطان فى مقر إقامته · وقد ابتهج السلطان بزيارتنا، وأبدى سروره بوجودنا وقال إن زيارة الجماعة المصرية لم تسره، وأنها رفعت العلم المصرى فى أراضيه فى مكانين على طول الساحل، الأول فى العطيلة والآخر جنوب رأس سيان فى منطقة تسمى غيهر· وإن تصرفهم هذا يشغل كل تفكيره بالرغم من أن الدناكل مزقوا العلمين بعد أن غادر المصريون المكانين·

ويخشى السلطان أن يقوم بيرى هانتا وجماعته بإعادة عمليتهم ، وأن يلجأوا إلى الانتقام فى حالة معارضته لرفع أعلامهم· وخلال وجودنا مع السلطان حضر بيرى هانتا ومعه القاضى وسكرتير وضابط بلباس مدنى · وبعد أن تبادلنا التحيات دخلت فى حديث مع بيرى هانتا لأعرف الغرض من زيارته إلى رحيتا والمهمة التى جاء من أجلها، وقد طلبت منه أن يفصح بصراحة وقلت إننى أستغرب من مسئول مصرى كما يدعى، ومن ابن مسئول كبير، كيف يجرؤ على رفع الأعلام فى أراضى السلطان برهان التى تتمتع باستقلال تام ، وهى محمية من قبل دولة صديقة لمصر هى إيطاليا· أجاب ابن أبى بكر

بدهاء ولباقة أن الغرض من زيارته هو تفقد الساحل من زيلع حتى بيلول، وهو خلال مروره بساحل رحيتا، أحب تقديم واجبات الاحترام لصديق والده السلطان برهان، ولا يرى فى ذلك ما يسىء إلى العلاقات المصرية الإيطالية.

وما أن ذكر كلمة تفقد الساحل حتى استوقفته بسؤالى : ماذا تقصد بعبارة «تفقد الساحل» طالما أنك تعرف أن القسم الأكبر من الساحل هو تحت سلطنة السلطان برهان الذى تحميه إيطاليا وأن الجزء الآخر من الساحل يتبع مباشرة للحكومة الإيطالية ؟ وإذا كان غرضه فعلا هو تفقد الساحل كان عليه أن يتابع إبحاره إلى السواحل التى تقع جنوب عصب، حتى تاجوره جنوبى أبوخ، لا أن يقتصر تفقده على سواحل ليس له الحق أصلا فى تفقدها، وهذا ما لا أقبل به ولا يقبل به القبطان ريزاسكو أيضا من الناحية الشكلية.

أجابنى مراوغا إن التعليمات المعطاة له تقتصر على تفقد بعض النقاط فى الساحل، وإن الغرض من هذه التعليمات لا يؤثر سلبا على علاقات الصداقة بين مصر وإيطاليا، وهو لا يقصد الإساءة إلى حقوق الغير .

دوّن القبطان ريزاسكو خلاصة حديثنا الذى كان باللغة العربية، وسأل السيد بيرى هانتا متى ينوى المغادرة وإلى أين، فأجاب ابن أبى بكر باتجاه مخا على سواحل السعودية. وبعد أن زودنا السلطان برهان ببعض التوصيات عدنا إلى ظهر البارجة كاريدى.

فى صباح اليوم التالى ٢١ يونيه (حزيران) نزلت إلى البر لمقابة السلطان وطلبت منه أن يعلمنى عن كل ما يستجد بشأن بيرى هانتا. وخلال المقابلة حضر ابن أبى بكر وقد بدا لى أنه استعاد أنفاسه وذلك فى حضور جمع غفير، وكان يستعمل فى حديثه كلمات وتعابير غير دقيقة إلى حد أنها كانت تحتمل التأويل ، عندها تحدثت وأعلمته بوضوح أنه إذا ما سلمنا جدلا بمحتوى

تصريحه، الذى أدلى به ليلة الأمس حول الغرض من زيارته، وأن ذلك لا يؤثر كما ذكر بصورة سلبية على العلاقات بين إيطاليا ومصر، لا يسعنى ، بغية تجنب أى سوء تفاهم فى المستقبل، إلا الاحتجاج باسم الحكومة الإيطالية ولمصلحة السلطان برهان الذى تحميه إيطاليا على أى عمل عدائى يقع من شأنه أن يضر بسلطنته وبالسلطات الإيطالية، إننى منذ الآن أصرح بعدم قبول أى عذر من هذا القبيل٠ وإزاء محاولة بيرى هانتا ومراوغته لتخفيف حدة حديثى ٠ كررت ما قلته وقلت إن هذه هى التعليمات المعطاة إلىّ ، وإذا كانت التعليمات المعطاة له خلافا لما صرح به، فإنى أتوقف عن الحديث كصديق، وعن اعتباره ضيفا، وأطلب منه الابتعاد عن أى أرض يحمل فيها السلاح ولا يملك عليها أية حقوق٠ وقد سررت بحديثى هذا الذى أدليت به أمام السلطان برهان وفى حضور جمع غفير من أهالى رحيتا، إذ إنها كانت فرصة جيدة لاطلاع سكان المنطقة على نوايا الحكومة الإيطالية الطيبة٠ فاعتذر بيرى هانتا عن وجود رجاله المسلحين الثلاثة عشر وقال إن اثنين أو ثلاثة منهم هم لحراسته، ثم أمر الضابط أن يمضى مع بقية الجنود إلى المركب، وأضاف أنه سيبقى بعض الوقت لمقابلة السلطان برهان وإبلاغه رسالة من أبيه، وإنه فى نفس اليوم سيغادر الخليج مع إبحار البارجة كاريدى ٠

انشرحت أسارير السلطان برهان لحديثى مع بيرى هانتا وجدد شكره لتدخلى الفعال٠

لقد ظل القبطان ريزاسكو يراقب عن كثب المركب المصرى وهو راسٍ فى خليج غينيباد ، واقتربت بارجتنا منه فاضطر بيرى هانتا إلى مغادرة الخليج فى الساعة الثامنة والنصف من يوم ٢٢ الجارى باتجاه زيلع، حيث يرجح أن يقابل بيرى هانتا والده الباشا ويطلعه على مجريات الأمور وصعوبة متابعة مهمته٠ وبعد ساعة ابتعدت البارجة كاريدى عن الخليج باتجاه عصب ٠

مما تقدم، يتضح لسيادتكم أنه بات من السهل استنتاج ما هى نوايا الحكومة المصرية ونوايا مسئوليتها التى لا تتسم بطابع الصداقة وبالتالى لا يمكن الوثوق بها· وقد تقع حكومة صاحب الجلالة فى بعض المواقف الحرجة، ولا ريب أن البارجة كاريدى، لو لم تصل فى الوقت المناسب إلى خليج رحيتا، لكان من المحتمل أن يكون ابن أبى بكر الذى ينفذ خطة أبيه قد حاول التأثير على السلطان برهان سواء بالوعود أو بالترهيب كى ينتزع منه بعض التصريحات التى يقصد منها جمع بعض الشواهد وتوثيق الأدلة التى تثبت أن السلطان برهان رفض دوما مقاومة المصريين وأنه يدفع الرسوم للحكومة المصرية ·

كانت للقاضى الذى يرافق بيرى هانتا ويتولى تدوين المحاضر مهمة أخرى هى الدعاية للخديوى وإقناع المسلمين هناك بأن قبول الحماية من بلد يدين بالمسيحية سيجعلهم كافرين بالإسلام، لأن الجماعة المصرية لم ترتكب أى عمل من أعمال العنف · لقد رجح القبطان ريزاسكو فكرة التصرف بحكمة طالما أن الهدف الذى يريد بلوغه يمكن تحقيقه بإبعاد المذكورين عن أراضى السلطان برهان التى تعهدت الحكومة الإيطالية بحمايتها، ولم يكن أمام القبطان حيلة أخرى سوى الحكمة فى إبعاد المصريين البغضاء· ولكن كانت رغبة الجميع هنا لو أن القبطان لقن أولئك المصريين الدرس القاسى الذى يستحقونه· بهذه المناسبة أرى، بعد أن تأخذ سيادتكم بعين الاعتبار أهمية النتائج التى قد تحصل فى حال تكرار مثل هذه الحادثة فى المستقبل ، إنه لابد من اتخاذ بعض الاحتياطات الفعالة لدرء مخاطر محاولات مماثلة تنعكس آثارها على سمعتنا فى هذه البلاد· وهذا، وكما سبق التصريح به، ما لا تقره بلا ريب حكومة صاحب الجلالة ·

مرفـــق

رسالة ملكية

من ملك شوا منليك الثانى ،

إلي الحاكم المدني المفوض في عصب ، بيستولاتسا

وورايلو فى ٩ تيكميت ١٨٧٥ الموافق ١٨ اكتوبر (تشرين الأول) ١٨٨٢ إلى مايو (أيار) عام ١٨٨٣ فى عصب ٠

تسلمت بسرور رسالتكم التى بعثتم بها إلىّ وقد سرنى نبأ وصول أنتونيللى٠ وبما أن وصول أنتونيللى إلى أبوخ متفق عليه، فقد أرسلت ٦٠ جملا٠

إن أنتونيللى لم ينزل إلى البر بعد، لذا فجمالى ستكون هناك وهى محملة ببضائع أرسلها رعاياى ٠

إننى الآن على اتصال مع محمد حنفرى لفتح الطريق ، وسأحاول الاتفاق معه على ذلك، علمابأننى قد كتبت إلى محمد حنفرى أيضا حول الموضوع نفسه٠ وقد دعوت محمد حنفرى إلى إرسال الجمال اللازمة مع خفرها، وأضفت أن أنتونيللى سيمر فى هذه المرة عن طريق زيلع فى حين أن متاعه سيتم نقله عن طريق أوسا٠ وأجابنى حنفرى أنه لا يرحب بأى أوروبى على أرضه، لذلك فإن الطريق عبر زيلع أفضل فى هذه الفترة، وعندما يتم فتح الطريق يستطيع الإيطاليون عبورها، ولكن يستحسن صرف النظر عنها الآن٠ وإذا ما أراد أنتونيللى السير عبر هذا الطريق فإننى لا أشاركه الرأى، بل أفضل أن يسافر فى الطريق الأخرى، وأن يبعث بمتاعه عن طريق مصوع٠ وإننى كما ذكرت أسعى جاهدا لفتح الطريق عبر زيلع، وذلك لمصلحة بلدى ولمصلحة إيطاليا ٠

السيد بيير (لاباتوت) اشترى ٤٠ بندقية لحسابى واعتقد أنها الآن فى عصب، أرجو إرسالها إلىّ ٠

رسالة ملكية

من ملك ملوك الحبشة، يوهنس (يوحنا) الرابع ،

إلي ملك إيطاليا أومبرتو الاول (١)

سيميرا فى ٢١ ميسكيريم ١٨٧٧ ، ٣٠سبتمبر (أيلول) ١٨٨٣

١ – بسم اللـــه ٠٠٠

كيف حالكم ؟ أنا بخير ولله الشكر٠ لقد طلبتم صداقتنا ونحن نريد صداقتكم أيضا، وهذا متفق عليه بمشيئة الله على الدوام٠

فيما يتعلق بطريق أوسا، فهى لا تزال غير مفتوحة لأن الشعب هناك مشاغب ولم أتغلب عليه بعد ٠ إن الطريق الجيدة، وهذا سر بيننا، هى طريق أرو المؤدية إلى تيجرى ٠ وأنا أرسل أتباعى كافة إلى هذا الطريق، وافعلوا أنتم كذلك بالنسبة للتجار الأوروبيين، أما المصريون الذين يحيطون بى من جميع الجوانب فليسوا أصدقائى، أما الطريق الجديدة ٠٠٠ (٢)

٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ فإننى أرغب فى أن أشترى بنقودى البنادق وبعض المدافع الصغيرة فأرجو أن تعملوا على إرسالها لى لصداقتكم لنا ٠

---

(١) أرسلها برانكى مع التقرير رقم ٢٣ ، تقرير مهمته فى الحبشة بتاريخ ٣٠ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٨٨٣ ، وقد سبق طبعها فى بعثة القنصل الملكى الفارسى جيوفانى برانكى فى الحبشة ١٨٨٣، الوثيقة رقم ١٥ وقد نشرتها وزارة الخارجية فى عام ١٨٨٩ ٠

(٢) نقص فى الترجمة العربية، لم نتمكن من معرفة ما إذا كان مصدره النص الإيطالى أم لا ٠

٢ - بســم الله ...

كيف أنتم ؟ أرجو لكم صحة دائمة ، تسلمت رسالتكم بسرور مع الهدايا المرفقة بها، الحلى والمعاطف معى وأشياء أخرى بواسطة القنصل جوفانى برانكى . أشكركم.

مرفــق :

رسالــة :

من سلطان رحيتا ، برهــان

إلي الحاكم المدني المفوض في عصب، بيستولاتسا

رحيتا فى ٧ ذى الحجة ١٣٠٠ الموافق ١ أكتوبر (تشرين الأول) ١٨٨٣ إلى ١٠ أكتوبر (تشرين الثانى)

استلمت رسالتكم عن طريق الشيخ عبدالرحمن بن يوسف، وقد سررت بنواياكم تجاهى، ومن جهتى فإننى أسعى جاهدا لخدمة حكومتكم ، لكى أكون ذا نفع اعترافا منى بما قامت به حكومتكم من تأمين الدفاع عنى ضد أعدائى .

فى مراسلاتى مع حكومتكم، أعلمتها بشأن مار غابله أننى لا أحقد عليها سواء علقت أهمية على الحادث الذى كنت أنا ضحيته أم لم تعلق. وبالرغم من الألم الذى سببه لى، فإنه لا يخطر لى القيام بعملية انتقام، وإنما أنتظر بالمقابل التعويض أو المساعدة من وزارتكم.

ترون كم أجهد نفسى لصالح حكومتكم، إن أهالى بلدى من البدو وهم لا يعرفون أصول الحكم، وأنا بشىء من الصبر أعمل على تثقيفهم وأعلمهم الاعتراف بالحكومة.

عندى الآن بعض الضيوف من المناطق الداخلية يطلبون منى نقودا، فأطلب موافاتى بأربعمائة قطعة من النقود (توريللى) ، فإذا أردتم مساعدتى وافونى بالمبلغ لاسيما أنه مبلغ صغير، ولا أعتقد أن حكومتكم تمانع فى دفعه، علما بأننى كنت أتمنى استلام مبالغ أكبر منها بكثير، وأمل أن تدرك حكومتكم نواياى الطيبة التى لاشك وأنها ستكافئنى عليها بمبالغ أكبر ٠

تقرير ٣٠١ مكرر

من الحاكم المدني المفوض في عصب، بيستولاتسا

إلي وزير الخارجية مانتشيني

عصب فى ٢٤ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٨٨٣

فى الساعات المبكرة من يوم ٢١ نوفمبر (تشرين الثانى) الجارى توفى برهان سلطان رحيتا على أثر نوبة قلبية حادة٠ وفى ليل هذا اليوم بالذات حضر دنكلى إلى مار غابله، ونقل الخبر ٠ وبعد أن تأكد لى الخبر هذا اليوم، اتفقت مع الفارس ريزاسكوا فى ٢٣ الجارى، فنقلتنا البارجة كاريدى إلى خليج رحيتا، ونزلت هناك إلى البر برفقة القبطان الذى تبعته سرية من حرس الشرف وبعض الضباط لتقديم التعزية لأولاد السلطان المتوفى وللأهالى الممثلين بمجلس الشيوخ، ولا يخفى ما لمثل هذه الزيارات من آثار إيجابية٠

الوزير حومد، أخو السلطان برهان، هو الوريث الشرعى، لكن العادات هنا تقتضى ألا يمارس الوريث مقاليد السلطنة إلا بعد مرور أشهر الحداد الأولى التى تمتد إلى أربعة أشهر أو ستة، وفى هذه الأثناء يقوم أبوبكر أكبر أولاد المتوفى بإدارة أمور السلطنة ويعاونه فى ذلك مجلس من الشيوخ٠ وقد سلمنى المذكور رسالة أبعث لكم بترجمتها، وهو يعلمنى فيها بخسارة

السلطنـــة بـوافاة والده السلـطان برهان ويطلب منى إبلاغ الحكومة الإيطالية ذلـــك ٠

إن وفاة السلطان برهان لا تـغير من الوضع شـيئا بالنسـبة لنا، بل يمكن القول إن أمـورا كثيرة ستنقلب لصـالحنا، إذ إن خليفـته السلطان حـومد، وهو شاب يتمتع بمشاعر طيبة تجاه الحكومة الإيطالية، على استعداد للتعاون معنا، وله فى البـلاد حـزب كـبيـر وقـوى، وأعـتـقد أن عـلاقـتنا الجـيـدة التى كـانت مع السلطان الراحل ستمتد إلى السلطان الجديد ٠

وصل اليوم إلـى عصب الفارس برانكـى الممثل الملكى، واسـتلم دفة الإدارة وسيتولى إعلام وزارتكم بكل ما يسـتجد من أحداث ٠

مرفـق :

رسالـة :

من حاكم سلطنة رحيتا، إلي الحاكم المدني في عصب، بيستولاتسا

رحـيـتـا فى ٢٢ مـحـرم ١٣٠١ الموافق ٢٣ أكـتـوبر (تشرين الأول) سنة ١٨٨٣

بعد التـحية والتـضـرع إلى الله الذى رعانا بحـمايته، إن أبا بـكر وعليا، ابنا السلطان برهان سلطان رحـيتـا، ومـجلس شيـوخها يعلمون صـاحب السعـادة حاكم عـصـب، ممثل الحكومة الإيطالية، أنه فى صـباح يوم ٢١ من شهـر مـحرم من عـام ١٣٠١ هـجـرية فـارق الوالد السلطان برهـان الحـياة الدنيا إلى الحـياة الآخـرة٠ ونرجو من السـيـد الحاكم إبلاغ هـذا النبأ إلى الحكومة الإيطالية التى تحمينا، وتحت حمايتها سنبقى٠

تبعا لتقاليد وعادات بلدنا عهد إلينا بإدارة الحكم فى السلطنة خلال فترة الحداد ، ونحن نؤكد أن شعورنا نحو الحكومة الإيطالية، التى تحمينا، لم يتبدل، وسنبقى على وعدنا معها كما كان السلطان الراحل برهان وسنعمل على أن تسود الطمأنينة والأمن هذا البلد سواء بالنسبة لمواطنينا أو للأجانب بصورة عامة والإيطاليين بصورة خاصة ٠

تقرير رقم ٢٨ حول البعثة إلي الحبشة

من الحاكم المدني المفوض في عصب، برانكي،

إلي وزير الخارجية مانشيني

عصب فى ١ فبراير (شباط) ١٨٨٤ إلى ٢١ فبراير (شباط)

فى ٢٢ من الشهر الماضى، وعلى مركب عربى الهوية ، وصلتنى عن طريق عدن ورقة العمل رقم ٣٩ التى أعددتموها فى ٢٢ ديسمبر (كانون الأول) الماضى ٠ وقد كان بودى، قبل الإجابة، أن أتداول، كما نصحتم، مع الكونت أنتونيللى، ولكننى، بسبب بقاء المذكور فى عدن، وجدت أنه من الأنسب إطلاع سيادتكم على رأيى بالموقف ليكون لديكم الوقت الكافى من أجل اتخاذ ما ترونه مناسبا من الإجراءات ٠

السؤال الذى يطرح نفسه علىّ هو ، هل يثير قدوم بيانكى ورفاقه إلى عصب مع جماعة من الأحباش غضبا عاما لدى الدناكل، فيتسبب ذلك فى أن نفقد جزءا من طريق أوسا ونعرض مستعمرتنا للخطر ؟

الحقيقة أننى لم أتوصل إلى جواب٠ إننى لا أعنى بالحملة الغزو المسلح كما يحتمل أن يفهم من بعض عباراتى التى كتبتها سابقا دون قصد منى٠ إذ إننى قد أكون كتبتها وأنا فى حالة من الإعياء والتعب أثناء سفرى٠ إن ما عنيته

وأعنيه الآن هو أن ترافق الحملة مجموعة من الأشخاص لحمايتها، ويتم اختيار هؤلاء وتزويد بعضهم بالبنادق ·

يصل بيانكى ، إذا لم تتبدل تعليمات الملك يوهنس (يوحنا)، من الحبشة ومعه جماعة كبيرة إلى أن تصل جماعة المقدمة من سكان رأس زيبول، مع العلم بأن الضرورة تقتضى، وبسبب شح المياه، أن يكون متاع البقية الباقية محدودا، وسيكون كل ذلك قاصرا على مرحلة أو أكثر دونما حاجة إلى موافقة السكان التى لا يصعب على الملك يوهنس (يوحنا) الحصول عليها· وينبغى ألا ننسى أيضا أن قبيلة داهملا التى يتزعمها على كيفار منتشرة حتى بيرو (على مسافة أربعة أيام من هنا)، وتقر بسيادة الملك يوهنس (يوحنا) عليها وتؤدى الجزية له· وبالنسبة للقسم الأخير من الطريق، فسنلجأ إلى حنفرى الذى سيتوسط لنا لدى إبنى برهان، وإنى على ثقة من أن الأمر لن يشكل أية صعوبات سواء أمام مرور بيانكى أو أمام القوافل التى ستتبعه من أراضى الحبشة ·

يعرف حنفرى منذ زمن مطلب الملك يوهنس (يوحنا) إيجاد طريق له إلى البحر، ويعرف أيضا أن الملك إذا لم يجد الطريق عبر أراضيه فسيجدها فى أراض أخرى· كذلك يعرف عبدالرحمن، الذى سبق أن أشرت لكم عنه، ما يريده الملك يوهنس (يوحنا) وليس من الصعب كما أعتقد إيجاد الممر، وحالما يصل الكونت أنتونيللى سأطلعه على التفاصيل ·

وحول قلق سيادتكم من اعتقاد الدناكل بتحالفنا مع الملك يوهنس (يوحنا) لغزو بلادهم فإننى أستبعد هذا الاعتقاد، إذ لا يخفى على الدناكل، وبعد مرور خمس سنوات على وجودنا فى هذه المناطق، عدم وجود قوات عسكرية لنا فى عصب، وتلطيفنا للظروف المحرجة بمرور أنتونيللى دون حراسة من أية جماعة· حتى لو أعلننا أننا نريد غزو بلادهم فإنهم لن يصدقوا

ذلك لأنهم اعتادوا على مسالمتنا لهم ولغيرهم· وإذا ما رأيتم ضرورة إصدار تعليمات جديدة للسيد بيانكى، فلديكم المتسع من الوقت لذلك· وأقول ليس من صالحنا فى شىء، لمجرد افتراض الخطر، أن نقع فى شر أعمالنا وهو إثارة الملك يوهنس (يوحنا) ودفعه إلى قطع طريق أرو والإيعاز بإغلاق طريق شوا· وهنا أرى أن من واجبى تصحيح الصورة المعطاة لكم عن الوضع السياسى فى الحبشة· إن مواطنينا هنا يحظون بمحبة السكان المحليين ويحلون ضيوفا عليهم فى رحلاتهم ولاسيما فى شوا ولدى الملك منليك، باستثناء أقاليم الجالا التى يبدو أن الملك يوهنس (يوحنا) ترك لها الحرية على غرار أقاليم شوا وجوجام· ورغم الثمانين ألفا من أتباع الملك منليك وعلاقاته مع بلدان أجنبية فلا يستبعد أن ينفذ ما يمليه عليه الملك يوهنس (يوحنا) الذى يحتفظ لنفسه فى معسكره بنائب له (أحد اخوته) فى حالة عدم إطاعة أوامره· إن إيعازا من الملك يوهنس لا يضعف الاتفاقية فحسب، بل يغلق أمامنا الطريق إلى شوا أكثر مما يمنعنا حنفرى، لذلك يستحسن فى رأيى أن نعمل على حمل الملك يوهنس على الاعتقاد بأننا سنمنحه ما منحناه للملك منليك · وهذا لصالحنا من الناحية التجارية لازدهار عصب· إن إقليم جوجام فى قبضة الملك يوهنس، فمن المستحسن جدا أن نشمل الحبشة بهباتنا التى ننوى تقديمها، حتى نزول بيانكى· وإذا ما تأكدت أنباء مصوع ستتضح الأمور حول مصر والحبشة· وفى هذه الحالة يرجح أن تكون مصوع أو عصب هى التى يتموّن منها الملك يوهنس بالأسلحة حسب طلبه، ويتوقف سفر بيانكى، بناء على خطته هو نفسه، كما لو أنها سفرة استكشافية جغرافية·

(تقريــر)

من أنتونيللي المبعوث إلي شوا ،

إلي وزير الخارجية مانتشيني

عصب فى ٩ فبراير(شباط) ١٨٨٤ إلى ٥ مارس (آذار)

أتشـرف بإعـلام سـيادتكم أننى، لدى وصـولى إلى عـصب، وجـدت عـددا كبـيرا من الرسائل التى وردت من شـوا وأوسا٠ وقد تبين أن قـافلة الملك منليك لن تصل فى موعـدها بسبب كثافـة الأمطار، ويحتمل أن تصـل فى أواخـر شـهر مايو المقبل ٠

إن علاقـاتنا الجـيدة مع سلطان أوسـا لـم يطرأ عليهـا أى جديد، وإن كـانت حربه مع باشا زيلع تعـتبر من أهـم العوامل التى أعـاقت فتح الطريق بين عصب ومملكة شوا٠ ومن بين ما وجدت لدى عودتى إلى عصب رسالتان : إحداها من الملك منليك والأخرى مـن سلطان أوسـا [تجدونهـما] ربطا (أ) و (ب) ٠ ومن اطلاع سيادتكم عليها تتبين لكم الأمـور أكثـر مما لو بينتها بكلماتى ٠ لكننى استـميـحكم عذرا بلفت نظر سـيادتكم إلى أنه، من أجل فرض هيبـتنا، لابد من إرسـال إحدى السـفن الحـربيـة إلى زيلع لإلـزام باشـا الإقليم بتـصحـيح سلوكـه معنا، لأنه لم يعـد خافيا علينا وعلـى الآخـرين أنه هـو الذى حرض قبائل عيسـى الصـومالية على غـزو أراضـى مـحمد حنفرى فى أوسـا، بهدف عدم اسـتتباب أمن الطريق إلى عصب٠ كـما يجب إفهـام أبى بكر، باشـا زيلع، أن عليـه إطلاق سـراح زوجة عبدالرحـمن التى يحتفظ بها رهينة لمحو الانطبـاع السيىء الذى تركه فى نفسه قبطان الكاريدى ٠

أرجو المعزرة لجرأتى فى ملاحظاتى ٠٠٠ إلخ ٠

المرفق ٢ :

رسالة ملكية :

من ملك شوا، مينيليم الثاني، إلي أنتونيللي الموفد إلي شوا

اينتوتو فى ٢٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٨٣

كيف حالك ؟ أنا بخير والحمد لله، لقد سررت باستلام رسالتكم المؤرخة فى ٢١ سبتمبر (أيلول) ١٨٨٣، كما سررت بوصولكم سالمين إلى مستعمرة عصب وبسلامة القافلة التى قادها عبدالرحمن، فهمت من رسالتكم أن عائلة أبى بكر حاولت تحريض بعض القبائل على نهب القافلة، وأنا أعرف تماما أنكم لا تكتبون إلا الصدق، لذلك كتبت فورا إلى أبى بكر أن يراقب عن كثب جماعة عيسى الصومالية، وأعتقد أن الطريق سيكون آمنا.

إننى سعيد للنتائج التى انتهت إليها أعمالنا وأشكر لكم بهذه المناسبة جهودكم. وسأبعث، كما اتفقنا، مع القافلة جبرى سيلاسى نيغوسى بعد الإرسالية إلى أوسى جالا، وسأبذل جهدى كى لا يتكرر هذا التأخير مرة أخرى. وفور الانتهاء من الإرسالية سأعود وأبعث بالقافلة. إن من دواعى غبطتى أن أسمع أن عصب أصبحت مركزا للتبادل التجارى بين إيطاليا وشوا، وهى ستبقى محطة لبلدين صديقين دوما. وسيحضر جبرى سيلاسى إلى عصب، وعندما تغادرون باتجاه شوا سأكتب إلى محمد حنفرى لمساعدتكم وحمايتكم.

أصدرت التعليمات إلى أزاجى ولد صادق لإعداد العدة من أجل تسفير القافلة عند وصولى. أما بخصوص ليت ماريفيا فاطمئنوا، لأننى سأراقب أنا نفسى تلك المحطة، وأكون سعيدا إذا اصطحبتم معكم طبيبا مثقفا كى يبقى فى ليت ماريفيا.

أحضـروا لى معكم سـاعات ذات أجـراس وكرونومـترات من النوع الجـيد، وكميات وافية من الأدوية ·

المرفق ب :

رسالـة

من سلطان أوسا محمد بن حنفرى ، إلي أنتونيللي الموفد إلي شوا

أوسا فى ٢٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٨٣

وصلت البنادق السـتة عشـر التى أرسلتمـوها لى، وأشكركم عليهـا· وقد اسـتلمت اليـوم رسـالة منكـم· إن رحى الحـرب ، كمـا تعلمـون، تدور الآن فى جميع أنـحاء بلادنا لأننا فتحنا طريق عـصب وأصبحنا أصدقـاء الإيطاليين· وما ذكـرته يتعـلق بنـا كمـا يتعلق بالحكومـة الإيطاليـة، ونحن بانتظار مـا يقـوله ملككـم·

بلغنـى أيضـا أنهم رفـضـوا فى زيلع تسـليـمكم زوجـة عـبدالرحـمن بن يوسف وأنا أنتظر رسـالة منكم تبينون فـيهـا نتـيجـة وسـاطـتكم حول فك أسـر زوجة عبدالرحمن وأوصيكم بألا تملو، لأن أبا بكر قـد عاقبته حكومتكم بسـبب مـا يرتكبه من أذى ومـا يفـعله من أجل عـدم فـتح الطريق· لقد بنينا لكم بيتـا متواضـعا [١] وإذا لم يعجبكم نبنى لكم بيتا آخر ·

أعلمونى عن صـحتكم وكيف وجدتم عـائلتكم وهل تسير أموركم على ما يرام

---

(١) هـو مستودع للبضائع أو محطة قوافل، انظر الوثيقة التالية ·

تقريـــــر

من أنتونيللي المبعوث إلي شوا ، إلي وزير الخارجية مانتشيني

عصب فى ١٦ فبراير (شباط) ١٨٨٤ إلى ٥ مارس (آذار)

بناء على تكليف سيادتكم فى ٤ يناير (كانون الثانى) فإن هدف مهمتى فى عصب هو توطيد العلاقات الجيدة مع سكان المناطق الداخلية وتنشيط وصول القوافل من شوا ٠ ولكن، ولأسباب لا علاقة لى بها، يؤسفنى أن أنقل إليكم أن العلاقات مع زعماء الدناكل لم تعد جيدة كما كانت عندما تركت عصب فى أكتوبر (تشرين الأول) الماضى، فسلطان عصب عبدالله شاهين موجود منذ مدة فى عدن ، وقد شكا من الأسلوب الذى عاملته به السلطات الإيطالية فى عصب، وأشار إلى أنه لم يعد يتحمل وشايات الترجمان سعيد عويدان٠

أبناء السلطان برهان لا يأتون إلى عصب بحجة أن عليهم البقاء فى رحيتا، فى حين أنهم ذهبوا إلى أبوخ فى مناسبات أخرى ووضعوا أنفسهم تحت تصرف التجار الفرنسيين ٠

والسلطان محمد الويتو بقى عدة أيام فى رحيتا يعلن أنه سيحضر إلى عصب، لكنه غادر رحيتا نحو أبوخ ٠

كما أن قائد القافلة عبدالرحمن بن يوسف كان فى عصب عند وصولى إليها، ولكنه بعد مرور يومين على وصولى، غادرنا باتجاه أبوخ علما بأنه كان أثناء غيابى عن عصب قد سافر إلى أبوخ عدة مرات ٠

إزاء الوضع الراهن يؤسفنى أن أعترف لسيادتكم أننا لم نتوصل إلى ما كنا نرجو التوصل إليه٠ بل يبدو أننا عدنا إلى نقطة البداية بعد مرور سنتين

من الجهود· إنني لم أقصر فى واجبى ، وقد أطلعت حاكم عصب المدنى على مخاوفى، وبالاتفاق مع سعادته أرسلت الرسائل إلى رحيتا وأبوخ لدعوة زعماء الدناكل إلى عصب، وقد تبين من رسالة أخرى وصلتنى نهار الأمس من السلطان محمد حنفرى ، أن قافلة شوا لم تغادرها بعد · إن السلطان حنفرى يكرر توصيته بأن ألحّ على حكومة صاحب الجلالة لتقوم بالتوسط لدى باشا زيلع من إجل إطلاق سراح زوجة عبدالرحمن، ويضيف أنه شيّد كوخا كبيرا فى أوسا فى المكان الذى اتفقنا على أنه يصلح محطة إيطالية للقوافل القادمة من شوا أو الذاهبة إليها· وينبئنى عن نصر أحرزته جماعته من الدناكل فى حملة ضد جماعة عيسى الصومالية · إن أخبار حنفرى تسرنا، ولكن، ومن أجل ضمان سلامة وأمن طريق عصب – أوسا – شوا ، لابد من أن تكون علاقاتنا مع زعماء الساحل على أساسا متين من الصداقة وعندئذ تصبح عصب مركزا للدناكل وتستقطبهم · أرسلت إلى شوا كتابا آخر ألحجت فيه على الملك منليك أن يرسل القافلة بأسرع وقت ممكن، لأننا ننتظرها منذ أكثر من شهر ·

تقرير ٣٤٨

من الحاكم المدني المفوض في عصب، برانكي إلي وزير الخارجية مانتشيني

عصب فى ٧مارس (آذار) ١٨٨٤ إلى ٧ إبريل (نيسان)

فيما يتعلق بالخبرين اللذين أرسلهما لسيادتكم معتمدنا وقنصلنا العام فى مصر أقول إن الخبر الأول، المتعلق بابن برهان، لا أساس له من الصحة، وأضيف أن العادات هنا تقضى بأن يتولى الابن الأكبر تسيير أمور السلطنة خلال عام الحداد · وفى عصب الآن الوزير (وهو ولى العهد الذى سيتسلم

مقاليد الحكم بعد فترة الحزن) وأولاد السلطان الراحل وأتباعهم، وهم لم يسبق لأحد منهم أن ترك رحيتنا كما بلغكم. أما الخبر الثانى الذى يتعلق بتحديد أراضى إقليم أبوخ فهو صحيح. ويبدو أن الحكومة المصرية ليست لها فى أبوخ تلك المطالب التى كانت لها سابقا بالنسبة لعصب بدليل أن الحكومة المصرية قبلت تأليف لجنة مشتركة لتحديد أراضى إقليم أبوخ . وبهذه المناسبة أشير إلى أنه تبعا لتصريحات الوزير التى يستفاد منها أن قواد الحرب الفرنسيين الموجودين منذ أيام فى أبوخ أعلنوا مجموعة من الإدعاءات حول الساحل بأكمله حتى دمبرا.

وأرى أن من المستحسن، من أجل مستعمرتنا، أن تبحث حكومتنا أسباب هذه الادعاءات التى لا تستند إلى معطيات مادية .

مرفق :

معاهدة الصداقة بين سلطات قوعد وعصب وإقليم

اءويمار، حومد لويتا وبين ملك إيطاليا أومبرتو الأول

عصب فى ١٧ مارس (آذار) ١٨٨٤

المـــادة :

١ - السلام والصداقة يبقيان أبدا بين السلطات الإيطالية فى عصب والسلطان حومد لويتا وأتباع الفريقين .

٢ - يسمى كل من الطرفين ممثلا عنه لإنجاز الأعمال.

٣ – يضمن السلطان حومد لويتا للحكومة الإيطالية ولجلالة الملك منليك أمن الطريق بين عصب – غوبعد ومملكة شوا، كما يضمن سلامة القوافل الإيطالية الآتية أو الذاهبة إلى البحر ٠

٤ – السلطان حومد لويتا، بالاتفاق مع جميع الزعماء، يصرح ويقر بإعفاء جميع القوافل الذاهبة مباشرة إلى عصب أو الآتية منها من جميع الضرائب والرسوم ٠

٥ – تحترم جميع الديانات ٠

٦ – لكل رعايا صاحب الجلالة ملك إيطاليا حرية السفر والانتقال فى الأقاليم التابعة لسيادة السلطان حومد لويتا، وعلى السلطات الإيطالية القنصلية تقديم كل التسهيلات لرعايا السلطان حومد لويتا٠

٧ – تحمى السفن الحربية التابعة لجلالة ملك إيطاليا سواحل دنكاليا من جهة البحر ٠

٨ – توقع هذه المعاهدة من صاحب الجلالة ملك شوا ويصدقها ممثل صاحب الجلالة ملك إيطاليا ٠

٩ – تعد هذه المعاهدة من ثلاث نسخ باللغات الإيطالية والعربية والأمهرية ٠

تقريـــر

من أنتونيللي، إلي وزير الخارجية مانتشيني

روما فى ١٢ إبريل (نيسان) ١٨٨٤

جـوابا على كـتابكم المـؤرخ فى ٨ مارس (آذار) ، أتشـرف بأن أعـرض على سـيادتكم المقـترحـات التى حـضـر من أجلهـا الشـيخ عـبدالرحـمن إلى إيطاليـا لدراسـتها والوصـول إلى حـلول مرضـية بشـأنها٠

إن عبدالرحمن يطالب الحكومة فيما يتعلق بشخصه بما يلى :

تحـرير زوجتـه من باشـا زيلـع أبوبـكر، وترضـيـته وتعـويضه عن الأضـرار التى لحـقت به وبعـائلتـه بسـبب احـتـجـاز ثلاثة مراكب (سـمك) له وهـدم بـيتـه، وبيع خادمـه جيهـار من قبل باشـا زيلـع مع ثلاثة عبيـد فى سـوق جدة٠ كـما أنه يرغب فى أن تحـمـيـه الحكومـة الإيطالية بحـيث يذعن البـاشـا ويحـتـرم حـرمـة أراضـيه٠

أمـا المطالب الأخـرى التى سيـعـرضـهـا عـبدالرحـمن على سـيـادتكم باسم جميع الدناكل فـتـتعلق بأمن طريق عـصـب – أوسـا – شــوا ، إذ إن البـاشـا أبو بكر يسـعى، وكمـا هـو معلـوم لدى سـيادتكم ، بكل وسـيلة لإظهار طريق عـصـب – أوسـا – شـوا على أنهـا طريق غيـر آمـنة٠ وبالفـعل ففى يوم مـغادرة القـافلة من عصـب، نشـبت الحـروب بين قبائل عيسى الصـومالية، وقبائل الدناكل فى أوسـا، ومن المعـروف لدى الجـمـيع أن مـن حـرض عـلى هـذه الحـروب ودفع الأمــوال بسـخاء من أجلها هـو السـلطات المصـرية فى زيلـع٠

لذلك فإن قـبائل الدناكل تطلب من الحـكومة الإيطالية أن تمنـع باشـا زيلـع من الاعتداء عليها وإلحاق الأضـرار بها ٠

إن مطلبهم هذا هو ضمن الحدود المعقولة، لذلك أقترح أن تعلن الحكومة الإيطالية على سكان تلك الأقاليم أن حاكم زيلع ملزم باحترام العلم الإيطالى، وأن إيطاليا فى حالة عدم انصياع المذكور لحرمة علمها، تعرف كيف تأخذ حقها بنفسها·

إن إرسال إحدى السفن الحربية إلى ميناء زيلع قد يساعد على إطلاق سراح عائلة عبدالرحمن وضمان أمن الطريق بين عصب ومملكة شوا، وبذلك لا يبقى أمامنا سوى إيجاد حل مرض لموضوع مار غابله· وأرى ، من أجل أمن مستعمرتنا وضمان استمرار العلاقات التجارية بحالة جيدة مع الأقاليم الداخلية، أنه من الضرورى أن يكون الدناكل فى كل من رحيتا ومار غابله أصدقاء مخلصين، ويمكن تحقيق ذلك بإبعاد كل شبهة وشك فى أن إيطاليا تريد احتلال بلدهم وحرمانهم من استقلالهم الذى يحرصون عليه أشد الحرص؛

لقد فوض زعماء الدناكل جميعهم الشيخ عبدالرحمن لحل هذا الموضوع، لذا أقترح أن يكتب إلى السلطان حنفرى وحومد لويتا والوزير وأبى بكر رحيتا بأن ريف مار غابله يبقى للدناكل وأن ذلك لا يغيره رفع العلم الإيطالى، وأن بإمكان الحكومة الإيطالية أن تقيم فى رحيتا قرية أخرى للحكم الإيطالى المباشر· وإزاء هذا الاقتراح أعتقد أن عبدالرحمن سيوافق خطيا باسم جميع السلاطين وزعماء رحيتا·

إن الأوضاع الراهنة فى أقاليم المنطقة كلها تتطلب فى هذه الظروف الصعبة غاية الحكمة واللين، لذلك أوصى سيادتكم بحرارة أن تأخذوا اقتراحى بعين الاعتبار· كما أننى اقترح تخصيص راتب شهرى لسلطان غوبعد حمد لويتا ليتمكن من إدارة وتوجيه خلفاء برهان بالسير على أسلوب والدهم

الراحل، وبذلك نكون قد كسبنا حليفا قويا يمكن الاعتماد عليه كما كان السلطان برهان من قبل.

وأما عبدالرحمن، فيمكن تعيينه ترجمانا للغة العربية في مستعمرتنا لأن قبائل الدناكل في قبضة يده، ويكون في الوقت نفسه عميلا لنا. وإنني على قناعة تامة من أنه سيكون مصدر نفع لما يقدمه من خدمات بما يملكه من براعة ومقدرة. وأن تسميته ترجمانا وعميلا لنا لا تمنع أن يعهد إليه بقيادة القوافل المهمة، وفي حالة غيابه يقوم مقامه عمه الشيخ عثمان الذى يعمل منذ وقت طويل ترجمانا وعميلا.

تقرير ٣٦٧

من حاكم عصب المدني المفوض برانكي، إلي وزير الخارجية مانتسيني

عصب فى ١ مايو (أيار) ١٨٨٤ إلى ١٩ مايو(أيار)

وصل أمس قادما من أوسا أحد خدم حنفرى حاملا معه بريدا غير ذى أهمية لى وللكونت أنتونيللى، لكن الخبر الذى يستحق الذكر هو الإشاعة التى تتعلق بالقافلة التى جهزها الملك منليك من شوا ووصلت بادو. وإن كان هذا الخبر لا يزيد عن كونه مجرد إشاعة، فى حين تأكد نبأ عودة القافلة التى جهزها محمد حنفرى للكونت أنتونيللى من شوا إلى أوسا وهى مؤلفة كما يقولون من (١٣٠) جملا محملة بالجلود، و (٢٠) جملا منها محملة بأنياب الفيل.

إن مثل هذا النبأ الذى يعلن عن بداية تنفيذ الاتفاق من جانب ملك شوا يؤكد حدسى الذى لم أشك فيه. وعند انطلاق بقية القافلة سأؤكد لكم الخبر

ببرقية أبين فيها وصول قافلة أنتونيللى إلى بادو، هذا وأرجو من سيادتكم إبلاغ هذا الخبر للكونت أنتونيللى إذا كان لا يزال فى إيطاليا.

مرفق
رسالة

من وزير الخارجية مانتشيني، إلي سلطان أوسا محمد بن حنفري وإلي سلطان غوبعد حمد لويتا، وإلي أبي بكر ابن سلطان رحيتا الراحل ، وإلي الوزير في رحيتا

روما فى ١٧ مايو (أيار) ١٨٨٤ (١)

نقدم لكم تحياتنا المخلصة ونرجو لكم من الله الخير والتوفيق فى هذه الحياة الدنيا والحياة الآخرة. من خلال عرض موفدكم الشيخ عبدالرحمن والكونت أنتونيللى اطلعنا على رغباتكم فى التسوية المرضية لموضوع منطقة مار غابله التى اشتراها البرفسور سابيتو من السلطان الراحل برهان، ودرسنا الوضع بمنطق ودى لنظهر ونؤكد لكم صداقتنا المخلصة وحسن مقاصدنا تجاهكم دون مواربة أو إعطاء وعود كاذبة .

يسرنا أن ننقل إليكم أننا اتفقنا على أن يستمر العمل بالاتفاقية التى سبق إبرامها معكم عن طريق الحاكم المدنى فى عصب بشأن مار غابله. وتأكيدا منا لحسن نوايانا فإننا نؤكد رغبة الحكومة الإيطالية فى احترام

(١) يلاحظ أن تاريخ هذا الكتاب لاحق لتاريخ إحالته (الكتاب السابق) ، فلا بد أن فى أحد التاريخين غلط بسيط .

ملكياتكم الخاصة وترك مطلق الحرية لكم بإدارة أمور بلادكم وفقا للعادات والتقاليد التى تتبعونها دون أى تدخل منا ·

إن البيوت والأراضى العائدة لسكان مار غابله تبقى ملكا لكل من يملكها من الدناكل، على أن يحظر عليهم بيع هذه الملكيات إلى الأوروبيين، وفى حالة رغبة أى منهم فى بيع بيته أو ممتلكاته لا يحق له بيعها إلا إلى الحاكم ممثل جلالة ملك إيطاليا ·

وعلى زعيم مار غبله أن يطيع الحاكم المدنى فى عصب وأن يؤدى ما يطلب منه فيما يتعلق بالإجراءات العامة التى يتطلبها تطوير منطقة مارغبله وازدهارها، كما تم الاتفاق على ألا تفرض المكوس فى مار غبله وغيرها من الأقاليم على القوافل العابرة· وأن هذا اتفاق لا يمنع الحكومة الإيطالية من أن تشيد بعض البيوت خارج مناطق مساكن الدناكل فى مار غبله للاستعمالات التجارية، وأن تدير الحى الإيطالى الجديد مباشرة السلطات الإيطالية·

لقد تم الاتفاق على كل ما سبق ذكره مع ممثلكم المفوض بصلاحيات مطلقة من قبلكم · ولكى يكون هذا الاتفاق محط قبول جميع الأطراف فقد طلبنا من الشيخ عبدالرحمن أن يصرح باسمكم، بالموافقة والتوقيع عليها ·

إننا نغتنم هذه الفرصة للتعبير عن اهتمامنا بالمحافظة على العلاقات الودية التى تربطنا معكم، والتأكيد على رغبتنا فى الدفاع عنكم وتقديم المساعدات لبلدانكم، مع ثقتنا بتعاونكم من أجل تطوير التجارة والصناعة سواء لمنفعتكم أو لمنفعتنا ·

لقد سبق أن صرح ممثلونا بكل وضوح، ونكرر نحن هنا، بأن الحكومة الإيطالية عندما اشترت بموجب عقد أصولى خليج عصب والمناطق المحيطة به

لم يكن قصدها من ذلك سوى تنشيط التجارة بين أقاليمكم وإيطاليا، وقد حرصنا على الدفاع عن مصالحكم وحماية المبادلات بين الإيطاليين والدناكل، وبذلك لم نفكر إطلاقا أن نكون غزاة أو سادة على أراضيكم٠

هذا هو ما تم الاتفاق عليه، ويدركه تماما صديقكم الملك منليك الثانى ملك شوا ٠ ونأمل من الله أن يشملكم برعايته وأن يحفظ صداقتنا وأن ينعم بالفضل والطمأنينة الدائمين٠ ونريد أن يطلع على هذه الرسالة كل من سلطان غوبعد، وحومد لويتا وأبوبكر إبن السلطان الراحل برهان، ووزير رحيتا، وأن تبقى هذه الرسالة فى عهدة السلطان محمد حنفرى فى أوسا ٠

تصريح

أنا الموقع أدناه الشيخ عبدالرحمن، أصرح باسمى شخصيا وباسم السلاطين محمد حنفرى، وحومد لويتا ، ووزير رحيتا، وأبو بكر بن السلطان الراحل برهان، بصفتى ممثلا لهم ومفوضا منهم بصلاحيات مطلقة، أصرح باسمنا جميعا بموافقتى على بنود هذا الاتفاق المبرم مع وزارة حكومة صاحب الجلالة ملك إيطاليا، وأتعهد بأن أخلص فى تنفيذ بنود هذا الاتفاق باسمى وباسم الذين أمثلهم بعد أن أخذنا بعين الاعتبار سجل السلطان محمد حنفرى والوثائق التى تبرر تمثيلى ٠

مرفــق رقم (١)

رسالــة

من سلطان غوبعـد وعصب وإقليم دميرا حومد لويتا

إلي الحاكم المدني في عصب بيستولاتسا

غوباد فى ٢٠ ذى الحجة ١٣٠١ الموافق ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٨٨٤

بعد التحية والسلام، أعلمكم أننى لاقيت صعوبات جمة ومشقات لا توصف من أجل تجميع الجمال اللازمة لإعداد القافلة المراد إرسالها إلى الملك منليك· إن تكاليف الشحن باهظة بسبب القحط فى هذه السنة، ومع ذلك آمل أن أكون فى عصب فى نهاية هذا الشهر ومعى كل الجمال المطلوبة ·

استلمت سارية العلم ، التى ارسلتموها مع عبدالرحمن، وإنى أتقبلها بكل سرور· وأقول لكم بشأن الجمال أن رجالنا يتذمرون من سوق جمالكم إلى عصب بسبب فقر المراعى فى الطريق· أما إذا أردتم إيجاد مركز استراتيجى فى أراضينا تصل إليه الطريق بسهولة فإننا نشير عليكم بإشغال قرية دابكيل التى تقع بالقرب من المالح الطبيعية لعصب وفى الطرف الأقصى لساغاللو، إذإأن هذه الناحية تتمتع بمركز جيد وتصلح لكى تكون مركزا للمبادلات مع شوا، كما أن مياه هذه القرية غزيرة·

أرجو أن تحضروا إلينا، واطلبوا أن يرافقكم عبدالقادر بن إبراهيميتا وهو سيقودكم إلى حيث نحن بانتظاركم فى تاجوره· ومع ذلك استشيروا حكومتكم فى أمر ساغاللو التى بينت لكم ميزاتها، علما بأن الفرنسيين يريدون شراء هذه المنطقة، لكننا لا نرغب فى بيعها إلى الفرنسيين بل نفضل بيعها لكم· وإذا كنتم لا ترغبون فى شرائها فسيكون لنا مطلق الحرية فى اختيار الأنفع لنا·

مرفـق رقم (٢)

رسالـة

من الحاكم المدني في عصب، بيستولاتسا إلي سلطان غوبعد وعصب وإقليم دميرا ، حومد لويتا

عصب فى ١٧ أكتوبر (تشرين الأول) ١٨٨٤

سلاما وتحية وبعد ··

فقد استلمت رسالتكم ، ويسرنى أن أنقل إليكم مشاعر الصداقة التى أكنها لكم ، وأشكر لكم همتكم فى تأمين الجمال اللازمة لإعداد القافلة المراد إرسالها إلى الملك منليك، والتى آمل أن تصلنا هنا فى القريب العاجل، وأن تكون كبيرة كما نأمل ·

أما بشأن عرضكم بيعنا تلك المنطقة القريبة من ساغاللو، فسأعلم حكومتى بذلك، وسأعلمكم بجوابها فور وصوله· هذا وبصدد تلك المنطقة أشير إلى أنكم على علم بأن الحكومة المصرية كانت دوما مصدر إزعاج وشغب لساغاللو والمناطق المجاورة بها ·

وعندما تحضرون إلينا سنتفق على موضوع راتبكم الذى سبق أن أعلمتكم عن تخصيصه لكم من الحكومة الإيطالية ·

أحييكم بكل إخلاص (١) ·

---

(١) الوثائق الخارجية الإيطالية : حول إريتريا ، دراسات إريترية ترجمت بواسطة قوات التحرير الشعبية لجبهة التحرير الإريترية فى بيروت عام ١٩٧٨· وكل هذه الوثائق مأخوذة من هذا الجزء المجلد الثانى لعام ١٨٨٣ – ١٨٨٥م · تحت إشراف كارلو لوجو ليو : أستاذ التاريخ والسياسة الاستعمارية فى جامعة بافيا فى إيطاليا ·

التعليـق على الوثائـق

===

هذه الوثائق التى تناولناها فى ملحق هذا الكتاب تعد جزءا من الكل الذى أصدرته (لجنة تنظيم الوثائق الخاصة بالعمل الإيطالى فى وزارة الخارجية الإيطالية) وقد تناولت أحداث بداية الاحتلال الإيطالى لإريتريا فى الفترة ما بين أعوام ١٨٨٣ - ١٨٨٥ . وهى عبارة عن المراسلات التى جرت بين كبار موظفى الدولة فى مختلف المناطق .

وأهمية هذه الوثائق تكمن فى أنها تفضح، بأقلام المستعمرين أنفسهم، الأساليب الكلاسيكية للاستعمار من خديعة ودس وإجرام وعنف وراء الإدعاء بنشر المدنية والعمران والأمن والتجارة .

وما أكثر مااستغلت بساطة المشايخ والسلاطين وسذاجتهم لأخذ توقيعاتهم، وأحيانا كانت تأخذ بصماتهم على معاهدات يعدها المستعمرون وفق مصالحهم دون نقاش . ومع ذلك فهذه البساطة لا تعفيهم من المسئولية التاريخية ببيع أراضى الشعب للمستعمرين .

والحقيقة أن مقاومة الشعب العفرى الإريترى قد قضت على الرواد الأوائل للإستعمار الإيطالى الذين تمثلوا فى بعثتى غوستافو بيانكى وجوفانى بيانكى ، حيث تحججت إيطاليا بمقتل أفراد البعثتين لاحتلال المنطقة بحجة انعدام الأمن أمام التجارة والتنقل .

ولما كانت بعثة بيانكى قد أبيدت بالقرب من بيلول فقد لجأ الطليان إلى القوة ٠

ومن خلال عرضنا لنماذج من الرسائل المتبادلة بين سلاطين هذه المنطقة والحكومة الإيطالية نبين للقارىء كيف كانت العلاقة وبماذا انتهت ٠

ملاحــــق الكتـاب

١ - الجـداول

سلاطيـن سلطنـة أوفـات الإسلاميــة (١)

١ – عمر والى أسـمع (ولشـمع) : من بنى عبدالدار من قريش : كان مـعاصرا لملك الحبشة يكونوا ملاك (٦٦٩ –٦٨٤ هـ/ ١٢٧٠ – ١٢٨٥م).

٢ – بزو بن عـمـر ولشع : كـان مـعاصـرا لملك الحبـشـة – يجـبـيا مـيـون (٦٨٤–٦٩٤ هـ/١٢٨٥ – ١٢٩٤ م) .

٣ – حق الدين بن عمر : كان معاصرا لملك الحبشة ودم أرعد (٦٩٩–٧١٤ هـ /١٢٩٩ – ١٣١٤ م) وعمدا صيون (١٣١٤ – ١٣٤٤م) .

٤– صبـر الدين مـحـمد بن عمـر : حكم أوفات فى حـدود عام ٧٠٠ هـ/١٣٠٠م وكان معاصرا لعمدا صيون (٧١٤ – ٧٤٥ هـ/ ١٣١٤ – ١٣٤٤م) .

٥ – جلال الدين بن عمر : كان معاصرا لعمدا صيون (١٣١٤ – ١٣٤٤م).

٦ – على بن صـبر الدين مـحمـد : كان مـعاصرا لسـيف أرعد ملك الحـبشـة) (٧٤٥ – ٧٧٤ هـ / ١٣٤٤ – ١٣٧٢م) .

٧ – أحمـد حرب أرعـد بن على بن صبر الـدين : (كان معـاصرا لسـيف أرعد) (٧٤٥ – ٧٧٤ هـ / ١٣٤٤ – ١٣٧٢م) .

٨ – حق الدين الثانى بن أحمد : ٧٦٦ – ٧٧٦ هـ / ١٣٦٤ – ١٣٧٤ م .

٩ – سعد الدين مـحمد بن أحمد : ٧٧٦ – ٨٠٥ هـ /١٣٧٤ – ١٤٠٢م.

---

(١) رجب محمد عبدالحليم (دكتور) : العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى .

فترة ضعف وهجرة أولاد سعد الدين إلى اليمن فترة استمرت حوالى ١٢ سنة ٠

سلاطين سلطنة عدل الإسلامية

١ – صبر الدين الثانى على بن سعد الدين : ٨١٧ – ٨٢٥ هـ / ١٤١٤–١٤٢١م ٠

٢ – منصور بن سعد الدين : ٨٢٥ – ٨٢٨ هـ/١٤٢١– ١٤٢٤م) ٠

٣ – جمال الدين محمد بن سعد الدين : ٨٢٨ – ٨٣٥ هـ/ ١٤٢٤ ١٤٣١م٠

٤ – شهاب الدين أحمد بدلاى بن صبر الدين على : ٨٣٥ – ٨٤٨ هـ/ ١٤٣١–١٤٤٤م)٠

٥ – محمد بن شهاب الدين بدلاى : ٨٤٧–٨٧٥ هـ / ١٤٤٣–١٤٧٠م ٠

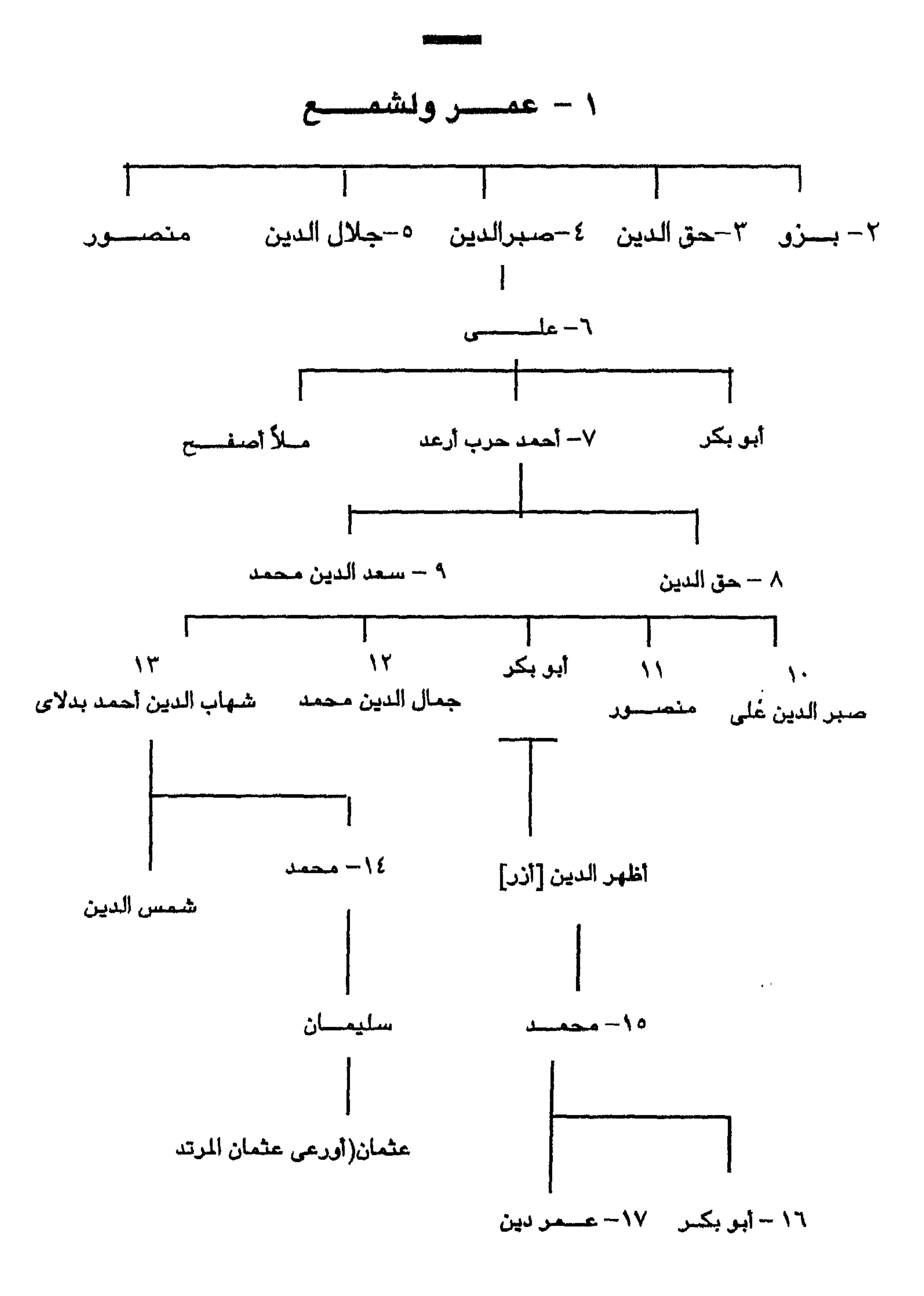
فترة اضطرابات ٠

٦ – محمد بن أظهر الدين بن أبى بكر بن سعد الدين : ٨٩٤–٩٢٤ هـ/ ١٤٨٨–١٥١٨م ٠

٧ – أبو بكر محمد بن أظهر الدين : ٩٢٤ – ٩٣٣ هـ / ١٥١٨– ١٥٢٦م ٠

٨ – عمر دين بن محمد بن أظهر الدين : عينه الإمام أحمد بن إبراهيم الغازى سلطانا عام ٩٣٣ هـ / ١٥٢٦م ٠

جدول يمثل سلاطين سلطنتاي أوفات وعدل



ملوك الحبشة من الأسرة السليمانية

في العصور الوسطي

١ – يكونو أملاك : ٦٦٩–٦٨٤ هـ/ ١٢٧٠–١٢٨٥م .

٢ – ياجيبا صيون بن يكونو أملاك : ٦٨٤–٦٩٤هـ/ ١٢٨٥–١٢٩٤م.

٣ – ودم أرعد بن يجبيا صيون ٦٩٩–٧١٤هـ /١٢٩٣–١٣١٤م.

٤ – عمدا صيون الأول بن ودم أرعد : ٧١٤–٧٤٥هـ/ ١٣١٤–١٣٤٤م.

٥ – سيف أرعد بن عمدا صيون: ٧٤٥–٧٧٤ هـ/ ١٣٤٤–١٣٧٢م.

٦ – ودم بن سيف أرعد : ٧٧٤–٧٨٤ هـ/١٣٧٢–١٣٨٢م.

٧ – داود بن سيف أرعد : ٧٨٤–٨١٤ هـ/١٣٨٢–١٤١١م.

٨ – تيودور بن داود : ٨١٤–٨١٧ هـ/١٤١١–١٤١٤م.

٩ – إسحاق بن داود : ٨١٧–٨٣٣ هـ/ ١٤١٤–١٤٢٩م.

١٠– انرداوس بن إسحاق : ٨٣٣–٨٣٦ هـ/ ١٤٢٩–١٤٣٢م.

١١– حربنان بن داود : ٨٣٦–٨٣٧ هـ/١٤٣٢–١٤٣٣م.

١٢– زرء يعقوب بن اندراوس : ٨٣٨–٨٧٣ هـ/ ١٤٣٤–١٤٦٨م.

١٣– أدماس (بئيد مريم) بن زرء يعقوب : ٨٧٣–٨٨٣ هـ /١٤٦٨–١٤٧٨م.

١٤– اسكندر بن أدماس : ٨٨٣–٨٩٨ هـ/١٤٧٨–١٤٩٢م.

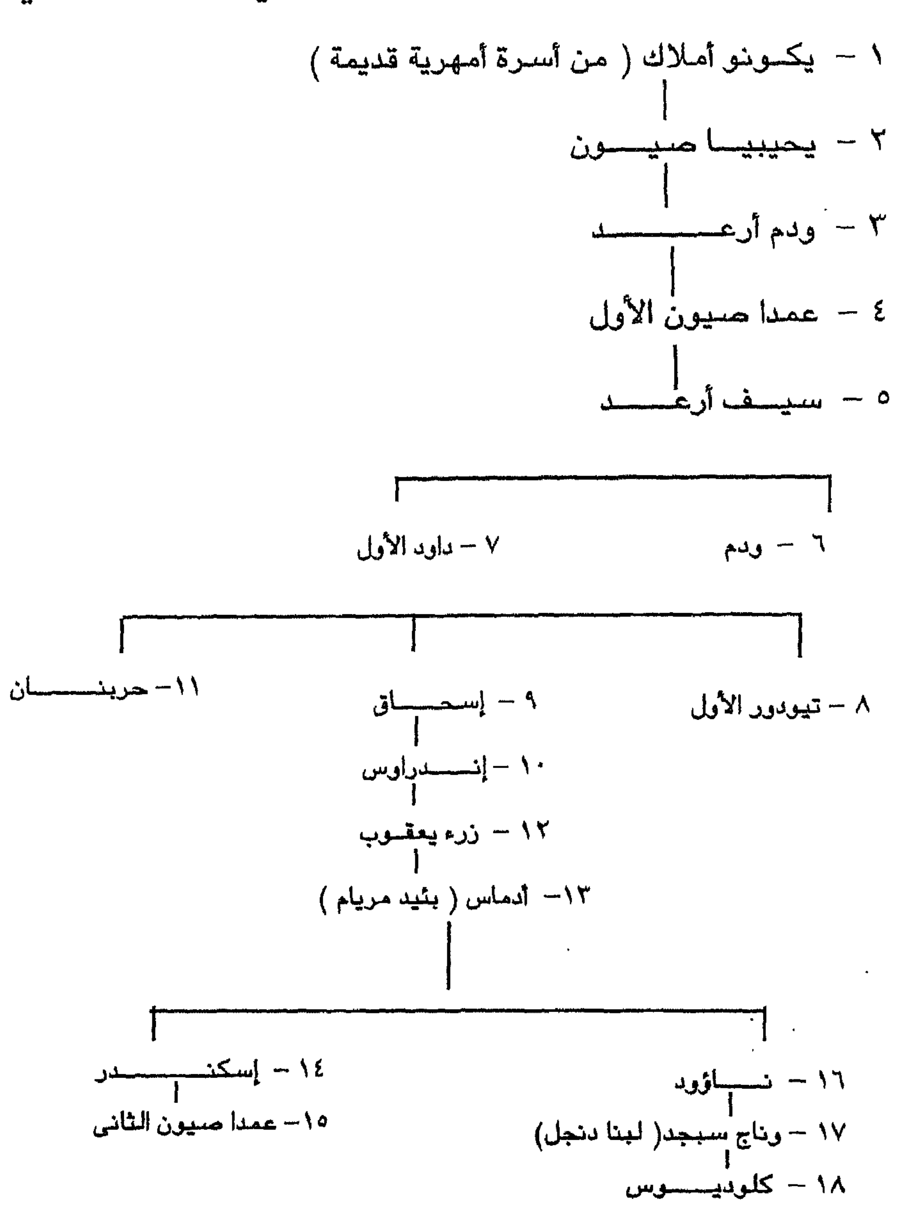
١٥– عمدا صيون الثاني بن اسكندر : ٨٩٨–٨٩٩ هـ/١٤٩٢–١٤٩٣م.

١٦– ناؤود بن أدماس (بئيد مريم) ٩٠٠–٩١٤ هـ/ ١٤٩٤–١٥٠٨م.

١٧– وناج سجد (لبنا دنجل) بن ناءود : ٩٦٤–٩٤٧ هـ /١٥٠٨–١٥٤٠م.

١٨– كلوديوس بن لبنا دنجل : ٩٤٧–٩٦٧ هـ / ١٥٤٠–١٥٥٩ م.

جدول يمثل ملوك الأسرة السليمانية في العصور الوسطي

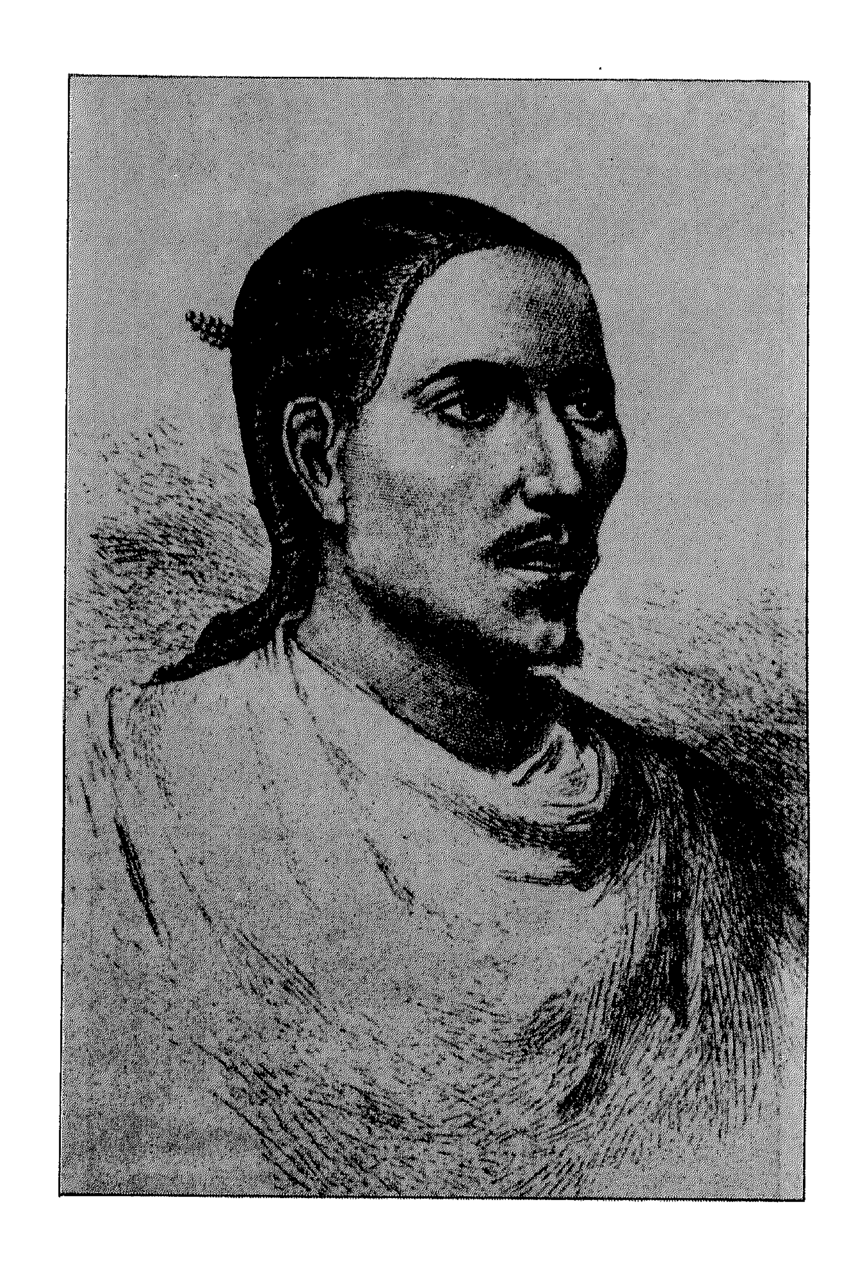




الامام محمد علي
من عام ١٨٥٠ - ١٩١٨



الامبراطور هيلاسيلاسي



الامبراطور يوهنس من عام ١٨٧٢ - ١٨٨٩



الامبراطور بلباسه الحربي



قوات أثيوبية أثناء المعارك مع السلطنات الإسلامية

المراجـــع

--

أولا - المراجع العربيـة :

* إبراهيم عبدالله محمد ماح : الهزيمة الثالثة : دار النهضة المصرية ، القاهرة

* إبراهيم نصر الدين وجلال محمود : (دكتور) القرن الإفريقى ٠

* إبن عساكر : تهذيب تاريخ ابن عساكر لعبدالقادر أحمد الرومى – الدمشقى الحنبلى ، دمشق سنة ١٣٤٩ هـ ٠

* أبو أحمد الإثيوبى : (أحد المفكرين الأحرار من إثيوبيا) – الإسلام الجريح فى الحبشة ، القاهرة، ١٩٦٤م ٠

* أبو محمد عبدالملك بن هشام : السيرةالنبوية ، جـ ١ ، ١٩٣٦م٠

* أحمد يوسف قرعى : ردود على الأسئلة الخاصة بالعفر من أرشيف القسم العفرى لشبكة الإذاعة الموجهة لشرق إفريقيا من إذاعة جمهورية مصر العربية ٠

* أحمد برخت ماح : ماذا يحدث فى الصومال ، القاهرة ، ١٩٨٨م٠

* أحمد برخت ماح : وثائق عن الصومال ، الحبشة ، إريتريا ، القاهرة ٠

* أحمد أمين : يوم الإسلام ، القاهرة ٠

* أمين شاكر وآخرون : أضواء على الحبشة ، دار المعارف ، القاهرة ٠

* إمين توفيق الطيبى (دكتور) : الحبشة عربية الأصل والثقافة ، ليبيا ، طرابلس ، ١٩٩٣م٠

* أنديا ننجى سيتهول : القومية الإفريقية (ترجمة حديجة برادة)

* بولس مسعد : الحبشة فى منقلب من تاريخها ٠

* بازل داڤيدسون : إفريقيا تحت أضواء جديدة (ترجمة جمال محمد أحمد)

* توماس أرنولد : الإسلام فى إفريقيا(ترجمة دكتور حسن إبراهيم)٠

* تيم وايت و برهانى أسفايُ (دكتور) : إثيوبيا (بحث منشور من جامعة كاليفورنيا)

* تيسير طابات (دكتور) الكيلانى : المسلمون فى الحبشة

* جلال يحيى : مصر العربية والأطماع الاستعمارية فى القرن التاسع عشر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤٠

* جلال يحيى (دكتور) وأخرون : مشكلة القرن الإفريقى وقضية الصومال، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٨١٠

* جلال يحيى (دكتور) : سواحل البحر الأحمر (لجنة الدراسات الإفريقية ، ١٩٦٠)٠

* چون چانتر : داخل إفريقيا . جـ ٢ ٠

* حسين مؤنس (دكتور) : الشرق الإسلامى فى العصر الحديث ٠

* حمدى السيد سالم : الصومال قديما وحديثا ٠

* حسن أحمد محمود (دكتور) الإسلام والثقافة العربية فى إفريقيا، القاهرة، ١٩٦٣٠

* دانتى أدورتيس : المستعمرة الإريترية (مفوضية مصوع الإقليمية)٠

* راشد البراوى (دكتور) : الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث، يناير ١٩١٠٠

* رجب محمد عبدالحليم (دكتور) : الإسلام فى شرق إفريقيا ، مذكرة للدراسة ٠

* رجب محمد عبدالحليم (دكتور) : العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى ، دار النهضة ، القاهرة ، ١٩٨٥٠

* ريدو : القانون العرفى العفرى ، ١٩٧٣٠

* رينيه باسيه : النقوش الكتابية فى جزيرة دهلك

* زاهر رياض (دكتور) : الإسلام فى إثيوبيا ، دار المعارف ، القاهرة. ١٩٦٤م٠

* زاهر رياض (دكتور) : الاستعمار الأوروبى لإفريقيا فى العصر الحديث، (معهد الدراسات الإفريقية – جامعة القاهرة) ٠

* سعيد عبدالفتاح عاشور (دكتور) : الحركة الصليبية فى العصور الوسطى

* سيد أحمد خليفة : جيبوتى وما حولها ٠

* سيد رجب حراز (دكتور) : إفريقيا الشرقية والاستعمار الأوروبي ، القاهرة ١٩٦٨٠

* سيد رجب حراز (دكتور) : التوسع الإيطالي في شرق إفريقيا وتأسيس مستعمرة إريتريا والصومال ، القاهرة ١٩٦٠٠

* سيد رجب حراز (دكتور) : إريتريا الحديثة من عام ١٥٥٧ - ١٩٤١م، القاهرة ١٩٧٤م٠

* س ٠ ج ٠ سبلجمان : السلالات البشرية في إفريقيا (ترجمة يوسف خليل) ٠

* شوقي عطا الله الجمل (دكتور) : سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٧٤٠

* شوقي عطا الله الجمل (دكتور) : الوثائق التاريخية لسياسة مصر للبحر الأحمر من ١٨٦٣ - ١٨٧٩ ، مطبعة لجنة البيان العربي

* صادق المؤيد العظم : رحلة الحبشة (تعريف رفيق بك العظم) ، القاهرة ١٩٠٨٠

* الطبري أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك

* عبدالله عمر أدم : العفر دولة في محنة ، ستوكهلم ، ١٩٩١٠

* عبدالله عبدالمحسن السلطان (دكتور) : البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي ، التنافس بين الاستراتيجيتين ٠

* عبدالملك عودة (دكتور) : الأمم المتحدة وقضايا إفريقيا ٠

* عبدالرحمن عثمان الطويل : الصومال تاريخ وحضارة– الطبعة الثانية

* عثمان صالح سبى : تاريخ إريتريا ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ١٩٨٤٠

* عثمان صالح سبى : صراع القوى الدولية على منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقى عبر العصور وانعكاساته على منطقة الخليج٠

* عرب فقيه : تحفة الزمان أو فتوح الحبشة ٠

* على أحمد نور (طرابلسى) : ملامح صومالية من العصور القديمة ٠

* على أحمد نور (طرابلسى) : النزاع الصومالى الإثيوبى – الجذور التاريخية ، ١٩٧٨٠

* العمرى : مسالك الأبصار ٠

* عمر محمد على الإثيوبى : إثيوبيا فى عصرها الذهبى (عصر هيلاسلاسى) ٠

* عوض داود محمد : المسألة العفرية فى القرن الإفريقى (بحث للحصول على دبلوم) ، القاهرة ١٩٩٣٠

* عيدروس بن الشريف على العيدروس : بغية الآمال فى تاريخ الصومال ٠

* فتحى غيث : الإسلام الحبشة عبر التاريخ ، النهضة المصرية ٠

* فيليب رفله (دكتور) : الجغرافيا السياسية لإفريقيا ٠

* القوصى ، عطيه : تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية ، ١٩٧٦٠

* القلقشندى : صبح الأعشى ٠

* لجنة الثقافة والإعلام لرابطة طلاب العفر بالقاهرة : لمحة تاريخية عن أمة العفر ، ١٩٩١٠

* ليدا برتى : مشروع إنعاش وتأهيل لإريتريا ، برنامج صندوق الإسكان والتعمير عن إقليم الدناكل، أسمرة، إريتريا ٠

* محمد أحمد مشهور الحداد : حقائق تاريخية عن العرب والإسلام فى إفريقيا الشرقية ، دار الفتح، ١٩٧٣٠

* محمد السيد غلاب : شعوب القرن الإفريقى (الندوة الدولية للقرن الإفريقى جـ ٢) ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ٠

* محمد صبرى (دكتور) : مصر فى إفريقيا ٠

* محمد عثمان أبو بكر : تاريخ إريتريا أرضا وشعبا ، ١٩٩٤٠

* محمد على مؤمن : نبذة مختصرة عن جغرافية المنطقة العفرية (بحث غير منشور)

* محمد على عيسى : الأزمة السياسية فى چيبوتى منذ عام ١٩٧٧ (بحث لنيل درجة الدبلوم فى السياسة بمعهد الدراسات العربية) ٠

* محمد على عيسى : الأزمة السياسية فى چيبوتى من عام ١٩٧٣٠

* محمد عوض محمد الشعوب والسلالات الإفريقية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ٠

* محمد محمود السروجي : العلاقات بين مصر وإثيوبيا فى القرن التاسع عشر ، الاسكندرية ١٩٦٠٠

* محمد عبدالغنى سعودى (دكتور) : إفريقيا دراسة لشخصية الأقليم ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦٠

* محمد عبدالغنى سعودى (دكتور) : العلاقات العربية الإفريقية ٠

* محمد فؤاد شكرى (دكتور) : مصر والسيادة على السودان ، الوضع التاريخى للمسألة، القاهرة ١٩٤٦٠

* محمود شاكر : إريتريا والحبشة ، القاهرة، ١٩٨٣ ٠

* محمود محمد الحريرى : ساحل شرق إفريقيا ، دار المعارف ، القاهرة. ١٩٨٦٠

* المقريزى : الإمام بمن فى الحبشة ٠

* مكنون جمال الدين إبراهيم خليل : كشف الضباب عن أم العفر (بحث غير منشور) ٠

* ممتاز العارف : الأحباش بين مارب وأكسوم . المكتبة العصرية، بيروت ٩

* المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : العلاقات بين الثقافة العربية والثقافة الإفريقية ، يناير ١٩١٠٠

ثانيا : المراجع الأجنبيـة :

1. Budge, E.A.W. : A History of Ethiopia.
   Vol. 1,2 London 1928.
2. Chatterjee, B. : Afars of the Upper Awash Valley in Ethiopia. Addis Ababa, 1967.
3. Crispi Francesco : La prima Guerra d'Africa. Milan, 1914.
4. Farer, T.J. : War Clouds on the Horn of Africa : the Widening Storm. Revised edition. New Yor, Washington, 1979.
5. Haroun, T. : The Afar Triangle. February, 1970.
6. Legume, C. & Lee, B. : The Horn of Africa in Continuing Crisis. New York, 1979.
7. Lewis, I.M. : Islam in tropical Africa. London, 1980.
8. Lewis, I.M. : Peoples of the Horn of Africa : Somali, Afar and Saho. London, 1955.
9. Luther, Ernest : Ethiopia Today. 1964.
10. Nesbitt, L.M. : Desert and Forest, the Exploration of Abyssinian Danakil. London, 1934.
11. Thesiger, W. : "The Awash River and the Aussa Sultanate". The Geographical Journal, Vol. 85, No. 1. 1935.
12. Trevaskis, G.K.N. : Eritria. Oxford U.k., 1960.
13. Trimingham, J.S. : Islam in Ethiopia. London, 1965.
14. Ulendorff : The Ethiopians.

الدوريـــات :

١ - ندوة عفر فرانكفورت (AFAR FORUM) قرارات المؤتمر الثالث للقضية العفرية ، من ٢٧-٢٨ يونيو ١٩٩٢م٠

٢ - شعوب القرن الإفريقى، الندوة الدولية فى القرن الإفريقى ، الجزء الثانى، إعداد / معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، عام ١٩٨٥م٠

٣ - المواجهة العثمانية البرتغالية فى البحر الأحمر ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، العدد الأول والثانى ، ص ١٦٧-١٧٣، تونس ١٩٩٠م

٤ - سعيد عبدالفتاح عاشور : (دكتور) بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة فى القرون الوسطى، المجلة التاريخية المصرية ١٤-١٩٦٦-١٩٦٧، ص ٢٦٠

الجرائد والمجلات :

١ - كابوس السيناريو الصومالى فوق سماء چيبوتى ، تحول الدور الفرنسى من الهجوم إلى الانكفاء ، بقلم الأستاذ الدكتور / أحمد حسن دحلى، نشر هذا المقال فى جريدة الحياة الدولية فى سنة حلقات ، ابتداء من ١٧/١/١٩٩٢م ٠

٢ - جريدة الحياة الدولية اللندنية ، مقال فى ٢٤/٥/١٩٩٣م ، بقلم رغده الصلح ٠

٣ – مقابلة مع الأستاذ / أحمدينى حمزة – فى جريدة الخحياة الدولية فى ٢٥ مارس ١٩٩٣ عن أوضاع العفر فى جيبوتى ٠

٤ – جريدةالشرق الأوسط ، جيبوتى بين الحكومة والمعارضة ، مقابلة مع الأستاذ /أحمدينى ، الشرق الأوسط ١٩٩٣/٦/٨م ، العدد ٥٣٠٦٠

٥ – (جريدة المسلمون)، السلطان على مرح يدعو العرب لتطوير المثلث العفرى، بقلم / على عثمان المبارك ، رسالة إثيوبيا ، المسلمون ١٩٩٤/١٠/٢٨م٠

٦ – (جريدة المسلمون) ، العفر يحمون الإسلام فى القلم الإفريقى ، بقلم الأستاذ المناضل /محمد عثمان على خير ، المسلمون بتاريخ ١٩٩٣/٦/٢م٠

٧ – (جريدة المسلمون) مقابلة مع السلطان على مرح ، أجرى المقابلة الأستاذ/على عثمان المبارك ، فى ١٣ ديسمبر ١٩٩٤م ، العدد ٢٥٨ جريدة المسلمون ٠

٨ – (جريدة المسلمون) ،مستقبل جيبوتى بين إثيوبيا والصومال ، بقلم الدكتور /سمعان بطرس فرج الله ، مجلة السياسةالدولية ، فى يناير ١٩٦٧م ، العدد ٧ ٠

٩ – مركز الدراسات الإسراتيجية للأهرام ، التقرير الاستراتيجى العربى فى عام ١٩٩١م٠

١٠- مجلة المستقبل العربى ، البحر الأحمر والأمن العربى ، الأهمية الاستراتيجية ، بقلم الأستاذ / أمين هويدى ٠

١١- حوار مع إثنين من قادة المعارضة البرلمانية ، مجلة الصياد اللبنانية ، باريس فى ١٧ يوليو ١٩٩٣م ٠

١٢- العفر أكراد إفريقيا يهددون لتفجير القرن الإفريقى ، بقلم / محمد طه توكل ، جريدة الشرق «الدوحة» ، ١٩٩٣/١١/٤م٠

١٣- الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية فى إثيوبيا إلى نهاية القرن الـ ١٩ ، بقلم الأستاذ/ الأمين عبدالكريم ، مجلة بحوث الدراسات الإفريقية ، الخرطوم ، أبريل ١٩٨٥م٠

١٤- أبعاد الصراع فى القرن الإفريقى ، رؤية الأطراف المحلية ، ماجده محمود الجندى ، مجلة الدراسات الإفريقية فى ١ أبريل ١٩٧٩م، تصدر عن الجمعية الإفريقية ، القاهرة٠

١٥- باب المندب والأمن القومى العربى ، نظرية مستقبلية ، مجلة الباحث العربى ، مركز الدراسات العربية ، لندن ، العدد العاشر، فى يناير ومارس١٩٨٧م٠

١٦- حرب إريتريا ومستقبل البحر الأحمر ، مجلة السياسة الدولية ، السنة ١٤ ، أكتوبر ١٩٧٨م، العدد ٥٤ ٠

١٧- الخطر فوق البحر الأحمر ، الأستاذ / محمد حسنين هيكل ،جريدة الأهرام فى ١٩٧٢/١٠/٢٧م ٠

الفهـــرس

الفصل الثانى

التقاء الثقافة العربية الإسلامية بالثقافة الإفريقية
في بلاد العفر والقرن الإفريقى

الفصل الثالث

أهم الممالك الإسلامية التي أسسها العرب في العصور الوسطي من العرب العفريين والصوماليين في الحبشة «مسلمي زيلع»

==

الفصل الرابع
حركة جهاد أحمد بن إبراهيم فى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادى

==

الفصل الخامس
الخلفية التاريخية للصراع بين القوى المسيحية والإسلامية في الحبشة منذ بداية القرن الرابع عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر ودور العفر فيه

===

الفصل السادس

أهم السلطنات العفرية منذ القرن السادس عشر حتى القرن العشرين

الفصل السابع

بلاد العفر في العصر العثمانى

==

الفصل الثامن

==

الفصـل التاسـع
مظاهـر الحضارة فى بلاد العفر

==

الفصل العاشـر
النظام الاجتماعي في العفر

==

الفصل الحادى عشـر
التركيبة السكانية العفرية في عموم بلاد القرن الإفريقي
في العصور الحديثة منذ بداية القرن التاسع عشر

ملاحق البحـث

مطابع
ت : ٩٣٢٢٧٠٦٠

المؤلف فى سطور



- محمد عثمان أبوبكر . ولد بحرقيقو في عام ١٩٤٥م.
- تلقى تعليمه الأول والمتوسط والثانوى بمدرسة حرقيقو
- أكمل تعليمه الثانوى بمدرسة الإبراهيمية الثانوية بالقاهرة عام ١٩٦٣.
- تخرج من كلية الآداب جامعة القاهرة – قسم التاريخ في عام ١٩٧١.
- ترأس إتحاد طلبة إريتريا بالقاهرة لفترة طويلة.
- من المؤسسين للاتحاد العالم لطلبة إريتريا.
- شارك فى مناشط الإتحاد المختلفة وتبوأ العديد من المناصب، وحضر العديد من المؤتمرات الطلابية كمؤتمر دمشق التأسيسى ١٩٦٩م ومؤتمر بيروت ومؤتمر بغداد التوحيدى ١٩٧٥م.
- شغل منصب السكرتير لجبهة التحرير الإريترية فرع القاهرة من الفترة ١٩٦٥ الى ١٩٦٩م.
- من أوائل المناضلين فى صفوف جبهة تحرير إريتريا.
- عمل ممثلا شخصيا للزعيم الوطنى الكبير الشهيد عثمان صالح سبى رئيس اللجنة التنفيذية لجبهة تحرير إريتريا – قوات التحرير الشعبية.
- ترأس الإتحاد العام لشباب إريتريا لثلاث أعوام فى مطلع السبعين.
- ممثل قوات التحرير الشعبية لجبهة التحرير الإريترية فى دول الخليج من عام ١٩٧٥م الى عام ١٩٨٥م.
- ممثل لجبهة التحرير الإريترية – التنظيم الموحد فى دول الخليج فى الفترة من ١٩٨٥ الى يوليو ١٩٨٦م.
- أنتخب فى المؤتمر التنظيمى يوليو ١٩٨٩م عضوا فى المجلس الوطنى الإريترى «البرلمان» وعضوا فى اللجنة التنفيذية ورئيسا لمكتب العلاقات الخارجية.
- بعد تحرير إريتريا أصدر بيانا حث فيه الجميع وفى مقدمتهم رفقاء الدرب من المناضلين للعودة الى أرض الوطن.
- عاد الى إريتريا فى يونيو ١٩٩٢م للاسهام فى معركة البناء.
- بعد التحرير الف كتابين : أحدهما

كتاب عن تاريخ إريتريا المعاصر أرضا وشعبا.
كتاب عن الحركة الطلابية ودورها فى الثورة الإريترية منذ الأنطلاقة الأولى عام ١٩٦٢م.

الناشر
"المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات
١٨ج ش محطة الزيتون ــ الزيتون ــ القاهرة
ت : ٢٥٦٧٦٥٩

